الأكثر مبيعاً 1 في أمريكا

دانيال ستيل

DANIELLE STEEL



المنزل

THE HOUSE

مكتبة مدبولي

Madbouly Bookshop



الدار العربية للعلوم ناشرون

Arab Scientific Publishers, Inc.

المنزل

THE HOUSE

دانيال ستيل

DANIELLE STEEL

ترجمة

فايزة المنجد



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الفصل الأول

غـادرت سارة أندرسون مكتبها عند الساعة التاسعة والنصف صباح يـوم الـثلاثاء مـن شهر حزيران/يونيو، متجهة إلى موعدها عند الساعة العاشرة مع ستانلي بيرلمان. أسرعت في الخروج منّ المبنى الكائن في وَن ماركـت بـلازا، نزلت عن الرصيف، وأوقفت سيارة أجرة. وكما يحدث معهـا دائمـاً، خطر في بالها أنه في واحدٍ من هذه الأيام التي تلتقيه فيها ستكون آخر مرة من دون شك. كان دائماً يقول إن هذا هو اليوم المرتقب. لقد بدأت تتوقع أن يعيش للأبد، على الرغم من اعتراضه على ذلك، وعلى الـرغم مـن واقع الحياة. كانت شركتها القانونية قد تبنّت إدارة أعماله منذ أكثـر من نصف قرن. وكانت هي مسؤولة أملاكه، ووكيلة ضرائبه خلال السنوات الثلاث الماضية. ببلوغها الثامنة والثلاثين من العمر، مضى على سـارة وهي شريكة في المؤسسة سنتان، وقد ورثت ستانلي كموكل عندما توفي محاميه السابق.

لقـد عمـرّ ستانلي أكثر منهم جميعاً. كان في الثامنة والتسعين من عمره. وهذا أمر من الصعب تصديقه أحياناً. إنه يتمتّع بذكاء حاد وقد كان كـذلك طوال حياته، يقرأ بشراهة، وينتبه على نحو متميز، إلى كل فارق بـسيط أو تغيّـر فـي قوانـين الضرائب الحالية. إنه موكّل مثير للتحدي وللتـسلية. لقد كان ستانلي بيرلمان نابغة في التجارة طوال حياته. الشيء الوحـيد الذي تغيّر على مرّ السنين هو جسده الذي خانه، وليس عقله على الإطلاق. إنه طريح الفراش الآن، وقد مضى عليه وهو على هذه الحال ما

يقارب السبع سنوات. تلازمه خمس ممرضات، ثلاث بانتظام في مناوبة لثماني ساعات، واثنتان للاحتياط. كان يشعر بالارتياح في معظم الوقت، ولم يغادر منزله منذ سنوات. لطالما أحبته سارة، وأعجبت به، على الرغم من اعتقاد الآخرين بأنه سريع الغضب ومشاكس. أما هي فتعتقد بأنه رجل متميز. أعطت سائق السيارة عنوان منزل ستانلي في شارع سكوت. شقا طريقهما عبر ازدحام وسط المدينة في المنطقة المالية من سان فرانسيسكو، واتجها غرباً نحو الضواحي، باتجاه باسفيك هايتس، حيث عاش في المنزل نفسه لست وسبعين سنة.

كانت الشمس تشع وهما يرتفعان على هضبة نوب نحو شارع كاليفورنيا، وعلمت أن الجوّ ربما يكون مختلفاً عندما يتجهان نحو الضواحي. فغالباً ما يتكاثف الضباب في الجزء السكني من المدينة، حتى ولو كان الجوّ دافئاً ومشمساً في وسط المدينة. كان السياح يركبون بسرور في السيارات المعلقة، يبتسمون وهم ينظرون حولهم. أحضرت سارة لستانلي بعض الأوراق ليوقعها، وهو أمر اعتيادي. كان دائماً يقوم بإضافات وتعديلات ثانوية على وصيته. ظل جاهزاً للموت طوال السنوات التي عرفته فيها، بل قبلها بكثير. ولكن على الرغم من ذلك، كلما بدا أن صحته تتراجع، أو أصيب بمرض عابر، يلملم شمله ويتماسك من جديد، وهذا ما كان يثير غضبه. لقد قال لها ذلك الصباح، عندما اتصلت لتأكيد الموعد معه، بأنه كان يشعر بالتوعك طوال الأسابيع القليلة الماضية، ولن يطول الأمر.

قالت له وهي تضع آخر أوراقه في حقيبتها: "توقف عن تهديدي، ستانلي، ستعمّر أكثر منا جميعاً".

كانت أحياناً تشعر بالحزن عليه، على الرغم من عدم وجود أي شيء يثير الحزن فيه، ونادراً ما يشعر هو بالأسى على نفسه. فما يزال يصيح بالأوامر على ممرضاته، ويقرأ صحيفتي نيويورك تايمز وول ستريت

جورنال يومياً، بالإضافة إلى الصحف المحلية، ويعشق شطائر البسطرما والهامبرغر، ويتحدث بدقة ساحرة وبتفاصيل تاريخية عن السنوات التي ترعرع فيها في الجانب الشرقي الأدنى لنيويورك. كان قد جاء إلى سان فرانسيسكو في السادسة عشرة من عمره، في العام 1924. وكان يتمتع بذكاء ملحوظ في إيجاد فرص العمل، وعقد الصفقات، والعمل عند الأشخاص المناسبين، وانتهاز الفرص، وادخار الأموال. كان يشتري العقارات، دائماً في ظروف غير اعتيادية، منتهزاً سوء حظ الآخرين أحياناً، الأمر الذي يعترف به بسرور، ويتاجر بالأموال، مستخدماً كل اعتماد يمكنه فتحه. لقد تمكّن من جني الأموال عندما كان الآخرون يخسرونها خلال فترة الانحطاط. إنه مثال عن الرجل العصامي.

كان يحب أن يقول إنه اشترى المنزل الذي يعيش فيه لقاء *دراهم قليلة* عام 1930. وبعد ذلك بكثير، كان من أوائل من بنوا مجمّعات تسوق في جنوب كاليفورنيا. جنى معظم أمواله في البداية من الاتجار بالعقارات، يقايض مبنى بآخر، وأحياناً يشتري أرضاً لا يرغب أحد بشرائها، ثم ينتظر الفرصة المناسبة لبيعها فيما بعد أو لإنشاء مبنى للمكاتب أو مراكز تسوق عليها. كما حظي بالبراعة الحدسية نفسها فيما بعد عند استثماره في آبار النفط. لقد أصبحت الثروة التي جمعها حتى الآن مذهلة بكل ما تحمله الكلمة من معنى. لقد كان ستانلي عبقرياً في التجارة، ولكنه لم ينجز إلاّ القليل من الأشياء الأخرى في حياته. لم يتزوج على الإطلاق، ولم يرزق بأطفال، ولا يملك أية علاقة مع أحد سوى المحامين والممرضات. لم يكن هناك أحد يهتم بستانلي بيرلمان، باستثناء محاميته الشابة، سارة أندرسون، ولن يفتقده أحد عندما يموت، باستثناء الممرضات اللواتي وظفهن. أما الورثة التسعة عشر في وصيته التي كانت سارة تعمل على تحديثها له من جديد (وهذه المرة لتضيف سلسلة من آبار النفط التي كان قد اشتراها لتوه في مقاطعة أورانج، بعد بيع العديد غيرها، ومرة أخرى في الوقت

المناسب) فهم أحفاد إخوته وأخواته الذين لم يلتقِ بهم أو يراسلهم على الإطلاق، وقريبان كانا بمثل عمره تقريباً، والذي قال بأنه لم يرهما منذ أواخر الأربعينيات، ولكنه يشعر ببعض الرابط الخفيف نحوهما. في الحقيقة، لم يكن متعلقاً بأحد، ويقول ذلك بصراحة. كانت لديه مهمة واحدة طوال حياته، واحدة فقط، وهي جني الأموال. لقد حقّق هدفه. قال إنه وقع في حب امرأتين في أيام شبابه، ولكنه لم يعرض الزواج على أي منهما، وقد فقد الاتصال بهما عندما يئستا منه، وتزوجتا بآخرين، منذ أكثر من ستين سنة.

الشيء الوحيد الذي قال إنه ندم عليه هو أنه لم يرزق بأطفال. اعتبر سارة الحفيدة التي لم يحظَ بها إطلاقاً، ولكن كان بإمكانه امتلاكها لو أنه استغل وقته وتزوج. فلقد كانت من ذلك النوع من الحفيدات اللواتي يحب الحصول عليهن. فهي ذكية، ومضحكة، وممتعة، وسريعة البديهة، وجميلة، ومتميزة بما تقوم به. وعندما تحضر له الأوراق أحياناً، كان يحب أن يجلس وينظر إليها ويتحدث معها لساعات. كما أنه يمسك يدها، الشيء الذي لا يفعله على الإطلاق مع ممرضاته. فهن يثرن غضبه، ويزعجنه، ويعاملنه على أنه أقل ذكاءً منهن، ويثرن الجلبة حوله بطرق يكرهها. أما سارة فلا تفعل ذلك على الإطلاق. تجلس هناك، وتبدو شابة وجميلة، وتحدثه عن أشياء يهتم بها. وهي دائماً مطّلعة على كل ما يتعلق بقوانين الضرائب الجديدة. وهو يحب حقيقة ابتكارها لأفكار جديدة عن كيفية توفير أمواله. كان محترساً منها في البداية، بسبب صغر سنّها، ثم بدأ يثق بها على نحو تدريجي خلال زياراتها إلى غرفته البالية الصغيرة في علية المنزل في شارع سكوت. تصعد السلالم الخلفية، حاملة حقيبتها، وتدخل الباب بحذر، وتجلس على الكرسي المجاور لسريره، ثم يتحدثان حتى تتمكّن من رؤية أنه قد تعب. في كل مرة تأتي فيها لرؤيته، تخشى أن تكون المرة الأخيرة التي تراه فيها. ثم يتصل بها حاملاً بعض الأفكار

الجديدة، وخطة جديدة خطرت على باله، أو شيئاً ما يرغب بشرائه، أو بيعه، أو طلبه، أو التخلص منه. وكلما تعامل مع أي شيء، تزيد ثروته دائماً. حتى وهو في الثامنة والتسعين من عمره، امتلك ستانلي بيرلمان قدرة خارقة على الكسب عندما يتعلق الأمر بالمال. وفضلاً عن ذلك، على الرغم من الاختلاف الكبير بين عمريهما، وعلى مرّ السنين التي عملت فيها معه، أصبح ستانلي وسارة صديقين.

نظرت سارة خارج نافذة سيارة الأجرة عند اجتيازهما كاتدرائية كريس، في أعلى هضبة نوب، ثم أسندت ظهرها على المقعد، تُفكّر فيه. تساءلت فيما إن كان مريضاً بالفعل، وفيما إن كانت هذه هي المرة الأخيرة. كان قد أصيب بذات الرئة مرتين في الربيع السابق، وفي كل مرة، نجا بأعجوبة. ربما لن يفعل الآن. كانت ممرضاته متفانيات في العناية به، ولكن عاجلاً أم آجلاً، لا بد من وجود شيء يقضي عليه وهو في هذا العمر. هذا أمر محتوم، على الرغم من أن سارة تخشى ذلك. تعلم أنها ستشتاق إليه بجنون عندما يرحل.

كان شعرها الطويل الداكن مسرّحاً للخلف بعناية، وكانت عيناها كبيرتين ولونهما أزرق ضارب إلى الأرجواني تقريباً. علّق على عينيها في المرة الأولى التي رآها فيها، وسألها فيما إن كانت ترتدي عدسات ملونة. ضحكت لسؤاله، وطمأنته بأنها لا تفعل. كان لون بشرتها القشدي المعتاد ضارباً إلى السمرة هذه المرة، بعد قضاء عدة أسابيع في بحيرة تاهو. كانت تحب أن تقوم برحلات المشي الطويل، والسباحة، وركوب الدراجات الجبلية. لطالما كان قضاء عطل نهاية الأسبوع بعيداً بمثابة راحة لها بعد الساعات الطويلة التي تقضيها في مكتبها. إن شراكتها في تلك المؤسسة القانونية تكسبها المال على نحو جيد. تخرجت من كلية ستانفورد للمحاماة، بامتياز استثنائي، وهي من مواليد سان فرانسيسكو. وعاشت هنا طوال حياتها، باستثناء السنوات الأربع التي قضتها كطالبة في هارفارد.

مصداقيتها وعملها الدؤوب أثّرا بستانلي وبشركائها. كان ستانلي قد استجوبها بشدة عند اللقاء الأول، وقد علّق قائلاً إنها تبدو أشبه بعارضات الأزياء. فهي طويلة، رشيقة الجسد، وتمتلك ساقين طويلتين لطالما أعجب بهما بصمت. كانت ترتدي بذلة أنيقة باللون الأزرق الداكن، وهي من نوع الملابس التي ترتديها دائماً عند زيارته. والمجوهرات الوحيدة التي تضعها هي زوج من الأقراط الماسية الصغيرة التي كانت هدية ستانلي لها في الكرسمس. كان قد اشتراها بنفسه عبر الهاتف من نيمان ماركوس خصيصاً لها. لم يكن الكرم من عاداته، إلاّ أنه كان يعطي ممرضاته الأموال بدلاً من الهدايا في الأعياد، ولكنه كان يُكنّ مشاعر خاصة لسارة، تماماً كما تكن هي له. أما هي فقد أهدته العديد من الأوشحة الكشميرية لتدفئته. فلطالما بدا منزله بارداً ورطباً. كان يوبخ ممرضاته بشدة عندما يشغلن التدفئة. فلقد كان يفضّل استخدام الأغطية على أن يكون مسرفاً في إنفاق أمواله.

لطالما كانت تثير فضول سارة حقيقة أنه لم يشغل الجزء الرئيسي من منزله على الإطلاق، بل غرف الخدم القديمة في العلية فقط. قال إنه قد اشترى المنزل كاستثمار، ولطالما أراد بيعه، ولكنه لم يفعل على الإطلاق. لقد حافظ على المنزل بدافع الكسل وليس بسبب وجود عاطفة عميقة تجاهه. إنه منزل كبير، وجميل، وفاخر شيد في عشرينيات القرن الماضي. أخبرها ستانلي بأن العائلة التي بنته أصيبت بخسائر بعد الانهيار الذي حصل في العام 1929، وقد اشتراه هو في العام 1930. عندما انتقل إلى إحدى غرف الخدم القديمة، مع سرير نحاسي قديم، وخزانة من الأدراج تركها المالكون الأصليون هناك، وكرسي تَلِفَت نوابضه منذ وقت طويل، وأصبح الجلوس عليه مثل الجلوس على كرسي من الإسمنت. تمّ استبدال السرير النحاسي بسرير خاص بالمشافي منذ عقد خلا. وكانت هناك صورة قديمة للنيران بعد الزلزال مُعلّقة على الجدار، في حين لا

توجد حتى صورة واحدة لأي شخص في أي مكان آخر بغرفته. ليس هناك وجود لأي شخص في حياته، بل مجرد استثمارات ومحامين. لا وجود لأي شيء شخصي في أي مكان بالمنزل. كما تمّ بيع كل قطع أثاث المنزل كل على حدة في مزاد أقامه المالكون الأصليون، وأيضاً لقاء القليل من الأموال تقريباً. ولم يتكلف ستانلي عناء فرشه عندما انتقل إليه، وأخبرها بأن المنزل قد جُرد من أثاثه قبل حصوله عليه. كانت الغرف كبيرة وأنيقة في السابق، أما الآن فقد كانت هناك ستائر مُعلّقة وممزقة على بعض النوافذ. أما الأخرى فكانت مغلقة بالألواح الخشبية، كي لا يطل الفضوليون منها. وعلى الرغم من أنها لم ترها أبداً، أُخبرت سارة بوجود قاعة للرقص. فهي لم تتجول في المنزل على الإطلاق، بل كانت تمشي بخط مستقيم من باب الخدم، صعوداً على السلالم، ثم إلى غرفة نومه في العلية. فإنّ هدف مجيئها الوحيد هو رؤية ستانلي. لذا لم يكن هناك أي سبب يدفعها للتجول في المنزل، باستثناء معرفتها بأنه في يوم ما، وهذا أمر أكثر من مجرد احتمال، بعد رحيله، سيتوجب عليها بيعه. فجميع ورثته في فلوريدا أو نيويورك أو ميدويست، ولن تكون لأي منهم رغبة بامتلاك منزل ضخم هائل في كاليفورنيا. مهما كان مقدار الجمال الذي تمتع به المنزل في السابق، فلن يستخدمه أي منهم، تماماً كما لم يفعل ستانلي. يصعب التصديق بأنه عاش فيه لست وسبعين سنة، ولم يقم بفرشه أو بالانتقال من العلية. ولكن هكذا هو ستانلي. غريب الأطوار، ربما متواضع، وطبيعي، وموكّل مخلص، ومحترم. كانت سارة أندرسون صديقته الوحيدة. أما ما تبقى من العالم فقد نسي وجوده. ومهما امتلك من أصدقاء سابقاً، فقد رحلوا منذ وقت طويل قبله.

توقفت سيارة الأجرة عند العنوان الذي أعطته سارة للسائق في شارع سكوت. دفعت الأجرة، وحملت حقيبتها، وخرجت من السيارة، وقرعت الباب. وتماماً كما توقعت، كان الجوّ أكثر برودة وضبابياً على

نحــو ملحــوظ هنا، فارتعشت تحت سترتها الخفيفة. كانت ترتدي كنــزة بيــضاء خفيفة أسفل البذلة الزرقاء الداكنة، فبدت مثل سيدات الأعمال؛ كما تظهر دائماً. وعندما فتحت الممرضة الباب، ابتسمت حين رأتها. استغرقت كما بدا بالنسبة لسارة دهراً لتنــزل من العلية. فسارة تعلم بأن هناك أربعة طوابــق بالإضــافة إلى القبو، كما أن الممرضات العجائز العاملات على رعايــته يتحركن ببطء. أما تلك التي فتحت الباب لسارة فهي جديدة نوعاً ما، ولكن سارة رأتها من قبل.

قالــت بلطــف: "السيد بيرلمان ينتظرك". وكانت تقف بجانب الباب لتسمح لسارة بالدخول، ولتغلق الباب خلفها.

كانــوا يستعملون باب الخدم فقط، لأنه الأكثر قرباً من الدرج الخلفي المؤدي إلى العلية. لم يلمس أحد الباب الأمامي منذ سنوات، وقد أبقي مغلقاً ومقفــلاً. لا يــتمّ إشــعال الأضواء في الجزء الرئيسي من المنــزل على الإطلاق، والأضواء الوحيدة المنارة في المنــزل منذ سنوات هي تلك التي فــي العلــية. تطــبخ الممرضات في مطبخ صغير في الطابق نفسه الذي اســتُعمل ســابقاً كحجرة لخزن الطعام. أما المطبخ الرئيسي، والذي أصبح قطعة أثرية الآن، فهو موجود في القبو. يحتوي على ثلاجات قديمة للطعام وعلــى مخزن للحم. ففي السنوات الغابرة، كان بائع الثلج يأتي، ويحضر قطــع ضــخمة مــن الــثلج معه. أما الفرن فهو بقايا من الفرن الذي كان موجوداً في عشرينيات القرن الماضي، ولم يشعله ستانلي منذ الأربعينيات علــى الأقــل. كــان المطــبخ من النوع الذي يُدار من قبل مجموعة من الطباخين والخدم، بإشراف من مدبرة المنــزل وكبير الخدم. وليس لهذا أي صــلة بطريقة حياة ستانلي. فعلى مرّ السنين، كان يعود إلى المنــزل مع الــشطائر والأطعمــة الجاهــزة مــن محلات الأطعمة السريعة والمطاعم البسيطة. لم يطبخ في السابق على الإطلاق، وكان يخرج كل صباح لتناول الفطور قبل أن يصبح طريح الفراش. كان المنــزل هو مكان ينام فيه على

ســرير نحاسي بسيط، يستحم ويحلق في الصباح، ثم يذهب إلى مكتبه في وســط المدينة، لجني المزيد من الأموال. نادراً ما كان يأتي إلى المنــزل قبل الساعة العاشرة ليلاً. وأحياناً كان يتأخر حتى منتصف الليل، إذ لم يكن لديه سبب يدفعه للإسراع في العودة إلى المنــزل.

لحقــت ســارة بالممرضة صعوداً على السلالم بخطى رزينة، حاملة حقيبتها. كان الدرج دائماً معتماً، ومضاءً بالقليل من المصابيح البالية. هذا هــو الدرج الذي كان الخدم يستخدمونه في المنــزل في أيام عزه السالفة. كانــت الــسلالم المصنوعة من الفولاذ، مغطاة بشرائط ضيقة من السجاد القــديم البالــي. أما الأبواب الموصلة إلى كل طابق فكانت مغلقة، ورأت سارة ضوء النهار فقط عند وصولها إلى العلية. حيث إن غرفته كانت تقع فــي نهاية الرواق الطويل، وكان سرير المشفى يشغل الحيز الأكبر منها. ولتتــسع له، تمّ نقل خزانته الوحيدة الضيقة إلى الرواق. ووحدهما الكرسي القــديم المكــسور والطاولة الصغيرة وضعتا بجانب السرير. حال دخولها الغرفة، فتح عينيه ورآها. كان بطيئاً في ردّة فعله هذه المرة، وهذا ما أثار قلقها، ومن ثم شيئاً فشيئاً أضاءت الابتسامة عينيه، واستغرقت لحظة لتصل إلى فمه. بدا مرهقاً ومتعباً، فخشيت فجأة أن يكون محقاً هذه المرة. بدا أنه حقاً في الثامنة والتسعين من عمره الآن، الأمر الذي لم يكن يبدو عليه في السابق على الإطلاق.

قال بهدوء، مستعيناً بنضارة شبابها وجمالها: "أهلاً، سارة". فبالنسبة له، عمر الثامنة والثلاثين هو بداية طفولتها. كان يضحك كلما أخبرته عن شــعورها بأنهــا كبيرة في السن. سألها، وهي تقترب من السرير، وتقف بجانــبه، "مــا زلتِ تعملين بجدّ؟" لطالما كانت رؤيتها تنعشه. كانت بمثابة الهواء والضوء بالنسبة له، أو كمطر الربيع بالنسبة للأزهار.

ابتسمت له، "بالتأكيد". فمدّ يده إلى يدها، وأمسكها. كان يحب ملمس جلدها، لمستها، دفئها.

"ألم أخبرك دائماً بألاّ تفعلي ذلك؟ أنتِ تعملين كثيراً. ستصبحين مثلي يوماً ما. وحيدة، مع مجموعة من الممرضات المزعجات حولك، تعيشين في علية". كان قد أخبرها عدة مرات بأنها بحاجة لأن تتزوج وتنجب أطفالاً. وبخّها بعنف عندما قالت له إنها لا ترغب بفعل أي من ذلك. الأسف الوحيد في حياته هو عدم امتلاكه للأطفال. كثيراً ما يطلب منها ألاّ ترتكب خطأه نفسه. شهادات مكدسة، عقود، مراكز تسوق، وآبار نفط، جميعها لا تعوض عن الأطفال. لقد تعلم هذا الدرس بعد فوات الأوان. الفرح والارتياح الوحيدان في حياته الآن يشعر بهما بوجود سارة. لذا كان يحب إضافة الملحقات إلى وصيته، ويفعل ذلك كثيراً، فهذا يمنحه العذر لرؤيتها.

سألته، "كيف تشعر؟" كانت سارة تبدو أشبه بقريب مهتم من كونها محامية. كانت تقلق عليه، وكثيراً ما تبحث عن الأعذار لترسل له كتباً أو مقالات، معظمها عن الضرائب الجديدة أو مواضيع أخرى تعتقد بأنها ربما تثير اهتمامه. أما هو فكان دائماً يرسل لها ملاحظات خطية بعد ذلك، ليشكرها، ويبدي تعليقاته. كان حادّ الذكاء كحاله طوال حياته.

قال ستانلي بصدق، محافظاً على قبضة يده على يدها بأصابع يديه الضعيفة: "أنا متعب، لا أتوقع أن أشعر بحال أفضل ممّا أنا عليه بمثل هذا العمر. لقد رحل جسدي منذ سنوات. كل ما بقي لي هو عقلي". والذي كان صافياً كحاله طوال حياته. ولكنها رأت أن عينيه بدتا معتمتين هذه المرة. فعادةً يتواجد الوميض داخلهما، ولكنه هذه المرة أشبه بالضوء الذي بدأ يعتم، وتمكّنت من رؤية أن شيئاً ما قد تغيّر. لطالما تمنّت أن تكون هناك طريقة لإخراجه إلى الهواء الطلق، ولكن عدا تلك الرحلات الحينية إلى المشفى، لم يغادر المنزل منذ سنوات. لقد أصبحت علية منزل شارع سكوت الرحم الذي حُكم عليه بإنهاء أيامه فيه. أخيراً، قال لها: "اجلسي، تبدين على ما يرام، سارة. كحالك دائماً". بدت نضرة جداً، ومفعمة بالحياة بالنسبة له، وجميلة جداً،

وهي تقف هناك بمظهرها الطويل والرشيق والشبابي. "أنا مسرور لمجيئك". قالها بحرارة أكثر من المعتاد، وهذا ما جعل قلبها يتألم عليه.

قالت له على سبيل الاعتذار: "أنا أيضاً. كنت مشغولة. وكنت أنوي القدوم منذ بضعة أسابيع".

سألها، "يبدو وكأنك كنت مسافرة في مكان ما. أين اسمرّت بشرتك؟" اعتقد بأنها تبدو أجمل من السابق.

"في تاهو لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. إنه مكان جميل ". ابتسمت وهي تجلس على الكرسي غير المريح وتضع حقيبتها.

"لم أكن أسافر بعيداً في عطل نهاية الأسبوع أو العطل السنوية. أعتقد أنني أخذت عطلتين فقط طوال حياتي. إحداها إلى وايومنغ، في مزرعة كبيرة للماشية، والأخرى إلى المكسيك. لم تسرني كلتا الرحلتين. شعرت وكأنني أُضيع وقتي، جالساً وقلقاً عما يحدث في مكتبي وما الذي يفوتني". تمكّنت من تخيّله تماماً يتململ وهو ينتظر الأخبار من مكتبه، وربما عاد إلى المنزل بوقت أبكر مما خطط له. فهي تفعل ذلك أيضاً، عندما يكون لديها الكثير من العمل لتنجزه، أو تأخذ معها ملفات من مكتبها. كانت تكره ترك أي شيء دون إتمام. لم يكن مخطئاً بالكامل بخصوصها. فبطريقتها الخاصة، كانت ملتزمة بعملها مثله تماماً. والشقة التي تعيش فيها تبدو أفضل بقليل من غرفة عليته، بل كانت فقط أكبر منها. ولم تكن مهتمة بما حولها مثله تقريباً. ولكنها كانت أكثر شباباً وأقل تطرفاً وحسب. الروحان اللتان تسكنهما متشابهتان كثيراً، كما ظنّ هو منذ وقت طويل.

تحدثا لبضع دقائق، ثم سلمته الأوراق التي أحضرتها له. تفحصها، ولكنها كانت مألوفة إليه. فقد أرسلت عدة مسودات مع الساعي، للحصول على موافقته. لم يكن لديه آلة فاكس أو جهاز كمبيوتر. كان ستانلي يحب رؤية الوثائق الأصلية، ولم يكن لديه أي صبر على تلك الاختراعات الحديثة. لم يمتلك هاتفاً خلوياً طيلة حياته، كما أنه لم يحتج إليه.

كانت هناك غرفة جلوس صغيرة بجوار غرفته مجهزة للممرضات. فكن لا يغامرن في الابتعاد عنه، وهن إما في غرفة الجلوس الصغيرة أو في غرفته يراقبنه على كرسيه غير المريح، أو في المطبخ يحضّرن وجباته البسيطة. بعيداً في نهاية الرواق، في الدور العلوي، كان هناك عدة غرف صغيرة للخدم، حيث يمكن للممرضات النوم، إن اخترن ذلك، عند انتهاء عملهن، أو للاستراحة عند وجود ممرضة أخرى قربه. لم تكن أي منهن تعيش في المنزل، كن يعملن هناك في مناوبات. أما ساكن المنزل الوحيد طوال الوقت فهو ستانلي. وجوده وعالمه المتقلص ليس سوى عالم صغير في الطابق العلوي لمنزل كان فخماً فيما مضى يزحف ويتداعى إلى الحضيض بصمت وثبات كحاله هو.

مدحها، "أحببت التغييرات التي قمت بها، إنها أكثر وضوحاً من المسودة التي أرسلتها الأسبوع الماضي. هذه أوضح، وتترك مساحة أقل للمناورة".

كان دائماً قلقاً حيال ما سيفعله ورثته بأملاكه المتنوعة. نظراً إلى أنه لم يلتقِ بمعظمهم على الإطلاق، وأولئك الذين التقى بهم أصبحوا الآن كباراً في السن، فكان من الصعب معرفة كيف سيتصرفون بأملاكه. كان عليه افتراض أنهم سيبيعون كل شيء، الأمر الذي سيكون غبياً في بعض الحالات. ولكن لا بد للفطيرة أن تتقطع إلى تسع عشرة قطعة. إنها فطيرة كبيرة جداً، وكل منهم سيحصل على شريحة كبيرة، أكبر بكثير مما يعرفون. شعر بوجوب ترك ما يمتلكه إلى الأقارب وليس للأعمال الخيرية. فقد قدّم مساعدات إلى المنظمات الخيرية على مرّ السنين، ويؤمن بشدة بأن رابطة الدم قوية جداً. وبما أنه لا يمتلك أي ورثة مباشرين، فسيترك كل شيء إلى أبناء أعمامه وأخواله وأحفاد أخواته وإخوته، مهما كانوا. كان قد وجد أماكنهم بعناية، ولكنه لم يلتقِ إلاّ بالقليل منهم. أمل أن يحدث الإرث الذي سيرثونه بعض التغيير في نوعية حياتهم عندما يتلقون

هذه الأموال الهائلة وغير المتوقعة. بدا وكأن ذلك سيحدث لهم قريباً. في وقت أسرع مما أرادت سارة أن تُفكّر به وهي تنظر إليه.

قالت سارة وقد بدت مسرورة محاولة ألاّ تلاحظ أو تعترف بتلك النظرة الباهتة في عينيه، الأمر الذي جعلها ترغب بالبكاء: "أنا مسرورة لأنها أعجبتك". لقد أنهكته آخر نوبة لذات الرئة، وجعلته يبدو في العمر الذي هو عليه تماماً. سألته، "هل هناك أي شيء تريد مني إضافته؟" فهز رأسه بالنفي. كانت تجلس على الكرسي المحطم، تراقبه بهدوء.

سألها لتغيير الموضوع، "ماذا ستفعلين في هذا الصيف، سارة؟"

"القليل من عطل نهاية الأسبوع في تاهو. لم أخطط لأي شيء خاص". اعتقدت أنه يخشى أن تسافر بعيداً، وأرادت طمأنته.

"إذاً، خططي لشيء ما. لا يمكنك أن تكوني كالعبيد طوال حياتك، سارة. سينتهي بك الأمر سيدةً عجوزاً". ضحكت، كانت قد اعترفت له مسبقاً أنها تواعد شخصاً ما، ولكنها دائماً تقول إنها ليست بالعلاقة الجادة أو الدائمة، ولا تزال كذلك. إنها علاقة 'عابرة' استمرت لأربع سنوات، والتي وصفها ستانلي بالعلاقة الغبية. أخبرها بأنه لا توجد علاقة 'عابرة' تستمر لأربع سنوات. وقالت لها والدتها الشيء نفسه. ولكن ذلك هو كل ما أرادته. تقول لنفسها وللجميع أيضاً بأنها منشغلة جداً بعملها في شركة المحاماة لدرجة أنها لا ترغب سوى بالعلاقة العابرة في هذه الأثناء. إن عملها هو أولويتها، ولطالما كان كذلك... مثله تماماً.

قالت له: "لم يعد هناك وجود 'لسيدة عجوز' بعد الآن، ستانلي. إنهن نساء مستقلات، لديهن أعمالهن، وأولوياتهن، وحوائجهن المختلفة عما كانت عليه النساء في السنوات السابقة". لم تكن بقولها هذا تهدف إلى إقناع ستانلي بل إلى إقناع نفسها. لم يصدق ستانلي كلامها. فهو يعرف أفضل منها، وهو أكثر خبرة في الحياة منها.

قال بصرامة: "هذا كلام تافه وتعرفين ذلك، لم يتغيّر الناس طيلة الألفي سنة الماضية. الأذكياء منهم يستقرون، ويتزوجون، ويرزقون بالأطفال. أو ينتهي الأمر بهم مثلي". انتهى به الحال كرجل غني جداً، الأمر الذي لم يبدُ سيئاً برأيها. شعرت بالأسف عليه لأنه لم يرزق بأطفال، ولا يوجد أقارب حوله، ولكن عند العيش لكل تلك السنين، فإن معظم الناس سينتهي بهم الحال وحدهم. فقد عاش أطول من أي شخص عرفه طوال حياته. وفي حال كان لديه أولاد، فربما كان قد فقدهم بحلول هذا الوقت، وسيمتلك أحفاداً فقط أو أبناء أحفاد لإشعاره بالراحة. في النهاية، قالت لنفسها، لا يهم ما نعتقد أننا نملك، فإننا سنترك العالم وحيدين؛ تماماً كما سيفعل ستانلي. ولكن الأمر أكثر وضوحاً في حالته. ولكنها عرفت، من الحياة التي قضتها والدتها مع والدها، بأنه يمكن للمرء أن يكون وحده حتى وإن كان لديه زوج وأطفال. لم تكن في عجلة لإرهاق نفسها في أي منهما. فأولئك المتزوجون الذين تعرفهم ليسوا سعداء برأيها، وفي حال تزوجت ولم ينجح الأمر فهي لا تحتاج لوجود زوج سابق يكرهها ويثير قلقها. كانت تعرف الكثير من أولئك أيضاً. فهي أكثر سعادة على حالها، تعمل لوحدها، مع صديق مؤقت يلبي احتياجاتها في هذه الأثناء. فكرة الزواج به لم تخطر على بالها أو باله إطلاقاً. اتفقا منذ البداية على أن العلاقة البسيطة هي كل ما يرغبان به مع بعضهما. العلاقة البسيطة والسهلة. وخاصة بالنظر إلى أن كلاً منهما مشغول بعمل يحبه.

كان بإمكان سارة عندها رؤية أن ستانلي متعب بالفعل، وقرّرت أن لا تطيل زيارتها هذه المرة. لقد وقّع الأوراق، وهذا كل ما تحتاج إليه. بدا وكأنه على وشك أن يغط في النوم.

قالت بلطف: "سأعود وأراك قريباً، ستانلي. أعلمني إن كنت تحتاج لأي شيء. سآتي متى أحببت". بعدها نهضت، وربتت على اليد الضعيفة ثانية، وأخذت الأوراق منه. وضعتها داخل حقيبتها وهو يراقبها بابتسامة

ملؤها الحكمة. أحب مشاهدتها، تلك الرشاقة السهلة في حركاتها وهي تتحدث معه، أو تقوم بأشياء اعتيادية.

قال ببساطة: "ربما لن أكون هنا". ولم يبدُ عليه الخوف أو الشفقة على نفسه. كان ذلك تصريحاً بسيطاً عن الحقيقة التي يعرف كل منهما احتمال حدوثها، ولكنها لم تكن تحب سماعها.

وبختّه، "لا تكن سخيفاً، ستكون هنا. أنا أعتمد عليك لتعيش بعدي".

قال بصرامة: "أفضّل ألاّ أفعل، وفي المرة الثانية التي أراكِ فيها، أريد سماع كل شيء عن العطلة التي قضيتها. اذهبي في رحلة. اذهبي، وتمددي على الشاطئ في مكان ما. صاحبي شاباً، ارقصي، وامرحي. تذكري كلامي، سارة، ستأسفين يوماً ما إن لم تفعلي ذلك". ضحكت على اقتراحاته، وهي تتخيّل نفسها وهي تصاحب شاباً من الشاطئ. "أنا جاد بكلامي!"

"أعلم أنك جاد. أعتقد أنك تحاول التسبب باعتقالي وفصلي من مهنة المحاماة". ابتسمت ابتسامة عريضة له، وقبّلت وجنتيه. كانت تلك إيماءة غير عادية وغير احترافية، ولكنه كان عزيزاً على قلبها، وهي كذلك بالنسبة له.

"اعبثي ليتم فصلك من مهنة المحاماة. ربما يعود ذلك بالخير عليك. تمتعي بحياتك، سارة. توقفي عن العمل بجدّ". كان دائماً يقول لها الأشياء نفسها، وكانت تشك بكلامه. فهي تستمتع بما تفعله. إن عملها بمثابة مخدر هي مدمنة عليه. لم تكن لديها أية رغبة بالإقلاع عن هذا الإدمان، وربما ليس بعد سنوات، على الرغم من معرفتها أن تحذيراته تصدر من قلبه، وهي حقيقية.

"سأحاول". كذبت، مبتسمة له. كان حقاً بمثابة الجد بالنسبة لها.

"حاولي أكثر". عبس بوجهها، ثم ابتسم حين قبّلته على وجنته. كان يحب ملمس بشرتها الناعم على وجهه، نعومة نَفَسها القريب جداً منه. جعله

ذلك يشعر بالشباب مجدداً، على الرغم من معرفته أنه في شبابه كان شديد الغباء ومنكباً على عمله لدرجة أنه لم يكن ليبدي أي اهتمام لها، مهما كان مقدار جمالها. فقد أدرك الآن أن المرأتين اللتين ضيّعهما، بسبب غبائه في ذلك الوقت، كانتا تتمتعان بمقدار الجمال والجاذبية اللذين تتمتع بهما. لم يكن قد اعترف بذلك لنفسه حتى وقت متأخر. قال لها وهي تقف عند مدخل الباب، تحمل حقيبتها وتلتفت لتنظر إليه: "اعتني بنفسك".

"أنت أيضاً. أحسن التصرف. لا تلاحق ممرضاتك حول الغرفة، فربما يهربن منك". قهقه ضاحكاً على اقتراحها.

"هل نظرتِ إليهن؟" ضحك بصوت عالٍ هذه المرة، وكذلك فعلت. قال لها ضاحكاً: "إنني لا أفارق السرير بسبب ذلك، ليس مع هاتين الركبتين الباليتين. ربما أكون طريح الفراش، عزيزتي، ولكنني لست أعمى، تعرفين ذلك. أرسلي لي أخريات أكثر شباباً، فربما يشكل ذلك دافعاً لي".

قالت له ملوحةً: "أراهن أنك ستفعل". أخيراً، أجبرت نفسها على المغادرة. كان لا يزال مبتسماً عندما غادرت، ثم أخبرت الممرضة أن بإمكانها النزول على الدرج بنفسها.

نزلت السلالم الفولاذية، وخطواتها ترنّ على الدرج الحديدي، حيث يرتدّ الصوت في الرواق الضيق. لم تكن السجادة الرثة تقوم بدور كبير في كتم الضجيج. وشعرت بالارتياح عندما خطت من خارج باب الخدم إلى ضوء شمس الظهر التي وصلت أخيراً إلى ضواحي المدينة. مشت ببطء إلى شارع يونيون، تفكر فيه، ووجدت سيارة أُجرة هناك. أعطت السائق عنوان مبنى مكتبها، وأخذت تفكر بستانلي طوال الطريق إلى وسط المدينة. كانت تخشى بأن بقاءه لن يدوم لفترة أطول. فقد بدا أخيراً ينحدر من القمة ببطء. لقد أعادت زيارتها النشاط إليه، ولكن حتى سارة علمت بأن الأمر لن يطول. إن فكرة بلوغه ذكرى ميلاده التاسعة والتسعين في تشرين

الأول/أكتوبر هي بمثابة الكثير من الأمل. ولماذا؟ فليس لديه إلاّ القليل ليعيش من أجله، ويشعر بالوحدة الشديدة. فقد كانت حياته محدودة بتلك الغرفة الصغيرة التي يعيش فيها، وجدران الزنزانة الأربعة حيث حُبس لما تبقى من أيامه. لقد عاش حياة جيدة، أو مُثمرة على الأقل، ولذلك ستتغير حياة ورثته التسعة عشر للأبد عندما يموت. كان التفكير بذلك يثير الكآبة في سارة. علمت أنها ستشتاق لستانلي عندما يرحل. حاولت ألاّ تُفكّر بالتحذيرات الكثيرة التي أعطاها إياها عن حياتها الخاصة. فأمامها سنوات حتى تُفكّر بالزواج والأطفال. في هذه الأثناء، لديها مهنة تساوي العالم بالنسبة لها، ومكتب مليء بالأوراق في انتظارها، وبالرغم من ذلك، إنها تقدر اهتمامه. ولكنها تستمتع بالحياة التي أرادتها تماماً.

كان الوقت قد تجاوز منتصف النهار بقليل وهي تسرع إلى مكتبها. كان لديها اجتماع شركاء في الساعة الواحدة، ولقاءات مدرجة في جدول أعمالها مع ثلاثة موكلين في فترة العصر، وخمسين صفحة من قوانين الضرائب الجديدة لتقرأها تلك الليلة، جميعها أو بعضها ستسبب القلق لموكليها. كانت هناك تلال من الرسائل تنتظرها على المكتب، وتمكّنت من الإجابة على جميعها باستثناء اثنتين قبل اجتماعها مع الشركاء. ستجيب على الاثنتين، وعلى أية رسائل أخرى جديدة، بين اجتماعات الموكلين في فترة العصر. لم يكن لديها الوقت لتناول الغداء... تماماً مثل عدم امتلاكها الوقت للزواج والأطفال. لقد اختار ستانلي ما يريد، وارتكب الأخطاء في حياته. ولديها الحق بالقيام بتلك الاختيارات والأخطاء الخاصة بها.

الفصل الثاني

استمرت سارة في إرسال الكتب والمقالات المناسبة لستانلي، كما تفعل دائماً، طوال شهري تموز/يوليو وآب/أغسطس. كان قد أصيب بنوبة قصيرة من الأنفلونزا في شهر أيلول/سبتمبر، ولكنها لم تتطلب مكوثاً بالمشفى هذه المرة. كما كان مزاجه جيداً على نحو ملحوظ عندما زارته في ذكرى ميلاده التاسعة والتسعين في شهر تشرين الأول/أكتوبر. كان هنالك إحساسٌ بالنصر لذلك. فإنه لإنجاز ملحوظ أن يصل إلى التاسعة والتسعين من عمره. أحضرت لـه قالباً من التشيزكيك ووضعت شمعة فوقه. علمت أنها من النوع المفضّل لديه، لأنها تذكره بطفولته في نيويورك. للمرة الأولى، لم يوبخها على مقدار العمل الدؤوب الذي تقوم به. تحدثا لفترة طويلة عن قانون الضرائب الجديد الذي يتمّ اقتراحه، الأمر الذي سيعود بالفائدة على أملاكه. وكانت تراوده نفس الشكوك التي تراودها، لذا كان كل منهما يستمتع في مناقشة النظريات مع الطرف الآخر؛ عن كيفية احتمال تأثر قوانين الضرائب الحالية. كان يتمتع بحدّة الذاكرة وصفائها كحاله دائماً، ولم يبدُ ضعيفاً كما كان عليه في زيارتها السابقة. كانت هنالك ممرضة جديدة تبذل جهداً حقيقياً في جعله يأكل، ورأت سارة بأنه قد اكتسب القليل من الوزن. قبّلته على وجنته – كما تفعل دائماً – عندما غادرت، وأخبرته بأنهم سيحتفلون بذكرى ميلاده المئة في شهر تشرين الأول/أكتوبر القادم.

قال لها ضاحكاً: "يا الله، آمل ألاّ نفعل، لم أتخيّل أنني سأصل إلى هذا الحدّ".

تركت له كومة من الكتب الجديدة، وبعض الاسطوانات الموسيقية ليستمع إليها، وبيجامة سوداء من الساتان بدا مسروراً بها. لم تكن قد رأته بمزاج أفضل من ذلك من قبل، الأمر الذي جعل المكالمة التي تلقتها بعد أسبوعين، في الأول من شهر تشرين الثاني/نوفمبر، أكثر صدمةً نوعاً ما. لم يكن يفترض أن تكون كذلك، فلطالما عرفت أنها ستحصل، ومع ذلك فاجأتها. فبعد أكثر من ثلاث سنوات من إنجاز الأعمال القانونية له، والاستمتاع بالصداقة الناتجة عن ذلك، بدأت تتوقع بأن يعيش للأبد. أخبرتها الممرضة أن ستانلي قد مات بسلام أثناء النوم في الليلة السابقة، كان يستمع إلى اسطوانات الموسيقى التي أهدته إياها ويرتدي بيجامة الساتان السوداء. كان قد تناول عشاء جيداً، ثم مال لينام خارجاً من هذا العالم، دون إطلاق أي لهاث أو أنين، أو كلمة أخيرة لأي شخص. وجدته الممرضة على هذه الحال عندما ذهبت للاطمئنان عليه بعد ساعة. قالت إن النظرة التي علت وجهه كانت مسالمة تماماً.

ترقرقت الدموع في عيني سارة عندما سمعت ذلك. قضت صباحاً شاقاً في المكتب، بعد نقاش حاد مع اثنين من شركائها بخصوص شيء فعلاه ولم توافق عليه، وشعرت بأنهما قد تآمرا ضدها. وفي الليلة السابقة، تشاجرت مع الرجل الذي تواعده، الأمر الذي كان جدّ عادي، ولكنه أثار غضبها. فمنذ السنة الماضية، بدأا يختلفان أكثر. كان لكل منهما أوقاته المشغولة، وحياته المليئة بالتوتر. حددا أوقاتهما سوياً بعطل نهاية الأسبوع فقط. ولكنها تختلف أحياناً مع فيل حول أمور ثانوية. وسماع أن ستانلي قد توفي في تلك الليلة زاد الأمر سوءاً. شعرت بالحرمان فجأة، وتذكرت وفاة والدها عندما كانت في السادسة عشرة من عمرها، قبل اثنتين وعشرين سنة.

على نحو غريب، كان ستانلي هو المُرشد الوحيد الذي عرفته منذ ذلك الحين، بالرغم من كونه موكّلها. كان دائماً ينصحها بألاّ تعمل بشدة،

وأن تتعلم من أخطائه. لم يكن أي رجل آخر غيره قد قال لها ذلك، وأدركت كم ستشتاق إليه. ولكن... هذا ما تجهزا له، فالسبب الذي دخلت من أجله إلى حياته هو التخطيط لأملاكه، وطريقة توزيعها على ورثته. لقد حان الوقت لتقوم بعملها. فقد وضع أساس ذلك طوال السنوات الثلاث الماضية. إن سارة جاهزة ومنظمة. كل شيء منظم في مكانه.

سألتها الممرضة، "هل ستتولين الإجراءات؟" كانت قد أعلمت الممرضات الأخريات مسبقاً، فقالت سارة بأنها ستتصل بدار الجنازة. كان قد اختار منذ زمن بعيد الدارَ التي يرغب بها، على الرغم من تأكيده على عدم إقامة أي جنازة. أراد أن تحرق جثته ثم تدفن، دون أي جلبة. لن يكون هناك أحد لينتحب عليه. فجميع أصدقائه وزملائه في العمل قد توفوا منذ وقت طويل، ولم تكن عائلته تعرفه. ليس هناك أحد سوى سارة لتولي الإجراءات.

أجرت الاتصالات المناسبة بعد التحدث مع الممرضة. وفوجئت لرؤية يدها ترتجف وهي تجري الاتصالات. كان من المفترض أن يتمّ حرق الجثة في صباح اليوم التالي، ويدفن في سايبرس لون، في مكان اشتراه كضريح منذ عدة سنوات. سألوها فيما إذا كانت تريد أية طقوس دينية فأجابت بالنفي. جاؤوا من دار الجنازة لأخذه في غضون ساعة، وشعرت بالكآبة طوال اليوم، وخاصة وهي توصل الرسالة إلى ورثته غير العارفين به. عرضت عليهم قراءة وصيته في مكتبها في سان فرانسيسكو، كما طلب ستانلي، وفيما إذا كانوا يرغبون بالقدوم، وفي أي وقت يريدون بتفحص المنزل الذي ورثوه، وإصدار قرارهم عما يريدون فعله به. هناك دائماً احتمال ضئيل بأن أحدهم سيرغب بالاحتفاظ به وشراء حصص الآخرين، على الرغم من أنها وستانلي اعتبرا ذلك أمراً غير محتمل. لا يعيش أحد منهم في سان فرانسيسكو، ولن يرغب أحد بمنزل هنا. كان هناك العديد من التفاصيل التي يجب التعامل معها. أُعلمت بعدئذٍ من قبل

المقبرة بأن ستانلي سيدفن في الساعة التاسعة في صباح اليوم التالي.

علمت بأنه ستمضي عدة أيام أو أكثر، قبل أن يتصل بها أحدٌ من ورثته. أما بالنسبة لأولئك الذين لا يرغبون بالقدوم، أو لا يتمكّنون من ذلك، فسترسل لهم نسخاً عن الوصية، فور قراءتها. كما يجب إثبات صحة وضع العقارات في الوصية. وسيستغرق تحرير الأملاك بعض الوقت. جهزت كل شيء في ذلك اليوم.

بحلول أواخر فترة العصر، جاءت كبيرة الممرضات إلى المكتب لتحضر مفاتيح جميع الممرضات الأخريات. أما عاملة التنظيف التي مضت سنوات على قدومها لتنظيف المنزل، وذلك لتنظيف العلية فقط، فستتابع عملها. كما أن هنالك عمال خدمات يأتون مرة في الشهر لتنظيف ما تبقى من المنزل، ولكن لم يتغير أي شيء بالنسبة لهم. إنه لمن المدهش قلة الأمور التي يجب القيام بها في هذه الأثناء. كما أن ستانلي كان يمتلك القليل فقط من الأشياء الشخصية والقليل جداً من الأثاث، لدرجة أنهم عندما أخلوا المنزل من أجل سمسار العقارات، تمكّنت الجمعية الخيرية من أخذ كل شيء دفعة واحدة. ليس هناك شيء سيرغب الورثة بأخذه. لقد كان رجلاً بسيطاً قليل الاحتياجات وبلا أي وسيلة ترفيه، ومضت عليه وهو طريح الفراش سنوات. حتى الساعة التي كان يرتديها لم تكن ذات أهمية. كان قد اشترى ساعة ذهبية ذات مرة، ولكنه تصدّق بها منذ وقت طويل. جميع أملاكه هي عقارات، وأسواق تجارية، وآبار نفط، واستثمارات، وأسهم، وصكوك تأمين، والمنزل في شارع سكوت. كان ستانلي بيرلمان يمتلك ثروة هائلة والقليل من الأشياء. وبفضل سارة، كانت عقاراته منظمة تماماً وقت وفاته، بل وقبل ذلك بكثير.

ظلت سارة في المكتب حتى حوالى الساعة التاسعة من تلك الليلة، تدرس الملفات، وتجيب على الرسائل الإلكترونية، وتصنف الأشياء الموضوعة على مكتبها منذ أيام. أدركت أخيراً أنها تتجنّب العودة إلى

المنزل، وكأن الفراغ الحاصل في شارع سكوت الآن قد انتقل إلى منزلها هي. كرهت الإحساس بأن ستانلي قد رحل. اتصلت بوالدتها، ولكنها كانت في الخارج. اتصلت بفيل، ثم نظرت إلى ساعتها، فأدركت أنه في صالة الألعاب الرياضية. فهما نادراً – وإن لم يحدث إطلاقاً – ما يشاهدان بعضهما في أيام الأسبوع. فهو يذهب كل ليلة إلى صالة الألعاب الرياضية بعد العمل. كان محامياً للشؤون العمالية في شركة منافسة، ومتخصصاً بقضايا التمييز، وكانت ساعات عمله طويلة كساعات عملها. ويتناول العشاء مع أولاده مرتين في الأسبوع نظراً لأنه لم يكن يرغب برؤيتهم في عطل نهاية الأسبوع. كان يحب إبقاء العطل حرة لاحتياجاته الخاصة، غالباً معها. حاولت الاتصال بهاتفه الخلوي، ولكنه يشغّله على البريد الصوتي عندما يكون في الصالة. لم تترك رسالة لأنها لا تعلم ما الذي تريد أن تقوله له. علمت أنه سيُشعرها بالغباء، فقد تمكّنت من تخيّل المكالمة. "موكّلي البالغ من العمر تسعاً وتسعين سنة توفي الليلة الماضية وأنا حزينة حقاً لذلك". سيضحك فيل عليها. "تسعٌ وتسعون؟ هل تمزحين؟... يبدو وكأنه قد تأخر عن موعده، برأيي". كانت قد ذكرت ستانلي مرة أو مرتين أمام فيل، ولكنهما نادراً ما يتحدثان عن أعمالهما. كان فيل يحب ترك عمله في المكتب. أما هي فتحضره معها إلى المنزل بطرق مختلفة. تحضر ملفات إلى المنزل لتعمل عليها، وتشغل بالها على موكليها، ومشاكلهم الضريبية وخططهم. أما فيل فيترك موكّليه في المكتب، ومشاكلهم على الطاولة. ولكن سارة تحملهم معها في كل مكان. وحزنها على ستانلي كان حملاً ثقيلاً.

لم يكن لديها أي شخص لتخبره بأي شيء، لا أحد إطلاقاً. لا أحد لتشاركه مشاعر الفراغ المرهقة. من المستحيل شرح ما تشعر به. إنها تشعر بالحرمان، تماماً كما حصل عندما توفي والدها، بل إنه أسوأ. لم تكن هناك أية خسارة حقيقية عندما توفي والدها، باستثناء خسارة المثال. مثال

الوالد الذي لم يكن يتمتع به إطلاقاً. لقد كان مجرد صورة خيالية للأب خلقتها أمها لها. الخيال الذي زودتها أمها به حوله. في الوقت الذي توفي فيه والدها، وعلى الرغم من عيشهم في المنزل نفسه، إلاّ أن سارة لم تكن تتحدث معه على نحو حقيقي منذ سنوات. لم تكن تستطيع. لقد كان ثملاً دائماً بحيث لا يتمكّن من التكلم أو التفكير، أو الذهاب لأي مكان معها. كان يعود إلى المنزل بعد العمل، ثم يشرب حتى السبات، وفي النهاية لم يتكبد عناء الذهاب إلى العمل. كان يجلس فقط في الغرفة التي يتشارك فيها مع أمها وهو يثمل، بينما تحاول أمها تغطية أفعاله، وتعمل لإعالتهم ببيع العقارات، وتعود إلى المنزل أثناء اليوم لتطمئن عليه. توفي وهو في السادسة والأربعين، بمرض في الكبد، وكان شخصاً غريباً تماماً بالنسبة لها. أما ستانلي فكان صديقها. وبطريقة غريبة نوعاً ما كان موته أسوأ. فبرحيل ستانلي، لم يبقَ لديها أحد تشتاق له.

أخيراً، جلست في مكتبها وبكت، وهي تُفكّر فيه، ومن ثم حملت حقيبتها وغادرت. استقلت سيارة أجرة إلى منزلها، ودخلت شقتها في باسفيك هايتس، على بعد عدة شوارع عن منزل ستانلي في شارع سكوت، ثم مشت مباشرة نحو الطاولة. تفقدت رسائلها. كانت أمها قد تركت لها واحدة في وقت سابق. كانت أمها تبلغ من العمر إحدى وستين سنة، وكانت لا تزال تعمل، ولكنها انتقلت من العقارات إلى التصميم الداخلي. كانت منشغلة دائماً مع أصدقائها، أو في نوادي الكتب، أو مع زبائنها، أو ضمن برنامج التخلص من الإدمان الذي لا زالت تحضره بعد كل هذه السنوات. لقد مضى عليها وهي تذهب إلى برنامج الإدمان ثلاثون سنة تقريباً، حتى بعد كل السنوات التي مضت على وفاة زوجها المدمن على الكحول. تقول سارة إنها مدمنة على مجموعات التخلص من الإدمان. كانت والدتها منشغلة دائماً، تبذل الكثير من الجهد دون تحقيق أي تقدم، ولكنها بدت سعيدة بقيامها بذلك. كانت قد اتصلت بسارة لتطمئن عليها،

وقالت إنها في طريقها لقضاء الأمسية في الخارج. وبينما كانت تستمع للرسالة، جلست سارة على الأريكة، تحدق للأمام مباشرة. لم تكن قد تناولت الغداء ولم تهتم لذلك. كان هناك بيتزا قديمة منذ يومين في الثلاجة، وعلمت أن بإمكانها صنع السلطة إن رغبت، ولكنها لم تفعل. فهي لا تريد أي شيء الليلة، سوى راحة سريرها. تحتاج إلى الوقت لمواساة نفسها، قبل أن تقوم بأي شيء يتوجب عليها القيام به من أجل ستانلي. علمت أنها في اليوم التالي ستكون بخير، أو اعتقدت بأنها ستكون كذلك، ولكنها بحاجة لأن تحرر نفسها من ذلك الآن.

مدّت يدها على الأريكة لتصل إلى جهاز التحكم عن بعد بالتلفاز. كل ما تحتاجه هو الصوت، الأصوات، شيء يملأ الصمت والفراغ المتدفقين داخلها. كانت شقتها فارغة تماماً كما كانت هي الليلة. فالشقة بحدّ ذاتها مشوشة مثلها تماماً. لم تلاحظها مسبقاً، ولم تفعل الآن. توبخها والدتها باستمرار على ذلك، ولكن سارة لا توليها أية أهمية، وتقول بأنها تحبها كما هي. أحبت القول بأن شقتها تبدو مخصصة للدراسة والتأمل. لم تكن ترغب بستائر مزركشة، أو غطاء مزخرف للسرير. لا تحتاج إلى وسائد صغيرة على الأريكة، أو أطباق طعام تتماشى معها. كانت تمتلك أريكة بنية قديمة بالية منذ كانت في الجامعة، وطاولة للقهوة أحضرتها من معرض خيري في كلية الحقوق. أما مكتبها فقد كان باباً قديماً وجدته في مكان ما ووضعته على دعامتين من الخشب، ووضعت تحته خزانة ملفات متدحرجة. أما خزانة كتبها فقد شغلت جداراً كاملاً، مليئة بكتب القانون التي كانت محشورة على الرفوف، مع فائض مكدس بكومات على الأرض. وهناك كرسيان جميلان من الجلد البني هما هدية من والدتها، مع مرآة كبيرة معلقة فوق الأريكة. ونبتتان ميتتان، وشجرة اصطناعية وجدتها أمها في مكان ما، وكرسي صغير من القماش أحضرته سارة معها من هارفارد، وطاولة طعام صغيرة بالية مع أربعة كراسي غير متلائمة معها.

كان لديها ستائر معدنية بدلاً من الستائر القماشية، ولكنها كانت جيدة بالنسبة لها.

لم تكن غرفة نومها أفضل حالاً. كانت تسوي السرير في عطل نهايات الأسبوع فقط قبل مجيء فيل، وفي حال مجيئه. نصف دروج الخزانة لا يمكن إغلاقها. وهناك كرسي هزاز صغير في الزاوية، مع لحاف مصنوع يدوياً مرمي فوقه كانت قد وجدته في مخزن للأشياء القديمة. كان لديها مرآة طويلة فيها تصدع صغير. ونبتة أخرى ميتة موضوعة على أصيص النافذة، وعلى الطاولة المجاورة للسرير هناك كومة من كتب القانون المفضلة لديها لتقرأها وقت النوم. وفي الزاوية، دمية دب صغيرة احتفظت بها منذ طفولتها. ليست شقتها من النوع الذي يمكن عرضه في هاوس أند جاردن أو أركيتكتشر ديجيست، ولكنها كانت ملائمةً لها. يمكن العيش فيها، وكانت تقدّم لها كل ما هي بحاجة إليه، وفيها ما يكفي من الأطباق لتتناول طعامها داخلها، وما يكفي من الكؤوس لدعوة عدد من الأصدقاء لتناول الشراب، عندما ترغب بذلك ويتوافر لديها الوقت، الأمر الذي لم يحدث كثيراً، وما يكفي من المناشف لها ولفيل، وما يكفي من القدور والمقالي لصنع وجبة لائقة، الشيء الذي تفعله مرتين في العام تقريباً. أمّا في ما تبقى من الوقت فكانت تشتري وجبات منزلية، وتأكل شطيرة في المكتب، أو تعد السلطة. لم تكن بحاجة لأكثر مما تملكه، مهما كان ذلك يغضب والدتها، التي تجعل شقتها تبدو وكأنها سيتم تصويرها في أية لحظة. وكما تصف الأمر، منزلها هو بطاقتها الشخصية لعملها في التصميم الداخلي.

لم تكن شقة سارة لتختلف عن أية شقة أخرى امتلكتها مذ كانت في الجامعة وفي كلية الحقوق. إنها عملية، وإن لم تكن جميلة، فهي تلبي احتياجاتها. كان لديها جهاز ستريو تحبه، واشترى فيل لها التلفاز، حيث إنها لم تكن تمتلك واحداً، وكان يحب مشاهدته عندما يكون عندها، غالباً

من أجل المباريات. وكان عليها الاعتراف، أنها تستمتع به من حين لآخر، كالليلة مثلاً. كانت تستمتع بسماع دندنة الأصوات في أحد المسلسلات الكوميدية، عندما رنّ هاتفها الخلوي. فكّرت ملياً قبل الإجابة عليه، ثم أدركت أنه ربما يكون فيل، رداً على اتصالها. رفعت الهاتف، ثم نظرت لهوية المتصل، ورأت أنها على حق. شاهدت رقمه بمزيج من الخوف والراحة. علمت أنه في حال قال لها شيئاً غير مناسب فإنه سيثير غضبها، ولكن توجب عليها المجازفة. إنها بحاجة إلى صيغة اتصال إنساني الليلة، للتعويض عن غياب ستانلي منذ الآن. أخفضت صوت التلفاز بجهاز التحكم الذي كانت تحمله في يدها، وفتحت هاتفها الخلوي باليد الأخرى، ووضعته على أذنها.

قالت له وهي تشعر بأن عقلها غير قادر على التفكير بشيء: "أهلاً".

"ما الأمر؟ فوت المكالمة، ورأيت أنها أنت. أنا على وشك مغادرة صالة الألعاب". كان واحداً من الأشخاص الذين يصرون على الذهاب إلى الصالة كل ليلة لطرد التوتر من أنفسهم، باستثناء الأيام التي يرى فيها أولاده. يبقى في الصالة لساعتين أو ثلاث ساعات بعد العمل، وهذا ما يجعل العشاء معه خلال أيام الأسبوع أمراً مستحيلاً، حيث إنه لا يغادر مكتبه حتى الثامنة مساءً على الأقل. أحد الأمور التي أعجبتها فيه هو صوته الجذاب. بدا جيداً بالنسبة لها اليوم، مهما كانت الكلمات. اشتاقت له، وتمنّت لو يأتي إليها. لم تكن واثقة ما الذي سيقوله إن طلبت منه ذلك. اتفاقهما طويل الأجل، وغير محكي تقريباً، على الرغم من أنه يتمّ التعبير عنه بكلمات خاصة أحياناً. يقول اتفاقهما بأن يشاهدا بعضهما فقط في عطل نهاية الأسبوع، على أن يتناوبا بين منزلها ومنزله، وهذا يتوقف على أي من المنزلين في حالة فوضى أكثر. غالباً ما يكون منزله. لذا، يبقيان في منزلها، على الرغم من تذمره من أن سريرها طري جداً ويؤلم ظهره. ولكنه يتحمله ليبقى معها. وهذا يستمر ليومين في الأسبوع، في حال حصل ذلك.

"قضيت يوماً تعيساً". قالت له بنغمة صوت رتيبة، محاولة ألاّ تشعر بأنها كذلك، وأن تجعل الأمر واضحاً له. "توفي أفضل موكّلي".

سألها، "ذلك العجوز الذي كان يعمّر حوالى المئة سنة؟" بدا وكأنه يكافح مع شيء ما، وكأنه يدخل سيارته، أو يرفع حقيبة ثقيلة.

"إنه في التاسعة والتسعين من عمره... نعم هو". تحدثا بالاختصارات التي طوراها على مرّ السنوات الأربع. وكما هو حال علاقتهما، افتقر حديثهما إلى الرومانسية، ولكنه بدا جيداً برأيهما. لم تكن علاقتهما تُعبّر عن لقاء مثالي بأي من المعايير، ولكنها تقبل بها. حتى وإن لم تكن مُرضية بالكامل، فهي حميمة وسهلة. يعيش كلاهما يومه، ولا يقلقا إطلاقاً على المستقبل. "أنا حزينة حقاً. لم أشعر بمثل هذا السوء على أي شيء لهذه الدرجة منذ سنوات".

"دائماً أخبرك بألاّ ترتبطي كثيراً بموكليك. فهذا لا يجدي نفعاً على الإطلاق. إنهم ليسوا أصدقاءنا. تعلمين ما أعني؟"

"حسناً، في هذه الحالة فعلت ذلك. ليس لديه أحد غيري، ومجموعة من الأقارب الذين لم يشاهدهم في حياته. ليس لديه أولاد، وكان رجلاً لطيفاً حقاً". كان صوتها ناعماً وحزيناً.

"أنا متأكد من أنه كذلك. ولكن، تسع وتسعون سنة هي جولة كبيرة. لا يمكنك القول إنك متفاجئة تماماً. تمكنت أثناء ذلك من معرفة أنه في السيارة، في طريقه للمنزل. كان يعيش على بعد ستة شوارع عنها، الأمر الذي كان يوفر الكثير من الوقت، وخاصة إن أرادا تبديل المواقع بين شقتها وشقته، أثناء عطلة نهاية الأسبوع، أو في حال نسيانهما شيئاً أرادا إحضاره.

"أنا لست متفاجئة... أنا حزينة فقط. أعلم أن هذا يبدو غبياً، ولكنني كذلك. يذكرني ذلك بوفاة والدي". شعرت بأنها ستكون عرضة للانتقاد باعترافها بذلك له، ولكن بعد أربع سنوات، إنهما لا يخبئان الأسرار عن

بعضهما، وبإمكانها أن تخبره بما ترغب به، أو تحتاج إليه في وقته. أحياناً يفهم ما تريده، وأحياناً لا يفعل، ولم يفهم هذه الليلة بعد.

"لا تبالغي بالأمر، صغيرتي. هذا الرجل لم يكن والدك. كان موكّلك. مررت بيوم عسير أنا أيضاً. كنت منشغلاً بجلسة استماع: شهادة طوال اليوم، وموكّلي في هذه القضية مجرد وغد. كنت راغباً بخنق ذلك الوغد طوال الجلسة، ولكنني اعتقدت بأن محامي الخصم سيفعل ذلك عني، ولكنه لم يفعل. تمنّيت لو فعل. لن نفوز بهذه القضية أبداً". كان فيل يكره خسارة القضايا، تماماً كما يكره الخسارة في المباريات. وهذا ما يعكّر مزاجه لأسابيع، أو لأيام على الأقل.

كان يلعب الكرة اللينة في أمسيات أيام الاثنين في الصيف، والرُكبي في الشتاء. وكان يلعب الهوكي في دارتموث، وقد فقد بسبب ذلك أسنانه الأمامية، والتي تمّ استبدالها على نحو جميل. إنه رجل وسيم جداً. ففي عمره البالغ اثنين وأربعين عاماً، بدا وكأنه في الثلاثين، وبجسد رائع. كانت سارة قد أعجبت بمظهره منذ المرة الأولى التي التقيا فيها، كثيراً لدرجة تكره الاعتراف بها، وحتى الآن. كان هناك نوع من التجاذب القوي بينهما، وهذا يتحدى المنطق أو الكلمات. كان الرجل الأكثر جاذبية من بين كل من التقت بهم في حياتها. ليس هذا كافياً لتبرير العلاقة التي دامت أربع سنوات والتي اقتصرت على عطل نهاية الأسبوع فقط، ولكن ذلك جزء منها بلا شك. يثير جنونها أحياناً بآرائه العنيدة، وكثيراً ما يخيب أملها. فهو لم يكن يحمل مشاعر رقيقة، كما أنه لم يكن لطيفاً على نحو واضح، ولكنه يثيرها من دون شك.

قالت: "أشعر بالأسف لأن يومك كان عسيراً". تشعر وكأنه تصعب مقارنة سوء يومها مع يومه، بالرغم من أن جلسات الشهادة يمكن أن تكون شاقة على نحو معترف به، وكذلك الأمر مع الموكلين السيئين، لا سيما في مجال عمله. قوانين العمل مثيرة للتوتر على نحو لا يصدق. كان يتولى

الكثير من قضايا التمييز والتحرش الجنسي، معظمها للرجال. بدا أنه يتمتع بعلاقة أفضل مع الموكّلين الذكور، ربما بسبب هوسه بالرجولة، كما أن شركته تمتلك الكثير من الشريكات الإناث، اللواتي يعملن على نحو أفضل مع الموكلات الإناث. "هل ترغب بزيارتي في طريق عودتك؟ بإمكاني معانقتك". كان ذلك طلباً لا تطلبه إطلاقاً، إلاّ عندما تكون الحاجة ماسة، وهي كذلك الليلة. شعرت بالأسى على ستانلي، مهما كان عمره عندما توفي. فهو ما يزال صديقها، وليس فقط موكلها، مهما قال فيل، وحتى لو كان محقاً عن كون هذا منافياً لأخلاق المهنة. لم يكن فيل يرتبط عاطفياً مع أي من موكليه، أو مع أي شخص آخر، باستثنائها إلى حدٍّ ما، وأولاده الثلاثة. كانوا جميعاً في سن المراهقة، فقد انفصل عن زوجته منذ أكثر من اثنتي عشرة سنة. كان يكره زوجته السابقة بشدة. فلقد هجرته من أجل رجل آخر، وهو لاعب دفاع في فريق 49ers، وكاد هذا يسبب الجنون لفيل في ذلك الوقت. عندها، تحول إلى مهووس بالرجولة أكثر من السابق، الأمر الذي كان إهانة مطلقة بالنسبة له.

قال كإجابة على طلبها: "أتوق لذلك، صغيرتي، أريد ذلك فعلاً، ولكنني منهك. لقد لعبت للتو الإسكواش لمدة ساعتين". لا بد من أنه قد ربح، وإلاّ لكان في مزاج عكر، ولكنه لا يبدو عكر المزاج بل متعباً جسدياً فقط. "يفترض بي الذهاب إلى المكتب في الثامنة صباحاً من أجل جلسة شهادة أخرى. لديّ جلسات طوال الأسبوع. وإن أتيت، فأنت تعلمين أن شيئاً سيؤدي إلى الآخر، ولن أذهب إلى السرير حتى وقت متأخر. أحتاج إلى النوم، أو سأكون في حالة يرثى لها في الجلسة".

"يمكنك النوم هنا إن أردت" - تتمنّى ذلك - "أو مجرد عناق سريع. أنا متأسفة لأنني أسبب لك المتاعب. إنني مجرد راغبة في رؤيتك لدقيقة". كرهت نفسها لذلك، ولكنها علمت أنها تنتحب، وشعرت أنها بحاجة للعواطف على نحو لا يطاق. كان دائماً يقول إن زوجته السابقة كانت

تنتحب بكثرة، وكان يسخر منها لذلك. لم يحب ذلك في سارة أيضاً. يعتقد بأن المرأة المتطلبة تشكل عائقاً، وأحب سارة لأنها لم تكن كذلك. لكنّ مشاعرها وطلبها الليلة ينبعان من خارج شخصيتها. تعرف قوانين العلاقة بينهما. "لا تطلب. لا تنتحب. لا تتذمر. نستمتع بوقتنا عندما نكون معاً". وفي معظم الوقت، هما كذلك. ومهما كانت العلاقة محدودة في الوقت، فقد أبدت كفاءتها طيلة أربع سنوات.

"دعينا نرى كيف تسير الأمور غداً. أما اليوم فلا يمكنني". التزم فيل برأيه، كعادته دائماً. كانت لديه حدود راسخة. "أراك يوم الجمعة". وبمعنى آخر، لا. فهمت الرسالة، وعلمت أن الإلحاح أو التوسل المتواصل سيثيران غضبه وحسب.

"حسناً. أردت عرض ذلك وحسب". حاولت تخبئة خيبة الأمل في صوتها، ولكن كانت هنالك دموع في عينيها. لم يمت ستانلي وحسب، ولكنها صُدمت للتو بأسوأ صفات فيل. إنه نرجسي، وغير متعاطف. لم يكن ذلك جديداً عليها. لقد تعايشت مع ذلك طوال السنوات الأربع الماضية. يمكن للمرء الحصول على الكثير منه، ولكن ليس عن طريق الطلب. فإن طلب أي شيء منه يجعله يشعر بالقلق، أو يجعله خاضعاً للسيطرة. وكما كان يقول بنفسه كلما سنحت الفرصة، إنه يفعل ما يريد فقط. والليلة لا يريد الذهاب لعناقها. لقد أوضح ذلك. هي دائماً تحصل على الكثير منه في حال لم تطلب. أما الليلة فهي كذلك. يا لحظها العاثر!

"يمكنك دائماً أن تطلبي، صغيرتي. إن كنت قادراً، فأنا كذلك. وإن لم أكن أستطيع، فأنا لا أستطيع".

بل، إن كنت لا تريد، لا تريد، وليس لا تستطيع، فكّرت سارة بذلك.

كانت تلك مناقشة أجرتها معه لسنوات، ولا ترغب بالتحدث عن ذلك الليلة. وهذا هو السبب الذي جعل العلاقة جيدة برأيها أحياناً، وأحياناً أخرى ليست كذلك. لطالما شعرت بأنه يتوجب على فيل إجراء بعض التعديلات

من أجل الظروف الخاصة، كوفاة ستانلي مثلاً. من النادر أن يغيّر فيل رأيه، إن لم نقل إنه لا يفعل على الإطلاق، ومن الممكن أن يكون رأيه متأرجحاً، وذلك يحصل فقط عندما يكون تأرجح الرأي مناسباً له وليس الآخرين. لم يحب أن يطلب منه أحد معروفاً خاصاً، وهي تعرف ذلك. لكنهما يحبان بعضهما، ومتآلفان مع خصوصيات وأساليب بعضهما. يكون الأمر سهلاً أحياناً، وصعباً في أحيان أخرى. قال إنه لا يرغب إطلاقاً بالزواج من جديد، ولطالما كان صريحاً معها عن ذلك. وأخبرته هي بنفس الصراحة أن الزواج ليس من أولوياتها، أو حتى اهتماماتها، وأحب فيل ذلك فيها كثيراً. لم تُفكّر حتى بالحصول على أطفال. وقد أخبرته ذلك مباشرة منذ البداية. قالت له إنها ليست مستعدة لمنح أحد مثل الطفولة البغيضة التي حصلت عليها، بوجود أب مدمن على الكحول، على الرغم من أن فيل لم يكن مدمناً. كان يحب أن يشرب بين الحين والآخر، ولكن ليس بإفراط على الإطلاق. كما أنه يمتلك أولاداً، ولا يرغب بالمزيد. لذا فهي علاقة ملائمة منذ البداية. في الواقع، ناسبت كليهما طوال السنوات الثلاث الأولى إلى حدّ الكمال. لكن الحذاء بدأ يضيق قليلاً خلال السنة الأخيرة؛ عندما ذكرت سارة أنها ترغب برؤيته أكثر، ربما في مساء يوم من أيام الأسبوع مثلاً. ثار غضب فيل في المرة الأولى التي قالت فيها ذلك، وشعر بأن طلبها متطفل. قال إنه يحتاج إلى أمسيات أيام الأسبوع لنفسه، باستثناء تلك التي يقضيها مع أولاده. فبعد ثلاث سنوات، شعرت سارة أنه قد حان الوقت لاتخاذ خطوة لقضاء المزيد من الوقت سوياً. كان فيل عنيداً بخصوص ذلك، ولم تصل سارة إلى أي شيء من ذلك طوال السنة الماضية، وأصبحا يتشاجران على هذا الموضوع كثيراً هذه الأيام، فلقد كان موضوعاً مؤلماً بالنسبة لها.

لم يكن يرغب بقضاء المزيد من الوقت معها، وقال إن جمال علاقتهما ينبع من الحرية المتبادلة، ومن تخصيصهما أيام الأسبوع

لنفسيهما، واجتماعهما في عطلة نهاية الأسبوع بقدر ما يريدان، دون أية التزامات جدية، نظراً لأن أياً منهما لا يرغب بالزواج. كل ما يريده هو ما يحصلان عليه الآن. قضاء وقت رائع في السرير أثناء عطلة نهاية الأسبوع، وجسد يعاشره ليلتين في الأسبوع. لم يكن مستعداً لإعطائها أكثر من ذلك، وربما لن يفعل أبداً. واصلا تلك المشاجرة طوال السنة الماضية، ولم يصلا إلى نتيجة منها، الأمر الذي بدأ يزعجها جداً. ما هو مقدار الصعوبة في رؤيتها لأمسية يوم آخر في الأسبوع لتناول العشاء مثلاً؟ تصرف فيل وكأنه يفضل خلع جذور أسنانه على القيام بذلك، وهذا ما قالت سارة عنه أنه أمر مهين. بدأ الأمر يصبح ببطء وكأنه معركة صغيرة كلما ذُكر الموضوع.

لكن بحلول هذا الوقت، كانت قد استثمرت أربع سنوات في تلك العلاقة، ولا تمتلك الوقت أو الطاقة لقطعها وتجربة أخرى مع أحد غيره. تعرف مشكلتها مع فيل وخشيت أن تلتقي ربما بشخص أسوأ منه، أو ألاّ تلتقي بأحد على الإطلاق. إنها في حوالى الأربعين من العمر الآن، والرجال الذين تعرفهم يفضلون النساء الأصغر سناً منها. لم تعد في الثانية والعشرين أو الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين من عمرها. إن جسدها جميل إلى حدّ ما، ولكنه لم يعد كما كان عليه في أيام الجامعة. كانت تعمل خمسين أو ستين ساعة في الأسبوع على الأقل، بعمل مثير للتوتر، إذاً متى سيتسنى لها الوقت للمواعدة وإيجاد شخص آخر ربما يرغب بقضاء أكثر من مجرد عطل نهاية الأسبوع معها؟ من الأسهل الحفاظ على العلاقة مع فيل، والعيش معه بخيره وشره. كان الشيطان الذي تعرفه، وحتى الآن كان جيداً كفاية. ربما ليس بالأمر الرائع... ولكن العلاقة الجنسية معه أفضل من أي علاقة أخرى حصلت عليها مسبقاً طوال حياتها. إنه سبب خاطئ لجعلها تحافظ على العلاقة، وهي تعرف ذلك، ولكنه أبقاها متورطة معه طوال السنوات الأربع.

قال لها، وهو يدخل إلى مرآب سيارته على بعد ستة شوارع عنها: "آمل أن تشعري بتحسن". تمكّنت من سماع صوت إغلاق باب المرآب، ولربما كان قد مرّ بسيارته أمام منزلها، وهو يخبرها بأنه غير قادر على القدوم لعناقها. حاولت تجاهل الغصة التي شعرت بها في أعلى معدتها والتي تشكلت بسبب أفعاله. هل من غير المعقول أن تطلب منه عناقاً؟ إنه كذلك في أيام الأسبوع، من وجهة نظره. لم يكن يرغب بملء كأسها العاطفية، أو حتى التعامل معها، في أيام الأسبوع. لديه مشاكله الخاصة، وأشياء أفضل ينجزها في ذلك الوقت.

قالت سارة وهي تشع بالخدر في جسدها: "أنا متأكدة من أنني سأصبح أفضل غداً". لم يكن يهم إن أصبحت بخير أم لا، فهي الآن تشعر بالإذلال، وكعادته قد التزم بعناده النرجسي. كان فيل ذكياً، وساحراً عندما يرغب أن يكون كذلك، جذاباً ووسيماً، ولكن كل شيء يتعلق به فقط، وليس بأحد غيره. لم يكن يدّعي بأنه غير ذلك، ولكن بعد أربع سنوات، توقعت منه أن يلين قليلاً، ويكون أكثر مرونة. ولكنه لم يفعل. فيل يهتم باحتياجاته الخاصة أولاً. وهي تعرف ذلك عنه، وليست معجبة بذلك دائماً.

أخبرها في البداية أنه يكرس نفسه لأولاده، وبأنه يدرب ذلك الفريق الصغير، ويحضر جميع ألعابهم. أدركت في النهاية أنه مجرد مهووس بالرياضة، وقد تخلى عن التدريب لأنه يستهلك الكثير من وقته. لم يكن يرى أولاده في عطلة نهاية الأسبوع، لأنه يريد ذلك الوقت لنفسه. يراهم على العشاء يومين في الأسبوع، ولكنه لا يدعهم ينامون عنده، لأنهم يصيبونه بالجنون. كان لديه ابنة في الثالثة عشرة من عمرها، والأخرى في الخامسة عشرة، أما الصبي ففي الثامنة عشرة. الصبي في الجامعة الآن، والبنتان عند أمهما، ولكن عندما يثيرون قلقه، فهم مشكلة زوجته السابقة. البنتان هما الصغيرتان، ووجد أن التعامل معهما هو عقوبة كبيرة لزوجته السابقة كونها قد هجرته من أجل رجل آخر.

في أكثر من مرة، شعرت سارة بأنه ينقل غضبه من زوجته السابقة إليها، لجرائم لم ترتكبها سارة. ولكن يجب أن يعاقب أحدهم، ليس على أخطاء زوجته السابقة، بل أسوأ، على أخطاء والدته، التي تجرأت، وماتت، وتركته في الثالثة من عمره. كان لديه الكثير من الندب ليعالجها، وتلك التي لا يكون بإمكانه لوم سارة عليها، يوجهها إلى زوجته السابقة أو أولاده. لديه الكثير من *القضايا* ليعالجها. ولكن هناك ما تبقى من الأشياء الأخرى التي تحبه بسببها، كثيراً لدرجة تجعلها تلتصق به. في البداية، اعتبرتها علاقة مؤقتة، وكان من الصعب تصديق أنها دامت لأربع سنوات. تماماً كما كرهت الاعتراف لنفسها، أو لأمها، لا سمح الله، بأن فيل يشكل علاقة لا نهاية لها. بين الحين والآخر، تأمل سارة أنه في النهاية سيكون هناك المزيد من القيمة لها، ليس عن طريق الزواج، ولكن بقضاء المزيد من الوقت فقط. بحلول هذا الوقت، توقعت منه أن يكون أكثر قرباً منها، ولكنه لم يكن كذلك. كان يحافظ على المسافة بينهما من خلال رؤيتها مرتين في الأسبوع فقط وبإبقاء حياتهما منفصلة.

"سأتصل بكِ غداً، في طريق عودتي من صالة الألعاب. وسأراك مساء يوم الجمعة... أحبك، صغيرتي. يجب عليّ الدخول الآن. إن الجو بارد جداً في المرآب". أرادت أن تقول له: "هذا جيد". ولكنها لم تفعل. كان يصيبها بالجنون أحياناً، ويؤذي مشاعرها عندما يخيب أملها، الأمر الذي يفعله كثيراً، ولذلك تشعر بخيبة الأمل، وبالحزن على نفسها عندما تتحمله.

قالت له: "أحبك أيضاً". متسائلة ما الذي يعنيه ذلك له. ما الذي يعنيه الحب لرجل توفيت والدته وتخلت عنه، وهجرته زوجته من أجل رجل آخر، وأولاد يرغبون بالمزيد من وقته واهتمامه أكثر مما يمتلك لإعطائهم. أحبك. ما الذي يعنيه ذلك بالضبط؟ أحبك، ولكن لا تطلبي مني التخلي عن الذهاب إلى صالة الألعاب، أو رؤيتك خلال أمسيات أيام الأسبوع... أو أن أمر لعناقك في أمسية لا يفترض بنا رؤية بعضنا فيها، فقط لأنك حزينة.

هناك كمية محدودة لما يمتلكه. إنه لا يمتلك ذلك في بنك ادخار عواطفه، مهما كانت الصدمة صعبة عليها.

تمددت، وحدقت شاردة الذهن بالتلفاز لساعة أخرى، محاولة ألاّ تُفكّر بأي شيء، ومن ثم غطّت في النوم على الأريكة. عندما استيقظت، كانت الساعة السادسة صباحاً، وفكّرت بستانلي من جديد، وعلمت عندها ما الذي تريد فعله. لن تتركهم يضعونه في الضريح دون وجود أحد هناك معه. ربما هذا ينافي أخلاق المهنة، كما قال فيل، ولكنها أرادت أن تكون هناك من أجل صديقها.

وقفت بعد ذلك تحت دش الحمام قرابة الساعة، تبكي ستانلي ووالدها وفيل.

الفصل الثالث

قادت سارة سيارتها إلى المقبرة في كولما، مارة بصف بائعي السيارات الطويل، ووصلت إلى مروج سايبرس قبل التاسعة بقليل. أعلمت السكرتير في المكتب عن سبب قدومها، ثم انتظرت أمام الضريح وصول رجال المقبرة مع رماد ستانلي في الساعة التاسعة. وضعوا جرة الرماد داخل سرداب صغير، واستغرق الأمر نصف ساعة أخرى لإغلاقه بلوح رخامي صغير، بينما سارة تنظر إليهم. ثار غضبها لرؤية اللوح فارغاً من أي شيء، ولكنهم طمأنوها بأن ذلك اللوح الذي يحمل اسمه والتواريخ سيحل محله في غضون شهر.

بعد أربعين دقيقة انتهى الأمر، فوقفت جانباً تحت ضوء الشمس وهي تبدو مصابة بالدوار، ومرتدية ثوباً أسود ومعطفاً. شعرت بالارتباك اللحظي، نظرت للأعلى إلى السماء وقالت: "وداعاً، ستانلي". ثم دخلت سيارتها، وقادتها إلى المكتب.

ربما كان فيل محقاً، فهي لم تلتزم بأخلاق المهنة. ولكن مهما كان الأمر، فإنه فظيع جداً. لديها عمل تقوم به من أجله الآن، العمل الذي تمّ إنهاؤه بعناية شديدة في السنوات الثلاث التي عملا بها سوياً، يُحضّران أملاكه على نحو دقيق جداً، ويناقشان قوانين الضرائب. توجب عليها انتظار اتصال ورثته بها. لم تكن لديها أية فكرة عما سيستغرقه الأمر، أو هل يتوجب عليها البدء بملاحقة بعضهم. علمت أنه عاجلاً أو آجلاً ستجمعهم. لديها الكثير من الأخبار الجيدة لهم، من العم الذي لا يعرفونه حتى.

حاولت ألاّ تفكر بفيل، أو حتى بستانلي، في طريق عودتها. مرت بعقلها على قائمة من الأشياء التي يتوجب عليها فعلها اليوم. لقد تمّ دفن ستانلي، ببساطة وبتواضع، تماماً كما أراد. يجب عليها تحضير ما يلزم لإثبات صحة الوصية. يتوجب عليها الاتصال بالسمسارة العقارية لمناقشة عرض المنزل في السوق، لتقييم سعره. لم تكن عندها أو عند ستانلي أية فكرة دقيقة عما يساويه المنزل. لم يقدّر ثمنه منذ زمن طويل، كما أن سوق العقارات قد ارتفع بجنون منذ آخر مرة قُدّر فيه ثمنه. ولكن لم يلمس أحد المنزل، أو حتى بدّل ديكوره أو جدّده منذ أكثر من ستين سنة. هناك الكثير من العمل الذي يجب القيام به. فيتوجب على أحدهم تجديد المنزل بدءاً من القبو حتى العلية. الأمر الأكيد هو أن ذلك سيكلف ثروة طائلة. عند قدوم الورثة، ستسألهم عن مقدار العمل الذي يرغبون بالقيام به – إن أرادوا ذلك – قبل عرضه في السوق. ربما سيرغبون ببيعه على حاله، وترك المالكين الجدد يهتمون بأمره. إنه قرارهم. ولكنها أرادت الحصول على تثمين حالي للمنزل على الأقل من أجل الورثة قبل اجتماعهم لقراءة الوصية.

اتصلت بسمسارة العقارات حال وصولها للمكتب. حددتا موعداً للقاء في المنزل في الأسبوع القادم. تلك ستكون المرة الأولى التي تقوم فيها سارة بجولة كاملة في المنزل بنفسها. تمتلك المفاتيح الآن، ولكنها لا ترغب بالذهاب إلى هناك وحدها. علمت أن ذلك سيجعلها حزينة جداً. جعلها ذلك تشعر بالفضول نوعاً ما، لذا سيكون الأمر أسهل لو قامت بالجولة مع السمسارة، وبإبقاء الأمور ضمن حدود المهنة، تماماً كما قال فيل. ستقوم بعمل لموكلها، وليس فقط لصديقها. فقد شهدت دفنه كصديق.

كانت قد أغلقت السماعة للتو بعد التحدث مع السمسارة، عندما أخبرتها السكرتيرة بأن والدتها على الخط. ترددت سارة للحظة، التقطت نَفَسها، وتلقت المكالمة. كانت تحب والدتها، ولكن ليس بالطريقة التي لا تخفق فيها أبداً باجتياح خصوصياتها.

قالت لها: "أهلاً، أمي". وقد جعلت صوتها يبدو مشرقاً ومبتهجاً. لم تكن تحب إخبار والدتها عن كوارثها. فدائماً ما كان ذلك يوصل إلى أشياء لا ترغب بمناقشتها معها. فلم تكن أودري تخشى من اجتياز الحدود التي وضعتها سارة. وقد فشلت سنوات أودري العديدة في مجموعات التخلص من الإدمان، وجلسات المعالجة، بتعليمها ذلك. شرحت سارة، "وصلتني رسالتك ليلة أمس، ولكنك قلت إنك ستخرجين، لذا لم أتصل".

"يبدو صوتك مروعاً. ما الخطب؟" لم ينجح الصوت المشرق والمبتهج.

"إنني متعبة فقط. لديّ الكثير من الأعمال في المكتب. توفي أحد موكلي أمس، وأحاول تنظيم كل شيء من أجل الملكيات. إنه عمل ضخم".

"هذا سيئ جداً". بدت أودري متعاطفة قليلاً، وكان هذا شيئاً لطيفاً منها على الأقل. لم تكن سارة تمانع تعاطفها، ولكنها لا تريد أي شيء آخر يرافق ذلك عادةً. فأسئلة والدتها، وحتى تلميحات لطفها، كانت دائماً عدوانية ومفرطة. "هل هناك أي شيء آخر؟"

"لا. أنا بخير". أحست سارة أن صوتها يتضاءل، وكرهت نفسها لذلك. أعلى، فأعلى، فأعلى، قالت لنفسها، وإلاّ فإن أمي ستكشفك. كانت أودري تكشفها دائماً عندما تكون سارة غاضبة، مهما فعلت لإخفاء ذلك، ومن ثم يبدأ الاستجواب، وفي النهاية تبدأ الاتهامات. والأسوأ من ذلك، النصيحة. لم يكن ذلك ما ترغب سارة بسماعه. "كيف حالك؟ أين ذهبت ليلة أمس؟" حاولت سارة صرف انتباه أمها. كان ذلك يجدي نفعاً أحياناً.

"ذهبت إلى نادي الكتب الجديد مع ماري آن". كانت ماري آن واحدة من صديقات أمها الكثيرات. فقد قضت السنوات الاثنتين والعشرين من ترملها بصحبة نساء أخريات، تتواصل معهن، وتحضر الحصص، وتذهب إلى المجموعات النسائية، وحتى أنها تقوم بالرحلات معهن. كما واعدت بضعة رجال على مرّ السنين، ودائماً يظهر بأن الرجل مدمن على

الكحول، أو مُشاكس، أو متزوج سراً. بدا أنها تجذب إليها الرجال المختلين كالمغناطيس. وبعد أن تتخلص منهم، كانت تعود لتخرج مع نساء أخريات. إنها الآن في طور من أطوار العزوبيّة بعد قصة حب قصيرة مع مالك لمحل بيع سيارات، والذي اتضح في النهاية أنه مدمن على الكحول، أو ذلك ما قالته. كان من الصعب على سارة تصديق أن هناك الكثير منهم على هذا الكوكب. ولكن، إن وجد أحدهم في المنطقة، فمن المؤكد أن أودري ستجده.

"يبدو ذلك ممتعاً". قالت سارة مشيرة في ذلك إلى نادي الكتب. لم تُفكّر في أي شيء أسوأ من حضور نادي كتب مع حشد من النسوة. عند تفكيرها بمثل هذه الأمور فقط، تحافظ على رؤية فيل في عطلة نهاية الأسبوع. لم تكن ترغب بأن ينتهي بها الحال مثل أمها. وعلى الرغم من سنوات توسل أمها لها، لم تذهب على الإطلاق إلى مجموعة الأولاد البالغين أبناء الكحوليين، وهي مجموعة من اثنتي عشرة مرحلة رأت والدتها بثقة شديدة أنها مناسبة لسارة. كانت سارة قد ذهبت إلى اختصاصيي معالجة لوقت قصير في الفترة ما بين الجامعة وكلية الحقوق، وشعرت أنها قد عالجت بعض *قضاياها* على الأقل، تلك الناتجة عن أمها تماماً مثل الناتجة عن أبيها. لم تكن قد واعدت مدمناً على الكحول من قبل على الإطلاق. جميع الرجال الذين تختارهم منشغلون عاطفياً، وهذا ما تفضله، لأنه وبطريقة ما، وعلى الرغم من وجوده الجسدي في المنزل، لم تكن تعرف والدها حقاً، بفضل شربه. لقد أبعد الجميع عنه.

"أردت إعلامك بأننا سنحتفل بالشكر في منزل ميمي". ميمي هي والدة أودري، وجدة سارة. كانت في الثانية والثمانين من عمرها، أرملة منذ عشر سنوات، بعد زواج طويل وسعيد، وهي تمتلك حياة عاطفية أكثر طبيعية من حياة ابنتها أو حتى من حياة سارة. بدا أن هنالك الكثير من الرجال الطيبين الوسيمين الطبيعيين الذين توفيت زوجاتهن وبنفس عمرها.

كانت تخرج كل ليلة تقريباً، ونادراً مع نساء أخريات، على عكس ابنتها. كانت تحظى بمرح أكثر من أي منهما.

قالت سارة: "هذا جيد". ودونت ذلك كملاحظة على التقويم. "هل تريدينني أن أحضر أي شيء؟"

"يمكنك المساعدة في طهو الديك الرومي".

"هل من أحد آخر قادم؟" كانت والدتها تحضر إحدى صديقاتها أحياناً، من اللواتي لا يملكن مكاناً آخر يذهبن إليه. كما كانت جدتها تدعو أحياناً الأصدقاء، أو حتى صديقها الحالي، الأمر الذي كان دائماً ما يثير غضب أودري. تشك سارة بأنها تغار منه، ولكنها لم تقل ذلك على الإطلاق.

"لست متأكدة. تعرفين جدتك. قالت شيئاً بخصوص دعوة أحد الرجال الذين تخرج معهم، لأن أولاده يعيشون في برمودا". كان لميمي مؤونة وافرة من الرجال والأصدقاء، ولم تذهب إلى نادي الكتب في حياتها من قبل على الإطلاق. كانت لديها أمور أكثر تسلية للقيام بها.

قالت سارة على نحو غير واضح: "كنت أتساءل وحسب".

سألت أودري بوضوح شديد، "لن تصطحبي فيل معك، أليس كذلك؟" كانت طريقتها مبالغاً فيها على نحو كبير. اعتبرته مشكلة، وعلى نحو صحيح، فوراً منذ البداية. فأودري خبيرة بالرجال المضطربين عاطفياً. سألتها بطريقة بدت وكأن سارة ستصطحب أنبوب اختبار مرض الجذام إلى العشاء. تسألها السؤال نفسه كل سنة، الأمر الذي لم يكن يفشل في إزعاج سارة. تعلم أودري الإجابة بدون السؤال. لم تكن سارة قد اصطحبت فيل معها إلى عشاء الشكر من قبل على الإطلاق. كان يقضي العطلة مع أولاده ولا يسمح لسارة بالانضمام إليهم إطلاقاً. خلال الأربع سنوات، لم تقضِ أية عطلة معه أبداً.

"بالطبع لا. سيكون مع أولاده، وسيذهبون للتزلج في تاهو". إنهم يفعلون الشيء نفسه كل عام، وأودري تعلم ذلك أيضاً على نحو جيد. لم

تكن هذه السنة مختلفة. لم يتغيّر شيء في العلاقة منذ أربع سنوات.

قالت والدتها بنبرة صوت لاذعة: "أفترض أنه لن يدعوك كالعادة". كانت قد كرهت فيل من المرة الأولى التي وقعت عيناها عليه، وقد ساءت الأمور منذ ذلك الحين. الشيء الوحيد الذي لم تتهمه به هو أن يكون شاذاً أو مدمناً على الكحول، ولم يكن هو أياً من الأمرين. "أعتقد أنه من المخزي ألاّ يدعوك. يجب أن يخبرك ذلك عما تعني العلاقة بالنسبة له. أنت في الثامنة والثلاثين من عمرك، سارة. إن كنت ترغبين بالحصول على أطفال، فمن الأفضل لك أن تجدي رجلاً جديداً وتتزوجي به. لن يتغيّر فيل على الإطلاق. لديه الكثير من *القضايا*". كانت أمها محقة بالتأكيد، وتعلم سارة بأنه يمقت أي نوع من المساعدة العلاجية.

"أنا لست قلقة بخصوص ذلك في هذا الصباح، أمي. لديّ أشياء أخرى أعتني بها، هنا في المكتب. إنه يحتاج أن يكون مع أولاده. من اللطف أن يكون وحده معهم". لن تعترف لأمها بذلك على الإطلاق، ولكن الأمر بدأ يقلقها هي أيضاً في السنة الماضية أو في السنتين الماضيتين. كانت قد التقت بأولاده عدة مرات، ولكنه لم يدعُها على الإطلاق للذهاب معهم في عطلة نهاية أسبوع، أو عطلة أخرى. أخبرها بالتحديد الذي قالته لأمها للتو. قال بأنه يحتاج إلى تمضية الوقت مع أولاده لوحده. ذلك أمر مقدس... مثل الذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية خمس ليالٍ في الأسبوع، وهذا ما يعيق رؤيتهما لبعضهما في أي وقت آخر باستثناء عطلة نهاية الأسبوع. بعد أربع سنوات، أحبت أن يدعوها لقضاء العطلة معهم، ولكن ذلك ليس جزءاً من الاتفاق الذي عقدته معه. إنها صديقة عطلة نهاية الأسبوع بالتحديد. كان من الصعب عليها الاعتراف، حتى لنفسها، أنها قد احتملت الأمر لوقت طويل. لقد انقضت أربع سنوات، ولم يتغيّر شيء أبداً. حتى دون كون الزواج هو هدفهما النهائي، فإن القليل من الليونة لقواعده الصارمة، بعد أربع سنوات، سيكون أمراً لطيفاً لها.

"أعتقد أنكِ تخدعين نفسك، سارة. إنه شخص عاجز".

قالــت سارة: "إنه ليس كذلك. إنه محامٍ ناجح جداً". تشعر وكأنها فتاة فــي الثانـــية عـشرة من عمرها عندما تتحدث مع والدتها. لطالما جعلتها أودري في موقع الدفاع، ثم تحشرها في الزوايا.

"أنا لا أتحدث عن مهنته. أتحدث عن علاقتك معه، أو نقص العلاقة. إلى ماذا تعتقدين أنها تؤدي، بعد أربع سنوات؟" لم تكن قد توقعت أن تؤدي إلـــى شـــيء باستثناء رؤيته ربما مرة أو مرتين خلال أيام الأسبوع. ولكن وضـــعها فـــي موقـــع محرج مع والدتها دائماً يجعلها منـــزعجة، وتشعر وكأنها تقوم بشيء خاطئ.

"إن الأمر جيد كما نريده الآن، أمي. لم لا تسترخين وتريحين نفسك مـــن القلـــق؟ لـــيس لـــديّ الوقت لأكثر من ذلك الآن. أنا منشغلة بمهنتي الخاصة".

قالـــت أودري باعـــتداد بالنفس: "كنت أمتلك مهنة وطفلة عندما كنت بعمرك". بينما كانت سارة تقاوم حافز تذكيرها بأن زوجها كان عاجزاً حقاً، بكـــل مجـــال ممكن. كان في درجة الصفر بصفته كزوج وأب أيضاً، ولم يـــتمكّن حتـــى من الالتزام بأي عمل. ولكن سارة لم تقل شيئاً، كعادتها. لم تكن ترغب بالشجار مع والدتها، اليوم على الأقل.

"لا أرغـــب بطفـــل الآن، أمـــي". أو ربما أبداً. ولا زوج، إن وجد أي احتمال ضئيل بأن ينتهي به الحال كوالدها. "أنا سعيدة بالحال الذي أنا عليه".

"متـــى ستحـــصلين علـــى شقة جديدة؟ بحق الله، سارة، المكان الذي تعيـــشين فـــيه كمكـــب القمامـــة. تحتاجين إلى الحصول على مكان أنيق، والـــتخلّص مـــن كـــل تلك القمامة التي تكدسينها حولك منذ أيام الجامعة. تحتاجين إلى شقة حقيقية، كالناضجين".

"أنـــا ناضـــجة أمـــي. وأحب شقتي". كانت سارة تتحدث عبر أسنان مطبقة. لقد شهدت دفن صديقها وأفضل موكليها هذا الصباح، وقد خيب فيل

أملهـــا اللـــيلة الـــسابقة، وآخر شيء تحتاج إليه هو أن تجرها والدتها نحو الأسلاك الشائكة المتعلقة بشقتها وصديقها. "يتوجب عليّ الذهاب إلى العمل الآن. أراك يوم الشكر".

"لا يمكـــنك الهـــرب مـــن الواقع للأبد، سارة. أنتِ بحاجة لمواجهة مـــشاكلك. وإن لـــم تفعلـــي، فأنتِ تضيعين سنوات عمرك مع فيل، أو مع رجال مثله". ما كانت تقوله هو أشد حقيقة مما أرادت سارة أن يكون عليه. تحـــتاج لأن تطلب المزيد من فيل، ولم تكن واثقة فيما إذا كان سيحقق ذلك أي اخـــتلاف. وإن فعلت، وخرج من حياتها، فلن يكون لديها أحد لتقضي عطلـــة نهاية الأسبوع معه. لم تعجبها وحشية ذلك الاحتمال، ولم تكن تريد استبداله بنوادي الكتب، مثل أمها. إنها مشكلة لم تتمكّن سارة من حلها بعد وليست جاهزة لمواجهتها في هذه الأثناء. كما أن مضايقات أمها المستمرة لیـــست بالتأكيد الأمر الذي ترغب به. فإن ذلك يجعل الأمر يبدو أسوأ مما هو عليه وحسب.

"شكراً لاهتمامك، أمي. هذا ليس الوقت المناسب للتحدث عن الأمر. لـــديّ الكثير لأقوم به في المكتب". حتى بالنسبة لها، بدا لها أن ما تقوم به هـــو تمامـــاً مثل ما يقوم به فيل... فالتجنّب من ألعابه المفضلة... وكذلك الإنكار. لقد استخدمت هذين الأمرين بنفسها لسنوات.

كانت شديدة الغضب بعد إغلاق سماعة الهاتف. فمن الصعب إبعاد أسئلة أمهـــا الواضحة والناقدة عن رأسها. لطالما رغبت والدتها بتجريدها من حجج الـــدفاع، وتركها واقفة هناك عارية، بينما تحقق في كل شيء. تفحّصها الدقيق لـــم يكـــن قابلاً للاحتمال، وحكمها على كل شيء في حياة سارة يجعلها تشعر بالسوء وحسب. كانت تخشى من ذكرى الشكر. تمنّت لو بإمكانها الذهاب إلى تاهـــو مع فيل. ولكن جدتها ستجعل الأمر ممتعاً على الأقل... كعادتها دائماً. والأمر الأكثر من مجرد احتمال، هو أنها ستدعو أحد أصدقائها. هم دائماً من الرجال الجيدين. فميمي تمتلك موهبة خاصة في اختيارهم، متى أرادت.

تلقت سارة اتصالاً من جدتها بعد وقت قصير، وكانت تكرّر دعوة ذكرى الشكر التي استلمتها سارة مسبقاً من والدتها. على النقيض من مكالمتها مع والدتها، كانت المحادثة مع ميمي ممتعة، ودودة، ومختصرة. كانت جدتها محبوبة جداً. بعد ذلك، عملت سارة على آخر التفاصيل غير المنتهية في أملاك ستانلي، ووضعت قائمة من الأسئلة للسمسارة، وتأكدت من أن كل الرسائل قد أرسلت لإعلام الورثة. ثم عادت إلى عملها من أجل الموكلين الآخرين. تحوّل اليوم إلى يوم آخر من العمل لثلاث عشرة ساعة قبل أن تدرك ذلك. كانت الساعة قرابة العاشرة عندما وصلت إلى المنزل، ثم اتصل فيل عند منتصف الليل. بدا متعباً أيضاً وقال بأنه ذاهب إلى النوم. قال إنه لم يصل إلى المنزل من صالة الألعاب الرياضية حتى الحادية عشرة والنصف. كان من الغريب معرفة أنه على بعد بضعة أبنية عنها، ومع ذلك يتصرف وكأنه يعيش في مدينة أخرى خمسة أيام في الأسبوع. من الصعب ألاّ تشعر بأنها قريبة منه كما تريد، وخاصة عندما تكون الأمور الأخرى مقلقة في حياتها. من المستحيل أحياناً فهم سبب أن رؤيتها مرة واحدة خلال أيام الأسبوع أمر ساخر بالنسبة له. بالنسبة لسارة، بعد أربع سنوات، لم يبدُ أنها تطلب الكثير.

تحدثا على الهاتف لخمس دقائق، عما سيفعلانه في عطلة نهاية الأسبوع تلك، وبعد عشر دقائق من إنهاء محادثتها معه، غطت في النوم غاضبة، وحيدة في السرير الذي لم تكن قد رتبته طوال الأسبوع.

تلك الليلة، حلمت بكوابيس عن والدتها، واستيقظت مرتين خلال الليل وهي تبكي. وعندما استيقظت في الصباح التالي، أخبرت نفسها أنه بسبب انزعاجها على ستانلي، تشعر بوجع في المعدة والرأس. لم يكن بالشيء الذي لا يتمكّن من إصلاحه فنجان القهوة وحبتان من الأسبرين ويوم شاق في المكتب؛ فلطالما نجح ذلك.

الفصل الرابع

بحلول مساء الجمعة، شعرت سارة وكأن دبابة قد دهستها. اتصل بها أحد ورثة ستانلي، ولكنّ الباقين لم يتصلوا. لديها موعد في المنزل يوم الاثنين المقبل، مع سمسارة العقارات التي اتصلت بها. كانت تشعر الآن بالفضول لرؤية كامل المنزل. فقد ظلّ غامضاً بالنسبة لها لسنوات. لم تكن قد لمحت حتى الطوابق الأخرى من قبل على الإطلاق، وتنتظر الآن بفارغ الصبر لتراه يوم الاثنين.

عندما اتصلت بها جدتها الأسبوع الماضي بعد اتصال أُمها طلبت منها الجدة ميمي أن تُحضر أي شخص تريد معها إلى حفلة الشكر. لطالما رحبت ميمي بأصدقاء سارة. لم تذكر فيل على وجه الخصوص، ولكنّ سارة علمت أن تلك الدعوة المفتوحة تشمله أيضاً. على النقيض من أودري، لم تكن الجدة تتطفل، أو تنتقد، أو تسأل أسئلة تزعج سارة. ودائماً كانت علاقة سارة مع جدتها سهلة، ومقبولة، ودافئة. إنها امرأة لطيفة على نحو لا يصدق، ولم تكن سارة تعرف شخصاً لا يحبها، سواء كان رجلاً، أو امرأةً، أو طفلاً. كان من الصعب تصديق أن تلك الإنسانة الرقيقة السعيدة قد وضعت طفلة مزعجة مثل أودري. ولكن لم تكن حياة أودري وزواجها جيدين بمثل حياة وزواج الجدة ميمي، فالأخطاء التي ارتكبتها أمها كلفتها كثيراً. أما تاريخ زواج ميمي الطويل والسعيد فكان أكثر سهولة بكثير، والرجل الذي تزوجته وبقيت معه لأكثر من خمسين سنة كان جوهرة ثمينة. على عكس والد سارة، الذي كان فاشلاً تماماً. ومنذ ذلك

الحين، أصبحت أودري رديئة، وناقدة، وممتلئة بالشك. كرهت سارة ما أصبحت عليه أمها، على الرغم من أنها لا تلومها بالكامل. إذ إن والدها وإدمانه الشره على الكحول، وفشله في أن يكون سنداً لأحد، حتى لنفسه، قد أصابها بالضرر بعدما أصاب أمها.

في الوقت الذي وصلت فيه سارة إلى منزل جدتها ليلة الجمعة، كانت منهكة جسدياً ومستنزفة عاطفياً. فرؤية رماد ستانلي يلقى في الضريح كانت عاصفة عاطفية ضخمة بالنسبة لها. كان ذلك نهائياً وللأبد، ومحزناً أيضاً. كانت حياته طويلة، ولكنها فارغة في الكثير من جوانبها. لقد ترك الكثير من الأموال، ولكن القليل من الأشياء الأخرى. لم تتمكّن من منع نفسها من تذكر كافة تحذيراته عن كيفية إدارتها لحياتها هي أيضاً. "هناك في الحياة أمور أهم من العمل". لقد أصبحت فجأة أشد انتباهاً لذلك من قبل. لم تَضِع كلماته خلال السنوات الثلاث الأخيرة فيها... بل أصبحت تُلوّن رؤيتها لكل شيء في حياتها ذلك الأسبوع، حتى غياب فيل عنها في أيام الأسبوع، أصبح فجأة متعباً، إنها تواجه المشاكل في تصديق الأعذار التي اختلقها لها خلال السنوات الأربع الفائتة. حتى لو لم يكن ذلك ملائماً له، ولا يناسب برنامجه، فإنها تحتاج للمزيد وتريده. رفضه المرور لرؤيتها وإراحتها ليلة وفاة ستانلي، ترك طعماً فاسداً في فمها. حتى دون التخطيط للزواج، فلا بد من أن قضاء أربع سنوات معاً له بعض الاعتبار... كالقدرة على، والرغبة في تلبية احتياجات بعضهما، وأن يكونا بالقرب من بعضهما في الأوقات الصعبة، على أقل تقدير. لكن فيل يرفض وبعناد تقديم ذلك لها. وإن كانت تلك هي الحال، فما هي فائدة علاقتهما؟ هل هي علاقة لمجرد الجنس فقط؟ إنها تريد أكثر من ذلك. لقد كان ستانلي محقاً. هناك المزيد في الحياة أكثر من العمل لمدة ستين ساعة في الأسبوع فالحياة قصيرة جداً.

عادة، يصل فيل إلى منزلها، بموعد محدد ضمنياً، أي كل يوم جمعة حوالى الساعة الثامنة، بعدما يغادر صالة الألعاب الرياضية...

وأحياناً في التاسعة. كان يُصرّ على أنه يحتاج لساعتين على الأقل، وأحياناً لثلاث ساعات، في صالة الألعاب الرياضية، لإزالة ضغوط عمله اليومية والتخلص منها. لقد كان ذلك يحافظ على جسده رائعاً، وهو أمر أعاره الكثير من الانتباه، وكان ملائماً لها، هي أيضاً، إلاّ أنه كان يزعجها في بعض الأحيان، فمظهره يبدو أفضل منها بكثير، إذ إنها تبقى في مكتبها اثنتي عشرة ساعة في اليوم، ولا تتدرب إلاّ في عطلة نهاية الأسبوع. جسدها رائع، ولكنها ليست كمن يقضي عشرين ساعة في صالة الألعاب الرياضية كل أسبوع. لم يكن ذلك يهمها كثيراً، كما أنها لم تكن تمتلك الوقت لذلك. أما هو فكان يخصص الوقت لنفسه، ساعات كل يوم. في بعض الأحيان كان ذلك يقلقها، ولكنها حاولت أن تكون متسامحة. لكنّ الأمر أصبح أكثر صعوبة، بالنظر إلى الوقت القليل الذي تقضيه في صحبته، وخاصة في بحر الأسبوع. أرادت أن تكون من أولوياته، ولكنها علمت أنها ليست كذلك، وهذا ما يزعجها. لطالما اعتقدت أنها ستصبح أكثر أهميّة بالنسبة له مع مرور الوقت، ولكن خلال الأشهر الأخيرة، بدأت آمالها تتلاشى، نتيجة تشبثه برأيه نحو تصوره لهذه العلاقة والمدى الذي يرغب أن تصل إليه، لم ينمُ شيء بينهما أو يتغيّر على الإطلاق. لقد بذل كل جهد ممكن ليحافظ على العلاقة كما هي. بدا وكأنهما متجمدان في مكانهما، لم تشعر سارة بشيء سوى بحالة من الثبات دامت لأربع سنوات بواقع ليلتين أسبوعياً. لم تكن واثقة من السبب، ولكن خلال الأيام القليلة التي تلت وفاة ستانلي، أصبحت أكثر انتباهاً إلى أن ذلك لا يكفي، إنها تحتاج للمزيد. ربما ليس للزواج، ولكن للطف، والدعم العاطفي، والحب. بعد وفاة ستانلي، شعرت بأنها أكثر عرضة للخطر نوعاً ما.

عدم الحصول على ما تحتاج إليه جعلها تمتلئ غيظاً من فيل الآن. إنها تستحق أكثر من ليلتين عاديتين في عطلة نهاية الأسبوع فقط. ولكنها

تعلم أيضاً أنها إن كانت راغبة بالاستمرار في العلاقة معه، فيتوجب عليها قبول الشروط التي اتفقا عليها منذ البداية. أما هو فلن يتزحزح. ولطالما أخافتها خسارة فيل. لقد فكّرت بالأمر مسبقاً، ولكنها خشيت أن تنتهي بها الحال وحيدة، مثل والدتها. لقد روعها شبح حياة أودري. فضّلت سارة التمسك بفيل عن الذهاب إلى ألعاب البريدج ونوادي الكتب، مثل أمها. خلال السنوات الأربع الماضية لم تلتقِ برجل آخر غيره يروق لها كثيراً. ولكنّ العلاقة التي تقضيها مع فيل مخصصة لعلاقة جسدية يومين في الأسبوع وهي وليدة العادة، وليست مسألة نابعة من القلب، ليس بالمعنى الحقيقي لها. لقد تخلت عن الكثير وقدّمت الكثير من التنازلات لتبقى معه... كل ذلك على أمل الحصول على شيء أفضل، وحب رجل ربما يكون ألطف أو يحبها أكثر. الآن، لقد أصبحت العلاقة تبدو كالمعضلة بالنسبة لها بخلاف ما كانت تبدو عليه منذ وقت طويل. لقد أحدث موت ستانلي تغييرات كبيرة فيها.

تلك الليلة، وصل فيل في وقت أبكر من المعتاد. سمح لنفسه بالدخول مستخدماً المفاتيح التي أعطته إياها، دخل، وتمدّد على الأريكة. أمسك جهاز التحكم وشغّل التلفاز. وجدته سارة هكذا عندما خرجت من الحمام. التفت فيل إلى الوراء لينظر إليها، ثم أعاد إسناد رأسه على ذراع الأريكة، وتأوّه على نحو مسموع.

"أوه، يا الله، قضيت أسبوعاً مزعجاً". بدأت تلاحظ مؤخراً أنه دائماً ما يتحدث عن أسبوعه أولاً. أما الأسئلة عن حالها فتأتي بعد كل شيء. كان من المذهل مقدار الأشياء التي بدأت تزعجها فيه مؤخراً. ومع ذلك كانت لا تزال تتمسك به. أصبحت تراقب مشاعرها نحوه الآن، وردات فعلها تجاهه، بعاطفة هادئة، وكأنها شخص آخر، شخصية غير مقتنعة تحاول حل المعضلة، تراقب من هناك في مكان ما على السقف، تشاهد ما يحدث في الغرفة، وتُعلّق بصمت على ذلك مع نفسها.

"آه، أنا أيضاً". انحنت لتقبّله، لفت المنشفة على شعرها الطويل المبلل الذي لا يزال يقطر ماء. "كيف كانت جلسات الاستماع؟"

"وكأن لا نهاية لها، مملة ومجنونة. ماذا لدينا للعشاء؟ إنني أتضور جوعاً".

"لا يوجد شيء بعد. لم أعلم ما إذا كنت ترغب بالخروج أو البقاء هنا". كانا غالباً ما يبقيان في المنزل في أمسيات يوم الجمعة، لأنهما يكونان منهكين من أيام عملهما الطويلة، وخاصة سارة. ولكن فيل يعمل بجدّ هو أيضاً، ومجال تخصصه في المحاماة أكثر إثارة للتوتر على نحو معترف به من اختصاصها، وكان غالباً ما يشترك في الدعوات القضائية، التي يستمتع بها، ولكنها أكثر إثارة للتوتر من ساعات عملها الطويلة في محاولة اكتشاف غموض قوانين الضرائب الجديدة لمساعدة موكليها، أو حمايتهم من الآخرين الذين قد يؤذونهم. كان عملها مجهداً ومليئاً بالتفاصيل الدقيقة التي تكون مملة أحياناً. أما عمله فأكثر حيوية.

من النادر أن تقوم هي وفيل بوضع خطط لقضاء أمسيات يوم الجمعة، أو حتى أيام السبت. كانا يرتجلان الأمر سوياً.

اقترحت عليه، معتقدة أن ذلك سيبهجه، "لا أمانع في الخروج، إن أردت". كانت ما تزال مكتئبة نتيجة رحيل ستانلي. فقد كان رحيله يلقي بالكآبة على كل شيء قامت به طوال الأسبوع. وعلى الرغم من تذمرها السري وأسئلتها، أو حتى شكها فيه، كانت سعيدة لرؤية فيل مساء الجمعة، كما يحدث معها دائماً. كان شخصاً مألوفاً لديها، ورؤيته في عطلة نهاية الأسبوع هي طريقة مريحة للاسترخاء، كما أنهما أحياناً يستمتعان بوقتهما كثيراً. بدا وسيماً جداً، وبصحة جيدة، ومفعماً بالنشاط وهو ممدد على أريكتها يشاهد التلفاز. كان طوله نحو 190 سنتم، وشعره أشقر اللون رملي، وبدلاً من عينين زرقاوين كعينيها، كانت عيناه خضراوين. إنه نموذج وسيم للذكر، بكتفين عريضتين، وخصر نحيل، وساقين طويلتين

جداً. كما أنه يبدو أكثر جمالاً وهو عارٍ، على الرغم من أنها لم تكن تشعر بحاجة للجنس على نحو واضح هذا الأسبوع. فالحزن – كحزنها على ستانلي – دائماً يخمد شهوتها الجنسية. كانت مهتمة أكثر بعناق فيل هذا الأسبوع، وهذا لم يكن مشكلة. فهما نادراً ما يقيمان علاقة في أمسيات يوم الجمعة، فعادة ما يكون كلاهما متعباً. ولكنهما يعوضان ذلك في صباح يوم السبت، أو في المساء، ومن ثم مرة أخرى يوم الأحد، قبل عودته إلى شقته، ليجهز نفسه لبقية الأسبوع. لقد مضت عليها سنوات الآن وهي تحاول جعله يبقى في أمسيات يوم الأحد، ولكنه يقول إنه يحب المغادرة إلى عمله من شقته صباح يوم الاثنين. دائماً، يشعر بأنه غير منظم وهو في منزلها، نظراً لعدم توفّر كل أغراضه فيه. ولم يكن يحب أن تبقى هي في منزله في الليلة التي تسبق العودة إلى العمل. يقول إنه يحتاج، قبل العودة إلى العمل صباح يوم الاثنين، إلى ليلة من النوم الهادئ، وكانت هي تصرف انتباهه كثيراً. قصد بذلك المديح، ولكنه خيب أملها على أية حال.

كانت دائماً تبحث عن طريقة لزيادة أوقاتهما معاً، بينما هو يجد طرقاً أفضل لإبقائها مضبوطة وتحت السيطرة. هو الرابح، حتى الآن. أو لاحقاً، قد يكون الخاسر، بجوانب أكثر أهمية. عناده في تحديد الأوقات التي يقضيانها معاً شكل بداية لإبعادها، وجعلها تشعر بأنها غير مهمة بالنسبة إليه. فربما تكون أمها محقة، على الرغم من أن سارة كرهت الاعتراف بذلك. ربما تحتاج في حياتها لأكثر مما يمكن لفيل أن يقدمه لها. ليس الزواج، فالزواج غير مدرج على مفكرتها كما هي حال فيل، ولكن على الأقل بعض الأمسيات في بحر الأسبوع وبعض العطل عدا نهاية الأسبوع. بدأت تشعر وكأنها تعيد تقييم حياتها، وما الذي تريده منها، في الأيام القليلة منذ وفاة ستانلي. أدركت أنها لا تريد إنهاء حياتها وحيدة، مع وجود الأموال فقط والإنجازات المتعلقة بالعمل، كما فعل ستانلي. لا بد من وجود

شيء أكثر من ذلك. ولا يبدو أن فيل كذلك، كما لا يبدو أنه يريد أن يكون كذلك أيضاً. أصبحت فجأة تتحرّى كل شيء حولها، بطرق لم تكن تفعلها من قبل على الإطلاق. ربما كان ستانلي محقاً، بتذمره ونصائحه عن عملها الدؤوب وعن عدم امتلاكها حياة ممتعة.

سألها فيل، فيما كان يمطّط جسده بسعادة، "هل تمانعين إن طلبنا الفاست فود وحسب؟ أنا مرتاح هنا جداً على الأريكة، لست واثقاً من أنه بإمكاني التحرك". كان غير مدرك وهو بمنتهى السعادة الهمومَ الكثيرة التي أزعجتها طوال الأسبوع. بدت طبيعية برأيه.

"بالتأكيد، هذا جيد". كانت لديها كومة من قوائم الأمكنة التي يطلبان منها الطعام عادة: الهندي، الصيني، التايلندي، الياباني، الإيطالي. احتمالات لا حصر لها. ففي معظم الأحيان تعيش على الفاست فود. لم يكن لديها الوقت أو الصبر لتطهو، كما أن مهاراتها محدودة تماماً، الأمر الذي تعترف به بكامل إرادتها. سألته، وهي تقرّر أنها سعيدة حقاً لرؤيته،"ما الذي يناسبك الليلة؟" أحبت وجوده عندها. مهما كانت أخطاؤه أو حدوده، فالوحدة أسوأ عليها. وجوده الجسدي بالقرب منها يبدّد بعض الشكوك التي راودتها عنه ذلك الأسبوع. أحبت البقاء معه، ولهذا السبب تريد الإكثار من رؤيته.

"لا أعلم... تايلندي؟... سوشي؟ لقد سئمت البيتزا. تناولتها في المكتب طوال الأسبوع... ماذا عن الطعام المكسيكي؟ خبز مكسيكي مع لحم البقر وبعض الأفوكاتو المهروسة، تبدو وجبة مناسبة تماماً. هل هذا يناسبك؟" اقترح فيل. كان يحب الأطعمة الغنية بالتوابل.

قالت له مبتسمة: "يبدو رائعاً". بدا ذلك رائعاً لها أيضاً. كانت تحب أمسيات الجمعة المليئة بالكسل، يجلسان على الأرض، يأكلان ويشاهدان التلفاز، يسترخيان بعد أسبوع عمل طويل. غالباً ما يجتمعان ويأكلان في منزلها، وأحياناً ينامان في منزله. كان يُفضل سريره، ولكنه مستعد

للــنوم على سريرها في عطلة نهاية الأسبوع. إن فائدة النوم في منــزلها، بالنــسبة لـــه، تكمن في مقدرته على المغادرة في أي وقت يريده في اليوم التالي للقيام بمهامه الخاصة.

طلــبت الطعـــام المكـــسيكي، مـــع خبز الدجاج والجبن لها، ووجبة مـــضاعفة مـــن الأفوكاتو، ثم دست بنفسها على الأريكة إلى جانبه بعد أن أجرت الاتصال، وبينما كانا ينتظران وصول الطعام، وضع ذراعه حولها، وســـحبها إلـــى جانـــبه، وأخـــذا يحدقان شاردين في التلفاز. كانا يشاهدان برنامجاً خاصاً عن الأمراض في أفريقيا، وهذا لم يكن يهم أياً منهما، ولكنه شـــيء يمكنهما النظر إليه بينما يذوب الصقيع عن عقليهما المنهكين جراء الأســـبوع الـــشاق. مثل أحصنة السباق التي ترغب بالاسترخاء بعد سباق طويل. فكلاهما يعمل بجد.

ســـألته، "ما الذي تريد عمله غداً؟ هل الأولاد منشغلون بأية لعبة في عطلة نهاية الأسبوع هذه؟"

"لا. لـــيس لديّ أية واجبات أبوية. تمّ إعفائي منها". كان ولده قد غـــادر إلى جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس في شهر آب/أغسطس، ليلـتحق بـــسنته الجامعية الأولى، وكانت ابنتاه منشغلتين مع صديقيهما طـــوال أســـبوع. وبمغـــادرة ابـــنه الآن، كان لديه القليل من الأحداث الرياضـــية ليحضرها مع أولاده. كانت ابنتاه منشغلتين بالفتية أكثر من انـــشغالهما بالرياضـــة، وهـــذا ما يجعل الحياة أسهل عليه. كانت ابنته الكبـــرى متميـــزة فـــي لعبة التنس، وكان يستمتع باللعب معها. ولكن بالنسبة لفتاة في عمر الخامسة عشرة، كان آخر شخصين ترغب بقضاء وقـــتها معهمـــا في عطلة نهاية الأسبوع هما والداها، وبذلك تحرر من المـــشكلة. ولـــم تكـــن الصغرى مهتمة بالرياضة على الإطلاق. بدا أن الرياضة هي الطريقة الوحيدة التي بإمكانه التفاعل فيها مع أولاده. سأل سارة كالمعتاد، "هل هناك أي شيء تريدين القيام به؟"

"لا أعلـــم. ربمـــا نذهب لمشاهدة فيلم. هناك عرض صور رائع في مـــتحف الفـــنون الحديثة، يمكننا إلقاء نظرة لو أحببت". أرادت رؤيته منذ أسابيع، ولكنهما لم يذهبا إليه بعد. كانت تأمل برؤيته قبل أن يغلق.

تذكر فجأة. "لديّ الكثير من المهمات لأفعلها غداً، أحتاج إلى إطارات جديـــدة، وأريـــد غـــسل سيارتي، وإحضار الغسيل المكوي من المصبغة، وغـــسل الغـــسيل الوسخ، تلك المهام المعتادة". علمت ما الذي يعنيه ذلك. سيغادر باكراً في الصباح التالي بعد الاستيقاظ، ويعود وقت العشاء. كانت تلـــك لعـــبة كثيراً ما يلعبها، في البداية يخبرها أنه ليس لديه أي شيء، ثم يبقى منشغلاً منذ الصباح حتى المساء، يفعل الأشياء التي يقول إن لا حاجة لأن تشغل نفسها بالقيام بها معه. كان يفضّل القيام بمهامه الروتينية لوحده. يقول إن ذلك أسرع، ولا يرغب بإضاعة وقتها، أيضاً. كانت لتفضل القيام بتلك الأمور معه. فذلك يجعلها أكثر ارتباطاً به، وهذا ما يتجنّبه بأي ثمن. فالكثير من الارتباط لم يكن أمراً مريحاً برأيه.

اقتـــرحت سارة، "لم لا نقضي اليوم سوياً؟ يمكنك القيام بالغسيل هنا يـــوم الأحـــد". كان هناك غسالات في البناء، ولكن ليس في شقتها. لم تكن أفـــضل أو أســـوأ من تلك الموجودة في بنائه، ويمكنهما مشاهدة فيلم سوياً علـــى الـــتلفاز أو على الفيديو، بينما يقوم بذلك. كما أن لا مانع لديها بأن تغسل له ملابسه بنفسها. فأحياناً تحب القيام بأمور منـــزلية كتلك له.

"لا تكونـــي ســـخيفة، سأقوم بها في منـــزلي. يمكنني حتى الخروج وشـــراء المـــزيد من الملابس الداخلية". كان يقوم بذلك كثيراً عندما يشعر بالكـــسل الـــشديد، أو عندما يكون منشغلاً جداً. كانت تلك خدعة يقوم بها معظـــم العازبين. كما أنه يشتري قمصاناً عندما لا يمتلك الوقت لإحضار الغسيل الجاف. ونتيجة لذلك، لديه جبال من الملابس الداخلية وخزانة مليئة بالقمصان، وهذا ينفع معه. "سأبدل الإطارات في الصباح. أريد تغييرها في أوكلاند. لم لا تذهبين إلى المتحف بينما أنجز كافة مهامي؟ فليس التصوير

"من اهتماماتي". وليس حتى قضاء نهار يوم السبت معها. كان يفضّل الاستقلال والقيام بأموره الخاصة، ومن ثم يعود إليها في المساء.

قالت بإصرار: "أفضل أن أكون معك". شعرت بالحزن عندما رنّ جرس الباب. جاء العشاء. لم تكن ترغب بالشجار معه بخصوص المهمات أو عما يفعلانه في اليوم التالي.

كان الطعام جيداً، وبعد أن تناولاه، تمدّد على الأريكة مجدداً. وضعت ما تبقى جانباً، في حال أرادا تناوله فيما بعد. جلست سارة على الأرض بالقرب من فيل، وانحنى نحوها وقبلها. فابتسمت له. كان هذا هو الجزء اللطيف من العطلة، وليس المهام التي لا تذهب معه للقيام بها، بل العاطفة التي يشتركان بها في صحبة بعضهما. على الرغم من المسافة التي يُبقيها بينهما معظم الوقت، كان شخصاً دافئاً على نحو مثير للدهشة. كان شخصية ثنائية ممتعة، فكان أحياناً مستقلاً، ودافئاً ومريحاً في أحيان أخرى.

سألها وهو يجذبها نحوه، "هل أخبرتك اليوم أنني أحبك؟"

ابتسمت له، "ليس مؤخراً". لقد اشتاقت له طوال الأسبوع بشدة. الأمور رائعة معهما في العطلة، ومن ثم يبتعد يوم الأحد لمدة خمسة أيام. وهذا ما يجعل تناقض غيابه أمراً أكثر إيلاماً. قالت له، وهي تقبله: "أنا أيضاً أحبك". ومن ثم لمست شعره الأشقر الناعم، وهي تسكن إليه.

جلسا هناك، يشاهدان أخبار الساعة الحادية عشرة سوياً. دائماً، كانت أمسيات الجمعة تمرّ سريعاً. بعد انتهاء العشاء، والاسترخاء لساعات طويلة، والتحدث عن أسبوعهما، أو الجلوس بصمت سوياً، تكون الأمسية قد انتهت. لقد انتهى نصف عطلة نهاية الأسبوع دون أن تحظى بعد بالتقاط أنفاسها، والاسترخاء والاستمتاع معه. لم تكن تتمكّن من تصديق كيف تمضي العطلة بسرعة.

استيقظا صباح السبت باكراً نسبياً. كان يوماً من أيام تشرين الثاني الباردة والكئيبة. بينما كانا يغادران السرير كان رذاذ المطر يغطي النوافذ. ذهب ليستحم، بينما ذهبت لإعداد الفطور لهما. كانت سارة هي دائماً المسؤولة عن تحضير طعام الفطور. وكان فيل يقول إنه يحب ما تعدّه للفطور. كانت تعدّ خبزاً فرنسياً محمصاً لذيذاً، ووافلاً، وبيضاً مقلياً. إلاّ أنها كانت تواجه صعوبة في تحضير البيض النصف ناضج (البرشت) والأومليت، ولكنها أعدّت مرة صلصة بيض مدهشة. وهذه المرة، أعدّت البيض المقلي والكثير من اللحم المقدد، ورقائق البطاطا المقلية، وفطائر إنكليزية محلاة، مع كأس كبيرة من عصير البرتقال له، وقهوة مع الحليب صنعتها بخبرة بواسطة آلة صنع القهوة، التي كان قد أهداها إياها بمناسبة الكرسمس في سنتهما الأولى معاً. لم تكن هدية رومانسية، ولكنها ساعدتهما على نحو جيد خلال السنوات الأربع الماضية. كانت تستخدمها فقط عندما يكون عندها. أما بقية الوقت، عندما تهرع إلى العمل، فإنها تتوقف في ستاربكس وتشتري كوباً من الكابوتشينو، ثم تأخذه معها إلى العمل. ولكن في أيام عطل نهاية الأسبوع، يعيشان حياة الترف نتيجة طعام الفطور الفاخر الذي تحضره.

قال بسعادة وهو يأكل البيض ويلتهم اللحم المقدد: "هذا رائع". مدّت يدها من خارج الباب لتحضر الصحيفة ثم سلمته إياها.

كان ذلك صباح الكسل المثالي ليوم السبت، وكانت تود لو تعود معه إلى السرير لإقامة العلاقة. فهما لم يقوما بها منذ الأسبوع الماضي. أحياناً، يفوتهما أسبوع دون القيام بها، عندما يكون أحدهما أو كلاهما متعباً، أو مريضاً. وكانت تستمتع في معظم الأوقات بالانتظام والكفاءة في حياتهما العاطفية. عرفا متطلبات بعضهما جيداً، واستمتعا بوقت رائع في السرير مع بعضهما طوال السنوات الأربع الماضية. من الصعب التخلي عن ذلك كله. هناك الكثير من الأشياء التي لا تريد أن تخسرها فيه: صحبته، ذكاؤه،

حقيقة كونه محامياً أيضاً ومهتماً عادة بما تفعل - إلى حدٍّ ما على الأقل - على الرغم من اعترافه، بأن قانون الضرائب ليس ممتعاً بقدر العمل الذي يفعله.

كانا يستمتعان بوقتهما معاً، يحبان الأفلام نفسها، ويستمتعان بالطعام نفسه. أحببت أولاده، على الرغم من أنها لم ترهم إلاّ قليلاً، ربما بضع مرات في السنة. وكلما خرجا مع أصدقائها أو مع أصدقائه، يبدو عليهما أنهما يحبان الأشخاص نفسهم، ويمتلكان تعليقات متشابهة عنهم بعد ذلك. كان هناك الكثير من الأمور الناجحة في علاقتهما، ولهذا السبب كان من المخيب للأمل أنه لا يريد المزيد مما يحظيان به. بدأت تعتقد مؤخراً أنها ربما ستحب العيش معه يوماً ما، ولكن ليس هناك فرصة لذلك. لقد أخبرها منذ البداية أنه ليس مهتماً بالعيش معها أو الزواج، فهو يهتم بالمواعدة فقط. وهذه هي المواعدة. كانت أكثر مما يكفي بالنسبة له، وكذلك لها طيلة السنوات الأربع.

شعرت مؤخراً بأنها قد كبرت بالسن قليلاً على هذا النوع من الارتباط الذي لا يمثل أي نوع من الالتزام الكامل تقريباً. كانا متميزين من الناحية الجنسية، ويستمتعان بعلاقة ثابتة في عطلة نهاية الأسبوع. وباستثناء ذلك، لا يشتركان بأي شيء. تشعر أحياناً بأنه قد مضى عليها وقت طويل جداً وهي تقيم العلاقات. فببلوغها الثامنة والثلاثين، كانت قد أقامت علاقات مع الكثير من الأشخاص لعدة سنوات، حين كانت مراهقة، وطالبة جامعية، وطالبة في كلية المحاماة، ومحامية شابة، والآن شريكة في الشركة. لقد صعدت درجات العمل والحياة، ولكنها ما زالت تمتلك النوع نفسه من العلاقة التي حظيت بها وهي لا تزال شابه مراهقة في هارفارد. لم يكن هناك أي شيء بإمكانها فعله حيال ذلك، بالنظر إلى عناد فيل بالنسبة للموضوع، والحدود الراسخة التي وضعها. لطالما كان واضحاً تماماً بشأن الحدود التي يريدها في العلاقة. ولكن القيام بالشيء نفسه عاماً

بعد عام قد جعلها تشعر بأنها عالقة بوضع مقلق أحياناً. لا يتحرك أي شيء سواء للأمام أو للخلف. لم يتغيّر شيء أبداً. الوضع معلق في الفراغ للأبد، بينما وحدها هي التي تكبر. بدا ذلك مثيراً للقلق بالنسبة لها، وليس له. داخل عقل فيل، لا يزال هو طفلاً، ويحب الأمر على هذا الحال. لم تكن ترغب بالأطفال أو بالزواج، ولكنها بالتأكيد تريد أكثر من هذا، فقط لأنها أحبته، وأحبته لأسباب مختلفة، على الرغم من معرفتها بأنه يتصرف بأنانية أحياناً، ويُفكّر بنفسه فقط، ومتعجرف بل حتى مغرور، كما أن لديه أولويات مختلفة عن أولوياتها. ولكن لا أحد كامل. تبعاً لسارة، الأشخاص الذين تحبهم يأتون في الأولوية دائماً. أما بالنسبة لفيل، فهو في الأولوية. كان دائماً يذكرها بتعليمات السلامة في الطائرة، عندما ينصحون بوضع قناع الأوكسيجين أولاً ومن ثم مساعدة الآخرين فيما بعد. "ولكن اهتمي بنفسك أولاً..." دائماً. اعتبر ذلك درساً في الحياة، وتبريراً للطريقة التي يعامل بها الآخرين. جعلت الطريقة التي يقول ذلك فيها من الصعب أن تناقشه، ولذلك لم تكن تفعل ذلك. كانا مختلفين وحسب. تتساءل أحياناً ما إذا كان ذلك ناجماً عن الاختلاف الرئيسي بين الرجل والمرأة، وليس مجرد شيء ينقصه على وجه التحديد. من الصعب معرفة ذلك. ولكن ليس هناك مجال للشك بأن فيل شخص أناني، ويضع نفسه في الأولوية دائماً، ويفعل ما هو الأفضل له. لم يترك لها ذلك مساحة، ولو حتى صغيرة، لطلب المزيد إطلاقاً.

بعد تناول طعام الفطور، ذهب لإنجاز مهماته، بينما سوت سارة سريرها. قال لها شيئاً بخصوص البقاء عندها تلك الليلة، لذا بدلت الملاءات، ووضعت مناشف نظيفة في الحمام. غسلت الأطباق التي استعملاها لتناول الفطور، وذهبت لإحضار غسيلها من المصبغة. لم يتوفّر لها الوقت للقيام بذلك طوال الأسبوع. العازبون العاملون لا يتوفّر لهم الوقت للقيام بذلك. اليوم الوحيد للقيام بالمهمات هو يوم السبت، ولهذا

السبب كان فيل يقوم بمهامه. كانت تتمنّى لو بإمكانهما القيام بذلك سوياً. ضحك عليها عندما قالت له ذلك، وتجاهل الأمر، وثم ذكّرها بأن المتزوجين هم وحدهم من يقومون بذلك، في حين أن العازبين لا يفعلون ذلك. وهما ليسا بالمتزوجين. إنهما عازبان، كان دائماً يقول ذلك بصوت عالٍ وواضح. ينجزان الغسيل كل على حدة، ومهامهما منفصلة، ولديهما حياتان منفصلتان، وشقتان، وسريران مختلفان. يجتمعان معاً ليومين في الأسبوع للمرح، وليس لضم روحين في روح واحدة. غالباً ما يقول لها ذلك. وهي تفهم الفرق، ولكنها لا تحب ذلك أبداً. أما هو فيحبه... كثيراً.

عادت سارة إلى شقتها لوضع الغسيل الذي أتت به من المصبغة، وبعد ذلك ذهبت إلى معرض الصور في المتحف، ووجدته جميلاً وممتعاً. تمنّت لو كان فيل معها، ولكنها تعلم بأنه غير مهتم بالمتاحف. ذهبت للمشي في حديقة مارينا جرين بعد ذلك، للتدرب واستنشاق الهواء النقي، ثم عادت إلى شقتها في السادسة، بعد التوقف في سيفوي لشراء بعض الخضار. كانت قد قرّرت أن تطهو طعام العشاء لفيل، وربما بعد ذلك يمكنهما استئجار فيلم أو الذهاب إلى السينما. فهما لا يقضيان حياة اجتماعية معاً هذه الأيام. معظم أصدقائها متزوجون ولديهم أطفال، وهذا ما يجده فيل مملاً على نحو لا يصدق. كان يحب أصدقاءها، ولكنه لم يعد يحب شكل حياتهم. فالأشخاص الذين التقوا سوياً عندما كانا في بداية علاقتهما أصبحوا جميعهم متزوجين الآن. وقال إنه يجد الأمر كئيباً عندما يحاول إيجاد حوار عقلاني، بينما يصغي إلى أطفالهم، أو الصغار حديثي الولادة وهم يبكون إما طلباً للطعام أو بسبب الألم. قال إنه قد قام بكل ذلك قبل سنوات. أما أصدقاؤه فمعظمهم من الرجال في سنه أو أصغر منه، من الذين لم يتزوجوا مسبقاً على الإطلاق أو ممن قد تطلقوا منذ سنوات، واستمتعوا بحياتهم على هذا النحو، ويشعرون بالعدائية تجاه زوجاتهم السابقات، أو أولادهم الذين

من المفترض أنهم قد فَسدوا بسبب زوجاتهم الحقيرات، وكان أولئك الرجال يكرهون نفقة الزواج التي يدفعونها، والتي يصرون دائماً بأنها كثيرة جداً. كانوا مجمعين على اعتقاد أنه قد تمّ خداعهم، ويؤكدون على عدم السماح لذلك بأن يحدث مجدداً. برأيه، أصدقاؤها محبون للمكوث في المنزل كثيراً هذه الأيام، على الرغم من أنه كان يحبهم في البداية، أما هي فوجدت أصدقاءه متعجرفين وسيئين، وهذا ما حدّ من حياتهما الاجتماعية كثيراً. لاحظت أن معظم الرجال بعمر فيل يواعدون الآن على نحو جاد نساءً أصغر منهم. وعندما يذهبان لتناول العشاء معهم، تجد نفسها تحاول إجراء محادثات مع نساء صغيرات لم يبلغن نصف عمرها بعد، وليس لديهن أي شيء مشترك معها. ولذا، أصبحت هي وفيل مؤخراً يمكثان لوحدهما، وهذا يجدي نفعاً هذه الأيام، على الرغم من أنه يعزلهما. أصبحا لا يشاهدان إلاّ القليل فالقليل من الأصدقاء الآن.

كان يرى أصدقاءه في أيام الأسبوع، إما في صالة الألعاب الرياضية، أو قبلها أو بعدها لتناول الشراب، وهذا كان سبباً آخر لعدم امتلاكه الوقت الكافي لرؤية سارة خلال الأسبوع، ولمعارضتها حين تحاول سلب استقلالية أيام الأسبوع منه. كان شخصاً صريحاً جداً معها عن حقيقة أنه يحتاج لرؤية أصدقائه سواء أحبتهم أم لا، أو وافقت على اللواتي يواعدوهن. لذا، كانت ليالي أيام الأسبوع له وحده.

لم يتصل بها فيل على هاتفها الخلوي طوال نهار السبت، وافترضت أنه منشغل جداً، ولذلك لم تتصل به هي أيضاً. علمت أنه سيأتي إلى شقتها عندما ينتهي من إنجاز مهامه. أخيراً، دخل في الساعة السابعة والنصف، ببنطاله الجينز الأزرق وبكنزة سوداء ذات ياقة ضيقة جعلته يبدو أكثر جاذبية عما كان عليه في السابق. كان العشاء جاهزاً تقريباً، وسلمته كأساً من الشراب الفرنسي فور دخوله. ابتسم، وقبّلها، وشكرها.

"حبيبتي، كم تفسدينني... تبدو الرائحة شهية... ماذا لدينا للعشاء؟"

"بطاطـــا مخبوزة، سلطة متنوعة، شرائح لحم، وتشيز كيك". ذلك هو المفـضل له، ولكنه جيد بالنسبة لها، أيضاً. كانت قد اشترت زجاجة جيدة من شراب بوردو الفرنسي. كانت تحبه أكثر من شراب وادي نابا.

"يـبدو رائعاً!" أخذ رشفة من الشراب وأصدر صوت إعجاب، وبعد عـشر دقائـق جلسا لتناول العشاء على طاولة الطعام البالية. لم يعارض مـسبقاً علـى الإطلاق الأثاث البالي لشقتها، وبدا أنه لا يراه عندما يكون هـناك. مـدحها بسخاء على العشاء. كانت قد أعدت له الشرائح بالطريقة التـي يحـبها تماماً نصف ناضجة. سكب الساور كريم والثوم الذي قطعته علـى الـبطاطا المخـبوزة. كانـت تستمتع أحياناً بتكريس وقتها للأعمال المنـزلية، فحتى السلطة المتنوعة كانت لذيذة جداً. "واو! يا لها من وجبة!" أحـبها، وسـرّت بذلك. لطالما كان كريماً معها بالكلمات الجميلة والثناء، وأحـبت ذلك فيه. بينما كانت والدتها تنتقدها طوال حياتها، أما والدها فكان مبـتعداً جداً ليعرف أنها موجودة. عنى لها الكثير وجود شخص آخر معها يُعبّـر عـن شكره للأمور الجميلة التي تفعلها. وفي معظم الوقت،كان فيل يفعل ذلك.

ســألت بسرور، "إذاً ما الذي فعلته اليوم؟" وهي تقدم له شريحة من التـشيزكيك. أمـا هــي فكانت تفضل الشوكولاته ولكنها دائماً تشتري له التـشيزكيك. تعلـم أنــه يحـبها. "هل بدلت الإطارات وقمت بكل المهام الأخــرى؟" افترضت أنه فعل ذلك، فقد كان بعيداً عنها لتسع ساعات. لا بد مــن أنــه كان قادراً على القيام بكل شيء حتى حين عودته إلى شقتها في وقت العشاء تماماً.

"لن تصدقي ما حصل، لن تصدقي كم أنا كسول. عدت إلى منــزلي، نظّمــت كــل شيء، ثم استرحت لأشاهد فيلماً قديماً غبياً على التلفاز عن العبيد الذين يتصارعون حتى الموت. لم يكن فيلم سبارتاكوس، ولكن نسخة

لــرجل بائس عنه. جلست هناك لثلاث ساعات، وحتى ذلك الحين شعرت بالكـسل الـشديد. أخـذت غفوة... اتصلت بشخصين، ثم ذهبت لإحضار الغـسيل مــن المـصبغة، ثـم مررت لرؤية ديف ماكيرسون، لم أرَه منذ ســنوات، لذا ذهبت لتناول الغداء معه، ثم ذهبنا إلى منــزله، ولعبنا ألعاب الفـيديو. لقد انتقل للتو إلى منــزل رائع عند حوض السفن، إنه يطل على كامــل الخلــيج. أنهينا زجاجة من الشراب الفرنسي، وبعد ذلك، عدت إلى هنا. سأبدل الإطارات الأسبوع القادم. كان ذلك يوماً من تلك الأيام التي لا تتمكّنين فيها من إنهاء أي شيء، ولكنه بدا جيداً. كان من الرائع رؤية ديف من جديد. لم أعلم أنه قد تطلق العام الماضي. كانت بصحبته صديقة رائعة جــداً". ضحك بسهولة عندها، بينما حاولت سارة ألاّ تنظر إليه. "إنها بمثل عمر ولده الأكبر. في الحقيقة، أعتقد أنها أصغر منه بسنة. أعطى لتشارلين المنــزل فــي تيبــرون، ولكنني أحببت منــزله الجديد أكثر بكثير. فهو أحـسن تـصميماً، وأكثــر حداثة، ولطالما كانت تشارلين مجرد عاهرة". جلست سارة تصغي لفيل، وتشعر وكأنها عاجزة عن التنفس. لم تقل شيئاً. لقد تركته وحيداً طوال اليوم، ليتمكّن من إنجاز مهامه، ولأنها لم ترغب أن تـضغط عليه، بينما كان هو يشاهد التلفاز في منــزله، ويتناول الغداء مع صديقه، ويلعب ألعاب الفيديو طوال العصر. كان بإمكانه قضاء تلك الفترة معهــا، إن أراد ذلــك. ولكــن الحقيقة المؤلمة هي أنه لا يريد. إنه يفضل قـضاء فترة العصر مع صديقه، يتحدث كم كانت عاهرةً زوجته السابقة، وعن الإعجاب بصديقته البالغة من العمر اثنتين وعشرين سنة. كادت سارة تبكــي وهي تستمع إليه، ولكنها بذلت جهداً كي لا تفعل. لطالما كان قيامه بمــثل هــذه الأمور مؤلماً جداً ومخيباً للأمل. ولم تكن لدى فيل أية فكرة بالتأكيد عن غضبها، أو عن سببه. ذلك هو جوهر المشكلة. كل شيء فعله ذلــك اليوم بدا جيداً بالنسبة له، وهو في ذلك يخرج سارة من حياته، على الرغم من حقيقة أن هذا يوم عطلة نهاية الأسبوع. ولكن في عقله، هذه هي

حياته... وليست *حياتهما*: حياته فقط. لقد قبلت بذلك طوال أربع سنوات، ولكنه أصبح يغيظها الآن. كانت أولوياته تهين وتؤذي. وقول ذلك له، كما حاولت مسبقاً في عدة مناسبات، يجعلها تبدو مثل العاهرة بالنسبة له، أو هذا ما قاله. فضلاً عن كل شيء آخر، كان يكره التذمر، ويريد حرية كاملة بخصوص كيفية قضاء وقته.

سألته سارة، وهي تُحدق في طبقها "هل التقيت بها؟" علمت أنها إن نظرت إلى فيل، ستقول شيئاً لا يتوجب عليها قوله وربما تندم فيما بعد، كبدء الشجار معه، والذي سيستمر طوال الليل. لم تكن مجرد متألمة هذه المرة، بل كانت حقاً غاضبة، شعرت وكأنه قد سرق اليوم منها.

قال فيل: "تشارلين؟ بالطبع. كنت معها في الجامعة. ألا تذكرين؟ كنت أواعدها طيلة السنة الدراسية الأولى، وهكذا التقى بها ديف. حملت، فتزوج بها. من الرائع أن يكون هو من تزوجها، وليس أنا. يا الله، لا أصدق أنهما كانا متزوجين لثلاث وعشرين سنة. يا له من مسكين. لقد حرمته من كافة أملاكه. هن دائماً يفعلن ذلك". أنهى فيل التشيزكيك بنظرة راضية، وشكر سارة ثانية على العشاء. بدت برأيه هادئة جداً، ولكنه اعتقد بأنها ربما تشعر بالامتلاء، أو متعبة من الطهو. بالنسبة لسارة، بدا كل شيء قاله للتو مليئاً بقلة الاحترام، عن تشارلين، وعن زواجهما، وعن النساء بشكل عام. وكأن جميع النساء مصطفات بانتظار الرجال، يتآمرن للزواج منهم، ثم يطلبن الطلاق، ويجرّدنهم من كل شيء يمتلكونه. بعضهن يفعلن ذلك، وهي تعرف. ولكنّ الكثيرات لا يفعلن هذا.

قالت سارة بهدوء: "لم أقصد تشارلين، أقصد صديقته. تلك الأصغر سناً من ابنه". بحالة ديف، علمت سارة أن ذلك يعني أنها في الثانية والعشرين. بإمكانها حساب ذلك. لكن لا يمكنها احتمال ما بدا عليه ذلك، أو ما قاله عن صديقة فيل القديمة في الجامعة. ما خطب كل أولئك الرجال، إنهم هناك يشتهون الفتيات اللواتي لا يتجاوزن بأعمارهن أعمار أولادهم؟

ألا يرغب أحدهم بامرأة بالغة ذات عقل حكيم؟ أو بعض الخبرة أو النضج؟ بينما كانت تجلس هناك، على الطاولة مع فيل، شعرت وكأنها شيء عديم الأهميّة. فببلوغها الثامنة والثلاثين، كانت تلك الفتيات تقريباً بعمر أولادها لو كانت قد تزوجت بالوقت الذي تتزوج فيه الفتيات. تلك فكرة مخيفة. "هل التقيت بصديقته؟" أعادت سارة السؤال، فنظر فيل إليها باستغراب، متسائلاً ما إن كانت تشعر بالغيرة. فمن وجهة نظره، ذلك هو الغباء، ولكنك لا تعرف عقول النساء. إنهن يغضبن لأتفه الأشياء. كان متأكداً تقريباً من أن سارة ليست كبيرة بما يكفي لتشعر بالحساسية بسبب كبر عمرها، أو بسبب عمر أحد غيرها. في الحقيقة، هي كذلك، بل إنها أكثر تحسساً تجاه كيفية قضائه يومه، دون إشراكها معه. لقد قضت اليوم بأكمله وحيدة، بينما قضى وقته في شقته، ثم لعب ألعاب الفيديو مع صديقه. آلمتها تلك الحقيقة كثيراً.

"نعم، بالطبع، فعلت. كانت تنضم إلينا أحياناً. لعبت الكرة معنا لبضع دقائق. إنها فتاة لطيفة، ليست ذكية كفاية، ولكنها تبدو مثل جميلات بلاي بوي... تعرفين ديف". قال ذلك بإعجاب تقريباً. بدت الفتاة على نحو واضح كنموذج رائع لكل الأمور، حتى بالنسبة لفيل. "طردها أصدقاؤها من الشقة، وأعتقد أنها تعيش معه".

"يا لحسن حظه... أو ربما حظها؟" قالت سارة ذلك بنبرة صوت حادة، وشعرت وكأنها العاهرة وهي تقول ذلك.

"هل أنتِ غاضبة من شيء ما؟" كان الأمر واضحاً على وجهها. كان بإمكان هيلين كيلر حتى الإحساس بذلك. راقبها فيل عن قرب، وبدأ يفهم الأمر.

قالت سارة بصراحة: "نعم، في الواقع، أنا كذلك، عرفت أنك بحاجة إلى وقت للقيام بمهامك، لذا لم أتصل بك طوال اليوم. اعتقدت أنك ستتصل بي. بدلاً من ذلك، كنت في منزلك، تشاهد التلفاز، ومن ثم تخرج مع ديف، ومع الجميلة القذرة، تلعبان ألعاب الفيديو وتتقاذفون الكرة، بدلاً عن

قضاء اليوم معي. يبدو الأمر واضحاً كما هو". كرهت نبرة صوتها، ولكنها لم تتمكّن من تغييرها. كانت غاضبة جداً.

قــال لها، وهو ينحني لتقبيلها: "ما المشكلة؟ أحياناً أحتاج إلى بعض الوقت للمرح. لم أمضِ النهار في علاقة جنسيّة، بحق الله. تلك الفتاة مجرد طفلــة. ربما يكون ذلك من اهتمامات ديف، ولكن ليس من اهتماماتي. أنا أحــبك". ولكــنها لم تجبه هذه المرة، وأدارت وجهها بعيداً، عندها بدأ فيل يغــضب. "بحــق الله، سارة! ما بك؟ هل تشعرين بالغيرة؟ عدت للمنــزل إليك، أليس كذلك؟ لقد تناولنا عشاءً رائعاً للتو. لا تفسدي الأمر".

"بمــاذا؟ بمشاعري؟ لقد أصبت بخيبة الأمل. كنت أحب قضاء الوقت معك". بدت حزينة ومتوترة، بقدر ما هي غاضبة.

"مــررت علــيه فقــط. هــذا يحدث. ليس بالأمر المهم". بدا مدافعاً ومستاءً.

"ربمــا لــيس بالنسبة لك، ولكنه كذلك بالنسبة لي. كان بإمكاننا القيام بــشيء مــا ســوياً. افتقدتك طوال فترة العصر. أنتظر هذه العطلة طوال الأسبوع".

"اســتمتعي بها إذاً... لا تفسديها. حسناً، في المرة التالية التي أذهب بها إلى صديق قديم في ظهر يوم السبت، سأتصل بك. ولكن لا أعتقد أنك ترغبين بالمكوث معها، بينما أتحدث معه".

"تمــتلك ذلــك الحــق. إن الأمر يتعلق بالأولويات مجدداً. أنت في الأولــوية بالنــسبة لي، لكنني لا أشعر أنني كذلك بالنسبة لك". لقد مضت عليها أشهر وهي تشعر بذلك، والآن أكثر من قبل. بدا وكأنه قد أثبت للتو مجدداً صحة كم هي غير مهمة بالنسبة له.

"أنــت أيــضاً من أولوياتي سارة. دعاني لتناول العشاء، وأخبرته أنه لا يمكننـــي تلبــية دعــوته. لا يمكنك تقييدي برسن، بحق الله. أحتاج إلى الوقت لنفسي، للاسترخاء والحصول على بعض المرح. أعمل بجدٍّ طوال الأسبوع".

"وأنـــا كـــذلك. ولكن ما أزال بحاجة للبقاء معك. أنا متأسفة إن كنت تعتقد أنه ليس من الممتع قضاء الوقت معي". كرهت حدّة صوتها، ولكن لم يكن هناك مجال لتخبئ غضبها أو استياءها.

"لم أقل ذلك. أحتاج إلى كليكما في حياتي. قضاء الوقت مع أصدقائي الــرجال، وقضاء الوقت معك". علمت أن النقاش معه لن يؤدي إلى شيء. لــم يفهم الأمر، وربما لن يفعل على الإطلاق. لا يريد أن يفهم. لقد وقعت بالحــب فــي علاقــة تمثل أغنيات ري تشارلز الأعمى؛ موسيقاها رائعة، ورومانــسية أحياناً، ولكن ليس بإمكانه رؤية أي شيء قط... على الأقل لا يــستطيع رؤيــة وجهة نظرها. وبهدف إنهاء هذا النقاش قبل خروجه عن السيطرة، نهضت، ووضعت الأطباق في المجلى. ساعدها لدقيقة، ثم ذهب، وجلس على الأريكة، وشغّل التلفاز. كان متعباً من الدفاع عن نفسه، وكما أنـــه لــم يرغب بالشجار معها. لم يرها وهي تبكي - فظهرها موجّه له - وهي تنظف الأواني في المجلى. لقد كان أسبوعاً فظيعاً. في البداية ستانلي، والآن هــو. بــدت مشكلة بالفعل برأيها. وربما طفت المشكلة على السطح أكثر من السابق بسبب توبيخات أمها لها بسبب علاقتها مع فيل. ولم يفشل فيل على الإطلاق في إثبات صحة أقوال أمها. أما الآن، فكانت كلمات ستانلي في رأســها، بالإضافة إلى كلمات والدتها وكلماتها بمثابة الدليل الذي يقودها عبر متاهة علاقتها مع فيل. لا بد أن الحياة فيها أكثر مما يعطيها إياه فيل.

كانت قد مضت نصف ساعة حين جاءت، وجلست بالقرب منه على الأريكــة، بدت هادئة من جديد. لم تقل أي شيء إضافي عن ديف، أو عن صديقته الجديدة. علمت أنه لا فائدة من ذلك، ولكنها كانت مكتئبة على كل حــال. بالنظــر إلـــى موقف فيل ودفاعه، شعرت بأنها عاجزة عن تغيير الوضع. إن شعورها الدائم بالعجز تجاهه بدأ يشعرها بالكآبة.

ســألها فــيل بلطــف، "هــل أنتِ متعبة؟" اعتقد أنه من الغباء أن تغــضب، ولكنه أراد أن يعوضها. لم تكن متعبة، فهزت رأسها بالنفي.

"تعالي، حبيبتي، هيا نذهب إلى السرير. لقد كان نهارنا طلويلاً". علمت أنه لم يكن يدعوها للنوم، وشعرت هذه المرة أنها متضاربة الآراء بخصوصه. لم تكن تلك المرة الأولى التي تشعر فيها بذلك، ولكنها بدت أسوأ بكثير هذه الليلة.

بدلاً عن ذلك استطلع القنوات للحظة، ووجد فيلماً أحبه كلاهما. شاهداه حتى منتصف الليل، ثم أخذ كلاهما حماماً، وذهبا للسرير. على نحو يمكن توقعه، حدث المحتوم. وكما هو الحال دائماً، كان جيداً على نحو استثنائي، وهذا ما جعل من الصعب أن تبقى غاضبة منه. كانت تكره إجابته أحياناً، عندما لا تحب الأمور التي تحدث في علاقتهما، ولكنها مجرد إنسانة. والعلاقة الجنسية بينهما كانت جيدة جداً جداً. جيدة على نحو سيئ تقريباً. ففي بعض الأحيان، تعتقد أنها تعميها عن كل شيء آخر. غطت في النوم بين ذراعيه، مسترخية ومكتفية جنسياً. كانت لا تزال غاضبة من كيفية قضائه يوم السبت، ولكنّ مشاعر الألم كانت طبيعة العلاقة معه، ولهذا السبب كانت العلاقة الجنسية رائعة. أحياناً تخشى من أن تدمن عليها. ولكن قبل أن تقرّر، أو تفكر بالأمر كثيراً، غطّت في النوم.

الفصل الخامس

استيقظ فيل وسارة في وقت متأخر من صباح الأحد. كانت الشمس المشرقة ترسل أشعتها عبر غرفة النوم. نهض من السرير، واستحم قبل أن تنهض هي بشكل كامل، حيث كانت متمدّدة على جانب السرير الخاص بها، تُفكّر فيه، وبكل شيء حصل في اليوم السابق. بذلك اليوم الذي قضته دونه، والذي قضاه مع صديقه من دون أن يتصل بها، وبالطريقة التي تحدّث فيها عن زوجة ديف السابقة وعن صديقته الحالية، والعلاقة الجنسية الرائعة على نحو استثنائي التي أقامتها هي وفيل. وبوضع الأمور سوياً، تتشكل أحجية لا تتلاءم فيها أيّ من القطع سوياً. شعرت وكأنها تحاول جمع القطع التي تعرض الأشجار والسماء ونصف قطة وجزء من باب الحظيرة؛ كل تلك القطع معاً لا تشكل صورة كاملة. تعرف ما هي الصور، ولكنّ أياً منها لا تكتمل قطعها، كما أنها لم تشعر بأنها متكاملة هي أيضاً. ذكرت نفسها بأنها لا تحتاج إلى رجل ليكملها. ولكن معظم علاقتها مع فيل مضطربة على نحو متواصل. ربما هذا هو كل ما تحتاج لمعرفته، والعمل تبعاً له في النهاية. لم يبدُ أن هنالك ارتباطاً حقيقياً بينهما، لسبب بسيط جداً وهو عدم رغبة فيل بالارتباط الحقيقي، بأي شخص.

سألها عند خروجه من الحمام، "ما هو الشيء الذي يجعلك حزينة لهذه الدرجة؟" كان يقف عارياً بالكامل أمامها، فكان جسده الخالي من أي عيب كافياً لصعق أية امرأة.

قالت له، وهي تتمدّد للخلف على الوسائد: "كنت أُفكّر وحسب". لم تكن مدركة أنها كانت هي أيضاً تبدو جميلة جداً. كان جسدها طويلاً ونحيلاً ورشيقاً، فيما كان شعرها الأسود الطويل ينتشر فوق الوسائد، أما لون عينيها فكان بلون السماء المشرقة. كان فيل يدرك تماماً مقدار جمالها. لم يكن قد استغل جمالها أو حتى فكّر بذلك من قبل أبداً.

سألها، وهو يجلس على حافة السرير، ينشف شعره بالمنشفة، "ما الذي كنتِ تفكرين به؟" بدا كرجال الفايكنغ العراة عندما جلس هناك.

"بأنني أكره أيام الأحد، لأن عطلة الأسبوع قد انتهت، وخلال ساعات، ستذهب".

"يبدو ذلك سخيفاً، استمتعي بي أثناء وجودي هنا. يمكنك أن تصابي بالاكتئاب بعد رحيلي، على الرغم من أنني لا أعرف سبب شعورك بذلك. سأعود في الأسبوع القادم. لقد مضت عليّ أربع سنوات وأنا أفعل ذلك". تلك برأيها كانت المشكلة. على الرغم من أنها لم تكن مشكلة بالنسبة إليه. كان هناك نوع من تضارب المصالح الحاد بينهما. بالنظر إلى أنهما يعملان في المحاماة، يجب أن يكون ذلك واضحاً لكل منهما، ولكنه ليس كذلك بالنسبة إليه. فالإنكار أحياناً أمر عظيم. "لم لا نذهب لنتناول فطور متأخر معاً في مكان ما؟" أومأت له. كانت تحب الخروج معه، والمكوث معه في المنزل أيضاً. وبينما كانت تنظر إليه، خطرت في بالها فكرة.

"لديّ موعد لتقدير ثمن منزل ستانلي بيرلمان غداً. أمتلك المفاتيح. وسألتقي هناك مع السمسارة قبل الذهاب إلى المكتب. هل ترغب بالذهاب إليه اليوم، بعد تناول الطعام؟ أتحرّق شوقاً لإلقاء نظرة عليه. ربما يكون الأمر ممتعاً. إنه مكان رائع".

قال لها: "أنا واثق من أنه كذلك". بدا مستاءً، وهو ينهض، بكامل الجمال الذي يتمتع به جسده أمامها. "ولكنني لست من المهتمين بالمنازل القديمة. وأعتقد أنني سأشعر وكأنني لص يتسلل في أرجاء المنزل".

"لن نكون متسللين. أنا المحامية المسؤولة عن العقار، يمكنني الدخول إليه في أي وقت أريد. إنني أرغب حقاً برؤيته معك".

"ربما في وقت آخر، حبيبتي. إنني أتضور جوعاً، وبعد ذلك أحتاج حقاً للذهاب إلى المنزل. أمامي أسبوع آخر مليء بجلسات الاستماع. أحضرت علبتين من تلك الملفات اللعينة إلى المنزل. يتوجب عليّ العودة إلى منزلي بعد تناول الطعام". على الرغم من بذلها جلّ جهودها كي لا يذهب، بدت سارة مكتئبة لما قاله للتو. دائماً يفعل ذلك معها. لقد توقعت أن تقضي اليوم معه، أو ذلك ما أملت به، ولكنه وجد أحد الأعذار لعدم فعل ذلك.

نادراً ما يبقى حتى وقت الغداء في أيام الأحد، وليس اليوم مختلفاً، وهذا ما جعل من قضائه يوم السبت مع ديف أمراً سيئاً، وهذا يبرر سبب غضبها الشديد منه. ولكنها لم تقل شيئاً هذه المرة. نهضت دون النطق بأي كلمة أو تعليق. لقد تعبت من الحميمية الغائبة في العلاقة. وإن لم يكن راغباً بقضاء اليوم معها، فستجد شيئاً آخر لفعله وحدها. يمكنها دائماً الاتصال بصديقة. في الآونة الأخيرة، لم تكن تخرج مع صديقاتها القديمات، لأنهن - وخاصة في عطلة نهاية الأسبوع - منشغلات مع أزواجهن وأولادهن. كانت تحب قضاء وقتها وحيدة مع فيل في أيام السبت، ولم تكن ترغب أن تكون شخصاً زائداً مع الآخرين في أيام الأحد. كانت تقضي أيام الأحد في المتاحف أو محلات بيع القطع الأثرية، تتمشى على الشاطئ في فوت ماسون، أو تنجز أعمالاً لنفسها. لطالما كانت أيام الأحد صعبة عليها. فهي دائماً ما تبدو فيها أكثر وحدة من سائر الأسبوع. وهذه الوحدة بدأت تبدو الآن أكثر سوءاً. دائماً تبدو الأيام الحلوة سيئة بعد رحيل فيل. صَمْتُ شقتها بعد مغادرته يصيبها بالكآبة التي لا تعرف لها نهاية. كان بإمكانها أن تعرف مسبقاً بأن اليوم ليس مختلفاً.

حاولت معرفة ما الذي ستفعله بنفسها، وهي مصابة بالاكتئاب. حاولت على الأقل التظاهر بالحيوية، وهي تخرج من شقتها في طريقها لتناول الطعام. كان يرتدي سترة جلدية قصيرة وبنطال جينز وقميصاً أزرق ضيقاً على نحو رائع. أبقى ما يكفي من أشيائه في منزلها ليتمكّن فقط من قضاء عطلة نهاية الأسبوع معها، وليرتدي ملابس لائقة. استغرق منه ذلك ثلاث سنوات تقريباً ليقوم به. وربما بعد ثلاث سنوات أخرى – كما فكّرت بكآبة – يمكنه المكوث لمساء يوم الأحد. أو ربما سيستغرق ذلك خمس سنوات، فكّرت باستهزاء وهي تتبعه على الدرج. كان يصفّر مما يدل على أن مزاجه كان رائعاً.

على الرغم مما كانت عليه، استمتعت سارة بوقتها معه أثناء تناول الطعام. أخبرها قصصاً مضحكة، وبعضاً من النكت البذيئة. كما قام بتقليد أحد الأشخاص في مكتبه، وعلى الرغم من أن ذلك كان غباءً ولا يعني لها شيئاً، إلاّ أنه جعلها تضحك. كانت تشعر بالأسى لأنه لن يذهب معها لرؤية منزل ستانلي. لم تكن ترغب بالذهاب إلى هناك وحدها، لذا قرّرت الانتظار حتى تلتقي بالسمسارة صباح يوم الاثنين.

كان فيل يتمتع بمزاج رائع، وتناول مقداراً هائلاً من الطعام. أما سارة فتناولت الكابوتشينو والتوست. لم تكن تتمكّن من تناول الطعام عندما يكون على وشك الرحيل. وبالرغم من كون ذلك حدثاً أسبوعياً، إلاّ أنه لم يفشل في جعلها حزينة. تشعر بأنها مرفوضة نوعاً ما، فقد كانت عطلة نهاية الأسبوع لا بأس بها، ولكن بالنسبة لها شكّل اليوم السابق إخفاقاً مروعاً. العلاقة الجنسية في الليلة السابقة كانت رائعة. ولكن صباح الأحد دائماً يكون قصيراً جداً. ولن يكون هذا مختلفاً إطلاقاً. إنه يوم آخر من الأيام الموحشة المثيرة للكآبة بعد رحيله. هذا هو الثمن الذي يتوجّب عليها دفعه لعدم زواجها أو إنجابها الأطفال، أو انشغالها بعلاقة أكثر التزاماً. دائماً يبدو أن الآخرين لديهم شخص ما لقضاء يوم الأحد معه. أما هي

فليست كذلك، عندما يرحل فيل بعد الفطور. كانت مستعدة لقطع ذراعيها ورأسها قبل الاتصال بوالدتها. فبرأي سارة، هذا ليس بالحل الملائم. كانت تفضّل البقاء وحيدة على القيام بذلك. تمنّت فقط لو كان بإمكانها قضاء اليوم مع فيل.

لقد أصبحت محترفة الآن بكتمان مشاعرها عند رحيله صباح أيام الأحد. كانت تتدبر أن تبدو مشرقة، وحتى مستمتعة أحياناً، عندما يقبلها بخفة على فمها، ويوصلها إلى منزلها، ثم يقود السيارة إلى منزله. أخبرته هذه المرة أنها ترغب بالبقاء في المطعم، لأنها تريد الذهاب إلى شارع يونيون لتتمشى وتتسوق، فالأمر الذي لم تكن تريده هو العودة إلى شقتها الفارغة. لوّحت له بشجاعة، كما تفعل دائماً، عندما قاد سيارته بعيداً، عائداً إلى حياته الخاصة. لقد انتهت عطلة نهاية الأسبوع.

في النهاية، مشت نحو حوض السفن، وجلست على المقعد، تراقب الأشخاص وهم يلعبون بطائراتهم الورقية. في وقت متأخر من فترة العصر، مشت عائدة إلى باسفيك هايتس، إلى شقتها. لم تهتم بترتيب السرير عندما عادت. ولم تتناول طعام العشاء تلك الليلة، ثم في النهاية، أعدت لنفسها السلطة، وأخرجت بعض الملفات من حقيبتها. كانت ملفات ستانلي بيرلمان، والشيء الوحيد الذي كانت تشعر بالإثارة له هو رؤية منزله. لقد راودتها ملايين الأحلام عن ذلك. تمنّت لو كانت تعرف تاريخه. ستطلب من السمسارة أن تبحث لها عنه قبل عرضه في السوق. ولكنها أولاً تتشوق لرؤية المنزل. راودها إحساس بأن ذلك سيكون رائعاً. فكّرت مجدداً به عندما استلقت على سريرها تلك الليلة.

كانت تغطّ في النوم تقريباً عندما رنّ الهاتف. كان المتصل فيل. قال إنه عمل على تحضير جلسات الاستماع طوال المساء، وبدا متعباً.

قال بصوت محب: "اشتقت لك". كان ذلك هو الصوت الذي يجعل قلبها يبتهج دائماً، حتى الآن. كان ذلك صوت الرجل الذي أقام علاقة جنسية شغوفة

ومحترفة على نحو لائق مساء أمس. تمدّدت في السرير، وأغلقت عينيها.

قالت بلطف: "أنا أيضاً اشتقت لك".

قال لها: "يبدو وكأنك نائمة". بدا صوته جميلاً.

"أنا كذلك".

"هــل كنتِ تفكرين بي عندما غطيت في النوم؟" بدا أكثر جاذبية عما سبق، وضحكت هذه المرة.

قالــت لــه: "لا". وهي تلتفت إلى الجانب، وتنظر إلى جانب السرير حيث نام في الليلة السابقة. بدا فارغاً إلى حدٍّ كبير الآن. كانت وسادته في مكــان ما على الأرض. "كنت أُفكّر بمنـــزل ستانلي بيرلمان. أنتظر بفارغ الصبر رؤيته غداً".

قال لها، وقد بدا خائب الأمل: "أنتِ مهووسة بذلك المكان". كان يحب معــرفة أنهـــا تفكر فيه. وكما تقول له سارة في معظم الأحيان، كل شيء يتعلق به دائماً. أحياناً يوافقها على ذلك هو أيضاً.

قالت له، بسخرية: "هل أنا كذلك؟ اعتقدت أنني مهووسة بك".

قال لها، وقد بدا راضياً عن نفسه: "من الأفضل لك أن تكوني كذلك، كــنت أُفكّر للتو بليلة أمس. إنها تصبح أفضل وأفضل معنا، أليس كذلك؟" ابتسمت.

سلّمت له بصحة ذلك، "نعم، إنها كذلك". ولكنها لم تكن واثقة تماماً أن ذلــك بالــشيء الجيد. ففي معظم الأوقات، تشوّش العلاقة الجنسية الجيدة رؤيتها، ولا تريدها أن تصبح كذلك. من الصعب فصل حبة القمح من بين كــومة القش في علاقتهما. حياتهما الجنسية هي حبة القمح بالتأكيد. ولكن هناك الكثير من القش أيضاً، في مختلف المواضيع.

"حــسناً، يــتوجب عليّ النهوض باكراً غداً. أردت فقط إعطاءك قبلة الــنوم قبل الذهاب إلى السرير، وإخبارك أنني اشتقت إليك". أرادت تذكيره

أن هنالك حلاً بسيطاً إن كان قد اشتاق إليها، ولكنها لم تقل كلمة.

"شكراً لك". تأثرت بكلامه. كان لطفاً منه القيام بذلك. لقد كان شخصاً لطــيفاً، وإن كان يخيّب أملها في بعض الأحيان. ربما كل الرجال يفعلون ذلــك، وهذه هي تماماً طبيعة علاقتهما، هذا ما قالته لنفسها. لم تكن متأكدة من ذلك على الإطلاق. كانت هذه أطول علاقة تنشغل بها. لقد كانت دائماً مــشغولة جداً في أيام الجامعة، وحين تعمل فلم تجد الوقت لتلزم نفسها مع رجل على نحو كامل.

"أحبك، حبيبتي..". قالها بصوت أجش جعل أمعاءها تستثير.

" أنا أيضاً أحبك، فيل... سأشتاق إليك الليلة".

"نعــم، وأنا أيضاً. سأتصل بك غداً". الأمر الحزين أنهما كلما اقتربا مــن بعضهما في أيام عطل نهاية الأسبوع، يتدبّر بطريقة ما أن يبدّد ذلك خــلال الأســبوع، وأن يُبعد المسافة بينهما من جديد. لم يكن مستعداً على الإطــلاق أو قــادراً على الحفاظ على أي مودة تمكّنا من تحقيقها. بدا أنه يشعر بالأمان بإبقائها على مسافة بعيدة عنه. ولكنهما بالتأكيد لم يبتعدا عن بعضهما تلك المسافة في الليلة السابقة.

تمــدّدت في السرير تُفكّر فيه بعد إنهاء المكالمة. لقد حصل على ما يتمــنّاه. إنهــا تُفكّر فيه، وليس بمنـــزل ستانلي. وبينما كانت متمدّدة على الــسرير، أغمــضت عيناها، ولم تحسّ بشيء آخر إلاّ عندما سمعت رنين المنــبه وأحــست بأشعة الشمس تتدفّق من نوافذها. إنه صباح يوم الاثنين، ويتوجب عليها النهوض.

بعــد ســاعة، انتهت من ارتداء ملابسها، وأسرعت نحو الباب، في طــريقها إلــى ستاربكس. كانت بحاجة إلى كوب من القهوة قبل لقائها مع السمسارة في منـــزل ستانلي. شعرت وكأنها على وشك البدء بلعبة البحث عـــن الكنـــز. شربت قهوتها، وقرأت الصحيفة في سيارتها، أثناء انتظار السمـــسارة عـــند مدخل منـــزل ستانلي. كانت مندمجة جداً بالصحيفة فلم

تلاحظ المرأة التي تقترب حتى نقرت على نافذة سيارة سارة.

ضغطت سارة الزر بسرعة، فأنزلت زجاج النافذة. كانت المرأة الواقفة هناك أمامها في العقد الخامس من عمرها تقريباً، لقد كان مظهرها يتراوح بين مظهر سيدات الأعمال ومظهر ربات البيوت. كانت سارة قد عملت معها بالعقارات من قبل، وأحبتها. اسمها هو مارجوري ميروثير... نظرت سارة إليها وابتسمت لها ابتسامة دافئة.

قالت سارة وهي تخرج من سيارتها: "شكراً للقائك بي هذا الصباح". كانت سيارتها صغيرة من ماركة (بي أم دبليو) بسقف متحرك وبلون أزرق داكن، اشترتها منذ سنة. عادةً تتركها في المرآب، وتستقل سيارة أُجرة للعمل. فهي لم تكن بحاجة إلى سيارة في مركز المدينة، فإبقاؤها في المرآب هناك طوال اليوم يكلفها مبلغاً كبيراً من المال. ولكن هذا الصباح، كان من الأسهل لها أن تستخدم السيارة.

قالت مارجوري وقد اعتلت وجهها ابتسامة عريضة: "أنا أيضاً مسرورة، لطالما أردت الدخول ورؤية هذا المنزل. هذه متعة بالنسبة لي، يمتلك هذا المنزل تاريخاً طويلاً". كانت سارة مسرورة لسماع ذلك، فلطالما شكّت أنه كذلك، ولكنّ ستانلي أصرّ على أنه لا يعرف شيئاً.

قالت سارة ضاحكة: "أعتقد أنه يتوجب علينا إجراء بحث عن ذلك قبل عرض المنزل للبيع. سيمنح ذلك المكان ميزة إضافية، وربما يعوّض عن كهربائيته وسمكرته البالية".

سألت مارجوري بطريقة عملية، بينما كانت سارة تخرج المفاتيح من حقيبة يدها، "أتعرفين متى كانت آخر مرة تمّ فيها تجديد ديكور المنزل من الداخل؟"

"حسناً، سأخمن". قالت سارة مفعمة بالفضول، وهما تصعدان السلالم الرخامية البيضاء وصولاً إلى الباب الأمامي. كان مصنوعاً من الزجاج مع حواجز من البرونز الرائع فوقه، وهذا بحدّ ذاته تحفة فنية. لم تكن سارة قد

دخلت من قبل على الإطلاق عبر الباب الأمامي، ولكنها لم تكن ترغب بإدخال السمسارة من المطبخ. لم تكن متأكدة مما إذا كان ستانلي قد استخدم الباب الأمامي من قبل طوال فترة مكوثه في المنزل. "اشترى السيد بيرلمان المنزل عام 1930. لم يذكر على الإطلاق أمر تجديد الديكور، ولطالما أراد بيعه. اشتراه كاستثمار، ثم وبطريقة ما لم يتمكّن من تخليص نفسه منه. وذلك مجرد صدفة، على ما أعتقد، وليس عمداً. شعر بالراحة فحسب بمكوثه هنا". كانت تفكر بغرفته الصغيرة في العلية وهي تتحدث، وغرف الخدم، حيث قضى ستاً وسبعين سنة من حياته هناك. ولكنها لم تخبر السمسارة بذلك. ربما ستلاحظ ذلك بنفسها عندما تتجول في المنزل. "تخميني هو أنه لم يتمّ تجديده لدرجة واضحة منذ بنائه. أعتقد أن السيد بيرلمان قال بأنه دخله عام 1930. ولم يخبرني عن اسم العائلة التي بنته على الإطلاق".

"كان هنالك عائلة مأشهرة جداً، تجني أموالها من العمل في الصيرفة خلال فترة اكتشاف الذهب. جاؤوا من فرنسا مع عدد من العاملين في البنوك من باريس وليون. أعتقد أنهم عملوا بالمصارف لعدة أجيال في الولايات المتحدة حتى اختفاء العائلة تدريجياً. اسم الرجل الذي بنى المنزل هو ألكسندر دو بومون، تبعاً للتهجئة الفرنسية. بنى المنزل عام 1923 لزوجته الشابة الجميلة، ليلي، عند زواجهما. كانت حسناء مأشهرة في ذلك الوقت. تلك قصة حزينة جداً. خسر ألكسندر دو بومون ثروته بالكامل في الانهيار المفاجئ عام 1929. أعتقد أنها تركته بعد ذلك، قرابة العام 1930 ". كانت السمسارة تعلم الكثير عن المنزل أكثر مما تعلمه سارة، أو حتى ستانلي. على الرغم من أنه سكن هناك ثلاثة أرباع القرن، لم يكن له مع هذا المنزل أي ارتباط عاطفي، أو القليل منه فقط. ولكنه ظل له، حتى النهاية، لمجرد كونه استثماراً، ومكاناً ينام فيه. لم يقم بتجديد ديكوره على الإطلاق، أو حتى الانتقال إلى الجزء الرئيسي منه. كان سعيداً بالعيش في غرفة الخدم في العلية.

"أعتقد أن ذلك حصل عندما اشترى السيد بيرلمان المنزل، عام 1930. لم يقل لي أية كلمة على الإطلاق عن دو بومون".

"أعتقد أن السيد دو بومون قد توفي بعد وقت قصير من رحيل زوجته، كما أعلم، كانت قد اختفت. أو ربما ذلك هو الجزء الرومانسي من القصة. أريد إجراء المزيد من البحث من أجل الكتيب".

ساد الصمت بينما سارة تبذل جهدها مع المفاتيح، وببطء انفتح الباب الزجاجي والبرونزي الثقيل. كانت سارة قد أخبرت الممرضة مسبقاً بأن تزيل السلسلة المغلقة للباب قبل مغادرتها، لتتمكن من إدخال السمسارة عبر الباب الأمامي. فتح الباب، وانكشف الظلام الواسع. دخلت سارة أولاً، ونظرت حولها بحثاً عن مفتاح لإشعال الأضواء. وهي تضع قدمها في الداخل، تبعتها السمسارة. راودهما إحساس غريب مخيف فور دخولهما المنزل، شبيه بذلك الذي يراود المقتحمين لأملاك الآخرين. فتحت السمسارة الباب على نحو أوسع خلفها، لتتمكّن أشعة الشمس من الدخول إلى المنزل وتنير الطريق، ثم شاهدتا مفتاح الإنارة سوياً. بلغ عمر المنزل ثلاثاً وثمانين سنة، ولم تكن أي منهما تعلم ما إذا كان المفتاح لا يزال يعمل. كان هناك مفتاحان عند المدخل الرخامي حيث تقفان. ضغطت سارة كلاً منهما بدوره، ولم يحصل شيء. عبر الظلام الدامس، تمكّنتا من رؤية أن النوافذ في ردهة المدخل مغلقة بألواح خشبية. لم تتمكّنا من رؤية أي شيء خلفهما.

قالت سارة، وقد بدت منزعجة: "كان يجب عليّ إحضار الضوء الخاص بالكشافة". لم يكن الأمر سهلاً كما تمنّت. وهي تقول ذلك، مدّت مارجوري يدها إلى حقيبتها، وأعطت واحداً لسارة، وأخرجت آخر لنفسها.

"المنازل القديمة هي هوايتي". أشعلتا الأضواء، ونظرتا حولهما. كان هناك ألواح ثقيلة على النوافذ، وأرض رخامية بيضاء أسفل أقدامهما بدت وكأنها تمتد لأميال، وفوق رأسيهما ثرية ضخمة موصولة بالكهرباء، ولكن

وصلاتها مع المفتاح لا بد من أنها قد بليت على مرّ السنين، كما هو حال كل شيء آخر.

كان المدخل بحدّ ذاته لوحة مطرزة جميلة وكان كبيراً جداً، بسقفٍ عالٍ. وهناك على الجانب الآخر، شاهدتا غرف الاستقبال الصغيرة التي لا بد أنها كانت غرف انتظار الأشخاص عندما يأتون للزيارة. كانت أرضية غرف الاستقبال من الخشب المزخرف القديم، والجدران من الخشب المنحوت القديم الذي بدا وكأنه قد أُحضر من فرنسا. كانت الغرفتان الصغيرتان فائقتي الجمال. وفي كل منهما ثريا فاتنة. لقد تمّ تجريد المنزل من أثاثه قبل أن يشتريه ستانلي، ولكنه ذكر لسارة مرة أن المالكين القدامى قد تركوا جميع المصابيح والثريات الأصلية فيه. عندها شاهدت كلتاهما معاً موقداً رخامياً أثرياً في كل من الغرفتين. كانت كلتا غرفتي الاستقبال متشابهتين في الحجم. يمكن لكل منهما أن تشكل مكتباً أو غرفة دراسة رائعة، بالاعتماد عما سيصبح عليه المنزل في حياته القادمة. ربما كفندق صغير رائع وأنيق، أو قنصلية، أو منزل لعائلة فاحشة الثراء. يمتلك المنزل من داخله مسحة القصر الفرنسي، ولطالما أوحى المنزل لسارة من الخارج أنه كذلك أيضاً. إنه المنزل الوحيد المشابه للقصر بعض الشيء في كافة أرجاء المدينة، أو ربما في الولاية حتى. كان من المنازل، أو القصور، التي يتوقع المرء رؤيتها في فرنسا. وتبعاً لما قالته مارجوري، فإن تصميمه المعماري فرنسي أيضاً.

أثناء تقدمهما للأمام في المدخل الأبيض الرخامي الضخم، تمكّنتا من رؤية درج كبير في الوسط. كانت درجاته من الرخام الأبيض، وهناك درابزين برونزي على كل جانب. كان يمتد بشموخ إلى الطوابق العلوية، وكان من السهل تخيّل رجال يرتدون قبعات وسترات طويلة، ونساء بعباءات المساء يصعدون وينزلون على هذه الأدراج. وفوق رأسيهما،

هناك ثريا ضخمة على نحو لا يصدق. خطت كل منهما بحذر بعيداً عنها، وخطر على بال كل منهما الفكرة نفسها في الوقت نفسه. لم تكن هناك طريقة لمعرفة مقدار أمان أي شيء، بعد كل هذه السنوات. شعرت سارة فجأة بالذعر من أنها قد تهبط للأسفل متحطمة. وبينما كانتا تمشيان بعيداً عنها، شاهدتا غرفة تسلية الضيوف الضخمة من بعيد، مع ستائر تغطي نوافذها. مشت مارجوري وسارة نحو النوافذ، لرؤية ما إن كانت مغلقة بالألواح الخشبية. تمزقت الستائر الثقيلة بين يديهما وهما تدفعانها جانباً. كانت النوافذ في الواقع أبواباً فرنسية تطل على الحديقة التي كانت تشغل الحائط بأكمله، وأُغلقت بأنصاف دوائر خشبية في الأعلى فقط. أما بقية النوافذ فكانت وسخة جداً ولكنها غير مغلقة بألواح خشبية، كما اكتشفتا حال دفع الستائر جانباً. دخلت أشعة الشمس إلى المنزل للمرة الأولى منذ اشتراه ستانلي بيرلمان، وبينما كانتا تجولان بأبصارهما في أنحاء الغرفة التي تقفان داخلها، اتسعت عينا سارة ولهثت. كانت هناك مدفئة ضخمة في أحد الجوانب، مع رف رخامي، وخشب منحوت، وألواح من اللمرايا. بدت شبيهة بقاعة الرقص، ولكن ليس تماماً. بدت الأرضيات الخشبية المزخرفة وكأن عمرها يعود لمئات السنين. كان من الواضح جداً أنها أيضاً قد أخذت من قصر في فرنسا.

قالت مارجوري بهمس أجش: "أقسم، أنني لم أرَ شيئاً في حياتي كهذا أبداً. لم تعد أمثال هذه المنازل موجودة على الإطلاق، وليس هنا أبداً". ذكرها ذلك *بأكواخ* نيوبورت التي شيدها فانديربيلتس وأستوررز. لا شيء في الساحل الغربي يُقارن مع هذا إطلاقاً. بدا المنزل أشبه بنسخة مصغرة عن قصر فرساي الفرنسي، وهذا تماماً ما وعد ألكسندر دو بومون زوجته به. كان المنزل هدية زواجها.

سألت سارة، "هل هذه هي قاعة الرقص؟" بدت متأثرة بهذه الكلمات. علمت أن هناك واحدة ولكنها لم تتخيلها حتى ولو قليلاً بمثل هذا الجمال.

قالت مارجوري: "لا أعتقد ذلك". بدت معجبة بكل لحظة من هذه الجولة. فقد كانت أفضل بكثير من أي شيء تخيّلته. "كانت قاعات الرقص تبنى عادة في الطابق الثاني. أعتقد أن هذه ربما تكون قاعة تسلية الضيوف الرئيسية، أو واحدة منها". عثرتا على واحدة أخرى تشبهها، لكنها أصغر بقليل، في الجانب الآخر للمنزل، مع فسحة تصل بين الاثنتين. كان للفسحة أرضية رخامية مزخرفة، ونافورة في الوسط بدت وكأنها كانت تعمل في أحد الأيام. إن أغلق المرء عينيه، يمكنه تخيّل الحفلات الراقصة هنا، وذلك النوع من حفلات الحقبة الماضية التي بإمكان المرء التعرف عليها في الكتب فقط.

كان هناك عدة غرف أصغر حجماً أيضاً، وهذا ما فسرته مارجوري على أنها غرف الاستراحة، حيث بإمكان السيدات الاستراحة، وتحرير المشدات في الأيام السالفة في أوروبا. كما كان هناك أيضاً سلسلة من الحجرات لحفظ الطعام وغرف الخدمة، حيث بدا واضحاً أن الطعام يُرسل إليها من المطبخ، ولكنه لا يُحضَّر فيها. في العالم الحديث، يمكن للمرء تحويل غرف الخدمة إلى مطبخ، حيث لا يرغب أحد هذه الأيام بمطبخ في القبو. لم يعد الناس يمتلكون الكثير من الخدم لتحضير الطعام، وحمله للأعلى، ثم إنزاله للأسفل على السلالم. كانت هناك سلسلة من المصاعد الصغيرة لنقل الطعام، وعندما فتحت سارة أحدها لتفحصه، انحل واحد من الحبال في يدها. لم تكن هناك أية إشارة لوجود القوارض أو الخراب في المنزل. لم يتعفن أي شيء أو يقضم. لقد حافظ طاقم التنظيف الشهري الذي وظّفه ستانلي على نظافته، ومع ذلك، هناك إشارات واضحة على قسوة الزمن. عثرتا أيضاً على ستة حمامات في الطابق الرئيسي، أربعة منها مصنوعة من الرخام، وهي خاصة بالضيوف، واثنان من الآجر الأكثر بساطة، من الواضح أنهما يخصان الخدم. كانت منطقة الدرج الخلفي الخاصة بطاقم خدمة المنزل الكثير العدد – الذي لا بد من وجودهم هناك – ضخمة جداً.

بذلك، كانتا مستعدتين للانتقال للأعلى. علمت سارة أن هناك مصعداً في المنزل، ولكنّ ستانلي لم يستخدمه على الإطلاق. لم يستخدم منذ وقت طويل، فحتى هو نفسه علم أنه من الخطير جداً استخدامه حلياً. فحتى خذلته ساقاه تماماً في النهاية، كان يصعد وينزل برشاقة على الدرج الخلفي. وعندما أصبح عاجزاً عن المشي، لم يكن ينزل للأسفل على الإطلاق.

شقّت مارجوري وسارة طريقهما بحذر باتجاه الدرج الرئيسي الذي يمتدّ في مركز المنزل... معجبتين بكل إنش وتفصيلة حولهما وهما تصعدان؛ بالأرضيات، وبالخشب المطعم والمنحوت، والتحف المعمارية، والنوافذ، والثريات. كان السقف الموجود فوق الدرج يعلو ثلاثة طوابق. وهو يرتفع فوق الجزء الرئيسي للمنزل. وفوقه، هناك العلية حيث كان يعيش ستانلي، وأسفله القبو. ولكنّ الدرج بحدّ ذاته، بكامل فخامته وأناقته، شغل مساحة كبيرة من منتصف المنزل.

كان السجاد الموجود فوقه قد تلاشى وبلي، ولكنه بدا وكأنه فارسي، والقضبان التي تثبّت السجادة في مكانها كانت من البرونز الأثري الفاخر، مع عقدة صغيرة من رؤوس الأسود في نهاية كل قضيب. كانت جميع تفاصيل المنزل أنيقة ورائعة الجمال.

وجدتا، في الطابق الثاني، المزيد من غرف المعيشة الفخمة، وردهة مشرقة تطلّ على الحديقة، وغرفة للعب الورق، وبيتاً زجاجياً حيث كان البيانو الضخم موجوداً في السابق، وأخيراً قاعة الرقص التي سمعتا عنها. كانت في الحقيقة نسخة مطابقة تماماً لقاعة المرايا في قصر فرساي، وتتجاوز حدّ التصديق بالتأكيد. عندما سحبت سارة الستائر للجانب من جديد، كما فعلت في كل غرفة، كادت تبكي. لم ترَ شيئاً بمثل هذا الجمال في حياتها من قبل. حتى أنها لم تتمكّن الآن من تخيّل سبب عدم استخدام ستانلي للمنزل. كان فائق الجمال لدرجة أنه لا يجب أن يظل فارغاً

ومنبوذاً طوال تلك السنين. ولكن الفخامة من تلك الدرجة، والأناقة من ذلك النوع الذي شاهدتاه، لم تكونا من اهتماماته على نحو واضح. فقط الأموال كانت كذلك، وهذا ما أصابها فجأة بالحزن. أخيراً، فهمت الآن ما الذي كان يقوله لها. لم يهدر ستانلي بيرلمان حياته، ولكنه فقد الكثير من الأوقات في العديد من النواحي الهامة. لم يرغب بأن يحدث معها الشيء نفسه، وفهمت الآن سبب ذلك. كان هذا المنزل رمزاً لكل شيء امتلكه، ولكنه لم يحظ به حقاً. لم يحبه أبداً أو يستمتع به، أو يسمح لنفسه بالاتساع لحياة أكبر. كانت غرفة الخادمة التي قضى فيها ثلاثة أرباع القرن من حياته الرمزَ المعبر عن حياته، وعن الأمور التي لم يمتلكها حقاً؛ لا صحبة، ولا جمال، ولا حب. جعل التفكير بذلك سارة حزينة، فلقد فهمت الأمر على نحو أفضل الآن.

حال وصولهما الطابق الثالث، واجهتا باباً مزدوجاً ضخماً عند قمة الدرج الرئيسي. اعتقدت سارة في البداية أنه مقفولٌ. سحبت هي ومارجوري القفل، وكادتا تندهشان عندما انفتح الباب فجأة، وكشف عن جناح الغرف الجميل والرحب، والذي من الواضح أنه جناح السيد. كانت الجدران هنا مطلية بلون شاحب من البودرة الوردية الباهتة التي تكاد لا ترى. كانت غرفة النوم رائعة الصنع جديرة بماري أنطوانيت، وتطلّ على الحديقة. كان هناك غرفة جلوس، وسلسلة من غرف الملابس، وحمامان إضافيان من الرخام، كل منهما أكبر من شقة سارة، حيث كان من الواضح أنهما قد بنيا لليلي وألكسندر. كانت الأشياء المثبتة رائعة – والأرضية في حمامها مصنوعة من الرخام الوردي، أما حمامه فبلون الرخام البيج – وجديرة بأن توضع في متحف أوفيزي للفن في فلورنسا.

كان هنالك أيضاً غرفتا جلوس في الطابق نفسه، تحيطان بالمدخل الموصل إلى جناح السيد، وفي الجانب الآخر للمنزل هناك ما بدا أنهما حجرتان لنوم طفلين، من الواضح أن واحدة منهما لفتاة والأخرى لصبي.

كان هنالك آجر جميل ملون في غرف ملابسهما والحمامين، مع زهور وبواخر عليها. لكل طفل غرفة نوم ضخمة مع نوافذ كبيرة مشرقة. كانت هناك غرفة لعب ضخمة لكليهما، وعدة غرف أصغر لا بد أنها كانت لمدبرة المنزل والخدم الذين يحضرون لتلبية كافة احتياجاتهما. وبينما كانت تنظر حولها ببعض الاندهاش، خطر في بالها أمر. التفتت، وطرحت على مارجوري السؤال.

"عندما اختفت ليلي، هل أخذت طفليها معها؟ إن فعلت، فلا عجب أن ذلك قد حطم قلب ألكسندر". لا بد أن ذلك المسكين لم يفقد زوجته الجميلة الشابة فقط بل ابنه وابنته اللذين عاشا هنا، وفوق كل ذلك، أمواله. إن خسارة الكثير والاستغناء عن كل هذا كافٍ لتحطيم أي شخص، وخاصة الرجل.

قالت مارجوري مستغرقة بالتفكير، بينما كانت تتساءل هي أيضاً عن الشيء نفسه: "لا أعتقد أنها أخذت الطفلين معها، القصة التي قرأتها عنهما، وعن المنزل، لم تقل شيئاً عن ذلك. تقول بأنها 'اختفت'. لم يراودني الانطباع باختفائهما معها".

"ماذا حصل معهما، ومعه باعتقادك؟"

"الله يعلم. من الواضح أنه توفي وهو شاب بعض الشيء، بسبب الحزن، كما أوضحوا. لا يوجد هناك شيء عن عائلته. وأعتقد أن عائلته قد انقرضت. ليس هناك عائلة مأشهرة في سان فرانسيسكو بهذا الاسم. ربما عادوا إلى جذورهم في فرنسا".

قالت سارة، وقد بدت حزينة: "أو ربما ماتوا جميعهم".

بعد أن غادرتا غرف الأطفال، قادت سارة مارجوري إلى السلالم الخلفية وإلى العلية التي كانت تعرفها جيداً من زياراتها العديدة إلى ستانلي. وقفت في المدخل وعيناها للأسفل، بينما تفحصت مارجوري الغرف من دونها. لم ترغب برؤية الغرفة التي عاش فيها ستانلي. علمت سارة أن ذلك

سيجعلها حزينة جداً. كل ما يهمّ بالنسبة لها منه موجود في قلبها ورأسها. ليست بحاجة لرؤية غرفته، أو السرير الذي مات عليه، ولن ترغب بذلك مجدداً. الأشياء التي أحبتها فيه، أخذتها معها. أما ما تبقى فليس بالمهم. ذكرها ذلك بكتاب سانت إكسوبري **الأمير الصغير**، والذي لطالما أحبته. اقتباسها المفضل منه هو التالي: "الأشياء الجوهرية في الحياة لا تراها الأعين، القلب وحده هو الذي يراها". كانت تشعر بمثل ذلك تجاه ستانلي. سيظل في قلبها للأبد. لقد كان هدية عظيمة في حياتها خلال سنوات الصداقة الثلاث. لن تنساه أبداً.

تبعتها مارجوري نزولاً على السُلم إلى الطابق الثالث من جديد، وأخبرتها أن هناك اثنتي عشرة غرفة صغيرة للخدم في طابق العلية. قالت إنها لو هدمت الجدران بينها، فبإمكان المالك الجديد الحصول على العديد من غرف النوم ذات الحجم الجيد، كما أن هناك ستة حمامات، ولكنّ السقف أكثر علواً عما هو عليه في الطوابق الثلاثة الرئيسية في الأسفل.

سألت مارجوري بلطف، "هل تمانعين إن أعدنا الجولة في المنزل، ودونت بعض الملاحظات والمخططات؟" أصيبتا بحالة من الخشية مما شاهدتاه. لقد أربكهما ذلك تماماً. فلم تكن أي منهما قد شاهدت شيئاً بمثل هذا الجمال من قبل، وبتلك التفاصيل الفاتنة والبراعة في العمل إلاّ في المتاحف. فالحرفيون الذين عملوا على بناء هذا المنزل قد جاؤوا جميعاً من أوروبا. كانت مارجوري قد قرأت ذلك في القصة. "سأرسل شخصاً للقيام ببعض الخطط المكتبية، والتقاط الصور بالطبع، إن أردت أن أبيعه. ولكنني أرغب برسم بعض المخططات السريعة لأذكر نفسي بشكل الغرف وعدد النوافذ".

"تفضلي". كانت سارة قد خصَّصت الصباح بكامله لتقضيه معها. مضى على وجودهما هنا ساعتان بحلول ذلك الوقت، ولم تكن لديها أي مواعيد في المكتب حتى الثالثة والنصف. كما أنها تأثرت بمقدار الجدية

والاحترام من قبل مارجوري. علمت سارة أنها قد أحسنت اختيار المرأة المناسبة لبيع منزل ستانلي.

أخرجت مارجوري لوح مخطط صغيراً في جناح السيد، وعملت عليه بسرعة، وهي تمشي برشاقة وتدوّن بعض الملاحظات لنفسها، بينما أخذت سارة تنظر في الحمامات من جديد، وتتجوّل عبر غرف الملابس، تفتح تلك الأعداد الوافرة من الخزائن. ليس لاعتقادها أنها ستجد شيئاً هنا، ولكن من الممتع تخيّل الأثواب التي كانت معلقة هناك وقت إقامة ليلي. لا بد أنها كانت تمتلك جبلاً من المجوهرات، وأعداداً لا تصدق من أثواب الفرو، بل أيضاً تاجاً مرصعاً بالجواهر. لقد تمّ بيعها جميعاً، من دون شك، منذ نحو قرن. عند التفكير بذلك، وبالمأساة التي حلت بهم، من الناحية المادية ومن النواحي الأخرى، شعرت سارة بالحزن. طوال السنين التي زارت بها ستانلي في المنزل، لم تُفكّر على الإطلاق بالمالكين القدامى. لم يقل ستانلي عنهم شيئاً على الإطلاق، وبدا أنه غير مهتم بهم أبداً. حتى أنه لم يذكر اسمهم أمامها من قبل. بدا فجأة أن الاسم دو بومون بالغ الأهميّة بالنسبة لها. فمن خلال القليل من المعلومات التي أطلعتها مارجوري عليها، امتلأت مخيلتها بالناس الذين كانوا هنا، وحتى طفلاهما. بل إن الاسم بحدّ ذاته قد أنعش ذاكرتها. لا بد أنها قد سمعت عنهم شيئاً من قبل. لقد كانوا عائلة مهمة في تاريخ المدينة يوماً ما. علمت أنها قد سمعت ذلك الاسم من قبل، على الرغم من أنها لم تعد تذكر أين، أو بأي سياق. ربما في إحدى الرحلات الميدانية التي اشتركت بها وهي طفلة في المدرسة، تزور المتحف.

وبينما كانت تفتح الخزانة الأخيرة، والتي كانت فيها رائحة عفنة ولكنها ما تزال مفعمة برائحة خشب الأرز، أدركت أنها المكان الذي كانت ليلي تبقي فيه أثواب الفرو، ربما فرو القاقم والسمور. وبينما كانت سارة تنظر إلى التجويف الأكثر ظلمة في الخزانة، وكأنها تتوقع رؤية أحدهم

هناك، جذب أنظارها شيء على أرض الخزانة. استخدمت الضوء الذي أعطتها إياه مارجوري ووجدت أنها صورة. جثمت على ركبتيها، ومدّت يدها لتمسكها. كانت مغطاة بالغبار وهشة جداً. إنها صورة لامرأة فاتنة، وشابة تنزل على الدرج الرئيسي بثوب المساء. وهي تنظر إليها، فكّرت سارة أنها أكثر النساء جمالاً ممن شاهدتهن طوال حياتها. كانت طويلة وشبيهة بالتمثال لجمالها الكلاسيكي، مع جسد رشيق لامرأة شابة فاتنة. كان شعرها مصففاً بتسريحة مناسبة لذلك الوقت، بكعكة للشعر في الخلف مع خصل مموجة تحيط بوجهها. وتماماً كما توقّعت سارة، كانت ترتدي عقداً ماسياً ضخماً وتاجاً. بدت وكأنها ترقص وهي تنزل على الدرج، تبرز إحدى قدميها بخف فضي. بدت وكأنها تضحك، كما امتلكت عينين ضخمتين ثاقبتين لم تشاهد سارة مثلهما في حياتها قط. كانت الصورة مثيرة للحزن. فقد علمت على الفور أنها ليلي.

"وجدتِ شيئاً؟" سألت مارجوري وهي تسرع للأمام مع شريط القياس ودفتر الملاحظات. لم تكن ترغب بأن تأخذ الكثير من وقت سارة، وتحاول القيام بكل شيء تحتاجه بسرعة. توقفت لإلقاء نظرة على الصورة للحظة. "من هذه؟ هل مدون عليها أي شيء في الخلف؟"

لم تكن سارة قد فكّرت حتى بالنظر هناك، ثم قلبتها. هناك، بحبر متلاشٍ ولكنه قابل للقراءة، وبخط تخريمي قديم، كُتب: "عزيزي ألكسندر، سأبقى أحبك للأبد، حبيبتك ليلي". تفجرت الدموع في عيني سارة وهي تقرأ. شعرت أن الكلمات تخترق قلبها مباشرة، وكأنها تعرفها، وتشعر بألم زوجها عندما غادرت. أثارت قصتهما قلب سارة.

قالت مارجوري، وهي تكمل طريقها، عائدة إلى غرفة السيد: "احتفظي بها، لن يفتقدها الورثة. من الواضح أنه قُدّر لك أن تجديها". لم تناقشها سارة، ونظرت إلى الصورة مرات ومرات، معجبة بها، بينما كانت تنتظر أن تفرغ مارجوري من عملها. لم تكن سارة ترغب بوضعها في

حقيبتها، لخوفها أن تتمزق. فبمعرفتها ما حصل لهم، أصبح للصورة وللكتابة خلفها معنى وتأثير أكثر من قبل. هل نسيت ليلي الصورة في الخزانة عندما رحلت؟ هل شاهدها ألكسندر؟ هل أوقعها أحدهم عندما جُرِّد المنزل وتمّ بيعه لستانلي؟ الشيء الأكثر غرابة هو أنه قد راود سارة شعور مسيطر بأنها قد شاهدت الصورة في مكان ما من قبل، ولكنها لم تتذكر أين شاهدتها. ربما في كتاب أو مجلة، أو ربما تخيّلتها. ولكنها كانت مألوفة جداً. إنها لم تشاهد تلك المرأة في الصورة وحسب، بل علمت أنها قد رأتها في الحقيقة في مكان ما. تمنّت لو بإمكانها التذكر، ولكنها لم تفعل.

شقت المرأتان طريقهما من طابق لآخر، بينما كانت مارجوري تقوم بتدوين الملاحظات والمخططات. بعد ساعة، عادتا إلى الباب الأمامي، مع ضوء خفيف يمتد من الصالون الكبير في الطابق الرئيسي باتجاه المدخل. لم يعد هناك شعور كئيب أو مسحة غموض فيه. لقد كان مجرد منزل فائق الجمال، كُره، وهجر منذ وقت طويل. من أجل الشخص المناسب، مع الأموال الكافية لإعادته إلى الحياة، واستخدام معقول له، سيكون مشروعاً استثنائياً أن تتمّ إعادة الحياة إلى هذا المنزل، وإرجاعه إلى مكانه اللائق به كقطعة هامة من تاريخ المدينة.

مشتا خارجتين إلى أشعة شمس تشرين الثاني/نوفمبر. أقفلت سارة الباب بعناية. وقامتا بجولة سريعة في القبو، وشاهدتا المطبخ القديم هناك، الذي كان بمثابة تذكار من قرن آخر، وغرفة طعام الخدم الضخمة، بالإضافة إلى المرجل، ومخزن الشراب، وخزانة اللحم، وغرفة الثلج، وغرفة لتنسيق الزهور حيث كانت كل المعدات بداخلها.

قالت مارجوري لسارة وهما تنظران إلى بعضهما عند الأدراج الأمامية: "واو! لا أعلم ما أخبرك عن رأيي فيه. لم أرَ شيئاً مثله في حياتي من قبل، إلاّ في أوروبا، أو نيوبورت. حتى منازل فاندربيلتس ليست بمثل جماله. آمل أن نجد الشاري المناسب له. يجب أن تتمّ إعادة الحياة إليه

ومعاملته على أنه مشروع إحياء. أتمنّى لو يحوله أحدهم إلى متحف، ولكن يمكن أن يكون أكثر جمالاً أيضاً إن سكنه من يحبه". كانت مصدومة لاكتشافها أن ستانلي عاش في الأعلى طوال حياته، في العلية، وأدركت أنه لا بد أنه كان شخصاً غريب الأطوار على نحو استثنائي. كانت سارة قد قالت للتو بهدوء إنه كان شخصاً متواضعاً وبسيطاً جداً. لم تتجرأ مارجوري على إضافة المزيد من التعليقات، عندما رأت أن تلك المحامية الشابة مولعة جداً بموكلها القديم، وتتحدّث عنه بإعجاب.

سألت سارة، "هل ترغبين بالتحدث عنه الآن؟" كانت فترة الظهر قد حلّت، ولم تكن راغبة بالعودة إلى المكتب بعد. أرادت أن تسهب بالحديث عما رأته في المنزل.

"أرغب بذلك. مع أنني أحتاج لأن أفكّر فيه. ما رأيك بكوب من القهوة؟" أومأت سارة، وتبعتها مارجوري في سيارتها إلى ستاربكس. شغلتا طاولة هادئة في الزاوية، واشترتا الكابوتشينو، ثم أخذت مارجوري تلقي نظرة على ملاحظاتها. لم يكن المنزل بحدّ ذاته رائعاً وحسب، بل يشغل قطعة ضخمة، في موقع مميز، مع حديقة خلابة، على الرغم من أنه لم يزرع شيء فيها منذ سنوات. ولكن من جديد، بأيدي الشخص المناسب، يمكن للمنزل والحديقة أن يتحولا إلى شيء من الأحلام.

"كم يساوي المنزل برأيك؟ بشكل غير رسمي طبعاً، لن ألزمك بذلك؟" علمت أنه يتوجب على مارجوري إجراء بعض الحسابات والقياسات الرسمية. فتلك كانت مجرد رحلة استكشاف، لكل منهما. ولكن شعرت كل منهما، وكأنها شاركت في أروع رحلة استكشافية في حياتها.

قالت المرأة الأكبر سناً بصدق: "يا الله، سارة، لا أعلم، أي منزل تنظرين إليه، سواء أكان كبيراً أو صغيراً، لا يساوي إلاّ ما يمكن للشخص أن يدفع فيه. إنه علم مشوش بأفضل أحواله. وكلما كان المنزل أكبر واستثنائياً أكثر، فإنه من الصعب التوقع. ابتسمت عندها، وأخذت رشفة من

الكابوتشينو. لقد كانت تحتاج إليها. لقد كان صباحاً لا يصدق بالنسبة لهما. كانت سارة متلهفة لإخبار فيل عنه. "ليس هناك شيء يشبهه". تابعت مارجوري كلامها مبتسمة. "كيف يمكنك تقييم منزل كهذا؟ ليس هناك شيء مثله حتماً، باستثناء ربما صالة فريك في نيويورك. ولكن هذه ليست نيويورك، إنها سان فرانسيسكو. معظم الأشخاص هنا يخافون حتى الموت من منازل بهذا الحجم. كما أن إعادة تجديده وتأثيثه ستكلف حتماً ثروة، كما أن إدارته تتطلب جيشاً من الموظفين. لم يعد أحد يقطن منازل مثله على الإطلاق. كما أنه يقع في منطقة لا يصلح أن يحوّل فيها إلى فندق أو نزل صغير. كما أن أحداً لن يشتريه ليحوّله إلى مدرسة. كما أن القنصليات تغلق مقراتها، وتستأجر الشقق لطاقمها. هذا المنزل يحتاج إلى مشترٍ خاص جداً. فأي رقم نضعه كثمن له هو مجرد رقم اعتباطي. دائماً يتحدث البائعون والسماسرة عن مشترين غرباء، كشخصية عربية هامة، أو ربما شخص صيني من هونغ كونغ أو ربما روسياً. في الحقيقة، من المرجح أن يشتريه شخص محلي. ربما شخص من عالم التكنولوجيا في سيليكون فالي، ولكن يتوجّب عليهم الرغبة في منزل كهذا وفهم سبب الحصول على مثله وما الذي سيفعلونه به... لا أعلم... خمسة ملايين؟ عشرة؟ عشرون؟ ولكن إن لم يتواجد أحد يرغب به، فسيكون الورثة محظوظين بالحصول على ثلاثة ملايين أو حتى مليونين. ربما سيكسد لسنوات قبل أن يباع، إنه أمر يستحيل توقعه. كم هم متلهفون لبيعه؟ ربما يرغبون بوضع سعر زهيد لبيعه بسرعة، والتخلص منه كما هو. آمل فقط أن يشتريه الشخص المناسب. لقد أحببته". قالت بصدق. عندها، أومأت سارة، فكذلك شعرت هي.

"أنا أيضاً". كانت قد تركت صورة ليلي على المقعد الأمامي لسيارتها خشية من أن يصيبها شيء. بدا أن شيئاً ما في تلك المرأة قد سحرها. "سأستاء إن رأيت الورثة يقللون من قيمته لقاء القليل من الأموال. يستحق

هذا المنزل المعاملة المحترمة. ولكنني لم ألتقِ بأحد منهم بعد. اتصل واحد منهم فقط، وهو يعيش في سانت لويس، في ميسوري. هو مدير مصرف هناك، ولن يرغب بمنزل هنا". مما تعرفه سارة، لن يرغب به أحد منهم. فكل الورثة يعيشون في أماكن أخرى، وبما أنهم لا يعرفون ستانلي، فهم لا يكنون أية مشاعر عاطفية لمنزله. حتى هو نفسه لم تكن لديه أية عاطفة تجاه المنزل. بل على النقيض... بالنسبة لهم، كما كان بالنسبة له، كل شيء يتعلق بالمال. ولا أحد بالتأكيد يرغب بتجديد منزل في سان فرانسيسكو، فلا جدوى من ذلك برأيهم. كانت واثقة من أنهم سيرغبون ببيع المنزل بسرعة على حاله.

اقترحت مارجوري، "يمكننا تنظيفه وطليه نوعاً ما، ربما يتوجب علينا أيضاً تلميع الثريات، وإزالة الألواح التي تمّ وضعها على النوافذ، والتخلص من الستائر الممزقة، وتشميع الأرضيات، وتزييت الأقفال. ولكن هذا لن يعيد تشغيل الكهرباء أو التمديدات الصحية. لا بد من أن يقوم أحدهم ببناء مطبخ جديد، ربما في حجرات حفظ الطعام في الطابق الرئيسي. كما أنه بحاجة إلى مصعد جديد. هناك بعض العمل الحقيقي الذي يجب القيام به، وذلك يكلف أموالاً. لا أعلم كم يرغبون بالاستثمار فيه لبيعه. ربما لا يرغبون بشيء. آمل أن تأتي تقارير التربة بخير".

شرحت سارة، "لقد بُدل السطح العام الماضي، لقد تمّ فعل ذلك على الأقل". وأومأت مارجوري مسرورة.

قالت مارجوري بمنطقية: "لم أرَ دليلاً على التسريب، وهذا شيء غريب".

"هل بإمكانك تخمين السعر؟ سعر لبيعه كما هو، وآخر في حال نُظف قليلاً. وربما سعر آخر يمكن للمرء الحصول عليه في حال تمّ تجديده".

وعدتها مارجوري، "سأعمل ما بوسعي، ولكن يجب أن أكون صادقة معك. أنتِ في موقف غامض. يمكن أن يتمّ بيعه بعشرين مليوناً، كما يمكن

أن ينخفض سعره إلى مليونين. كل ذلك يعتمد على الشخص الذي سيحصل عليه، وعلى مدى السرعة التي يرغب الورثة ببيعه فيها. إن رغبوا بالتخلص منه سريعاً، فربما يحالفهم الحظ ببيعه بمليونين. بل يمكن أن يباع بسعر أقل. كما أن معظم المشترين يخشون من منزل كهذا، ومن المشاكل التي تواجههم حال بدئهم بالمشروع. بدا المظهر الخارجي جيداً برأيي، وهذه أخبار جيدة، على الرغم من أنه بحاجة لاستبدال بعض النوافذ. وإزالة بعض العفن، وهذا شائع بعض الشيء، حتى في منزل جديد. توجّب عليّ استبدال عشر نوافذ في منزلي العام الماضي". بدا المظهر الخارجي الحجري صلباً وبحالة جيدة. ويمكن الوصول إلى مرآب السيارات في القبو، على الرغم من أن المدخل قد تمّ بناؤه ليناسب سيارات أضيق في العشرينيات، وسيتوجب العمل على تجديده. لم يكن هناك أي شك في عقليهما من أنه سيتوجب إنجاز الكثير من العمل هناك. "سأحاول الحصول لك على بعض الإجابات، وبعض الأرقام التقريبية بحلول نهاية الأسبوع. هناك مهندس معماري أرغب بالاتصال به، للحصول على بعض المعلومات. فهو وشريكته متخصصان بالتجديد. إنه يقوم بأعمال رائعة، على الرغم من أنه لم يتعامل مع أي شيء مثله مسبقاً. ولكنني أعلم أنه قام ببعض الأعمال في رابطة متحف أونور، ويمكن مقارنته مع ذلك على الأقل. كما أنه درس في أوروبا. شريكته امرأة بارعة جداً أيضاً. أعتقد أنك ستعجبين بهما. هل بإمكاننا القيام بجولة عبر المنزل في حال لم يكونا منشغلين جداً؟"

"متى أردت. لديّ المفاتيح. وسأضع نفسي في خدمتك. أنا حقاً أرغب بالمساعدة في هذا، مارجوري". شعرت كل منهما وكأنهما في انعطافة من الزمن طوال فترة الصباح، وقد عادتا إلى عصرهما الآن. لقد كانت تجربة لا يمكن نسيانها.

تركت المرأتان بعضهما خارج ستاربكس، واتجهت سارة إلى مكتبها. كانت الساعة الواحدة تقريباً. اتصلت بفيل من هاتف سيارتها وهي

في طريقها في وسط المدينة لا تزال تشعر بالانبهار، وتنظر إلى صورة ليلي على المقعد بجانبها. أجاب فيل على هاتفه الخلوي. كان في استراحة غداء من جلسة الاستماع وفي مزاج عكر. لم تكن الأمور بصالح موكله. فقد قدموا دليلاً مفاجئاً ضده لم يكن قد أخبر فيل عنه مسبقاً. كان قد خسر دعوتي تحرش جنسي في تكساس مسبقاً، قبل انتقاله إلى سان فرانسيسكو. وهذا ما جعل موكل فيل يبدو سيئاً جداً.

قالت سارة متعاطفة: "أشعر بالأسى لذلك". بدا متوتراً جداً ومستعداً لقتل موكله. أسبوع آخر من تلك الأسابيع. قالت له، وهي لا تزال تشعر بالإثارة، والذهول من كل ما شاهدتاه: "لقد حظيت بصباح لا يصدق". مهما يقرّر الورثة فعله بالمنزل، فقد كانت سارة ممتنة لأنها رأته أولاً.

"آه؟ ماذا كنت تفعلين؟" تخترعين قوانين ضرائب جديدة؟" بدا ساخراً وسلبياً. كانت تكرهه عندما يكون على هذا الحال.

"لا. ذهبت إلى منزل ستانلي بيرلمان مع السمسارة. إنه أجمل مكان شاهدته في حياتي. يشبه المتحف، لا بل إنه أفضل".

قال لها، وقد بدا منزعجاً وقلقاً: "عظيم. أخبريني عنه فيما بعد، سأتصل بك الليلة بعد أنتهي من النادي". أغلق الهاتف قبل أن تودعه، أو تخبره أي شيء عن المنزل أو عن صورة ليلي، أو عن تاريخ المنزل الذي عرفته من مارجوري. لم يكن ذلك من اهتمامات فيل على كل حال. كان مهتماً بالرياضة والعمل. أما المنازل التاريخية فلا تثير اهتمامه على الإطلاق.

ركنت سارة سيارتها في مرآب المكتب، وبحذر شديد وضعت الصورة في حقيبتها، تخشى عليها من التلف، أو من تجعد الحواف. وبعد عشر دقائق، وبينما كانت تجلس في مكتبها، أخرجتها، وحدقت بها من جديد. علمت أنها شاهدت هذه الصورة من قبل، وتمنّت أن تكون ليلي قد وجدت ما تبحث عنه بعد اختفائها، أو نجت مما كانت تتجنّبه، ومهما حصل

لهـــا، أن تكون الحياة لطيفة مع طفليها. سندت سارة الصورة علىٰ مكتبها، تتـساءل مـــا إذا كان يجب عليها عرضها على الورثة. الوجه اللمواجه لها علـــى المكتب لا يمكن نسيانه، فهو مليء بالشباب والحيوية. وجه ليلي – كتحذيــرات ســتانلي لها على مرّ السنين – ذَكَّر سارة بأن الحياة قصيرة وثمينة، وبأن الحب والمرح يمضيان بسرعة.

الفصل السادس

بحلـــول يـــوم الخمـــيس، كان جميع ورثة ستانلي قد اتصلوا بسارة باســتثناء اثنين. وهما ابنا العم الأكبر سناً في نيويورك، حيث يقطنان في دور للـــرعاية. لـــذا قـــرّرت أخيـــراً الاتصال بهما بنفسها. أحدهما تحت الوصـــاية ويعاني من حالة شديدة من ألزهايمر. لذا أُحيلت سارة إلى ابنة ذلـــك الـــرجل. شرحت لها عن قراءة وصية ستانلي، والإرث الذي تركه لـــوالدها. قالت لها بأنه من المفترض أن تبقى الأموال تحت الوصاية تبعاً لقوانـــين الوصية في نيويورك، وستنتقل إليها وإلى جميع أقاربها حال وفاة والدها. بكت المرأة، وكانت ممتنة جداً. قالت إنهم يواجهون مشاكل في دفع كلفـــة دار الـــرعاية. كان والدها في الثانية والتسعين من العمر، ومن غير المحتمل له أن يعمّر أكثر. لقد جاءت الأموال التي تركها ستانلي في الوقت المناســـب للجمـــيع. قالت إنها لم تسمع من قبل بستانلي، أو بوجود قريب لـــوالدها فـــي كاليفورنيا. وعدتها سارة أن ترسل لها نسخة عن تقسيمات الوصـــية، بعـــد قـــراءتها رسمياً، بافتراض أنه تمّ ذلك. كان الرجل الذي تحـــدثت معه الأسبوع الماضي، والذي اتصل من سانت لويس، قد أكد لها أنـــه ســـيأتي إلى سان فرانسيسكو، على الرغم من أنه هو الآخر لم يسمع بستانلي من قبل. بدا محرجاً قليلاً لذلك، وبالنظر إلى منصبه كمدير للبنك، راود سارة شعور بأنه ليس بحاجة للأموال.

أمـــا الـــوريث الثانـــي الذي لم يكن قد أجابها فقال إنه في الخامسة والتـــسعين من العمر، ولم يجبها لأنه اعتقد أن أحدهم كان يمزح معه. إنه

يتذكر ستانلي جيداً وقال إنهما كانا يكرهان بعضهما في الصغر. ثم ضحك بصوتٍ عالٍ. بدا كالممثل، ثم قال إنه مندهش لأن ستانلي يمتلك أية أموال. قـال إنه في آخر مرة رآه فيها أو سمع عنه شيئاً، كان ولداً مجنوناً، متجهاً إلـى كاليفورنـيا. أخبر سارة بأنه اعتقد أنه قد مات حينها. وعدته بإرسال نسخة عن الوصية، أيضاً. علمت أنه سيتوجب عليها الاتصال به من جديد لتسأله فيما إذا كان يرغب بالتخلص من المنـزل.

بحلول عصر يوم الخميس، تمّ تحديد موعد قراءة الوصية في صباح الاثنـين القـادم في مكتبها. سيأتي اثنا عشر شخصاً من الورثة. للأموال طـريقتها فـي جعـل الأشخاص راغبين بالسفر، حتى من أجل قريب لا يعـرفونه أو يتذكره أحد. بدا من الواضح أنه الخروف الأسود في عائلته، والذي تحول صوفه إلى أبيض ناصع كالثلج نتيجة للثروة التي تركها لهم. لـم تتمكّن من إخبار أحد بمقدار ضخامة الأموال، ولكنها أكدت بأنه مبلغ كبير، وسيتوجب عليهم الانتظار لسماع البقية صباح الاثنين.

آخر مكالمة لليوم كانت من مارجوري - السمسارة - التي سألت ما إن كانـت سـارة تمانع لقاء المهندسين المعماريين في المنـزل في اليوم التالـي، لأنهمـا سيسافران إلى البندقية في عطلة نهاية الأسبوع، لحضور مؤتمـر عـن هندسة التجديد. بالنسبة لسارة، كان التوقيت مثالياً. سيمنحها ذلـك معلومات إضافية تطلع الورثة عليها عند قراءة الوصية يوم الاثنين. وعـدت مارجوري بالإلتقاء بها وبالمهندسين ظهر يوم الجمعة عند الساعة الثالـثة. ستجعل ذلك آخر موعد لها في ذلك اليوم. ثم تعود إلى منـزلها، لتبدأ عطلتها. سيمنحها ذلك الوقت للاسترخاء والراحة قبل وصول فيل بعد عـدة ساعات، عائداً من صالة الألعاب الرياضية. تحدثت معه قليلاً طوال الأسبوع، فكلاهما كان مشغولاً. لقد كان مزاجه عكراً في كل مرة اتصلت فـيها. كما أن المحامي الخصم قد هزمه هو وموكله في جلسات الاستماع. تمـنّت أن يتحـسن مزاج فيل بالكامل بحلول مساء الجمعة، وإلاّ ستصبح

عطلـة نهايـة الأسبوع بغيضة. فهي تعلم كيف يكون حاله عندما يخسر. وهي على الأقل ترغب بقضاء عطلة نهاية أسبوع لطيفة برفقته، لكنها غير متفائلة الآن.

كانـت مارجوري والمهندسان الاثنان ينتظرون أمام المنـزل عندما وصـلت سـارة يوم الجمعة في الساعة الثالثة تماماً. قالت مارجوري أنهم جاؤوا باكراً، وطلبت منها ألاّ تقلق بشأن ذلك. كان الرجل طويلاً، ووسيماً، وشعره أسود كشعر سارة، مع بعض الشعر الرمادي عند الصدغين. امتلك عينـين بنّيتـي اللون، وكان يبتسم عندما قدّم نفسه. كانت مصافحته ثابتة وسـلوكه مُطمئـناً. ارتـدى بنطالاً باللون البني الضارب إلى الأصفر مع قميص وربطة عنق وسترة فضفاضة. بدا وكأنه في العقد الرابع من عمره. لم يكن هناك شيء مثير فيه. فلم يكن وسيماً إلى حدٍّ مفرط، بدا وكأنه مثير للاهتمام، ويتمتع بكفاءة عالية، وحسن المعشر. أحبت ابتسامته، التي أنارت وجهـه، وحـسنت مـن مظهره. كان يتمتع بشخصية جميلة، يمكن للمرء اكتـشافها فيه على الفور، وفهمت على الفور سبب حب مارجوري للعمل معـه. فحتـى بعد تبادل القليل من الكلمات، يمكن للمرء معرفة أنه يمتلك روحاً مرحة ولا يأخذ نفسه على محمل الجد. وكان اسمه جيف باركر.

أما شريكته، فكانت على نقيضه تماماً في كل شيء. كان طويلاً على نحو ملحوظ، على الأقل بطول فيل، إن لم يكن أطول - كما لاحظت سارة - بيـنما كانت هي قصيرة. شعره داكن وخفيف، أما شعرها فأحمر اللون فاقـع، وعيـناها خضراوان، وبشرتها بيضاء مع قليل من النمش المتناثر. كـان مبتـسماً عـندما اقتـربت سارة منهم، أما هي فكانت عابسة. بدت منـزعجة، وصـعبة المعاشرة، وغاضبة. ارتدت سترة كشميرية باللون الأخـضر الفـاتح، وبنطال جينـز أزرق، وانتعلت حذاءً بكعبٍ عالٍ. بدا متواضـعاً بمظهره، أما هي فمبهرجة وأنيقة على نحو مثير ومرتجل. بدا أميركياً تقليدياً بسترته وبنطاله، وأدركت سارة في اللحظة التي تحدثت فيها

المرأة معها أنها فرنسية؛ ولقد أوحى شكلها بذلك أيضاً. كان هنالك تصميم خاص وأسلوب أنيق في الطريقة التي شكلت فيها مظهرها. كما بدا أيضاً بأنها تنشر جوّاً من التوتر حولها، وبدت وكأنها منزعجة لوجودها هنا. اسمها ماري لويز فورنير، وعلى الرغم من أن لهجتها واضحة، كانت لغتها الإنكليزية طلقة خالية من الأخطاء. لقد جعلت ماري سارة تشعر بالاستياء على الفور، وبدت أنها في عجلة من أمرها. أما جيف فكان هادئاً، مهتماً بالمنزل، وبدا وكأن اليوم بكامله أمامه ليقضيه هناك. نظرت ماري لويز إلى ساعتها عدة مرات عندما كانت سارة تفتح قفل المنزل، وقالت شيئاً لجيف بالفرنسية. ومما كان يجيبها به باللغة الإنكليزية بصوت خافت بدا أنه يطمئنها، ولكنها بقيت غاضبة لوجودها هناك.

تساءلت سارة ما إن كان سبب ذلك معرفتها أنه من غير المرجح أن يُطلب منهما إنجاز أي عمل هناك. إنهما هناك للاستشارة وحسب. كانت مارجوري قد أخبرتهما أن احتمال بيع المنزل الكبير جداً وهو على وضعه الحالي. وهذا ما عنى لماري لويز أنهما يضيعان وقتهما في ذلك الاجتماع. أما جيف فأراد المجيء رغم ذلك. سحره كل شيء أخبرته إياه مارجوري عن المنزل. كان يعشق مثل هذه المنازل القديمة بشغف. أما ماري لويز فلم تكن تحب إضاعة الوقت. بالنسبة لها، وقتها يعني المال. شرح جيف لسارة أنه قد مضى على شراكتهما، الخاصة والمهنية، أربع عشرة سنة. التقى بها في كلية الفنون في باريس أثناء دراسته هناك، وقضيا وقتهما سوياً منذ ذلك الحين. شرح مبتسماً أن ماري لويز رهينة مجبرة على المكوث في سان فرانسيسكو، وتعود إلى فرنسا لثلاثة أشهر كل عام. قال، على نحو مازح نوعاً ما، بأنها تكره العيش في الولايات، ولكنها بقيت هنا لأجله. أومضت عيناها وهو يقول ذلك، ولكنها لم تعلق بشيء. بدت وكأنها في عمر سارة، وتتمتع بجسد يتجاوز حدّ التصديق. فقد

بدا كل شيء فيها مغيظاً ومعادياً على نحو مفرط. ولكنها، بالرغم من ذلك، كانت لطيفة عندما تصدرتهما سارة إلى المنزل، وقادتهما هي ومارجوري في جولة إلى كل شيء شاهدتاه واكتشفتاه مسبقاً في ذلك الأسبوع. وقف جيف عند أسفل الدرج الرئيسي مصاباً بالروعة، يُحدق بالسقف المقنطر على بعد ثلاثة طوابق وبالثريا المدهشة. حتى ماري لويز شعرت بالروعة من ذلك، وقالت شيئاً لشريكها بصوت أجش.

تجولوا في المنزل لساعتين، يتفحصون كل شيء بإتقان، بينما يدون جيف ملاحظاته الكثيرة على مجموعة أوراق صفراء، وتدلي ماري لويز بتعليقاتها الموجزة. كرهت سارة أن تعترف لنفسها أنها لم تحبها. بدت الشريكة الأنثى في الفريق كوخز مؤلم في رقبتها. وحتى دون معرفة الكثير عنها، بدت كالعاهرة. كما أن مارجوري لم تحبها هي أيضاً، واعترفت بذلك لسارة همساً عند وصولهم إلى جناح السيد، ولكنها قالت إن ماري وجيف معاً ينجزان عملاً رائعاً، ويشكلان فريقاً متميزاً. إلاّ أن ماري لويز مجرد إنسانة صعبة المعشر، ولا تبدو كشخص سعيد على الإطلاق. تمكّنت سارة من معرفة أنها ليست كذلك. أما جيف فكان أكثر من مجرد تعويض عنها، بشخصيته الدافئة المريحة، وتعليقاته الكثيرة. قال إن الخشب المنحوت قيّم على نحو استثنائي، وربما يعود للقرن الثامن عشر، وقد أخذ من أحد القصور في فرنسا، وهذا ما أثار تعليقاً من ماري لويز، بالإنكليزية هذه المرة.

"من المدهش كيف جرد الأميركيون بلدنا من كنوزه التي لم يكن من الواجب تركها تخرج منه. لن ينجوا بفعلتهم إن فعلوا ذلك هذه الأيام". نظرت إلى سارة وكأنها هي المسؤولة شخصياً عن هذه الصورة الزائفة في الثقافة الفرنسية. كل ما تمكّنت سارة من فعله هو الإيماء والظهور بأنها متفقة معها. لم يكن هناك شيء آخر تقوله. وكان هذا ينطبق أيضاً على الأرضيات، التي كانت على نحو واضح أكثر قدماً من المنزل الموجود

في شارع سكوت، وبدا أنه من الممكن الافتراض أنها قد أزيلت من قصر في فرنسا، وأرسلت إلى الولايات. قال جيف إنه يأمل بألاّ يحاول الورثة تجريد المنزل من الأرضيات الخشبية والخشب المنحوت بهدف بيعها على نحو منفصل، بل يأمل أن تبقى هنا، وهذا ما كانت تأمل به سارة أيضاً. يبدو أمر تفكيك المنزل الآن جريمة بنظرها، بعد أن بقي على حاله طيلة هذه المدة.

جلسوا على الدرج الرئيسي في نهاية جولتهم، وأعطى جيف سارة التقييم غير الرسمي. برأيه يكلف إدراج المنزل في عالم الحداثة، من أشغال كهربائية وما إلى ذلك، بالإضافة إلى تمديدات صحية نحاسية، المالكَ الجديد مليون دولار. وفي حال رغبوا بالقيام بذلك على نحو أسرع وأرخص ولكن ضمن الحالة نفسها، فسيكلفهم ذلك نصف المبلغ، ولكن ذلك يشكل تحدياً كبيراً. لم يكن العفن الجاف في النوافذ والأبواب الفرنسية يقلقه كثيراً، وقال إن ذلك متوقع. بل كان يشعر بالاستغراب لأن ذلك لم يكن أسوأ. لم يكن يعلم ما يوجد أسفل الأرضيات أو خلف الجدران بالطبع، ولكنه قام هو وماري لويز بتجديد منازل أكثر قدماً من هذا في أوروبا. استغرق ذلك عملاً ضخماً، ولكنه بالتأكيد ليس بالمستحيل. وأضاف أنه يحب المنازل التي تحمل هذا النوع من التحدي. لم تُعلق ماري لويز، أو تنطق بكلمة.

قال جيف إنّ وضع مطبخ في الداخل ليس بالمهمة الصعبة، ووافق سارة ومارجوري على موقع المطبخ الجديد في الطابق الرئيسي. اعتقد بأن القبو بكامله يجب أن تتمّ إزالته وتحويله إلى مكان للتخزين. كما يمكن إعطاء المصعد تجديدات عصرية، والمحافظة على مظهره الأصلي. أما ما تبقى فيعتقد أنه يجب إبقاؤه على حاله. يجب إحضار حرفيين لتجديد الخشب، ومعالجته، وتشميعه. أما الخشب المنحوت فيجب التعامل معه بعناية كبيرة وإتقان. وكل شيء آخر يحتاج إلى الدهان، أو الورنيش، أو

التلميع. والثريات رائعة ومن الممكن جعلها تعمل من جديد. هناك الكثير من التفاصيل التي يجب أن يتمّ التعامل معها والتركيز عليها. يمكن تركيب أضواء مخفية. وكل هذا يعتمد على مقدار العمل والأموال التي يرغب المالك الجديد بوضعها فيه. أما المظهر الخارجي فهو في حال جيدة، وقد تمّ بناء المنزل على نحو جيد. يحتاج إلى نظام تدفئة حديث. هناك مدى واسع من الأمور التي يمكن للمالك الجديد القيام بها، بالاعتماد على مقدار المال الذي يريد إنفاقه، ومدى حرصه على التفاخر. أعجب شخصياً بالحمامات كما هي تماماً. اعتقد أنها جميلة، ومكملة للمنزل، كما وصفها. يمكن تزويدها بتمديدات صحية حديثة، دون التدخل بمظهرها الحالي.

"أساساً، يمكنهم إنفاق مقدار المال الذي يرغبون به هنا. يمكن لمبلغ مليون دولار أن يحقق نتائج ملحوظة هنا ويعيد كل شيء إلى حيث ترغبين به. وإن كان الشخص أكثر حرصاً، فبإمكانه إنفاق نصف المبلغ تقريباً، أي في حال كان المالك الجديد غريب الأطوار مثلي ويحب أن ينجز الكثير من العمل بنفسه. إن رغبوا بإنفاق مليونين، فبإمكانهم ذلك، أو حتى ثلاثة ملايين، ولكن هذا ليس ضرورياً. إن ذلك تخمين صعب، وبإمكاني تحديد بعض الأرقام لك، لعرضها على الشاري الجاد. بمبلغ مليون دولار، بإمكانهم تجديد المنزل وإعادته إلى الحالة التي كان عليها فيما مضى. كما ربما يمكنهم القيام بذلك بنصف المبلغ"، كرر كلامه، "وإن شغلوا أنفسهم أكثر، لإبقاء المصاريف منخفضة. فيستغرق ذلك منهم وقت أطول، ولكن لا يجب الإسراع بمشروع كهذا على كل حال. يجب القيام به على نحو صحيح، بعناية كبيرة، وإلاّ فإن التفاصيل المهمة للمنزل قد تصاب بالضرر أو تتحطم، ولا أحد يرغب بهذا. أنصح بوجود طاقم صغير للعمل هنا لستة أشهر وحتى سنة، مع مالكين معجبين به يعلمون ما الذي يفعلونه ويعتبرونه مشروعاً، برفقة مهندس معماري صادق لا يستغلهم. وإن

أحضروا المهندس الخطأ، فإن ذلك سيكلفهم خمسة ملايين دولار ولكن لا يجب أن يحدث ذلك. قمت أنا وماري لويز بتجديد قصرين في فرنسا العام الماضي. أنجزنا كليهما بتكاليف لم تتجاوز ثلاثمئة ألف، وكلا المنزلين كان أكبر وأقدم من هذا. من السهل إيجاد الحرفيين هنا، ولكن لدينا مصادرنا الجيدة في منطقة باي". وهو يقول ذلك، سلم بطاقتهما لسارة. "يمكنك إعطاء الشاري المستقبلي أسماءنا. سنكون سعداء للالتقاء به للاستشارة، سواء رغب باستخدامنا لإنجاز العمل أم لا. أعشق مثل هذه المنازل القديمة. وسأحب حقاً رؤية شخص مهتم بما يكفي لتجديده والقيام بالعمل الصحيح. سأشعر بالسعادة للمساعدة بما يمكنني. كما أن ماري لويز عبقرية في التفاصيل. إنها محترفة. وكلانا معاً ننجز العمل على نحو جيد". أخيراً، ابتسمت ماري لويز له وهو يقول ذلك. أدركت سارة عندها أنها ربما ألطف مما تبدو عليه. كانا ثنائياً مثيراً للاهتمام. بدت ماري لويز عبقرية وتتمتع بالقدرة الكافية، إلاّ أنها لا تتمتع بالشخصية الدافئة. بدت سريعة الغضب وفرنسية بكل ما للكلمة من معنى. أما جيف فيتمتع بشخصية دافئة، ومريحة، وودودة وقد شعرت سارة بالارتياح معه. العمل مع ماري لويز سيشكل تحدياً كبيراً.

قالت سارة وهم يمشون ببطء عبر الطابق الرئيسي، في طريقهم للخارج: "أخبرتني مارجوري أنك ستغادر وزوجتك إلى االبندقية غداً". وكانوا قد أمضوا هناك أكثر من ساعتين، بحيث تجاوزت الساعة الخامسة.

"نعم، نحن كذلك". ابتسم بلطف لسارة. أحب تفانيها في العمل، واحترامها الكبير الواضح لمنزل موكلها الراحل.

أرادت سارة الاطلاع على كافة المعلومات التي يمكنها الحصول عليها من أجل الورثة، وأن تكون واقعية بشأنها، على الرغم من أنها تشك في رغبتهم بإنجاز العمل. من المؤكد أنهم سيحصلون على سعر أفضل إن أجروا عليه بعض التعديلات الحديثة، ولكنها علمت أيضاً أنهم ربما لا

يرغبون بالقلق بشأن ذلك. كل ما يمكنها فعله هو عرض المعلومات عليهم. وكل ما سيفعلونه به يعود لهم. ليس لديها أي قرار هنا. ستصدر كافة الأوامر منهم.

شرح جيف لها، "سنكون في إيطاليا لأسبوعين، يمكنك الاتصال بهاتفنا الخلوي الأوروبي إن احتجت لنا. سأعطيك رقمنا. سنكون في مؤتمر في البندقية لأسبوع، ثم نقضي بضعة أيام في بورتوفينو للاسترخاء. كما أننا سنقضي آخر أيامنا القليلة هناك مع عائلة ماري لويز في فرنسا. وبالمناسبة"، قال دون رسمية، "نحنا لسنا متزوجين. إننا شريكان بكل معنى الكلمة". ابتسم لماري لويز وهو يقول ذلك، وبدت فجأة لعوبة وجذابة جداً. "لكن شريكتي هنا لا تؤمن بالزواج. تعتقد أنها مؤسسة متزمتة، وتفسد العلاقة الجيدة. لا بد من أنها محقة، لأننا معاً منذ وقت طويل". تبادلا الابتسامات.

قالت ماري لويز بإيجاز: "أطول مما توقعت، اعتقدت أنها مجرد علاقة للصيف، ثم سحبني إلى هنا، عكس إرادتي. إنني سجينة في هذه المدينة". لقد سمع ذلك لسنوات. لم يبدُ أنه يكترث لذلك. بدا أنهما يحبان العمل سوياً، على الرغم من اعتقاد سارة بأنه يتمتع بشخصية أكثر سهولة مع الزبائن منها. لقد كانت عدائية على نحو لا يصدق، لدرجة أصبحت فيها وقحة.

"لقد مضى عليها وقت وهي تحاول إقناعي بالانتقال إلى باريس؛ منذ وصولها إلى هنا. ولكنني ترعرعت هنا وأحب كاليفورنيا. إن باريس مدينة كبيرة جداً عليّ، وكذلك نيويورك. إنني صبي كاليفورنيا، ولن تعترف ماري لويز بذلك على الإطلاق، ولكنها تحب المكان هنا في الكثير من الأوقات. لا سيما في الشتاء، عندما يكون الجو بارداً جداً وكئيباً في باريس".

أسرعت في الرد، "لا تكن واثقاً جداً! في أحد الأيام القادمة، سأفاجئك، وأعود إلى باريس". بدا أشبه بالتهديد منه بالتحذير برأي سارة. ولكن جيف لم يكترث لحدة كلماتها.

قال بفخر: "لدينا منزل رائع في بوتريرو هيل، والذي قمت بتجديده بنفسي، قبل أن يصبح من القوانين المعاصرة الانتقال إلى هناك. ظل منزلنا هو المنزل الأنيق الوحيد في الشارع لسنوات. أما الآن فقد 'غُمر'، فهناك الكثير من المنازل الجميلة حولنا. لقد قمت بكامل العمل بنفسي، بيدي. إنني أعشق ذلك المنزل".

قالت ماري لويز بتكلف: "إنه ليس بجمال ذلك المنزل في باريس، منزلنا هناك في منطقة سيفينث. قمت بتجديده بنفسي. أبقى هناك كل صيف، بينما يُصرّ جيف على التجمد في الضباب هنا. أكره فصول الصيف في سان فرانسيسكو". إنها باردة ومليئة بالضباب على نحو معترف به. لم تكن بالتأكيد قد صاغت أي التزام للعيش في سان فرانسيسكو، وجعلت الأمر يبدو وكأنها ما زالت تخطط للعودة. لم يبدُ أن جيف قلق حيال ذلك. يعلم ربما أن هذه مجرد تهديدات عقيمة. على الرغم من اعتقاد سارة أنه من المثير للاهتمام أنهما لا يزالان غير متزوجين بعد قضاء أربع عشرة سنة سوياً. بدت ماري لويز مستقلة على نحو مفرط. ولكن بطريقته هو، كذلك كان جيف. كانت تتذمر كثيراً، ولكنها لا تثير قلقه.

شكرتهما سارة على الاستشارة وعلى تقييمه الصادق لما قد يكلف تجديد المنزل موكليها. كان هناك مدى واسع لذلك، بالاعتماد على ما يرغب به المالك الجديد، وعلى المدة التي يرغب فيها الحصول عليه، وعلى مقدار العمل المستعد للقيام به بنفسه. كل ما يمكنها فعله هو نقل تلك المعلومات إلى الورثة.

تمنّت لهما رحلة جميلة إلى البندقية، وبورتوفيلو، وباريس وبعد بضع دقائق انطلقت ماري لويز وجيف في سيارة بيجو قديمة قالت ماري لويز إنها أحضرتها من فرنسا. قالت وهما يصعدان فيها إنها لا تثق بالسيارات الأميركية. "أو بأي شيء آخر!" أضاف جيف، وضحك الجميع.

علّقت سارة لمارجوري، وهما تمشيان عائدتين إلى سيارتيهما، "إنها تحفة فنية، أليس كذلك؟"

"إنه من الصعب العمل معها، ولكنها جيدة بما تفعله. لديها ذوق رائع والكثير من العصرية. تعامله بطريقة سيئة، ويبدو أنه يحب ذلك. هذا هو الحال دائماً، أليس كذلك؟ دائماً تحصل العاهرات على الرجال الرائعين". ضحكت سارة على هذا التعليق. كرهت أن تعترف بذلك لنفسها، ولكنه يبدو صحيحاً في كثير من الأوقات. قالت مارجوري بإعجاب: "إنه رجل جميل الجسد، أليس كذلك؟" فابتسمت سارة.

"لا أعلم إن كنت أعتبره كذلك". لقد كان فيل جميل الجسد، بعينيها. أما جيف فليس كذلك. ولكنه بدا رجلاً لطيفاً. "ولكنه رجل لطيف جداً، ويبدو أنه يتقن عمله جيداً". بدا واضحاً أنه شغوف بالمنازل القديمة، ويحب عمله.

"كلاهما كذلك... يُكملان بعضهما. الحلو والحامض. يبدو أن ذلك يجدي نفعاً. في المنزل وفي المكتب. على الرغم من اعتقادي أنهما واجها أياماً يسيرة وأخرى عسيرة. بين كل حين وآخر تضيق بها الحياة ذرعاً، فتعود إلى فرنسا. تركته لعام كامل مرة، بينما كان يعمل في مشروع كبير أحلته إليه. ولكنها دائماً تعود، ويعيدها عندما تفعل. أعتقد أنه مجنون بها، وتعلم أنها تمتلك ذلك الشيء الجيد. إنه صلب كالصخر. من السيئ جداً أنهما لم يتزوجا بعد. سيكونان رائعين مع الأطفال، على الرغم من أن الأمومة ليست من صفاتها بنظري".

قالت سارة وهي تفكر بفيل: "ربما سيفعلان يوماً ما". سيحل موعد يوم عطلتهما بعد ساعات قليلة. فهذا الجزء من الأسبوع هو مكافأتها على كامل العمل الشاق الذي تبذله في شركة المحاماة.

قالت مارجوري على نحو فلسفي: "من يعلم ما الذي يجعل علاقات الأشخاص تنجح". ثم تمنّت الحظ السعيد لسارة مع ورثة ستانلي يوم الاثنين.

"سأعلمك بقرارهم، بعد اللقاء". كان من الواضح أنهم سيبيعون المنزل. السؤال الوحيد هو بأي شكل، بتجديده أم لا، ولأي درجة. كانت سارة تتشوق لأن تشرف على المشروع، ولكنها علمت أنه ليس هناك أي فرصة لذلك. ليس من المحتمل أن ينفقوا مليون دولار لتجديد منزل ستانلي أو حتى نصف ذلك المبلغ، ثم الانتظار ستة أشهر أو سنة لبيعه. كانت واثقة بأنه في يوم الاثنين ستخبر مارجوري بأن تعرضه في السوق على حاله.

ودّعتها سارة، وقادت سيارتها إلى شقتها، للتجهز لفيل. غيّرت الملاءات، ورتبت السرير، ثم انهارت على الأريكة مع كومة من العمل الذي أحضرته إلى المنزل من المكتب. كانت الساعة السابعة عندما رنّ الهاتف. كان ذلك فيل، يتصل من النادي. بدا منزعجاً.

سألته، "هل هناك من خطب؟" بدا مريضاً.

"نعم. لقد سويت القضية اليوم. لا يمكنني وصف حالتي المزرية لك. لقد هزمنا المحامي الخصم. فقد أوقع بموكلي اللعين وبنطاله للأسفل عدة مرات. لم تكن هناك أية فرصة".

"أنا متأسفة لذلك، حبيبي". علمت كم يكره الاستسلام. لا بد أنها كانت قضية رديئة جداً لقيامه بذلك. عادة، يقاتل حتى النهاية. "متى ستأتي؟" كانت تتطلع لرؤيته. لقد كان أسبوعاً رائعاً بالنسبة لها، وخاصة عند التعامل مع منزل ستانلي. لم يتسنَّ الوقت لها حتى الآن لتخبره الكثير عنه. لقد كان مشغولاً جداً بجلسات الاستماع. تحدثا قليلاً مع بعضهما طوال الأسبوع. وكلما فعلا، كان منشغلاً جداً ولا يتمكّن من التحدث.

قال لها بصراحة: "لن آتي الليلة". فصدمت سارة. من النادر أن يلغي ليلة العطلة بالكامل، إلاّ إذا كان مريضاً.

"لن تأتي؟" كانت تشعر بالإثارة لرؤيته، كما هو حالها دائماً.

"لن أفعل. إنني في مزاج عكر، ولا أرغب برؤية أحد. سأكون بحال أفضل غداً". شعرت بخيبة الأمل على الفور عندما قال لها ذلك، وتمنّت لو يبذل جهداً للمجيء على أية حال. ربما سيجعله ذلك بحال أفضل.

"لم لا تأتي إلى هنا بعد النادي وتستريح؟ يمكننا طلب الطعام، وسأدلكك". بدت مفعمة بالأمل، وحاولت إقناعه.

"لا، شكراً. سأتصل بكِ غداً. سأبقى هنا لبضع ساعات. ربما ألعب السكواش، وأحرر بذلك غضبي. سأكون شريكاً بشعاً الليلة".

بدا كذلك، ولكنها كانت غاضبة لعدم رؤيته على كل حال. لقد رأته وهو في مزاج عكر مسبقاً، ولم يكن من الممتع المكوث معه. ولكن حتى في مزاجه العكر، سيكون من الألطف أن يأتي إلى هنا، بدلاً من عدم رؤيته على الإطلاق. فالعلاقات ليست لرؤية الآخر في الأيام الجيدة فقط. توقعت أن تشاركه أيامه السيئة، أيضاً. ولكنه صمّم على البقاء في منزله تلك الليلة. حاولت إقناعه، ولكنه رفض طلبها. "انسي الأمر، سارة. سأتصل بك صباحاً. تمتعي بليلة جيدة". نادراً ما فعل ذلك طيلة السنوات الأربع. ولكن عندما يكون فيل غاضباً، يتوقف العالم بأكمله، لأجله هو.

لم يكن هناك شيء يمكنها فعله حيال ذلك. جلست على الأريكة لوقت طويل، تُحدّق في الفراغ. فكّرت بالمهندس الذي التقت به اليوم، وشريكته الفرنسية الصعبة. تذكرت مارجوري وهي تقول إن المرأة الفرنسية قد تركت جيف عدة مرات وعادت إلى باريس، ولكنها كانت دائماً تعود. وكذلك فيل. علمت أنها ستراه في الصباح، أو في وقت ما يوم السبت، عندما يشعر بأنه بحال جيدة للاتصال بها. ولكن ذلك كان عزاءً صغيراً لأمسية يوم الجمعة الوحيدة. حتى أنه لم يتصل بها عندما عاد إلى المنزل. ظلّت مستيقظة حتى منتصف الليل، تعمل، وتأمل أن تسمع

صوته. ولكنه لم يفعل. عندما يكون فيل غاضباً من أي شيء، ليس هناك متسع لأحد غيره في حياته. العالم بأسره يدور حول فيل. على الأقل، هو من يظن ذلك. وفي هذه الأثناء، هو محق.

الفصل السابع

لم تسمع سارة عن فيل شيئاً حتى الساعة الرابعة من يوم السبت. اتصل بها على هاتفها الخلوي عندما كانت تنجز مهامها، وأخبرها أنه لا يزال بمزاج عكر، ولكنه وعدها أن يصطحبها لتناول العشاء في الخارج كتعويض لها. وصل عند الساعة السادسة مرتدياً معطفاً رياضياً وكنزة صوفية، وكان قد حجز للعشاء في مطعم جديد سمعت عنه هي من أسابيع تقريباً. انتهى الأمر بأمسية رائعة حقاً، عوضت عن الوقت الذي فاتهما سوياً. كما بقي لفترة أطول من الوقت المعتاد يوم الأحد، وأخيراً، غادر منزلها عندما حلت أولى بشائر المساء. كان دائماً يعوض لها تخييب أملها بطريقة ما، وهذا ما جعل من الصعب استمرارها غاضبة منه. هذا هو الأمر الذي بسببه لم تتمكن من هجره على الإطلاق، حتى الآن. كان يُقربها وينفرها منه.

أخبرته عن زيارتها إلى منزل ستانلي، أثناء العشاء في المطعم الجديد، ولكن كان من لواضح أنه غير مهتم بذلك. قال إن ذلك يبدو أشبه بمقلب نفايات قديم في نظره. لا يمكنه تخيّل أحد يرغب بالقيام بكل ذلك العمل. غيّر الموضوع قبل أن تتمكّن من إخباره عن لقائها مع المهندسين المعماريين. ذلك ليس من اهتمامه وحسب. كان مهتماً أكثر بالحديث عن القضية الجديدة التي يعمل عليها. قضية تحرش جنسي أخرى، ولكنّ صاحبها هذه المرة أنظف بكثير من ذلك الذي تعامل معه طوال الأسبوع. كانت في الحقيقة قضية مثيرة من الناحية القانونية، وناقشتها سارة معه

لوقت طويل عصر الأحد. شاهدا فيلم فيديو في شقتها، وأقاما علاقة جنسية قبل مغادرته. لقد كانت عطلة الأسبوع قصيرة ولكنها حلوة. كانت تلك موهبته التي لا تصدق في إنقاذ الأمور، وتهدئتها والحفاظ عليها، تماماً كما فعل طوال السنوات الأربع. ذلك فنّ بحدّ ذاته.

كانت بمزاج جيد عند ذهابها إلى العمل يوم الاثنين، وشعرت بالإثارة للقاء ورثة ستانلي. لم يتمكّن خمسة منهم من ترك أعمالهم وحياتهم في المدن الأخرى. سيأتي اثنا عشر شخصاً، أما ابنا العم اللذان يسكنان في نيويورك فهما كبار في السن ومصابان بأمراض تمنعهما من الحضور. كانت قد طلبت من السكرتيرة تجهيز غرفة المؤتمرات لهم، مع القهوة والفطائر الدانمركية. علمت أن بانتظارهم مفاجأة كبيرة. كان البعض منهم ينتظر مسبقاً في الرواق عندما وصلت مكتبها. وضعت حقيبتها، وخرجت للالتقاء بهم. أول من رأت هو مدير البنك من سانت لويس. كان رجلاً متميز المظهر في أوائل العقد السادس من عمره. أخبرها من قبل بأن زوجته متوفاة، ولديه أربعة أولاد كبار، وفهمت من المحادثة أن أحدهم من ذوي الاحتياجات الخاصة. بالرغم من امتلاكه للأموال، ربما يعود إرث ستانلي ببعض الفائدة عليه.

كانت الساعة العاشرة تقريباً عندما وصل أخيراً آخر شخص من الورثة. كان هناك ثمانية رجال وأربع نساء. يعرف العديد منهم بعضهم البعض، أكثر بكثير مما يعرفون ستانلي، الذي كان بالنسبة للبعض منهم مجرد اسم. لم يكن آخرون قد سمعوا به أو علموا بوجوده حتى. اثنتان من النساء وثلاثة من الرجال كانوا إخوة. يقطنون في جميع أنحاء البلاد من فلوريدا إلى نيويورك إلى شيكاغو وحتى سانت لويس وتكساس. ارتدى الرجل القادم من تكساس قبعة رعاة البقر وانتعل حذاءً طويلاً ملائماً على نحو جيد. كان يشغل منصب كبير العاملين في مزرعة ماشية كان قد عمل فيها طيلة ثلاثين سنة، ويعيش في عربة مقطورة

ولديه ستة أولاد. توفيت زوجته في الربيع السابق. كان الأقارب يستمتعون بالتحدث مع بعضهم، عندما شقت سارة طريقها عبر المجموعة. ستعرض عليهم رؤية منزل ستانلي في فترة العصر. اعتقدت أنه يتوجب عليهم رؤيته قبل تقرير ما الذي سيفعلونه به، على أقل تقدير، أو كيف يرغبون بالتخلص منه. كانت قد استطلعت الخيارات لهم، ووضّحتها بعناية على صفحة واحدة، مع التثمين الذي قدرته مارجوري، والذي كان أشبه بتخمين، حيث لا يوجد ما يقارن معه، حتى من بعيد، من المنازل التي بيعت منذ سنوات، أو التي لم تعد موجودة، وبالنظر إلى الحالة التي هو عليها والتي تؤثر على السعر الذي سيطلبونه. لم تكن هناك طريقة صحيحة لتقييم ما الذي سيجلبه لهم. أرادت سارة الاهتمام بقراءة الوصية أولاً.

جلس مدير البنك القادم من سانت لويس، توم هاريسون، بجانبها على طاولة المؤتمرات. شعرت وكأنه يحافظ على انضباط الاجتماع تقريباً. كان يرتدي بذلة زرقاء داكنة، وقميصاً أبيض، وربطة عنق بلون بحري محافظ، وكان لشعره الأبيض تسريحة مرتبة خالية من أي خطأ. وعندما كانت سارة تنظر إليه، لم تتمكّن من منع نفسها من التفكير بوالدتها. كان في سن مناسبة لها، وبشخصية تتعالى عن كل من خرجت معه والدتها منذ سنوات. إنهما يشكلان ثنائياً رائعاً، فكّرت سارة بذلك مبتسمة، وهي تجول بناظريها حول الطاولة بين الورثة. جلست النساء الأربع بجانب بعضهن على الجهة اليمنى منها، توم هاريسون على يسارها، ومن تبقى منهم انتشر حول الطاولة. جلس راعي البقر، جاك واترمان، عند مقدمة الطاولة. كان صائماً عن الفطائر الدانماركية، فيما كان على وشك إنهاء كوب القهوة الثالث.

بدا الانتباه على الجميع، عندما طلبت سارة بدء الاجتماع. كانت الوثائق موضوعة في ملف أمامها، برفقة رسالة مختومة كان ستانلي قد

أعطاها لواحدة من شركائها قبل ستة أشهر، وكان قد كتبها بنفسه. لم يكن لدى سارة أية معلومات سابقة عنها، وعندما أعطتها إياها شريكتها ذلك الصباح، قالت شريكة سارة إن ستانلي أمرها ألاّ تفتحها حتى موعد قراءة الوصية. كان ستانلي قد أخبر مساعدة سارة أنها رسالة إضافية للورثة، ولكنها لا تغير أو تشكل خطراً، بأية طريقة، على ما وضعه هو وسارة مسبقاً. لقد أدمن على إضافة سطر للمصادقة ولتأكيد وصيته السابقة، وأكدت شريكة سارة أنها مرتبة على نحو جيد. وتعبيراً عن الاحترام لستانلي، تركت سارة الرسالة مختومة ذلك الصباح، بناء على طلبه، وقرّرت أن تقرأها بعد الوصية.

كان الورثة ينظرون إليها بتوقعات واضحة. وشعرت بالسعادة لما أبدوه من احترام تمثّل بقدومهم شخصياً، بحيث لم يطلبوا منها أن ترسل المال وحسب. راودها شعور أنّ ستانلي كان سيستمتع بلقائهم جميعاً أو بلقاء معظمهم. علمت أنّ تلك المرأتين تعملان كسكرتيرات ولم تتزوجا من قبل على الإطلاق. أمّا الأخرتان فكانتا مطلقتين ولديهما أولاد بالغون. كان معظمهم قد أنجب الأولاد، البعض منهم أصغر من الآخر. توم هو الوحيد الذي بدا وكأنه ليس بحاجة للمال. أمّا الآخرون فقد بذلوا جهداً لترك أعمالهم، ودفع نفقة القدوم إلى سان فرانسيسكو. على وجه العموم، بدوا وكأن ذلك الإرث غير المتوقع الذي كانوا على وشك تلقيه سيغير حياتهم للأبد. فسارة تعلم أكثر من أي شخص حجم ذلك الإرث الذي سيذهلهم. كان من المثير لها مشاركة تلك اللحظة معهم. تمنّت فقط لو كان بإمكان ستانلي أن يكون هنا، وأملت أن تكون روحه هنا. نظرت حول الطاولة إلى وجوه الأشخاص الجالسين على طاولة المؤتمرات. ساد صمت كامل وهم ينتظرونها لكي تتحدث.

"أريد أن أشكركم جميعاً على مجيئكم. أعلم أنّ بعضكم بذل جهداً حقيقياً للمجيء إلى هنا. كما أعلم أنّ مجيئكم إلى هنا اليوم سيعني الكثير

لستانلي. كان رجلاً متميزاً، وشخصاً رائعاً. خلال سنوات عملنا معاً، حصل وأن أعجبت به واحترمته كثيراً. ولي الشرف بلقائي معكم، وبالعمل على أملاكه". عندها، أخذت رشفة من الماء وتنحنحت، ثم فتحت الملف أمامها، وأخرجت الوصية.

علّقت بسرعة على بعض الوثائق، تشرح لهم ما الذي تعنيه. معظمها كان يتعلق بالضرائب، وكيف كانت تحمي أملاكه. كان قد حفظ ما يكفي من الأموال لدفع الضرائب عندما يتمّ إثبات صحة الوصية. لن تتأثر الحصص التي تركها لهم، من ممتلكاته، بالضرائب التي تدين بها الممتلكات للحكومة الفيدرالية والولاية. بدوا مطمئنين. كان توم هاريسون يفهم أفضل من الآخرين ما الذي ستقرأه عليهم. ثم وصلت إلى قائمة الوصايا، التي كانت بتسع عشرة حصة متساوية.

قرأت الأسماء وفقاً للتسلسل الأبجدي، من ضمنهم أولئك غير الحاضرين. كانت لديها نسخة عن الوصية لكل منهم، ليتمكّنوا من دراستها فيما بعد، أو ليدرسها محاموهم الخاصون. كل شيء منظم. فقد كانت سارة شديدة التدقيق في تفاصيل عملها. قرأت قائمة الموجودات لهم، مع تقييم حالي حديث لما تستحقه، حيثما كان ممكناً. بعض الممتلكات كانت أكثر غموضاً، كتلك التي امتلكها منذ سنوات، مثل مراكز التسوق في الجنوب والغرب الأوسط، ولكن في تلك الحالات، وضعت لهم تقييمات حديثة مشابهة، لإعطائهم فكرة عما تساويه تلك الممتلكات. سيتمكّنون من الحفاظ على بعضها على نحو فردي، وفي حالات أخرى سيتوجب عليهم تقرير ما إذا كانوا يرغبون بالحفاظ عليها كمجموعة، أو بيع الممتلكات أو شراء حصص من بعضهم. شرحت كل حالة على نحو منفرد، وقالت بأنها ستكون سعيدة في تقديم النصح لهم، أو إجراء توصيات بالاعتماد على تجربتها في سنداته وممتلكاته. وكان البعض منها لا يزال يبدو غامضاً بالنسبة لهم.

كانت هناك أسهم، وصكوك تأمين، ومنشآت عقارية، ومراكز تسوق، ومبانٍ إدارية، ومجمعات سكنية، وآبار النفط التي أصبحت أهمّ ممتلكاته في السنوات الأخيرة، والتي ما تزال الأكثر قيمة للمستقبل، من وجهة نظرها، وخاصة في المناخ السياسي العالمي الحالي. كان هناك مقدار كبير من ممتلكاته سهل التسييل وقت وفاته. وبعدها يأتي المنزل، الذي قالت إنها ستشرح لهم عنه بتفاصيل أكثر بعد قراءة الوصية، ولديها عدة خيارات للتفكير في ما يتعلق بطريقة التخلص منه. تابعوا التحديق فيها بصمت، محاولين جعل عقولهم تحيط بالمفاهيم التي كانت تعرضها عليهم وبقائمة الممتلكات التي انتشرت في طول البلد وعرضه. كان ذلك كثيراً ليتمكّنوا من فهمه في آن واحد، ولم يكن أي منهم واثقاً تماماً مما يعنيه ذلك. كانت لغة أجنبيّة بالنسبة لهم تقريباً، باستثناء توم، الذي كان يُحدّق فيها بتركيز، غير قادر على تصديق ما يسمعه. فعلى الرغم من عدم معرفته بالتفاصيل، تمكّن من استنتاج مضامين ما تقوله، وكان يتابع ذلك في رأسه.

"سنحصل لكم على تقييم صحيح تماماً لكل الممتلكات في الأيام القادمة. ولكن بالاعتماد على ما لدينا مسبقاً، وعلى بعض التقييمات القريبة بعض الشيء، فإن ممتلكات قريبكم تُقيّم، بعد حذف الضرائب، التي تمّ التعامل معها على نحو منفصل، بما يتجاوز الأربعمئة مليون دولار. وبتقديرنا، سينال كل واحد منكم إرثاً يقارب العشرين مليون دولار، خاضع للزيادة أو النقصان. وهكذا، وبعد حساب الضرائب المتوجبة عليكم، يجب أن يصل المبلغ إلى ما يقارب العشرة ملايين دولار لكل شخص. ربما يكون هناك بعض الاختلاف، ببضع مئات الآلاف من الدولارات، بالاعتماد على قيم السوق الحالية. ولكن أعتقد أنه من الآمن الافتراض أن الإرث بعد الضريبة سيصل إلى عشرة ملايين دولار تقريباً لكل شخص". أسندت ظهرها للخلف وأخذت نفساً عميقاً وهم يُحدقون فيها بصمت تام، ومن ثم فجأة ضربت عاصفة في الغرفة، عندما تحدثوا بحيوية واندهاش. بكت

امرأتان منهم، وأخرج راعي البقر هتافاً كسر كل الحواجز، وجعلهم يضحكون جميعاً. راودهم شعور يماثل شعوره. من المستحيل التصديق. لقد عاش العديد منهم برواتب صغيرة طيلة حياتهم، أو الأسوأ، عملوا لتدبير قوت يومهم، تماماً كما كان ستانلي في البداية.

"بحق الله كيف تمكّن من جمع كل هذه الأموال؟" سأل أحد أحفاد إخوته، كان شرطياً في نيوجيرسي، وقد تقاعد لتوه. كان يحاول البدء بعمل صغير للأمن، ومثل ستانلي لم يتزوج على الإطلاق.

قالت سارة بهدوء، مبتسمة: "كان رجلاً ذكياً".

إنه لأمر رائع أن تشارك في اللحظة والحدث الذي سيغير حياة الكثيرين. كان توم هاريسون يبتسم. بدا بعضهم محرجاً، وخاصة أنّهم لم يسمعوا باسمه من قبل على الإطلاق. كان هذا بمثابة الفوز في اليانصيب، إلاّ أنه أفضل نوعاً ما، لأن شخصاً لم يعرفوه قد تذكرهم وأراد لهم الحصول على ذلك. على الرغم من عدم امتلاكه عائلة خاصة به، كان هؤلاء الأقرباء يعنون كل شيء لستانلي. حتى ولو لم يلتقِ بهم أبداً. فبعقله، هم الأولاد الذين لم يحصل عليهم. كانت تلك هي اللحظة الوحيدة، بعد موته، التي كان فيها كالأب المحب، والمحسن لهم. شعرت سارة بالفخر لكونها جزءاً مما يحصل، وتمنّت فقط لو كان بإمكانه المشاهدة.

كان راعي البقر يمسح عينيه، ثم مسح أنفه وقال إنه سيشتري المزرعة، أو ينشئ أخرى خاصة به. كان أولاده في المدارس الحكومية، وقال إنه سيرسلهم جميعاً للدراسة في هارفارد، باستثناء واحد منهم قال إنه في السجن. أخبر المجموعة المحتشدة بأنه سيعود للمنزل الآن ليوبخ ابنه، ثم يعين له محامياً لائقاً. كان قد أمسك به وهو يسرق الأحصنة، وهو مدمن على الكحول طيلة حياته. ربما يحظى بفرصة الآن. الكل سيحظى بفرصة جديدة في هذه الحياة، لقد منحهم إياها ستانلي. إنها هديته للجميع بعد وفاته، حتى لأولئك الذين لم يأتوا. اهتم بهم جميعاً على نحو متساوٍ.

كادت سارة تبكي. ربما سيكون ذلك أمراً غير جديد بمهنتها، ولكنها تجربة لا يمكن نسيانها، تشاطرهم إياها. كان ذلك هو الحدث الوحيد الأكثر إشراقاً ومعنى خلال السنوات الاثنتي عشرة التي عملت فيها بالمحاماة. والفضل يعود لستانلي.

"لديكم جميعاً الكثير لتفكروا فيه". شرحت سارة لهم، وأعادت الانضباط بينهم. "هناك أملاك يمكنكم الحصول عليها على نحو فردي. وأخرى تمتلكونها على نحو مشترك الآن. دونتها لكم على نحو مفصل، وأرغب بالحديث معكم اليوم عما ترغبون بفعله فيها. سيكون من الأبسط بالنسبة لكم إن بعتم الممتلكات المشتركة، حيث من الأسلم فعل ذلك، وتقسيم الحصص، بالاعتماد على ما ينصحكم به المستشارون الماليون. في بعض الحالات، ليس هذا هو الوقت المناسب لبيعها. ولكن إن كان هذا قراركم، فيجب عليكم الانتظار حتى الوقت المناسب للبيع، وأنا أنصحكم بذلك". علمت أكثر من أي منهم أن حل الخيوط سيستغرق أشهراً، وفي بعض الحالات سنوات. ولكنها شرحت لهم أيضاً بأن الحصة الفردية من الإرث هي في جوار السبعة أو الثمانية ملايين لكل واحد. وسيأتي الباقي بعد بيع الممتلكات المشتركة. لقد حاول ستانلي الحفاظ عليها نظيفة قدر الإمكان، دون إعاقة استثماراته. لم يرغب بإشعال حرب بين تسعة عشر شخصاً من أقاربه، سواء كان يعرفهم أو لا. كما قام بعمل ذكي، بمساعدة من سارة، في تقسيم الحصص، ليتمكّنوا من تنظيمها بسهولة.

"هناك أيضاً قضية المنزل الذي عاش فيه. ذهبت إليه مع السمسارة الأسبوع الماضي، لمحاولة الحصول على تقييم واقعي. إنه مكان رائع، وأعتقد أنه يتوجب عليكم رؤيته. لقد بني في العشرينيات، ولسوء الحظ، لم تتم إعادة تجديده، أو تحديثه منذ ذلك الحين. إنَّه أشبه بالمتحف. لقد عاش في جزء صغير من المنزل، في الحقيقة، في العلية. لم يشغل الجزء الرئيسي من المنزل أبداً. لم يلمسه أحد منذ العام 1930، عندما اشتراه.

جعلتُ مهندسي ديكور يعملان في التجديد، ويختصان في هذا النوع من المشاريع، يلقيان نظرة عليه يوم الجمعة، لمنحي تقييماً لما ستكلف إعادته إلى العالم الحديث وتحسين مظهره. هناك مجال واسع من الاحتمالات عما يكلف ذلك العمل. بإمكانكم إنفاق القليل بما يصل إلى خمسمائة ألف دولار لتنظيفه، وجعله قابلاً للعيش فيه، وإعادته إلى العالم الحديث، أو عشرة أضعاف ذلك المبلغ إن أردتم المبالغة فيه وجعله كمكان يقصده السياح. وهذا ينطبق على بيع المنزل. قالت السمسارة إن بإمكاننا الحصول على مبلغ يتراوح بين المليون إلى عشرين مليون كثمن له، بالاعتماد على من سيشتريه، وعلى أسعار سوق العقارات الحالي. وفي الوضع الحالي الذي هو عليه، لن تحصلوا على الكثير كثمن له، لأنه سيكون مشروعاً ضخماً لأي شخص يتعهد به، ولم يعد هناك العديد من الأشخاص الذين يرغبون بالعيش في منزل كبير مثله. إنه على مساحة تقارب الثلاثين ألف قدم مربع. لا أحد يرغب بتوظيف طاقم لإدارة المنزل هذه الأيام، أو حتى يتمكّن من إيجادهم. نصيحتي لكم هي بيع المنزل. ربما بعد تنظيفه، وإزالة الألواح، وتلميع الأرضيات، وربما طلاء الجدران، ولكن لا تعرضوه للبيع بالحالة التي هو عليها، كما أنصحكم بعدم إنجاز العمل الأكثر كلفة وهو الكهرباء، والتمديدات الصحية، والقيام بالأمور التي تجعل من المنزل يتماشى مع متطلبات العصر، لأن ذلك يمكن أن يكلف ثروة. إلاّ، من دون شك، إن كان أحدكم يرغب بشراء حصص الآخرين والانتقال إلى سان فرانسيسكو والعيش فيه. أعتقد أن بإمكاننا الذهاب لرؤيته عصر اليوم. ربما يساعدكم ذلك في اتخاذ القرار. إنه منزل جميل وقديم، وفضلاً عن ذلك، يستحق الزيارة".

قبل الانتهاء من كلامها، كان الجميع يهز رأسه موافقاً. لم يكن لأحدهم أية خطط للانتقال إلى سان فرانسيسكو، واتفقوا، وهم يتحدثون عنه، بأن مشروع التجديد لذلك الشيء الضخم هو آخر شيء يريدونه.

كانت جميع الأصوات حول الطاولة تقول: "نبيعه... نتخلص منه... نتحرر من عبئه... نضعه في السوق..". حتى القليل من الدهان والتنظيف الثانوي الذي اقترحته عليهم لم يكن ذي أهميّة. سماع ذلك جعلها حزينة. كان ذلك أشبه بالتخلص من حسناء كانت جميلة في السابق. لقد مضى زمانها، ولم يعد أحد يرغب بها. كان لا بد من استشارة الورثة الآخرين، بالطبع، ولكن بما أنهم لم يأتوا إلى سان فرانسيسكو لحضور الاجتماع، فمن غير المحتمل أن تكون مشاعرهم مختلفة.

"أترغبون بمشاهدته بعد ظهر اليوم؟" توم هاريسون وحده قال إن لديه الوقت لذلك، على الرغم من شعوره هو أيضاً أنه يتوجب عليهم بيعه. قال إن بإمكانه زيارته وهو في طريقه إلى المطار. أما الآخرون فأمامهم رحلات إلى مدنهم في وقت باكر من فترة العصر، وأخبروا سارة بالإجماع أن تعرض المنزل في السوق، وتبيعه على حاله. إن إرثهم من ستانلي كبير جداً ومثير جداً بالنسبة لهم، لدرجة أصبح فيها بيع المنزل وما الذي بدا أنهم سيحصلون عليه من جرّاء ذلك لا يشكل إلاّ اختلافاً ضئيلاً. حتى ولو حصلوا على مليونين ثمناً له، فسيمنحهم ذلك مئة ألف دولار إضافية. وبعد حذف الضرائب، سيصبح المبلغ أقل. بالنسبة لهم الآن، الأمر أشبه بالعلاوة الصغيرة. قبل ساعة من الآن، كان ليشكل كسباً رائعاً. أما الآن، فلا يعني لهم شيئاً. كان من المثير للدهشة كيف يمكن للحياة أن تتغير بلحظة واحدة غير متوقعة. ابتسمت وهي تجول بنظرها حول الطاولة. بدوا جميعاً أناساً طيبين، وراودها شعور أن ستانلي كان سيحبهم. أولئك الذين جاؤوا، بدوا رائعين، كانوا أشخاصاً طيبين، ممن كان سيستمتع بالقرابة منهم.

أعادت الانضباط بينهم من جديد، ولكن بصعوبة متزايدة. كانوا جميعاً متلهفين لمغادرة غرفة الاجتماعات، والاتصال بأزواجهم، وأقربائهم، وأولادهم. فقد كان هذا خبراً عظيماً للجميع، ويريدون إشراكهم به.

طمأنتهم أن الأموال ستبدأ بالتدفق في غضون الأشهر الستة القادمة، وربما في وقت أبكر إن تمكّنوا من الحصول عليها من خلال إثبات صحة الوصية، فالممتلكات سليمة على نحو تام.

"لديّ أمر آخر وحيد. من الواضح أن ستانلي، قريبكم، طلب مني قراءة رسالة لكم. علمت اليوم للتو أنه قد أعطاها لواحدة من الشركاء قبل ستة أشهر، وقيل لي إنها تحتوي على ملحق لوصيته، والتي لم أرها بعد. فقد أعطتها لي مساعدتي هذا الصباح. قيل لي إن ستانلي يريد مني قراءتها، بعد قراءة الوصية، الأمر الذي فعلناه الآن. استلمتها مختومة بنفسي، وليس لديّ أية فكرة عما تحتويه. أُكّد لي أنها لا تحتوي على شيء يغير من الوصية بأي شكل. من بعد إذنكم، سأقرأها الآن. يمكنني نسخها لكم بعد قراءتها. لقد بقيت مختومة، تبعاً لتعليماته، منذ استلمتها زميلتي". افترضت سارة بأنها نوع من الرسائل التأمليّة، أو إضافة بسيطة، إلى الورثة الذين يعرف بأنه لن يلتقي بهم أبداً. كان ذلك هو الجانب الحلو والعاطفي في شخصية ستانلي التي عرفتها سارة وأحبتها. فتحتها بسكين فتح الرسائل التي كانت قد أحضرتها إلى الاجتماع لهذا الغرض. حاولوا إصغاء السمع باحترام، على الرغم من امتلاء الغرفة بالاهتياج والإثارة المحسوسة تقريباً، بسبب كل ما سمعوه من قبل. تمكّنوا بصعوبة من الجلوس بهدوء، ومن يمكنه أن يلومهم على ذلك؟ كانت هي نفسها تشعر بالإثارة من أجلهم أيضاً. لقد كان أمراً مثيراً بالنسبة لها أن تعلن لهم فقط عن تلك الهدية. كانت لترغب هي أيضاً بالحصول على شيء تذكاري صغير عاطفي منه لنفسها، ولكن ليس هناك شيء تأخذه. كل ما امتلكه هو الكتب، والملابس التي تمّ منحها إلى الجمعية الخيرية. لم يكن يمتلك شيئاً وحيداً أو تذكاراً يستحق الاحتفاظ به. كل ما امتلكه هو ثروته الضخمة، ومنزله. وبمعنى حرفي، لم تكن لديه أية ممتلكات دنيوية على الإطلاق. الأموال فقط. وتسعة عشر قريباً غريباً يمنحهم إياها. إن ذلك تصريح

شامل لحياته، لما كانت عليه. ولكنه هام جداً بالنسبة لها، بمقدار أهميّته لهم الآن. في سنواته الأخيرة، كانت سارة، في الحقيقة، هي الشخص الوحيد الذي أحبه. وهي أحبته أيضاً.

تنحنحت ثانية، وبدأت تقرأ الرسالة. فوجئت من نفسها عندما لاحظت أنها تحمل الرسالة بيدين مرتجفتين. كان هناك شيء يتحرك في أعماقها عندما رأت خط يده المرتعش ممدداً على عرض الصفحات، وكما وعدها، كان هناك خط في الأسفل، ليمنح المصداقية إلى وصيته الحالية وتشهد عليها اثنتان من ممرضاته. كل شيء مرتب ومنظم. ولكنها علمت أن هذه هي آخر الكلمات التي ستقرأها من صديقها ستانلي، حتى ولو كانت رسمية وغير موجهة إليها. إنها لن ترى خط يده أو تسمع صوته ثانيةً. أحضر التفكير بذلك الدموع إلى عينيها، وهي تناضل للمحافظة على ثبات صوتها. فنوعاً ما، كان يعني الكثير لها، بصفته صديقاً وزبوناً، أكثر من أي شخص منهم.

"إلى أقربائي الأعزاء، وإلى صديقتي وموكلتي، سارة أندرسون، أفضل محامية في المجال، والشابة الجميلة الفاتنة"، بدأت القراءة، وشكل الدمع غمامةً في عينيها، فأخذت نفساً أعمق، ثم تابعت كلامها. "لكم أتمنّى لو كنت أعرفكم من قبل. لو رزقت بأولاد لي، وكبرت وأنا أعرفهم، وأعرف أولادهم، وأعرفكم. لقد قضيت حياتي، بكاملها، وأنا أجمع المال الذي تركته لكم. استخدموه على نحو جيد، افعلوا الأشياء الهامة بالنسبة لكم. اجعلوه يحدث اختلافاً في حياتكم. لا تجعلوا منه حياة لكم، كما كان بالنسبة لي. إنه مجرد مال. استمتعوا به، واجعلوا حياتكم أفضل من خلاله. شاطروه مع أولادكم. وإن كنتم لا تمتلكون أولاداً، فاعملوا على الحصول على البعض منهم، قريباً. فإنهم أفضل هدية ترزقون بها ما حييتم. هذه هديتي لكم. ربما حان الوقت لكم لتستمتعوا بحياة جديدة، أو بفرص جديدة، أو بعوالم جديدة أردتم اكتشافها، ويمكنكم ذلك الآن، قبل أن يفوت الأوان.

الهدية التي أردت تركها لكم مليئة بالخيارات والفرص، وبحياة أفضل لكم، ولأولئك المهمين لكم، وليس المال فقط. ففي النهاية، لا يعني المال شيئاً سوى المتعة التي يمنحكم إياها، والأشياء التي تفعلونها بواسطته، والحياة التي تتحسسونها، والاختلاف الذي يحققه للأشخاص الذين تحبونهم. في معظم حياتي، لم أكن أحب أحداً. كنت أعمل بجد وحسب وأجني الأرباح. الشخص الوحيد الذي أحببته في سنوات حياتي الأخيرة هو سارة. أتمنّى لو كانت ابنتي، أو حفيدتي. فإنها تمتلك كل شيء أحبه في طفلتي.

لا تشعروا بالأسى عليّ. كانت حياتي جيدة. كنتُ سعيداً. فعلت ما أريد فعله. من المثير جمع الثروة، وإحداث شيء من لا شيء. لقد جئت إلى كاليفورنيا في السادسة عشرة من عمري وأنا أملك مئة دولار في جيبي. لقد نَمَت كثيراً طيلة هذه السنوات، أليس كذلك؟ وهذا ما يظهر لنا ما يمكننا فعله بمئة دولار. لذا، لا تضيعوا المال. افعلوا شيئاً هاماً به. شيء يثير اهتمامكم. امنحوا أنفسكم حياة أفضل، تخلوا عن الوظائف التي تكرهونها، أو تلك التي تثير غيظكم. اتركوا أنفسكم تكبر واشعروا بالحرية من خلال تلك الهدية التي تركتها لكم. أمنياتي لكم هي السعادة، مهما كانت تعني لكم. بالنسبة لي، كانت السعادة تعني بناء الثروة. ولكن عند تأملي في الأحداث الماضية، أتمنّى لو كنت قد استغليت الوقت لبناء أسرة أيضاً، ولكنني لم أفعل. أنتم عائلتي، حتى دون معرفتكم بي، ومعرفتي بكم. لم أترك أموالي لجمعية الرفق بالحيوان، لأنني لم أكن أحب الكلاب والقطط كثيراً. لم أتركها للجمعيات الخيرية، لأنهم يحصلون على ما يكفي من أموال الأشخاص الآخرين. تركتها لكم. استخدموها... استمتعوا بها... لا تضيعوها، أو تخزنوها. ارتقوا بها، تمتعوا بسعادة أكثر وبحرية أكبر الآن لأنكم حظيتم بها. دعوها تساعدكم على تحقيق أحلامكم. هذه هي هديتي لكم. حققوا أحلامكم.

أريد أيضاً أن أعبِّر عن شكري لعزيزتي، وحبيبتي سارة، صديقتي ومحاميتي الشابة. كانت أشبه بحفيدة لي، عائلتي الوحيدة التي حظيت بها، منذ توفي والدي وأنا صبي صغير. إنني فخور بها، على الرغم من أنها تعمل بجهد كبير. لا تفعلي، سارة! آمل أن تكوني قد تعلمت الدرس مني. لقد تحدثنا عن ذلك كثيراً. أريدك أن تخرجي وتستمتعي بحياتك الآن. إنكِ تستحقين ذلك. لقد عملتِ حتى الآن أكثر مما فعل بعض الأشخاص طيلة حياتهم، باستثنائي طبعاً. ولكنني لا أريدك أن تكوني مثلي. أريدكِ أن تكوني أفضل. أريدك أن تكوني كما أنت، بأفضل حال أنت عليه. لم أقل ذلك لأحد منذ خمسين سنة، ولكني أريدك أن تعرفي أنني أحببتك، كابنتي، أو كحفيدتي. أنت العائلة التي لم أحظَ بها. وأنا أشعر بالامتنان لكل لحظة قضيتها معي، تعملين بجد دائماً، تساعدينني على حفظ أموالي من الضرائب، لكي أمنحها إلى أقاربي. الفضل يعود لك بأنهم حصلوا على المزيد من الأموال وأتمنّى أن تصبح حياتهم أفضل الآن بسبب علمك وعملي.

أريد منحك هدية. وأريد أن يعلم أقاربي سبب قيامي بذلك. لأنني أحبك، ولأنك تستحقينها. لا أحد يستحقها أكثر منك. لا أحد يستحق حياة جيدة أكثر منك، بل حياة عظيمة. أريدك أن تحظي بها، وإن اعترض أقاربي عليها، فسأعود من القبر وألقنهم درساً. أريدك أن تستمتعي بالهدية التي سأتركها لك، وأن تفعلي شيئاً رائعاً بها. لا تستثمريها. استخدميها لحياة أفضل. بعقلي المخبول، وبجسدي التالف تماماً، اللعنة، أمنحك بموجب هذه الوثيقة، سارة ماري أندرسون، مبلغاً وقدره سبعمائة وخمسون ألف دولار. ظننت أن مليون دولار سيثير توترك، وربما غضبهم، ونصف مليون لم يبدُ كافياً بالنسبة لي، لذا وسطت الأمر. الأهم من ذلك، عزيزتي سارة، أن تحظي بحياة سعيدة رائعة، وتعلمي أنني أراقبك، بالحب والشكر، دائماً. وإليكم جميعاً، أفضل أمنياتي وحبي، بالإضافة إلى المال الذي تركته

لكم. تمتعوا بصحة جيدة، امضوا قدماً، وأدعو أن تكون أيامكم سعيدة وذات شأن، ومليئة بمن تحبون.

أنا، في هذا التاريخ، أوقع ستانلي جاكوب بيرلمان". وقع الرسالة بخط يده المألوف جداً، والذي كانت سارة قد رأته على العديد من الوثائق قبل ذلك. إن هذا هو وداعه الأخير لها وللجميع. تدحرجت الدموع أسفل وجنتيها، وهي تضع الرسالة، وتنظر إلى الآخرين. تحدثت معهم بصوت أجش، ممتلئ بالعواطف. لم تكن قد توقعت على الإطلاق أن تستلم أي شيء منه، ولم تكن واثقة من أنه يجب عليها أن تفعل ذلك الآن. ولكنها كانت مدركة تماماً أن إرساله ملحق الوصية عبر واحدة من شركائها، وليس معها، يجعل الأمر قانونياً. لقد أنجز كل شيء تبعاً للقوانين.

"لم تكن لديّ أية فكرة عما تحتويه الرسالة. هل يعارض أحدكم ما جاء فيها؟" كانت جاهزة للتخلي عن ذلك الإرث. فإنهم أقاربه، أما هي فمحاميته وحسب، على الرغم من أنها أحبته بصدق، الأمر الذي لم يفعله أحدهم".

قالت النسوة سوياً: "بالطبع لا".

أضاف جاك، راعي البقر. "لا، بالتأكيد، سمعت ما قاله، قال بأنه إن فعلنا، فسيعود ويلقننا درساً. لست بحاجة إلى شبح يصعب عليّ حياتي. عشرة ملايين دولار بعد حذف الضريبة رائعة بالنسبة لي ولأولادي. بل ربما أشتري لنفسي زوجة شابة جذابة". ضحك الجميع على ما قاله، ثم أومأوا برؤوسهم موافقين في جميع أنحاء الغرفة. تحدث توم هاريسون وهو يربت على يدها. أعطتها إحدى النساء منديلاً لتمسح أنفها. كانت سارة متأثرة جداً، بل كادت تنشج بالبكاء. إن أفضل جزء هو قوله إنه أحبها. على الرغم من أنه كان يبلغ المئة سنة تقريباً من العمر في السنوات التي عرفته فيها، إلاّ أنه كان الوالد الذي لم تحظَ به، الرجل الذي احترمته طيلة حياتها، بل هو الرجل الوحيد في الحقيقة. لم يكن للرجال الطيبين نصيب وافر من حياتها.

قال توم هاريسون: "يبدو أنك تستحقين هذا الإرث أكثر مما نستحقه، سارة. من الواضح أنك جلبت له الكثير من الراحة والمرح، ووفرت لنا الأموال". بينما أومأ الجميع وابتسموا. أضاف توم، "أشعر بالأسى على خسارته". فجعلها بذلك تبكي أكثر.

قالت: "إنني حقاً مشتاقة إليه". وتمكّنوا جميعاً من الشعور بصدق كلماتها. تمنّى العديد منهم لو كان بإمكانهم معانقتها، ولكنهم لم يفعلوا. إنها المحامية، وهم لا يعرفونها، على الرغم من أن جميع عواطفهم متأججة. لقد أثر ستانلي في أعماق الجميع، وهز عالمهم الخاص من أساسه.

قالت إحدى النساء بلطف: "لقد جعلت أيامه الأخيرة أكثر سعادة، وهذا واضح من كل شيء قاله في الرسالة".

أضاف جاك، "نعم، لقد أصبحت من أصحاب الملايين الآن تقريباً". فضحكت سارة.

"ليس لديّ أية فكرة عما أفعله بالمال". كانت تحظى براتب جيد بصفتها شريكة، وتحصل على أرباح من الشركة، ولم تكن لديها أية احتياجات مالية كبيرة. لم يكن هناك شيء ترغب فيه بالحقيقة. ستقوم ببعض الاستثمارات الجيدة المربحة، على الرغم من استعطافات ستانلي لها بألاّ تفعل ذلك. لم تكن على وشك التخلي عن عملها والبدء بشراء معاطف الفرو والانطلاق برحلات التسلية، على الرغم من احتمال أنه كان سيحب ذلك. ولكن هذا ليس أسلوب سارة أن تدلل نفسها، حتى رغم أنه يمكنها ذلك الآن. لقد ادخرت الكثير مما تجنيه.

قالت الأصوات حول الطاولة: "ولا نحن أيضاً". وقال الرجل الجالس بالقرب من جاك بوقار: "يتوجب علينا جميعاً أن نبحث عما نفعله بالأموال. من الواضح أنه يريدنا أن نعيش حياة جيدة". كان يجلس بين راعي البقر من تكساس والشرطي من نيوجرسي. لم تكن قد ميزت جميع الوجوه مع أسمائها بعد. "وأنت أيضاً، سارة"، أضاف قائلاً، "سمعت ما قاله.

استخدميه... لا تدّخريه... حققي أحلامك". لم تكن لديها أية فكرة عما هي أحلامها. لم يتسنَّ لها الوقت لتسأل نفسها ذلك السؤال بعد.

اعترفت سارة، "أنا أميل لعدم الإسراف في الإنفاق". ثم نهضت، وابتسمت لهم. كانوا يتصافحون حول الطاولة، ويتعانقون. عانقها العديد منهم. بدا الجميع وكأنهم في حالة صدمة عندما غادروا. لقد كانت المشاعر هذا الصباح غامرة. طلبت عاملة الاستقبال سيارات الأجرة للجميع، لإيصالهم إلى المطار. سلمت سكرتيرة سارة كلاً منهم ظرفاً من ورق المانيلا، مع نسخة من الوصية وكافة الوثائق الإضافية، عن استثماراتهم. كان آخر قرارهم بشأن المنزل هو بيعه على حاله. أعلموا سارة أن تعرضه للبيع على الفور، وتحصل على أي ثمن له. كان توم هاريسون قد وافق على رؤيته معها من باب اللطف فحسب، ولكن أمكنها معرفة أنه ليس مهتماً به أيضاً. لم يكن أحد كذلك. إنه أشبه بشيء لم تعد له أية أهميّة في مدينة أخرى، لم يعد أحد يريده أو يحتاج إليه. ولا يحتاجون إلى أمواله كثيراً. لم يعنِ المنزل في شارع سكوت شيئاً لهم. كان للمنزل أهميّة بنظرها هي فحسب فهو منزل جميل، ولأن صديقها الحبيب ستانلي، والذي أصبح محسناً لها الآن على نحو لا يصدق، قد عاش في عليته. ولكن حتى هي، مع ثروتها الجديدة، لم يكن لديها أي استخدام لهذا المنزل، على الرغم من أنها لا تمتلك أي خيار حول كيفية التخلص منه. إن قرار بيعه في أيديهم.

تركت توم هاريسون في غرفة الاجتماعات، واتصلت بمارجوري من مكتبها. أخبرتها بقرارهم، وسألتها إن كانت تمانع لقاءها في المنزل بعد نصف ساعة، لتريه إلى أحد الورثة. ولكنها قالت إنها مجرد زيارة شكلية. فقد وقعوا لها وثيقة، يعلمونها فيه ببيع المنزل، في الحالة التي هو عليها الآن، وبسعر تتفق عليه سارة ومارجوري، وتركوا الأمر بكامله لها.

سألت مارجوري مفعمة بالأمل، "هل سنعتني به قليلاً؟"

"أخــشى أننا لن نفعل. طلبوا أن نحضر طاقم تنظيف إليه، ونتخلص من الركام، كالألواح على النوافذ والستائر، ونبيعه على الحالة التي وجدناه عليها". كانــت سارة ما تزال تحاول جمع أفكارها بخصوص الإرث الذي منحها إياه ستانلي، وتخطي كلمات الرسالة المليئة بالحب التي توجهت إلى قلبها مباشرة. للمرة الأولى، بدت أقل جدية، مترنحة بعض الشيء، ومشوشة الذهن. بكلمات رسالته المحبة، والهدية المذهلة، شعرت بالاشتياق إليه أكثر من السابق.

قالــت مارجــوري بحــزن: "سينخفض سعره جراء ذلك، أكره بيع منـــزل كهذا وهو في حالة الخراب. يستحق أكثر من ذلك. سيكون سرقة حقيقية لأي شخص يحصل عليه بسعر يعتمد على المساومة".

"أعلم، وأنا أيضاً أكره ذلك. ولكنهم لا يريدون المشاكل التي تنتج عن ذلــك. لا يعني شيئاً لهم، وبعد أن يتمّ تقسيمه على تسعة عشر، بالنظر إلى كل شيء آخر، لا تعني أمواله شيئاً لهم أيضاً".

"هذا سيئ جداً. سألتقي بك بعد نصف ساعة. لديّ عرض في الثانية، فــي مكان قريب منه بعض الشيء. لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً، لا سيما أنها زيارة سريعة، لا أُعلّق عليها أي أهميّة".

وعــدت سارة، "أراكِ هناك". ثم عادت لتجد توم هاريسون في غرفة الاجــتماعات. كــان يتحدث على هاتفه الخلوي مع مكتبه، فأنهى المكالمة بسرعة.

قــال وهــو مــا يزال يحاول التقاط نفسه. كالآخرين: "لقد كان هذا صباحاً مفعماً". كان في حالة صدمة. كان قد افترض أنها أملاك متواضعة، وجاء من دافع الاحترام للقريب الذي ترك له الإرث. بدا له أن ذلك هو أقل شيء يفعله.

اعتــرفت ســارة، "نعــم، إنه كذلك بالنسبة لي". ما تزال منبهرة من رســالة ســتانلي، ومما عنته لها. سبعمائة وخمسون ألف دولار. إن ذلك

يدفعها لتخطي حالة الاندهاش... إنه يقطع الأنفاس... إنه يصيب بالذهول. مــع كامل ما وفرته بنفسها على مرّ سنوات شراكتها في شركة المحاماة، أصــبحت تمــتلك الآن أكثر من مليون دولار، وشعرت بأنها امرأة ثرية. علــى الرغم من إصرارها على ألاّ تدع ذلك يغير مواقفها من الحياة، على نقيض تحذيرات ستانلي. سألت بلطف توم هاريسون، "هل ترغب بشطيرة أو بشيء تتناوله قبل أن نرى المنــزل؟"

"لا أعتقد أن بإمكاني تناول الطعام الآن. أحتاج إلى القليل من الوقت لهــضم ما حصل للتو. ولكن يتوجب عليّ الاعتراف بأنني أشعر بالفضول لرؤية المنــزل". لم يكن الآخرون كذلك.

قادتــه إلى هناك في السيارة بنفسها. كانت مارجوري تنتظرهما. وكــان تــوم هاريسون متأثراً به كما كانوا جميعاً من قبل. ولكن حال رؤيــته لــه، شعر بالسرور لأنهم أجمعوا على بيعه. كان قطعة رائعة وجليلة من التاريخ، ولكنه رأى أن أحداً لا يرغب بالعيش فيها أبداً، في عالم اليوم.

"لم يعد أحد يعيش بمثل هذه المنازل. إنني أمتلك منــزلاً على مساحة أربعــة آلاف قدم مربعة خارج مدينة سانت لويس، ولا يمكنني إيجاد أحد لتنظيفه. منــزل كهذا سيكون أشبه بكابوس مروع، وإن لم تتمكّني من بيعه كفــندق، فمــن المحتمل ألاّ تجدي حلاً لبيعه لوقت طويل". كانت القوانين والأنظمة في تلك المنطقة لا تسمح بإقامة فندق فيها.

"يمكن لهذا أن يحصل". اعترفت مارجوري. على الرغم من معرفتها أن ســوق العقارات مليء بالمفاجئات. فأحياناً تعتقد أن منــزلاً لن يتمّ بيعه ثم ينتهي أمره بخمس دقائق بعد أن تعرضه للبيع، وتلك المنازل التي تكون قد أقسمت على أنها ستباع على الفور وبالسعر المطلوب بكامله، لا يحدث لهــا ذلك. ليست هناك قدرة على التوقع، أو أحياناً قدرة على تحديد السعر في سوق العقارات. إنه أمر شخصي وافتراضي بالكامل.

اقترحت مارجوري والندم بادٍ عليها أن تعرضه في السوق بسعر مليوني دولار، بالنظر إلى حالته. علمت سارة أنهم لن يهتموا لبيعه بسعر أقل، فقد أرادوا التخلص منه وحسب، ووافق توم على ذلك. "سنضعه في السوق بسعر مليوني دولار، ونرى ما الذي سيحدث". أخبرتهم بذلك مارجوري. "يمكننا دائماً التفكير بعروض. سأحضر فريقاً لتنظيفه، ثم أحضر سمساراً لفتحه. لا أتخيّل أنه بإمكاني إنجاز الأمر قبل ذكرى الشكر". والتي كانت في الأسبوع القادم. "ولكن أعدكم بعرضه للبيع في الأسبوع التالي. سأحضر سمساراً للبدء بالعرض يوم الخميس بعد ذكرى الشكر. ويمكنه أن يعرض في السوق رسمياً في اليوم التالي. ربما يشتريه أحدهم، وآمل أن يفوز بمعركة مع مجلس المدينة لتغيير الأنظمة في المنطقة. سيكون بمثابة فندق صغير فائق الجمال، إن احتمله الجيران، على الرغم من أنني أشك بذلك". علم كلاهما أن معركة كهذه يمكن أن تطول لسنوات، ومن غير المحتمل للشخص الذي يباشر فيها أن يفوز. فسكان سان فرانسيسكو يميلون لتحمل الكثير من المقاومة بخصوص المشاريع التجارية في منطقتهم المأهولة بالسكان، ولا يمكن لأحد لومهم.

طلب توم رؤية الجزء الذي كان ستانلي يعيش فيه، وبقلب مُثقل، صعدت سارة معه على السلالم الخلفية لتريه إياه. كانت تلك أول مرة تراه فيه دون وجود ستانلي. كان سرير المستشفى ما يزال هناك، أما ستانلي فلم يكن موجوداً بالطبع. بدا المكان مثل الصدفة الفارغة الآن. أدارت نظرها بعيداً والدموع تملأ عينيها، ثم مشت عائدة إلى الرواق، بينما كان توم هاريسون يربت على كتفها. إنه رجل لطيف، وبدا كوالد لطيف لأولاده. علمت، وهما ينتظران بدء الاجتماع، أن ابنته ذات الاحتياجات الخاصة مصابة بالعمى وبتلف في الدماغ، بسبب نقص الأكسجين عند ولادتها قبل موعدها. إنها في الثلاثين من العمر الآن، وما تزال تعيش في منزله، حيث تعتني بها الممرضات. لقد كان من الصعب عليه التعامل معها بعد

وفاة زوجته التي كانت تكرس كل وقتها لها تقريباً. أما هو فلم يكن يرغب بوضع الفتاة في أي مؤسسة. ومثل العديد من الأشياء في حياته، كانت تشكل تحدياً كبيراً. بدا متعايشاً مع ذلك.

قال توم: "لست قادراً على التصديق بأن ستانلي عاش في غرفة الخدم في العلية طوال حياته". وهزّ رأسه حزيناً وهو ينزل الأدراج. "يا له من رجل مدهش!" بل الأرجح، أنه غريب الأطوار.

قالت سارة بلطف: "إنه كذلك". وفكّرت من جديد بالإرث الذي لا يُصدق الذي تركه لها. لم تتمكّن بعد من استيعاب الأمر، وكذلك بقية الورثة. حتى توم بدا مندهشاً مما سيرثه. عشرة ملايين دولار.

قال توم عند وصولهما الرواق الرئيسي ثانية: "أنا مسرور لأنه تذكرك في وصيته". كانت السيارة التي طلبتها لتقله إلى المطار تنتظر في الخارج. "اتصلي بي إن جئت إلى سانت لويس. لديّ ابن بعمرك تقريباً. لقد تطلق للتو، ولديه ثلاثة أطفال رائعون". ضحكت لهذا الاقتراح، ثم بدا محرجاً فجأة. "أفترض، مما قاله ستانلي في رسالته، أنك لست متزوجة".

"إنني كذلك بالفعل".

"جيد. إذاً تعالي إلى سانت لويس. إن فريد بحاجة للالتقاء بامرأة جميلة".

قالت سارة بدفء: "أرسله إلى سان فرانسيسكو. واتصل بي أيضاً إن جئت إلى هنا في أي عمل". قال لها وهو يعانقها عناقاً أبوياً: "سأفعل، سارة". لقد أصبحا صديقين من صباح واحد، ومنحهما ذلك شعوراً بأنهما قريبان. إنهما كذلك بواسطة ستانلي. لقد تمّ الربط بينهما عبر كرمه وعمله الخيري الذي أسعدهم جميعاً. قال توم بلطف: "اعتني بنفسك".

قالت وهي ترافقه إلى سيارة الأجرة: "وأنت أيضاً". ثم ابتسمت له تحت أشعة شمس تشرين الثاني/نوفمبر الباهتة. قالت على نحو عابث: "أرغب بتعريفك على والدتي". فضحك لها.

كانت تمزح، على الرغم من أنها ليست بالفكرة السيئة. بالرغم من اعتقادها أن والدتها تسبب لأي رجل وخزاً في العنق، إلاّ أن توم بدا مناسباً لها جداً. لم يكن هناك شيء مختل فيه. لن يكون عندها أي سبب للذهاب إلى مجموعة التخلص من الإدمان إن ارتبطت به، ولكن ما الذي ستفعله أودري؟ دون وجود الكحول في حياتها، ستصاب بالملل. "جيد! سأحضر فريد إلى هنا، ونتناول العشاء مع والدتك".

لوّحت سارة لتوم عند انطلاق سيارة الأجرة بعيداً، ثم عادت إلى المنزل لتتحدث عن التفاصيل مع مارجوري. شعرت سارة بالسرور لأنها ذهبت إلى غرفة ستانلي مع توم. لقد جعلها ذلك تكسر الحاجز. لم يعد هناك شيء تختبئ منه أو تندب من أجله هناك. إنها غرفة فارغة الآن، تلك الصدفة التي عاش فيها، والتي التجأ إليها. لقد رحل ستانلي، وسيعيش في قلبها للأبد. كان من الصعب إدراك تغير ظروفها على نحو مفاجئ في الحقيقة. حظيت بأقل مما حصل عليه الآخرون، ولكنه بالنسبة لها كسب مفاجئ ضخم. قرّرت ألاّ تخبر أحداً الآن، حتى والدتها أو فيل. تحتاج أن تعتاد على الفكرة مع نفسها.

ناقشت هي ومارجوري الخطط التي تتضمن إحضار طاقم التنظيف، والبدء بعرض المنزل. وقعت عقداً يثبت السعر المطلوب، باسم الورثة. كانوا قد وقعوا في مكتبها على وثيقة تخولها العمل باسمهم، سامحين لها ببيع المنزل والمفاوضة نيابة عنهم. كما تمّ إرسال وثائق مماثلة عن طريق الفاكس إلى أولئك الذين لم يحضروا، لتوقيعها أيضاً. اتفقت هي ومارجوري على أنه من غير المحتمل أن يباع المنزل بسرعة، وباستثناء وجود مشترٍ مميز يمتلك خيالاً حقيقياً، أو شغفاً بالتاريخ، فلن يكون بيعه أمراً سهلاً. فمنزل بحجمه، وبالحالة التي هو عليها، سيثير الهلع عند معظم الأشخاص.

قالت لها مارجوري: "استمتعي بذكرى الشكر، إن لم أركِ قبل ذلك، سأعلمك بكيفية إجراءات عرض المنزل".

"شكراً لكِ. استمتعي بعطلتك". ابتسمت سارة لها، حال دخولها سيارتها. كانت ذكرى الشكر في الأسبوع التالي، بعد عشرة أيام. سيكون فيل مسافراً مع أولاده، كالمعتاد. لطالما كانت العطلة هادئة بالنسبة لها. أمامها عطلة أسبوع واحدة تقضيها معه قبل رحيله وكانت تتطلع لبدئها.

اتصل على هاتفها الخلوي وهي في طريقها عائدة إلى المكتب، وسألها كيف جرى الاجتماع مع ورثة ستانلي.

سأل باهتمام، "هل أصيبوا بالصدمة؟" فوجئت لتذكره أو حتى اتصاله للسؤال. فغالباً ما ينسى الأمور التي تعمل عليه، ولكنه تذكر هذه المرة.

"حصل ذلك من دون شك". لم تكن قد أخبرته على الإطلاق مقدار المال، ولكنه اكتشف بنفسه أنه كثير.

"أوغاد محظوظون. هذه إحدى الطرق للحصول على الثروة". لم تخبره أنها هي أيضاً حصلت عليها للتو. أرادت إبقاء الأمر لنفسها. ولكنها ابتسمت على تعليقه، وتساءلت ما الذي سيقوله إن أخبرته أنها هي أيضاً من أولئك الأوغاد المحظوظين. اللعنة، ليست محظوظة وحسب، لقد أصبحت فجأة فتاة ثرية. شعرت وكأنها واحدة من الورثة وهي تقود سيارتها نحو وسط المدينة. ثم فاجأها قائلاً، كما يفعل أحياناً.

قال: "لديّ أخبار سيئة لك، حبيبتي". وشعرت كالمعتاد بأن خطافاً يسحبها من قلبها. أخبار سيئة منه، عادة تعني أوقات قليلة تقضيها معه. وكانت محقة. "يتوجب عليّ الذهاب إلى نيويورك هذا الأسبوع، يوم الخميس. وسأبقى هناك حتى يوم الثلاثاء أو الأربعاء، للقيام بجلسات استماع لموكل جديد. لن أراكِ إلى ما بعد ذكرى الشكر. يتوجب عليّ الذهاب مع أولادي في الليلة التي أصل بها إلى هنا. سنتوجه إلى تاهو. تعلمين كيف تسير الأمور".

"نعم، أعلم". قالت محاولة أن تكون مستمتعة بالأمر. اللعنة، لقد ورثت للتو ما يقارب المليون دولار. كيف يمكن للحياة أن تكون سيئة

معها؟ شعرت بخيبة الأمل لأنها لن تراه. سيمضي ما يقارب الثلاثة أسابيع قبل أن تراه ثانية، بدءاً من نهاية عطلة الأسبوع الماضية. إنه وقت طويل.

"هذا سيئ جداً".

"ستكونين مع أمك وجدتك في ذكرى الشكر على أية حال". قالها وكأنه يحاول إقناعها أنها ستكون مشغولة جداً بحيث لا تتمكّن من رؤيته، ولم يكن هذا هو الواقع. ستكون في منزل جدتها لبضع ساعات فقط، كما تفعل دائماً، ثم يبقى لها ثلاثة أيام تقضيها وحيدة في عطلة نهاية الأسبوع من دونه. ومن المؤكد أنه لن يعوض لها ذلك برؤيتها أكثر في الأسبوع التالي. سيتوجب عليها الانتظار أسبوعاً كاملاً حتى عطلة نهاية الأسبوع التالية. وليس هناك أي احتمال أن يفوّت الذهاب إلى النادي ليلة واحدة أو فرصة لعب الإسكواش مع أصدقائه.

قالت: "لديّ فكرة". وحاولت أن تبدو متحمسة لها، وكأنها فكرة جديدة لم تقترحها مسبقاً على الإطلاق. في الحقيقة، إنها تفعل ذلك كل عام، ولم تحصل على نتائج جيدة أبداً. قالت: "لم لا آتي إلى تاهو يوم الجمعة المقبل لقضاء العطلة؟ فالأولاد بالغون على نحو يكفي لتقبل وجودي هناك. ربما يكون الأمر ممتعاً. يمكنني الحصول على غرفة خاصة في الفندق، لكي لا نثير غضبهم". وقد بدت مرحة أكثر مما شعرت به بالفعل، وحاولت أن تكون مُقنعة. ولكن كان صوته ثابتاً عندما أجابها.

"تعلمين أن ذلك لا ينفع، حبيبتي. إنني أحتاج إلى قضاء وقتي وحيداً مع أولادي. فضلاً عن ذلك، حياتي العاطفية ليست من شأنهم. تعلمين أنني أحب الفصل بين هذين الشيئين. بالإضافة إلى أن أمهم لا تحتاج إلى تقرير مباشر عن حياتي. أراك عندما أعود". ليس هناك ما يقال سوى ذلك. لم تكن تحصل على أي شيء من ذلك الاقتراح، ولكنها تحاول كل عام. كان يحافظ على فصل حاد بين الدين والدولة. بينها وبين أولاده. لقد وضعها جانباً منذ سنوات مضت، وأبقاها هناك. "مُغفلة عطلة نهاية الأسبوع". لم

تكن تلك الحقيقة التي تحبها. لقد ورثت ما يقارب المليون دولار اليوم، وهذا ما فتح لها آلاف الأبواب الجديدة، باستثناء ذلك الذي أرادته بشدة منه. لا يهم مقدار الثراء الذي أصبحت عليه فجأة، فلم يتغير شيء في حياتها. فيل شخص لا يمكن امتلاكه، كحاله في السابق، إلاّ وفق شروطه هو. ليس متفرغاً لها عاطفياً أو جسدياً، إلاّ عندما يختار أن يكون كذلك. وفي أيام العطل، لا يفعل. فتبعاً لأهوائه، العطل له ولأولاده، ويتوقع منها أن تشعر بالحرية لذلك. هذه اتفاقيتهما. لقد وضع بنودها منذ البداية ولن يغيرها أبداً.

"أشعر بالأسى لتفويتنا عطلة نهاية الأسبوع هذه". قال لها، بصوت اعتذاري ولكنه مشغول.

قالت بحزن: "وأنا كذلك، أتفهم الأمر. سأراك بعد نحو ثلاثة أسابيع". كعادتها دائماً، تجري العملية الحسابية سريعاً. فيمكنها دائماً معرفة وبلمح البصر كم المدة التي مضت دون أن تراه، وقبل أن تراه من جديد. هذه المرة سيمر أسبوعان وخمسة أيام. بدا الأمر وكأنه دهر بالنسبة لها. لن يكون الأمر سيئاً إن تمكّنا من رؤية بعضهما في عطلة ذكرى الشكر. ولكن لا وجود لمثل تلك الفرصة.

قال فيل بسرعة: "سأتصل بكِ فيما بعد. لديّ شخص ينتظر خارج مكتبي".

"بالتأكيد، لا مشكلة". أغلقت السماعة، وقادت سيارتها لما تبقى من الطريق إلى مكتبها. حاولت ألاّ تدعه يفسد يومها. فقد حصلت لها أشياء رائعة للتو. لقد ترك لها ستانلي ثروة. ما الخطب في مغادرة فيل إلى نيويورك وفي عدم قدرتها على قضاء ذكرى الشكر معه، أو حتى رؤيته لما يقارب الثلاثة أسابيع؟ ما الذي جرى لأولوياتها؟ سألت نفسها. لقد ورثت ثلاثة أرباع مليون دولار، ومع ذلك تشعر بالقلق حيال رؤية صديقها؟ ولكنها لم تكن قلقة على أولوياتها. السؤال الحقيقي هو، ماذا أصاب أولوياته بحق الجحيم؟

الفصل الثامن

لطالما كانت ذكرى الشكر هامة بالنسبة لسارة وعائلتها. إنه الوقت الخاص الذي لا يجتمعون فيه وحدهم فقط بل برفقة أصدقائهم المقربين. كان لجدة سارة اهتمام بدعوة كل من تطلق عليهم "الأرواح الضائعة" كل عام، أولئك الأشخاص الذين تحبهم وليس لديهم أي مكان آخر للذهاب إليه. دعوة الأصدقاء، حتى القليل منهم، تمنح يومهم جوّاً من المرح يخص الذكرى، وتمنع النساء الثلاث من الشعور بالوحدة. ودائماً يكون الأشخاص الذين تدعوهم للانضمام إليهم ممتنين بشدة لها. في السنوات الأخيرة، أصبحت المناسبات دائماً مُبهجة ومفعمة بالحيوية أكثر من لسابق بانضمام واحد من أصدقاء جدتها الحاليين. خلال السنوات العشر الأخيرة، كان هناك الكثير منهم.

ميمي، كما يطلق الجميع عليها، إنسانة لا يمكن مقاومتها، متواضعة، جميلة أو بالأحرى فاتنة، مرحة، دافئة، ومحبوبة. كانت الجدة المثالية التي يرغب بها الجميع، والزوجة المثالية لكل رجل تقريباً. ففي الثانية والثمانين من العمر، كانت تتمتع بالحيوية والسعادة وبالمواقف الرائعة حيال الحياة، ولم تكن تسهب التنكير بأي شيء بغيض. لطالما كانت وجهات نظرها إيجابية، وكانت مهتمة ومنفتحة مع الأشخاص الجدد، وتشع سعادة وإشراقاً. ونتيجة لذلك، أراد الناس المكوث معها. ابتسمت سارة بينها وبين نفسها، وهي تفكر فيها، في طريقها إلى منزل جدتها، عصر يوم ذكرى الشكر.

كان قد اتصل بها فيل في الليلة السابقة، عندما مر بسرعة إلى البلدة في طريقه لاصطحاب أولاده. عاد من نيويورك متأخراً في الليلة السابقة، ولم يتسنَ له الوقت لرؤيتها. لم تكن حتى غاضبة منه الآن، أو حزينة، إنها لا مبالية وحسب. تمنّت له ذكرى شكر سعيدة عندما اتصل بها في الليلة لسابقة، وأنهت المكالمة. إن التحدث معه يصيبها بالكآبة. يذكرها بكل شيء لا يشاطرها إياه ولن يفعل أبداً.

عندما وصلت سارة إلى منزل جدتها، كانت هناك اثنتان من صديقات ميمي، كلتاهما أكبر سناً منها، وأرملتان. كانتا أشبه بالمسنات لصغيرات، أما ميمي فلم تكن تبدو كذلك. كان لميمي شعر أبيض كالثلج، وعينان زرقاوان كبيرتان، وبشرة رائعة. لم يكن لديها إلاّ القليل من التجاعيد، ولا يزال جسمها رشيقاً. فهي تشاهد برنامج تمارين على التلفاز كل يوم، وتلعب معهم. وتمشي ساعة كل يوم على الأقل. ولا تزال تلعب التنس بين الحين والآخر، وتعشق الذهاب للرقص مع صديقاتها.

كانت ترتدي ثوباً حريرياً جميلاً بلون الفيروز الداكن، وتنتعل حذاء أسود من الجلد السويدي، وتضع قرطين رائعين بلون الفيروز وخاتم يتناسب معهما. لم يملكا ثروة هائلة عندما كان جد سارة على قيد الحياة، ولكنهما كانا مرتاحين مادياً، ودائماً كانت ترتدي ملابس أنيقة وعصرية. كانا زوجاً رائعاً لأكثر من خمسين سنة. لم تكن تتحدث عن طفولتها إلاّ نادراً. كانت تحب أن تقول إنها ولدت يوم زفافها من ليلاند. عندها بدأت حياتها. علمت سارة أن ميمي قد ترعرعت في سان فرانسيسكو، ولكنها لم تعلم إلاّ القليل عن ذلك. حتى أنها لم تكن تعلم ما إن كانت جدتها قد ذهبت إلى المدرسة أو ما هو لقبها قبل الزواج. تلك أشياء لم تكن ميمي ببساطة تتحدث عنها. لم تكن تسهب الحديث عن الماضي، إنها تعيش في الحاضر والمستقبل، وهذا ما جعلها فاتنة لكل من عرفها. لم يكن هناك أي شعور بالكآبة عندها. إنها امرأة سعيدة بكل معنى الكلمة.

عــندما دخلت سارة كان صديق جدتها الحالي في غرفة المعيشة. إنه أكبر من جدتها ببضع سنوات، وكان يعمل كسمسار في البورصة، ويلعب ثماني عشرة جولة للغولف كل يوم. لديه أولاد، وهم على علاقة جيدة معه ويــستمتع بهــم، وكــان يحب الرقص كثيراً كميمي تماماً. كان يقف أمام المــشرب في غرفة معيشتها الصغيرة المرتبة بأناقة، وعرض على سارة الشراب.

ابتــسمت لـــه، "لا، شكراً، جورج. من الأفضل لي أن أذهب لمناوبة عملـــي فـــي المطبخ". علمت أن والدتها تتحكم بالأمور هناك، تهتم بالديك الرومي وتتذمر من حجمه، كما تفعل كل سنة. فهو إما كبير جداً أو صغير جداً، عجوز جداً أو يافع جداً، وما إن يتمّ طبخه، حتى يصبح إما رطباً جداً أو جافــاً جداً، وليس بجودة ديك العام السابق تقريباً. أما ميمي، من الناحية الأخـــرى، فدائماً تقول إنه رائع، وهذا هو الاختلاف الرئيسي بين الاثنتين. ميمـــي دائماً راضية عن كل شيء تمنحها إياه الحياة، وتبتهج به. أما ابنتها فـــدائماً ساخطة على حظها، وهي دائماً غاضبة، أو مستاءة، أو قلقة. كانت الاثنـــتان تنظران إلى الفرن حال دخول سارة للمطبخ. كانت سارة ترتدي بذلة جديدة، مخملية بنية اللون، اشترتها لنفسها كهدية، لتحتفل بالثروة التي حـــصلت علـــيها من ستانلي. كما اشترت حذاءً سويدياً بني اللون ليتناسب معهـــا، فبدت عصرية جداً. مدحتها ميمي لحظة دخولها إلى المطبخ. كانت فخورة جداً بحفيدتها الوحيدة، وتتباهى بها أمام كل من تعرفه. وكذلك تفعل أودري، على الرغم من أنها لا تعترف بذلك لسارة أبداً.

ســـألت ســـارة، "هـــل ســـنتناول النقانق الليلة؟" وهي تضع حقيبتها الـــسويدية علـــى كرســـي في المطبخ. التفتت والدتها لتنظر إليها ورفعت حاجبها.

قالت كردّ على سؤال سارة: "ربما، هل ستذهبين إلى مكان ما؟ كحفلة بعد العشاء؟"

"لا، لقد جئت إلى هنا. المجيء إلى منـــزل ميمي هو أفضل حفلة في البلدة".

قالـــت أودري، وبـــدت مـــتألمة: "لا تقولـــين ذلك عندما تأتين إلى منـــزلـــي". كانـــت ترتدي بذلة سوداء جميلة، مع خيط من اللؤلؤ ودبوس ذهبـــي علـــى القبة. بدت أنيقة، ولكن متزمتة. فمنذ وفاة زوجها قبل اثنتين وعشرين سنة، نادراً ما ترتدي ملابس ملونة، على الرغم من كونها امرأة جذابة. فهي تمتلك عينين زرقاوين كعيني سارة ووالدتها، وكانت قد صبغت شـــعرها باللـــون الأشقر، وتسرحه على شكل الكعكة أو تجدله كالتسريحة الفرنسية. بدت أكبر من عمرها، ولكنها جميلة كجمال غريس كيلي. وتتمتع ببـــشرة رائعة، مع القليل من التجاعيد، وجسد جميل. كانت طويلة كسارة، بخلاف ميمي، التي كانت صغيرة الجسم. فقد كان والد أودري طويلاً.

"بلى، أقول إنني أحب المجيء إلى منـــزلك، أمي". قبلتهما سارة، ثم عـــادت والـــدتها لتتفقد الديك بتعبير وجه مستاء، تتذمر من حجمه كما هو متوقع.

عـــادت ميمـــي إلى غرفة المعيشة إلى صديقتيها وجورج. كان من المثيـــر للاهتمام أن ميمي دعت ثلاثة أشخاص، ولكن أودري وسارة ليس لـــديهما أحـــد لدعـــوته. كانت أودري قد دعت صديقتها آن ماري، ولكن صـــديقتها مـــن نـــادي الكتب أصيبت بالمرض عند آخر دقيقة. التقتا قبل سنوات في الأنون، عندما كان زوجاهما مدمنين على الكحول. كانت سارة تحب آن ماري ولكنها دائماً تجدها كئيبة قليلاً. لم تكن، وبصراحة، إضافة ســـعيدة إلى المجموعة، بدا أنها تسبب الإحباط لوالدتها، الأمر الذي لم يكن مـــن الصعب القيام به. ففي معظم الأحيان، تكون وجهة نظر أودري عن الحياة متشائمة، على نقيض والدتها.

قالـــت أودري: "الديك صغير جداً هذه السنة". عندها ضحكت سارة، وهي تنظر إلى القدور الموضوعة على الغاز. كان هناك بطاطا مهروسة،

وفاصوليا، وجزر، وبطاطا حلوة، وصلصة مرق اللحم. وعلى الطاولة، هناك فطائر ملفوفة، وصلصة التوت البري، والسلطة. تلك هي وجبة ذكرى الشكر المعتادة. كان هناك ثلاث فطائر موضوعة لتبرد على طاولة المطبخ، فطيرة اللحم المفروم واليقطين والتفاح.

"دائماً تقولين ذلك، أمي".

قالت أودري بغرور: "كلا، لا أفعل". فيما كانت تغطي بذلتها بمئزر. "من أين أحضرت هذه البذلة الجديدة؟"

"من نيمان. اشتريتها هذا الأسبوع. من أجل يوم الشكر".

قالت أودري: "أعجبتني". فابتسمت لها سارة.

"شكراً، أمي". مشت إليها وعانقتها. ثم أثارت أودري غضبها بسؤالها الثاني.

"أين فيل؟"

"في تاهو. أتذكرين؟ كما يفعل كل عام". عندها، التفتت لتراقب البطاطا المهروسة لكي لا تتمكّن أمها من رؤية عينيها المصابتين بخيبة الأمل. فأحياناً يكون من الصعب تخبئة شعورها. دائماً تكون العطل قاسية من دونه.

قالت أودري بتجهم: "لا أعلم سبب تحملك له. أفترض أنه لم يدعُكِ لقضاء عطلة الأسبوع هذه". كانت تكره فيل، وكذلك حالها دائماً.

"لا... لم يفعل. أنا بخير. لديّ الكثير من العمل لموكل جديد الأسبوع القادم. الأشياء تزداد صعوبة قبل أيام العطل. ليس لديّ الوقت لرؤيته على أية حال". كانت تكذب، وكلتاهما تعرفان ذلك، ولكن أودري تركتها هذه المرة تنجو بكذبتها. كانت مشغولة بالديك، الذي خشيت أن يصبح جافاً جداً.

بعد نصف ساعة، جلس الجميع إلى الطاولة، في غرفة الطعام الصغيرة الأنيقة التي كانت أودري قد صممتها لها. كانت كل الخضار على

الطاولة في أطباق التقديم، وكان جورج قد قطع الديك إلى شرائح. بدا كل شيء مثالياً. تلت ميمي الابتهالات، كما تفعل دائماً، وبعدها امتلأت الطاولة بالثرثرة. كانت صديقتا ميمي ستذهبان في رحلة إلى المكسيك، كما أن جورج كان قد باع منزله في المدينة، وسينتقل إلى شقة، أما أودري فتتحدث عن المنزل الذي تصممه لزبون في هيلزبورو، أما ميمي فتخطط لحفلة الميلاد. ابتسمت سارة وهي تصغي للجميع. لم تتمكّن من التحدث عن أي شيء لأن الجميع يتكلم دون توقف. كان من الجميل رؤيتهم سعداء جميعاً. كان حماسهم مُعدياً.

سألت ميمي في منتصف الوجبة تقريباً، "ما الذي تفكرين به، سارة؟ لقد كنت هادئة جداً". كانت جدتها دائماً تحب سماع أخبارها.

"كنت أنظم ممتلكات ضخمة. هناك تسعة عشر وريثاً من جميع أنحاء الولاية. حصل الجميع على ثروة من قريبهم. لقد جعلني ذلك مشغولة. وأنا أعمل على بيع منزل لهم، إنه مكان جميل قديم. سيباع لقاء ثمن قليل. فالمنزل ضخم جداً، الأمر الذي يصعب بيعه هذه الأيام".

قالت ميمي متعاطفة: "لا يمكنني الاقتناع بشراء منزل كبير ثانية لأي سبب". بينما نظرت أودري إلى سارة محدقة فيها.

كلماتها المعتادة: "يجب عليك فعل شيء بخصوص شقتك. اشتري شقة بطابقين على الأقل. ستكون استثماراً جيداً".

"لست راغبة بوجود مستأجر يسبب لي ألماً في الرأس. إنها بمثابة دعوة لرفع قضية". قالت سارة على نحو عملي، على الرغم من أنها بعد حصولها على الأموال التي تركها لها ستانلي قد فكّرت بذلك هذا الأسبوع. ولكنها لم تكن ترغب بمنح والدتها الرضا الناتج عن الاعتراف بذلك. كانت قد قرّرت تقريباً شراء شقة في ملكية مشتركة. أحبت تلك الفكرة أكثر من شراء شقة مشتركة.

انحرفت المحادثة لتشمل عدة مواضيع مختلفة. كانت فطائر اليقطين واللحــم المفروم والتفاح تأتي وتروح، مع الكريما المخفوقة والمثلجات، ثم ساعدت سارة والدتها في تنظيف الطاولة وغسل الأطباق. انتهتا من تنظيف المطبخ للتو عندما تجولت سارة في غرفة نوم جدتها، لتستخدم حمامها. فقد كانــت إحــدى السيدات في الحمام الآخر، لذا قرّرت سارة استخدام حمام جدتها. مشت بالقرب من الخزانة حيث تضع جدتها الكثير من الصور ذات الإطار، بحيث يختفي معظمها بالصور الأخرى فوقها. توقفت سارة لتنظر إلــى صــورة لها عندما كانت في الخامسة أو السادسة من عمرها، على الــشاطئ مــع والــدتها. كانت هناك صورة أخرى لأودري يوم زفافها. وأخــرى فــي الخلــف، لميمي يوم زفافها أثناء الحرب، بثوب أبيض من الــساتان مــع خــصر نحيل وكتفين ضخمتين. تدبرت أمرها لتبدو رزينة وعــصرية، بعدها، لفتت نظرها صورة خلفها، لامرأة أخرى شابة ترتدي ثــوب المساء. كانت الصورة مخبأة بواحدة أخرى لميمي وزوجها. توقفت ســارة وحدّقت بالصورة وهي تحملها، عندها دخلت جدتها الغرفة. التفتت ســارة لتنظر إليها، وهي ما تزال تحمل الصورة باندهاش. هذا هو المكان الــذي رأتها فيه. إنها نفس الصورة التي وجدتها في خزانة جناح السيد في المنــزل الذي كانت تبيعه ضمن أملاك ستانلي، في شارع سكوت. علمت مــن هــي، ولكــن توجب عليها السؤال. أرادت أن تعرف. توجب عليها الحصول على إثبات فجأة.

"مــن هــذه؟" سألت سارة عندما التقت عيونهما. نظرت ميمي بجدية للحظة، وهي تأخذها منها، وتنظر إليها بمسحة من الحزن.

"رأيــت هذه الصورة من قبل". كانت تلك هي الصورة الوحيدة التي تملكهــا ميمي لها. أما ما تبقى فقد تلاشى عندما تلاشت هي أيضاً. أما هذه فقــد حفظها والدها. وجدتها بين أوراقه بعد وفاته. "إنها أمي. إنها الصورة الوحيدة التي أملكها لها. توفيت عندما كنت في السادسة".

"هل توفيت، ميمي؟" سألت سارة بلباقة. إنها تعلم الحقيقة الآن، عندما أدركت بشكل واضح للمرة الأولى أن جدتها لم تتحدث عن أمها مسبقاً على الإطــلاق. وكانت والدة سارة قد أخبرتها أن جدتها قد توفيت عندما كانت ميمي في السادسة من عمرها، لذا لم تقابلها أودري مسبقاً.

ســألت ميمــي بكآبــة، وعيناها مثبتتان على عيني سارة، "ما الذي يجعلك تسألين سؤالاً كهذا؟"

"لقــد رأيت صورة مماثلة لها هذا الأسبوع في المنــزل الذي أعمل على بيعه لموكل في شارع سكوت. في الواقع، أبيعه من أجل ورثته. ذلك المنـــزل الذي ذكرته على العشاء. يحمل الرقم عشرين أربعين في شارع سكوت".

"أذكــر هذا العنوان". قالت ميمي وهي تعيد الصورة إلى الخزانة وتلــتفت لتبتــسم إلى سارة. "غادرت أمي وأنا في السادسة من عمري، فــيما كــان أخــي فــي الخامسة. وعشت هناك حتى بلغت السابعة من عمري. كان ذلك في العام 1930، السنة التي تلت الانهيار. انتقلنا بعد بــضعة أشهر إلى شقة في شارع ليك. عشت هناك حتى تزوجت جدك. توفي والدي في تلك السنة. إنه في الواقع لم يتمكّن من استعادة وضعه بعــد الانهيار، وبعد هجر أمي له". إنها قصة مذهلة، القصة نفسها التي ســمعتها مــن مارجــوري ميروثير عن العائلة التي بنت المنــزل في شــارع سكوت. ولكن الخبر الأكثر إذهالاً هو أن والدة ميمي لم تمت، ولكــنها رحلــت. إنها المرة الأولى التي قالت فيها ميمي ذلك. تساءلت سارة ما إذا كانت والدتها تعرف الحقيقة ولم تخبرها مسبقاً. أو إن كانت ميمي قد كذبت عليها أيضاً.

قالــت سارة بلطف، ممتنة لصراحة جدتها الآن: "لم أدرك إلاّ بعد أن فكّــرت بالأمر مؤخراً أنني لا أعرف كنيتك قبل الزواج. أنت لا تتحدثين كثيراً عن طفولتك". بدت ميمي حزينة بخلاف شخصيتها وهي تجيب.

قالت بصراحة، للمرة الأولى: "كانت دو بوون. لم تكن طفولتي وقتاً سعيداً بالنسبة لي، اختفاء والدتي، خسارة والدي لجميع أمواله. إرسال المربية التي أحببتها بعيداً. حياتي كانت كلها تدور حول الخسارة، خسارة الأشخاص الذين أحبهم". علمت سارة أن أخاها توفي أثناء الحرب، وهكذا التقت بالرجل الذي تزوجته. كان جد سارة الصديق المفضل لأخيها، وقد أتى لرؤيتهم محضراً لهم بعضاً من أشياء أخيها. وقع هو وميمي بالحب، وتزوجا بعد وقت قصير. هذا كل ما عرفته سارة، ولكنها لم تسمع الجزء الأسبق من تلك القصة.

"ماذا حدث بعد اختفائها؟" سألت سارة، متأثرة لأن جدتها تخبرها أخيراً ما الذي حصل. لم تكن ترغب بأن تكون متطفلة، ولكن الأمر أصبح فجأة مهماً على نحو مروع. ذلك المنزل الذي عاش فيه ستانلي لست وسبعين سنة، والذي تعمل على بيعه الآن ضمن أملاكه، قد بناه والد جدتها من أجل أمها. لقد دخلت عليه كثيراً من المرات على مر السنوات لزيارة ستانلي، ولم تتوقع وجود علاقة وطيدة لها معه. والآن، فجأة، افتتنت به وأرادت أن تعرف كل شيء.

"لا أعلم الكثير عما حصل. لم يحدثني أحد عن ذلك عندما كنت طفلة، ولم يسمح لي بالسؤال. كان ذلك يغضب والدي دائماً. لا أعتقد أنه شفي من ذلك، أو من أي شيء. كان الطلاق أمراً مثيراً للصدمة في تلك الأيام. عرفت فيما بعد أنها هجرت والدي من أجل رجل آخر، وذهبت للعيش في فرنسا معه. قيل لي بأنه من النبلاء الفرنسيين الجريئين جداً. كانا قد التقيا في حفلة دبلوماسية، وأحبا بعضهما. بعد عدة سنوات من وفاة والدي، علمت أنها توفيت بمرض ذات الرئة أو السل أثناء الحرب. لم أرها بعد رحيلها أبداً، ولم يتحدث والدي عنها معي على الإطلاق. عندما كنت طفلة، لم أعرف سبب اختفائها، أو ما الذي حصل".

ومع ذلك، رغم كل مآسي حياتها، كانت ميمي واحدة من أسعد الأشخاص الذين تعرفهم سارة. لقد فقدت ميمي عائلتها بكاملها – والدتها، أخاها، أباها – في سن مبكرة جداً، وكامل الحياة التي عرفتها وهي طفلة. ومع ذلك، كانت مبتهجة، متواضعة، وراضية. وتجلب المرح للجميع. فهمت سارة الآن سبب قولها إنها ولدت يوم زفافها. ليست إلى حياة مرفهة كتلك التي عاشتها وهي طفلة، ولكنها حياة حقيقية، وثابتة، وآمنة مع الرجل الذي أحبها، وطفلتهما.

تابعت ميمي كلامها، "لا أعتقد أن والدي تجاوز ذلك. في الواقع، لا أعلم إن كان ذلك بسبب خسارته أمي، أو أمواله، أو ربما كليهما. لا بد من أن الأمر كان مُدَمراً بالنسبة له، ومذلاً على نحو تام، بأن تهجره زوجته من أجل رجل آخر، بل الأسوأ من ذلك، حدوث ذلك بعد سنة من الانهيار المالي. كان عليهم التخلي عن المنزل على أية حال، وأعتقد أنهما كانا يبيعان الأشياء قبل ذلك أصلاً. بعد ذلك، عمل والدي في البنك، واتخذ حياة النساك لما بقي من حياته. لا أذكر أنه كان يخرج في المناسبات الاجتماعية، حتى وفاته بعد خمس عشرة سنة. توفي مباشرة بعد زواجي. بنى ذلك المنزل لأمي. أتذكر المنزل وكأن الأمر حصل البارحة، أو على الأقل أعتقد أنه كذلك. أتذكر الحفلات في غرفة الرقص". كان هناك نظرة حالمة في عينيها وهي تقول ذلك، وقد لاحظت سارة ذلك جيداً، بالنظر إلى أنها زارت غرفة الرقص نفسها، وغرفة الأطفال التي كانت لجدتها، قبل أسبوع واحد.

سألت سارة بلطف، "هل ترغبين برؤية المنزل من جديد، ميمي؟" لن يعرض للبيع حتى الأسبوع القادم، بعد فتح السمسارة بيع المنزل يوم الثلاثاء بعد ذكرى الشكر. "لديّ المفاتيح. يمكنني أخذك إلى هناك في عطلة الأسبوع". ترددت ميمي، ثم هزت رأسها بتعبير مليء بالحنين.

"يبدو ذلك سخيفاً، ولكن أعتقد أنه سيثير غضبي. لا" أحب القيام بالأشياء التي تجعلني حزينة". أومأت سارة. يتوجب عليها احترام ذلك. إنها متأثرة جداً بتاريخ جدتها الذي شاطرتها إياه أخيراً، بعد كل هذه السنوات. "ذهبت لرؤية القصر الفرنسي حيث عاشت مع النبيل الذي تزوجته، عندما كنت في أوروبا مع جدك، بعد ولادة أمك. ولكنه كان مغلقاً بالألواح بكامله ومهجوراً. كنت أعلم أنها توفيت، ولكنني أردت رؤية المكان الذي عاشت فيه بعد أن هجرتنا. قال السكان المحليون إن زوجها النبيل قد توفي أثناء الحرب أيضاً في المقاومة السرية. لم ينجبا أطفالاً. تساءلت إن كان بإمكاني إيجاد أحد يعرفها، بعض المعلومات أو تاريخاً عنها. ولكن لا أحد يعلم شيئاً، ولم يكن جدك أو أنا نتكلم الفرنسية. أخبرونا فقط أن النبيل قد توفي، وكذلك هي. توفي والدي في نفس الوقت الذي توفيت فيه تقريباً، على نحو غريب. كان يتصرف وكأنها توفيت، منذ اللحظة التي رحلت فيها. وهذا ما أخبرت به الناس دائماً طيلة حياتي. كان الأمر أسهل كذلك. أخبرت أمك بذلك أيضاً". بدت ميمي وكأنها تعتذر على كذبها، وكاد قلب سارة أن يخرج من مكانه وهي تصغي لها. يا لها من مأساة حلت بميمي. كانت سارة ممتنة لأن ميمي قرّرت في النهاية إطلاعها على الحقيقة. شعرت وكأن ذلك هدية لها.

قالت سارة بحزن: "يا له من أمر مروع بالنسبة لك". وضعت ذراعيها حول ميمي وعانقتها. لم تتمكّن من تخيّل أن تلك السنوات كانت جميلة بالنسبة لها. فقدان والدتها، سنوات كآبة والدها، ومن ثم خسارة أخيها الوحيد في الحرب. قُتل في معركة يوجيما، الأمر الذي لطالما قالت إنه كان مصيبة قاتلة بالنسبة لوالدها، إنها إحدى الجرعات تقريباً. والآن، على نحو مليء بالأسرار، انحرف المنزل الذي بناه والد جدتها إلى حياة سارة، جالباً كامل تاريخه وأسراره معه.

سألت أودري بحدة، "ما الذي يحدث هنا؟" وهي تدخل غرفة نوم والدتها، وترى سارة تعانق ميمي. لطالما كانت أودري غيورة بعض الشيء من العلاقة الدافئة السهلة التي تتبادلها والدتها مع ابنتها. أما علاقتها مع سارة فلطالما كانت أكثر توتراً.

التفتت ميمي نحو ابنتها مبتسمة، وقالت: "إننا نتحدث وحسب".

"بخصوص ماذا؟"

قالت ميمي ببساطة: "في الحقيقة، عن والدي". عندها حدّقت بها أودري.

"أنت لا تتحدثين عنه أمي على الإطلاق. ما الذي ذكّرك به؟" كانت أودري قد توقفت عن سؤال أمها عن طفولتها منذ سنوات مضت.

شرحت لها سارة، "أنا أبيع منزل والديها لصالح ورثة ستانلي، إنه منزل قديم وجميل، لكنه ليس بوضع جيد جداً. لم يلمسه أحد منذ بنائه". عندها خرجت ميمي من الغرفة، لتبحث عن جورج. لقد تحدثنا بما يكفي.

سألت أودري ابنتها، على نحو متآمر، "لم تغضبيها، أليس كذلك؟ تعرفين أنها لا تحب التحدث عن تلك الأمور". كانت أودري قد سمعت إشاعات بأن جدتها قد تخلت عن أمها عندما كانت طفلة، ولكن ميمي لم تؤكد ذلك على الإطلاق، ولم تكن تعلم إلاّ القليل باستثناء ذلك. ونتيجة للتعامل مع أملاك ستانلي، أصبحت سارة تعلم الكثير الآن.

قالت سارة بصراحة: "ربما فعلت، حاولت ألاّ أفعل. وجدت صورة لوالدتها في المنزل هذا الأسبوع. لم أعلم من هي، ولكنني أدركت أنني رأيتها من قبل في مكان ما. رأيتها للتو هنا". سحبت صورة ليلي وأرتها لوالدتها. لم تكن ترغب بإخبارها خصوصيات جدتها حتى تسمح لها ميمي، أو تفعل ذلك بنفسها.

"يا له من أمر غريب". بدت أودري كئيبة ثم أعادتها إلى مكانها. "آمل ألاّ تكون ميمي منزعجة جداً".

لكن عندما عادتا إلى غرفة المعيشة، بدت ميمي وكأنها قد استعادت رباطة جأشها، وتجري محادثة حميمة مع جورج. كان يمزح مع السيدات الثلاث المحيطات به، يصغي إليهن وهو مستغرق في التفكير، ولكن نظره كان مثبتاً تماماً على ميمي. كان من الواضح أنه يُكنّ لها مشاعر خاصة. وبدا أنها تستمتع معه هي أيضاً.

أخيراً، غادرت سارة بعد ساعة. بقيت أودري لبضع دقائق أخرى، ثم قالت إنها ستلتقي بصديقة لها. لم تسمح لسارة بالانضمام لها، ولكن سارة لم تكن ستفعل على أية حال. لديها الكثير لتُفكّر فيه، وأرادت أن تكون وحيدة في شقتها لتهضم ما شاطرتها إياه جدتها للتو. عندما دخلت، ورأت الأطباق القذرة على طاولة المطبخ، والسرير غير المرتب، والغسيل على أرضية الحمام، أدركت ما الذي كانت والدتها تعنيه بخصوص شقتها. إن المكان في الواقع أشبه بالخراب. إنه قذر، مظلم، وكئيب. لم تكن هناك ستائر قماشية، وحتى الستائر المعدنية كانت محطمة. هناك بقع قديمة من الشراب الفرنسي على السجادة، والأريكة التي أحضرتها معها منذ أن كانت في الجامعة كان يجب أن ترمى بعيداً منذ سنوات.

قالت سارة، وهي تجلس على الأريكة وتنظر حولها: "اللعنة". فكّرت بفيل وأولاده في تاهو وشعرت بالوحدة. بدا كل شيء في حياتها فجأة مثيراً للكآبة. شقتها قبيحة، ولديها علاقة في عطلة الأسبوع مع صديق مهمل لا يهتم حتى بقضاء العطل معها بعد أربع سنوات. كل ما تملكه في الحقيقة في حياتها هو العمل. تمكّنت من سماع صدى تحذيرات ستانلي، وتمكّنت فجأة من تخيّل نفسها في شقة مثل هذه، أو أسوأ، بعد عشر أو عشرين سنة من الآن، مع صديق أسوأ من فيل، أو من دون أحد على الإطلاق. حافظت على علاقتها معه لأنها لا ترغب بالمجازفة، أو خسارة القليل الذي تحظى به. ولكن ما الذي تملكه؟ مهنة محامية الضرائب القاسية، شراكة في شركة المحاماة، والدة تثير غضبها باستمرار، جدة رائعة تعشقها، وفيل الذي

يستغل كل عذر يمكنه اختلاقه لكي لا يقضي وقته أو عطله معها. شعرت وكأنه لا يمكن لحياتها الشخصية أن تسوء أكثر من ذلك. في الحقيقة، إنها لا تمتلك حياة شخصية.

ربما تشكل شقة أكثر جمالاً من هذه بداية جيدة، فكّرت بذلك، وهي تجلس على أريكتها القديمة. ماذا بعد ذلك؟ ما الذي ستفعله بعد ذلك؟ مع من ستقضي وقتها، وخاصة إن قرّرت بأن ما تحظى به مع فيل لا يكفي، وقطعت العلاقة؟ كان التفكير بكل ذلك مروعاً. وفجأة أرادت تنظيف المنزل والتخلص من كل شيء، وربما من فيل. نظرت إلى النبتتين الميتتين في غرفة المعيشة، وتساءلت عن سبب عدم ملاحظتها لهما منذ سنتين تقريباً. هل هذا ما تعتقد أنها تستحقه؟ مجموعة من الأثاث القديم الذي امتلكته منذ أيام الجامعة في هارفارد، نباتات ميتة، ورجل لا يحبها، مهما قال لها. وإن كان يفعل، لماذا ليست في تاهو معه؟ فكّرت بمقدار الشجاعة التي توجب أن تمتلكها جدتها، فمن الصعب خسارة الأم والأخ والأب، ومع ذلك كانت ثابتة رغم الصعوبات مثل شعاع من الشمس، تجلب المرح لكل شخص في حياتها. فكّرت بستانلي أيضاً، في غرفة العلية في منزل شارع سكوت، وفجأة اتخذت قرارها. ستتصل بمارجوري ميروثير في الصباح وتبحث عن شقة جديدة. إنها تمتلك الأموال، ولن تحل بذلك كل شيء، ولكنها انطلاقة لها. يتوجب عليها القيام بشيء مختلف. فإن لم تفعل، ستبقى عالقة هنا للأبد، وحيدة في أيام العطل، مع نباتات ميتة وسرير غير مرتب.

لم يهتم فيل حتى بالاتصال بها تلك الليلة، ليتمنّى لها ذكرى شكر سعيدة. حتى أنها لم تكترث لذلك. فلم يكن يحب الاتصال بها عندما يكون مع أولاده. يعتبر ذلك اقتحاماً، وكذلك الحال إن اتصلت هي به. علمت أنه عندما يتصل، سيجد لها عذراً معقولاً يبرر سبب عدم اتصاله. وقبولها كل شيء يقوله، يجعل الأمر أسوأ أيضاً. لقد حان الوقت لترتب أمورها وتفعل

شــيئاً حيال حياتها. قرّرت معالجة أمر الشقة أولاً. بفضل ستانلي، أصبح ذلك أمراً سهلاً. ولكن ربما حال إنهائه، تصبح البقية أكثر سهولة. تمدّدت علــى الأريكــة في الظلام، تُفكّر بذلك. تستحق أفضل من هذا بكثير. وإن كان بإمكان ميمي قلب تاريخها إلى حياة سعيدة، علمت سارة أنها هي أيضاً بإمكانها فعل ذلك، مهما تطلب الأمر.

الفصل التاسع

اتــصلت سارة بمارجوري يوم الجمعة بعد ذكرى الشكر في التاسعة صــباحاً. لــم تكن في مكتبها، ولكنها تمكّنت من الاتصال بها عبر هاتفها الخلوي. اعتقدت مارجوري أن سارة تتصل بخصوص المنــزل في شارع ســكوت. كــان فــريق التنظــيف هناك، وتمّ وضع الألواح والستائر في الحاويــات، وأصــبح المكان نظيفاً بعد أن قام فريق التنظيف، الذي عمل بدوام كامل، بتنظيفه، ومسحه، وتلميعه طوال الأسبوع. كانت الدعوة لرؤية المنــــزل مــن قــبل السمسارة تبدأ يوم الثلاثاء. وكان جميع العاملين في السمسرة يعلمون ذلك، وحتى الآن كان ردّ الجميع إيجابياً. قالت مارجوري إنها تتوقع منــزلاً ممتلئاً، بوجود جميع السماسرة في البلدة.

بعد أن أعطتها مارجوري التقرير الكامل عن منــزل شارع سكوت، وأضافت أن السماسرة قد أحبوا السعر الذي وضعتاه للمنــزل. فبالنظر إلى حالة المنــزل، مقارنة مع حجمه الضخم، والتفاصيل القديمة الرائعة، رأوا أن الــسعر عــادل. شرحت سارة،" في الحقيقة، إنني لا أتصل بخصوص ذلــك، فــي الواقع، إنني أتصل من أجل شقة جديدة لي. أعتقد أنني أُفضّل شــقة فــي بناء، مكان جميل حقاً، في باسفيك هايتس، كانت أمي تتوسلني لفعــل ذلك منذ سنوات. هل تعتقدين أن بإمكاني إيجاد شيء كهذا؟" سألت سارة مفعمة بالأمل.

بــدت مارجــوري مسرورة، "بالتأكيد، أنتِ تبحثين عن شيء بحدود النــصف مليون دولار في باسفيك هايتس، إن كان هذا يناسبك. وإن كانت

في حالة لائقة، فستكون الشقة أغلى ثمناً، تقترب من المليون. أما المنزل فيقترب سعره من المليونين. وفي حال بدأنا البحث في مناطق أخرى، ستغرقين في منازل تحتاج إلى الكثير من العمل. المنازل البالية هذه الأيام يقترب سعرها من المليون دولار، حتى في الجوار حيث لا ترغبين في العيش. إن العقارات ليست رخيصة في سان فرانسيسكو، سارة".

"واو، بهذه الأسعار، ربما يتوجب علينا طلب سعر أعلى بمنزل شارع سكوت". ولكن كلتاهما تعرف أن هذا منزل متميز، وهناك أطنان هائلة من العمل الذي يجب القيام به هناك.

طمأنتها مارجوري، "سنجد لكِ شيئاً جميلاً، لا تقلقي، لديّ بعض الأشياء على دفتري الآن. سأتفحص حالتها، وأتصل بك، متى ترغبين بمشاهدتها؟"

"هل لديك الوقت اليوم؟ إن مكتبي مغلق حتى يوم الاثنين، في الواقع، لا أعلم ما الذي سأفعله حتى ذلك الحين".

"سأعاود الاتصال بك في غضون ساعة". وعدتها مارجوري. أنجزت سارة الغسيل وهي تنتظر، وتخلصت من النبتتين الميتتين. لم تصدق كم من الوقت مضى عليهما هناك، ولم تلاحظهما من قبل. هذا تعبير واضح يعبر عنها، وبخت نفسها على ذلك. عندما اتصلت بها مارجوري، قالت إن لديها أربع شقق لتريها إياها. اثنتان منها رائعتان، واحدة جميلة بعض الشيء، والأخرى مثيرة للاهتمام، على الرغم من أنها قد تكون صغيرة جداً عليها، ولكنها جديرة بأن تلقي عليها نظرة. كانت الأخيرة في رشان هيل، المكان الذي لم يكن منطقة ترغب سارة بالسكن فيها، ولكنها وافقت على إلقاء نظرة عليها. أما الشقق الثلاث الأخرى فجميعها في باسفيك هايتس على بعد بضعة أبنية من شقتها. وافقت سارة أن تلتقي بها عند الظهيرة. شعرت بالإثارة فجأة بخصوص ذلك، على الرغم من معرفتها أن إيجاد الشيء المناسب يستغرق وقتاً. ربما تتمكّن والدتها من مساعدتها في الديكور. فلم

تكن فنون تنسيق المنازل من الأمور التي تهتم بها سارة كثيراً.

كانت قد حسبت مسبقاً أنها إن تمكّنتْ من إنفاق عشرة بالمئة من المال الذي سترثه من ستانلي على الشقة التي ستشتريها، يتبقى معها ما يكفي من مال ستانلي لتستثمره. عشرة بالمئة من مبلغ نصف مليون - إن اشترت شقة بهذا السعر - هو خمسون ألف دولار فقط. وهذا يتركها مع سبعمائة ألف لتستثمرها. وإن أصيبت بالجنون، واشترت منزلاً بمبلغ مليوني دولار، فسيتوجب عليها اقتطاع مئتي ألف. ويتبقى لها نصف مليون من أموال ستانلي. ولكنها تجني ما يكفي من الأموال من شركة المحاماة لتدفع القرض. لم تكن ترغب بشراء منزل. لا تحتاج إلى الكثير من المساحة. والشقة تبدو حلاً أفضل بالنسبة لها.

نزلت على درج شقتها في الساعة الحادية عشرة والنصف، توقفت عند ستاربكس، والتقت بمارجوري على الفور عند الظهيرة في العنوان الأول. بدأت بشقة برشان هيل، ولم تحبها سارة، كانت مارجوري محقة. كانت الشقة مرآباً تمّ تحويله إلى شقة، ولم تكن تناسبها. ولا حتى تلك الموجودة في باسفيك هايتس، والتي كانت جميعها شققاً، ولكن لم تبدُ أي منها دافئة أو مريحة. كانت باردة، وصغيرة، وضيقة. بمبلغ نصف مليون دولار، أرادت شراء شيء مفعم بالروح والحب. أصيبت بخيبة الأمل، ولكن مارجوري أخبرتها ألاّ تفقد الأمل. سيكون هناك الكثير منها في السوق قبل نهاية السنة. وبعد الكرسمس، سيكون هناك أكثر. لا يرغب الأشخاص ببيع منازلهم قبل الأعياد، هذا ما شرحته لسارة. كان هذا عالماً جديداً بالكامل بالنسبة لها. كانت تكتشف الأفق الذي أشار إليه ستانلي في رسالته. كانت تفعل تماماً ما شجعها على القيام به هي والآخرين. لقد فتح باباً هاماً بالنسبة لها.

تحدثت هي ومارجوري عن المنزل ثانية، وهما تمشيان عائدتين إلى سيارتيهما في العنوان الأخير. ما زالت سارة تعتقد أن ذلك كثير

عليها. ربما امتلاك كامل تلك المساحة دون وجود أحد يشاركها إياها يثير الكآبة عندها. ابتسمت مارجوري على ما قالته.

"لن تبقي وحيدة للأبد، سارة. ما زلت شابة". بالمقارنة مع سمسارة العقارات، إنها كذلك. بدت كالطفلة أمام مارجوري، ولكن سارة هزت رأسها بالنفي.

"أنا في الثامنة والثلاثين من العمر. لا يسمى هذا شباباً. أريد شيئاً أشعر بالارتياح داخله وحدي". فهذه، في الواقع، هي حقيقة حياتها.

وعدتها مارجوري، "سنعمل على إيجاد ذلك، وسنجد الشيء المناسب بالتحديد. فالمنازل والشقق مثل الحب. عندما تجدين الشيء المناسب، تعرفين أنه المطلوب، فكل شيء يكون جاهزاً من أجله. لن تكون هناك حاجة للتوسل، أو الطلب، أو الإلحاح، أو الإجبار لكي يكون مناسباً لك". أومأت سارة، وهي تُفكّر بفيل. لقد قامت بالكثير من التوسل، والطلب، والإلحاح في السنوات الأربع الأخيرة، وقد بدأ الأمر يؤلمها. لم تكن قد سمعت أي شيء عنه منذ يومين. إنه بالتأكيد لم يضغط على نفسه أو حتى يُفكّر فيها.

أخيراً، اتصل بها في وقت متأخر تلك الليلة، بعد أن ذهبت لمشاهدة فيلم وحدها. كان الفيلم مملاً والفشار كان رديئاً. عندما رنّ جرس الهاتف، كانت متمددة على سريرها، ما تزال ترتدي ملابس الخروج، وتشعر بالأسى على نفسها.

"أهلاً، حبيبتي، كيف حالك؟ حاولتُ الاتصال بك في وقت مبكر، ولكن هاتفك الخلوي كان مغلقاً. أين كنت؟"

"كنت أشاهد فيلماً. كان مملاً. واحداً من تلك الأفلام الأجنبية السخيفة حيث لا يحدث أي شيء، ويغط الجمهور في النوم ويشخرون فلا تتمكّن من سماع الفيلم". ضحك على وصفها، وبدا وكأنه في مزاج رائع. قال إنه يستمتع بوقته مع أولاده. قالت على نحو لاذع: "شكراً لاتصالك يوم ذكرى

الشكر". بما أنها تشعر بالتعاسة، فيجب أن يشعر بذلك هو أيضاً. فقد كان من المزعج سماعه مفرطاً بالسعادة، وخاصة وأن ذلك لا يتضمنها.

"أنا آسف حبيبتي... أردت الاتصال، ولكن الوقت كان متأخراً. كنت في المرقص مع الأولاد وبقينا حتى الثانية من بعد منتصف الليل. نسيت هاتفي الخلوي في الغرفة، وحال عودتي كان الوقت قد تأخر كثيراً للاتصال بك. كيف كانت الذكرى؟"

"جيدة، تحدثت أنا وجدتي عن أمور مثيرة للاهتمام، عن طفولتها. وهذا من النادر أن يحدث معها. كان ذلك لطيفاً".

"ماذا فعلت اليوم؟" بدا وكأنه يتحدث مع إحدى أولاده، وليس مع المرأة التي يحب. ولم يكن من الواجب أن يذكر المرقص الذي ذهب إليه ليلة الشكر. لم تشعر بأنها جزء من حياته، أو بالأحرى ليست بالجزء الهام على أيةَ حال. بدت المكالمة وكأنها بدافع الواجب، وكانت مصابة باليأس الشديد لكي تتمكّن من الاستمتاع بها. بل زادتها تعاسةً، على كل شيء لم تَكُنه، وربما لن تصبحه على الإطلاق. إنها مجرد امرأةً يقضي معها أيام عطل نهاية الأسبوع. إنها تريد أكثر من ذلك. أما هو فلا يريد. إنه على الاتفاق نفسه الذي عقده معها.

قالت بصوت بائس: "بحثت عن شقة. في الواقع، إنني أبحث عن شقة".

بدا مندهشاً، "ما الذي دفعك إلى ذلك؟" لم يكن من طباعها أن تُفكّر بالمكان الذي تعيش فيه. كما أن الشقق باهظة الثمن. من الواضح أنها تجني أكثر مما اعتقد أنها تفعل. تأثر بذلك للحظة.

قالت: "في الحقيقة، السبب هو أريكتي والنبتتان الميتتان هنا". ثم ضحكت على نفسها.

"يمكنكِ شراء أريكة جديدة، والتخلص من النبتتين بدلاً من شراء شقة. يبدو ذلك حلاً مفرطاً بعض الشيء لنبتتين ميتتين".

قالت بصدق: "اعتقدتُ أنه من الممتع البحث عن واحدة".

"هل كان الأمر كذلك؟"

"لا، في الحقيقة. أصابني ذلك بالاكتئاب الشديد. ولكن قرّرت أنني أريد الانتقال حقاً. قالت السمسارة إن بإمكاني ربما إيجاد شيء جيد بعد الكرسمس".

"يا الله، أتركك وحدك بضعة أيام، وتصابين بكل هذا الأذى". كان يستهزئ بها، ولم تبالي لتصحيح ما قاله. فلم تكن تلك بضعة أيام. لم تره منذ حوالي الأسبوعين، بين العطلة ورحلته إلى تاهو مع أولاده، تلك الرحلة التي لم تشملها، والأسبوع الذي قضاه في نيويورك قبل جلسات المحاكمة، وسياستهما الجنونية التي تقتصر على رؤية بعضهما في عطل نهاية الأسبوع فقط. سيمضي أسبوعاً آخر قبل أن تراه ثانيةً. اللعنة، لم لا نجعل ذلك شهراً؟ أرادت أن تقول له ذلك، ولكنها لم تفعل. كان الأمر أشبه بمحاولته إثبات شيء ما، غير أنه لم يكن كذلك. إنه فقط يتصرف على طبيعة فيل. "حسناً، لا تنتقلي قبل عودتي. يجب عليّ الذهاب لتفقد الأولاد. إنهم في الأسفل في البركة الساخنة مع بضعة من صبية الكلية". ومن معه هو في البركة؟ لم تتمكّن من إيقاف نفسها عن التفكير بذلك. في الحقيقة لا يهم ذلك. كل ما يهم هو أنه ليس في البركة الساخنة معها، أو في أي مكان آخر. إنهما يعيشان في عالمين مختلفين، وقد سئمت منه. فهي تشعر بالوحدة الشديدة هنا دونه، لا سيما أن ذلك سيطول حتى نهاية الأسبوع التي تلي العطلة.

تلك الليلة، نامت نوماً متقطعاً، واستيقظت في السادسة من صباح اليوم التالي، ناسية أن اليوم هو السبت، وبدأت تستعد للذهاب إلى العمل. ثم تذكّرت أنه نهار السبت، فعادت إلى السرير. تبقّى أمامها يومان من أيام العطلة لتقضيهما قبل الهروب إلى عملها في المكتب. كانت قد أنهت العمل على جميع الملفات التي أحضرتها معها إلى المنزل. تفحصت كامل

المجلات بحثاً عن الشقق، وشاهدت كافة الأفلام التي أرادت مشاهدتها، واتصلت بجدتها، التي كانت منشغلة جداً طوال أيام الأسبوع، ولم تكن ترغب برؤية والدتها، كما أن الاتصال بصديقاتها المتزوجات سيصيبها بالكآبة. فهن منشغلات مع الأزواج والأطفال الذين لا تمتلكهم. ما الذي حدث لحياتها؟ هل كان ما أنجزته في السنوات العشر الأخيرة من حياتها، وفقدان متابعتها لأحوال صديقاتها، وإيجادها صديقاً لعطل نهاية الأسبوع أمراً جيداً؟ لم تكن لديها أية فكرة عما تفعله وحدها مع كل وقت الفراغ الذي بين يديها. تحتاج إلى مشروع. قرّرت الذهاب إلى المتحف، وقادت سيارتها مروراً بمنزل شارع سكوت في طريقها. لم تفعل ذلك عمداً، لكنها التفتت إلى هناك وحسب، وها هو هنا. أصبح يحمل معانٍ أكثر من السابق بالنسبة لها الآن لمعرفتها أن من بناه هو والد جدتها، وبأن جدتها عاشت هناك وهي طفلة. لم تتمكّن من إيقاف نفسها عن التفكير بمن سيشتريه، وتمنّت أن يحبه، كما يستحق المنزل.

وجدت نفسها تُفكّر بالمهندسين المعماريين اللذين عرفتها عليهما مارجوري، وتساءلت ما إذا كانا يستمتعان بوقتهما في البندقية وباريس. بدأت تُفكّر بالقيام برحلة. ربما يتوجب عليها الذهاب إلى أوروبا بنفسها. تساءلت ما إن كان فيل يرغب بالانضمام إليها للقيام بأمر كهذا. أخذت تحاول فجأة سد الثغرات في حياتها، لتجعلها مفهومة، ولتمنح لحياتها بعض المعنى والحركة. في مكان ما، في وقت ما، بطريقة ما، شعرت وكأن محرك حياتها قد انطفأ. كانت تحاول إعادة تشغيله، ولم تكن لديها أية فكرة عن كيفية القيام بذلك.

تجولت في أنحاء المتحف بلا هدف، تنظر إلى اللوحات التي لا تهتم بها، ثم قادت سيارتها ببطء عائدة إلى المنزل، ما تزال تُفكّر ملياً برحلة إلى أوروبا، ودون أي تفكير، وجدت نفسها تقود سيارتها مروراً بمنزل ستانلي ثانية. أوقفت السيارة، وخرجت منها، ووقفت تُحدّق به. الفكرة التي

خطرت ببالها للتو هي أكثر فكرة جنونيّة تراودها. لم تكن جنونيّة وحسب، بل إنها أكثر من ذلك. لم يكن لها أي معنى بأي شكل. كان فيل محقاً للمرة الأولى. بدلاً من شراء أريكة جديدة والتخلص من النباتات، كانت تُفكِّر بشراء شقة. بإمكانها الزعم على الأقل أن ذلك استثمار. ولكن هذا هدر للمال. لن تنفق الأموال التي تركها لها ستانلي على نحو غير متوقع، بل أيضاً كل شيء وفرته. ولكن إن كان ما قالته مارجوري صحيحاً، فإن منزلاً عادياً في باسفيك هايتس سيكلفها نفس السعر تقريباً، وهذا جزء من التاريخ، تاريخها الخاص. لقد بناه والد جدتها، كما أن جدتها ولدت فيه. كما أن الرجل الذي أحبته واحترمته عاش حتى مماته في عليته. وإن كانت تحتاج إلى مشروع، فهذا مشروع كفيل بأن يقضي على كل المشاريع الأخرى.

قالت لنفسها بصوت عالٍ: "لا!" وهي تمدّ يدها إلى حقيبتها لتجد المفاتيح، وتصعد الأدراج الأمامية، وتنظر إلى البرونز الثقيل والباب الزجاجي، ثم تفتح القفل. كان الأمر وكأن شيئاً أكثر قوة منها يدفعها للتحرك إلى الأمام والدخول إليه. شعرت فجأة وكأن تياراً قوياً يدفعها في نهر قوي بينما لا حول لها ولا قوة. مشت ببطء إلى الصالة الرئيسية.

كما وعدتها مارجوري، كان المنزل نظيفاً: الأرضيات تتلألأ، والثريات تومض تحت نور الشمس الداخل، والدرج الأبيض الرخامي يلمع. تلاشت السجادة القديمة البالية، على الرغم من أن المثبتات البرونزية ما تزال هناك. وتم تلميع الخشب المنحوت بشكل كامل. كان المنزل نظيفاً، ولكن كل مشاكله ما تزال هناك، الأسلاك الكهربائية القديمة، التمديدات الصحية التي لم تتغير منذ سنوات. المطبخ الذي يجب نقله إلى طابق آخر، الفرن الذي يجب إبداله بنظام أكثر حداثة. والمصعد الذي يبلغ من العمر ثمانين سنة تقريباً. ليس هناك شيء في المنزل تقريباً، سوى الأرضيات والخشب المنحوت، وهذا ما يحتاج إلى نوع من العناية. قال

جيف باركر أنه بالإمكان إنجاز الأعمال بنصف مليون دولار من قبل شخص لديه بعض الوقت ليخصصه للمنزل، وتخفيض تكاليف الأعمال يدخل في صلب أولوياته. ولكنها لا تعرف شيئاً عن تجديد المنازل. عاشت في شقة بغرفتين، ولم تتمكّن حتى من الاعتناء بها. ما الذي تُفكِّر فيه؟ وقفت هناك تتساءل إن كانت قد أصيبت بالجنون الكامل تماماً. ربما الوحدة قد سببت لها ذلك، أو الشجار مع فيل عن مقدار الوقت الذي يقضيه معها، أو الكثير من العمل، أو فقدانها لستانلي، أو وراثتها للكثير من المال. ولكن كل ما يمكنها التفكير فيه الآن هو أنها إن اشترت المنزل بمليونين، ودفعت مئتي ألف كنسبة عشرة بالمئة من القرض، يبقى معها خمسمائة وخمسون ألف دولار من أموال ستانلي لتجدد بها المنزل.

قالت بصوت عالٍ، وهي تضع يدها على فمها وتقف هناك: "أوه، يا الله، لا بد من أنني مجنونة". ولكن الشيء الأكثر غرابة هو أنها لم تكن تشعر بذلك. شعرت بأنها سليمة العقل تماماً، واضحة الذهن بالكامل، وفجأة أخذت تضحك، وتنظر للأعلى إلى الثريا العملاقة. قالت بصوت أعلى...: "أوه، يا الله! ستانلي، سأفعل ذلك!!!" عندها، رقصت حول الصالة مثل الطفلة، ثم ركضت عائدة إلى الباب الأمامي، وهي تشعر بالإثارة، أقفلت الباب، وأسرعت إلى سيارتها. اتصلت بمارجوري من هاتفها الخلوي، وهي تجلس في السيارة.

طمأنتها مارجوري على الفور، متوقعة ما الذي ستقوله: "لا تدعي همتك تتثبط، سارة. سنجد لك شيئاً".

قالت سارة بصوت خافت أكثر منه همساً: "أعتقد أنني فعلت ذلك للتو". كانت ترتجف. لم تصب بالذعر الشديد أو الإثارة الشديدة من قبل طيلة حياتها. لا يمكن للنجاح في المحاكمات أن يقارن مع هذا.

"هل رأيت شيئاً اليوم؟ إن أعطيتني العنوان، بإمكاني تفقد اللائحة لك. ربما يكون واحداً من تلك الخاصة بنا".

قالت سارة بقهقهة جنونية: "إنه كذلك". وشعرت بالدوار.

"أين يقع؟" اعتقدت مارجوري أنها تبدو غريبة، وتساءلت ما إن كانت ثملة. لن يفاجئها ذلك. فقد بدت سارة كئيبة جداً في اليوم السابق.

"ألغي عرض البيع".

"ماذا؟"

"ألغي عرض بيع المنـزل".

"هل حدث شيء؟ لماذا؟"

"أعـتقد أنني أصبت بالجنون للتو... سأشتريه. أريد تقديم عرض للـورثة". كانـت قد وجدت الرقم المناسب مسبقاً، كما أنهم قد قالوا من قـبل بـأنهم سـيقبلون أول عرض يُقدم لهم، مهما كان. بإمكانها تقديم عـرض أقـل، ولكـنها لا تعتقد أنه من المناسب القيام بذلك. "أريد أن أعـرض علـيهم ملـيون وتسعمائة ألف. هذا يمنح كل وريث مئة ألف دولار".

سألتها مارجوري، "هل أنت جادة؟" وقد بدت عليها الدهشة. لم تتوقع أن تقـوم سـارة بفعل شيء كهذا. قالت قبل ساعات إنها تريد شقة، وليس منـزلاً. وما الذي ستفعله بحق الله بمنـزل تبلغ مساحته ثلاثين ألف قدم مربع يحتاج إلى عامين من العمل وما يقارب المليون دولار لتجديده؟ "هل أنتِ جادة؟" بدت مارجوري مصعوقة.

"أنـا كـذلك. اكتشفت البارحة أن والد جدتي هو من بنى المنـزل. والدة جدتي هي ليلي التي هربت".

"يا الله، لم تذكري شيئاً عن هذه القرابة من قبل".

"لم أكن أعلم. علمت أنني رأيت الصورة في مكان ما من قبل. رأيتها البارحة فوق خزانة جدتي في غرفة نومها. ليلي هي والدتها. لم ترها بعد رحيلها مجدداً".

"يا لها من قصة مذهلة. إن كنتِ جادة بخصوص ذلك سارة، سأكتب الأوراق، وسنقدم العرض يوم الاثنين".

"قدميها. يبدو الأمر جنونياً، ولكنني أعلم أنه صحيح. أعتقد أن القدر هـو من جلب هذا المنـزل إلى حياتي. ثم ترك لي ستانلي المال لأشتريه. لـم يعلـم أنـه يفعل ذلك، ولكنه ترك لي مالاً يسمح لي بشراء المنـزل وتجديـده. إن قمـت بالأمر كما اقترح جيف باركر، بأن أقوم بالكثير من العمـل بنفـسي، وأراقب كل فلس". علمت أنها تبدو مثل المرأة المجنونة وهـي تقـول كل ذلك بسرعة. ولكن فجأة بدا وكأن آفاقاً جديدة قد فتحت أمامهـا وكـل شيء تراه في الأفق جميل ومليء بالحياة. أفضل مما كانت عليه طوال حياتها. بين عشية وضحاها، أصبح منـزل ستانلي حلمها. "أنا متأسفة لأنني أبدو كالمجنونة، مارجوري. ولكنني أشعر بالحماسة الشديدة. لم أفعل شيئاً كهذا في حياتي".

"ماذا؟ شراء منـزل بثلاثين ألف قدم مربع وبعمر تسعين سنة يحتاج إلـى إصـلاح وتجديد؟ بلا مزاح؟ اعتقدت أنك تفعلين ذلك كل يوم". كانتا تـضحكان على ما قالته. "حسناً، أنا مسرورة لأننا لم نقدم عرضاً على تلك الشقق المضيعة للوقت التي أريتك إياها البارحة".

قالت سارة بسعادة: "أنا أيضاً، هذا يناسبني".

"حـسناً، أيـتها الشابة. سأحضر لك العرض لتنظري إليه غداً. هل ستكونين في شقتك؟"

"نعم. سألقي بكامل ممتلكاتي في القمامة".

ابتسمت مارجوري، وهزّت رأسها، "لا أريدكِ أن تكوني متسرعة أو أي شـيء مـن هـذا القبـيل، بإمكانك توقيع الأوراق غداً، إن بدت جيدة بنظرك".

"أعتقد أن بإمكاني الاتصال بهم لتقديم العرض بنفسي يوم الاثنين. أو ربما أرسلها لهم عن طريق الفاكس". لم ترَ بأن ذلك مشكلة، نتيجة لما قالوه

في الاجتماع الأسبوع الماضي، ولكن من يعلم؟ لم ترغب سارة بالوثوق بذلك حتى تحصل على موافقتهم. "من الأفضل أن أتصل بالبنك أيضاً". هناك احتمال أن يسلفوها الأموال حتى قبل أن تحصل على إرث ستانلي. كان لها مصداقية جيدة، وعلاقة طويلة مع البنك.

ذكّرتها مارجوري بنبرة صوت خبيرة: "تذكري ما قلته لك؟ المنازل كالحب، سارة. عندما تجدين المنزل المناسب، تعرفينه. لا يتوجب عليكِ أن تتوسلي، تطلبي، تقاتلي، أو تلحي. يحدث الأمر وحسب. وكل شيء يصبح واضحاً. أعتقد أن هذا مناسب لك".

"أعتقد بذلك بصدق". شعرت وكأن القدر أراده لها.

قالت مارجوري، وقد بدت سعيدة لأجلها: "تعلمين ماذا، سارة؟ أنا أيضاً أعتقد أنه مناسب لكِ". كانت سارة امرأة لطيفة، وتستحق المنزل، إن كان هو ما تريده.

قالت سارة: "شكراً لك". وشعرت بأنها أهدأ مما كانت عليه قبل عدة دقائق. كان هذا الأمر الأكثر إثارة الذي تفعله في حياتها، والأكثر إثارة للخوف أيضاً.

وعدتها مارجوري بأن تأتي مع أوراق العرض في صباح اليوم التالي. شغّلت سارة سيارتها وقادتها للمنزل. لم تشعر بأنها أكثر هدوءاً أو ثقة بالنفس أو سعادة لأي شيء قامت به من قبل على الإطلاق. ركنت سيارتها، وصعدت الأدراج الأمامية لبناء شقتها، ودخلت ووجهها تعلوه ابتسامة عريضة. كان المنزل ذو الرقم عشرين أربعين في شارع سكوت يومئ لها في الأفق. إنها تنتظر بفارغ الصبر!

الفصل العاشر

أحضرت مارجوري الأوراق صباح يوم الأحد. بدت الأوراق مناسبة لسارة فوقعتها وأعادتها إليها. أعطت مارجوري لسارة نسخة لتتمكّن من إرسالها عن طريق الفاكس إلى ورثة ستانلي من مكتبها. بدت وكأنها متهمة بسفاح القربى نوعاً ما، لأنها المحامية المسؤولة عن الممتلكات. ولكن كل شيء قانوني وواضح.

ذكّرتها مارجوري، "يتوجب عليكِ الاتصال بجيف وماري لويز عندما يعودان من أوروبا". كانت سارة قد فكّرت بذلك مسبقاً. لم تقل شيئاً لفيل عندما اتصل بها الليلة السابقة. فقد صُدم يوم الجمعة عندما أخبرته أنها تبحث عن شقة مشتركة. سيعتقد أنها فقدت عقلها تماماً إن أخبرته في اليوم التالي أنها قدّمت عرضاً لشراء منزل بمساحة ثلاثين ألف قدم مربعة.

خرجت لتناول الفطور وحدها، قرأت جريدة نيويورك تايمز، حلت الكلمات المتقاطعة، ثم عادت إلى شقتها. عندما دخلت، نظرت إلى بطاقة العمل الخاصة بجيف وماري لويز فورنير، وقرّرت ترك رسالة لهما. علمت أنهما ربما ما يزالان في أوروبا، ولكن عندما يعودان، يمكنهما الاتصال بها. أرادت الذهاب إلى المنزل معهما ثانية، مع تفاصيل أكثر هذه المرة. حالما يُقبَل عرضها، في حال حدث ذلك، تحتاج إلى البدء بوضع قائمة للأشياء التي يتوجب عليها القيام بها. فيجب أن يتمّ التعامل مع الأعمال الكهربائية وأعمال الصحية عن طريق متعهد، ولكنها ستحاول أن

تقــوم بالكثيــر من الأعمال اليدوية بنفسها. ستحتاج إلى مساعدتهما، وإلى الكثيــر من النصيحة. تمنّت ألاّ يطلبا منها ثروة هائلة لقاء خدماتهما، ولكن ليس لديها أي خيار آخر، فقد كانت تسير على غير هدى.

اتصلت برقم مكتبهما وانتظرت المجيب الآلي. كان جيف قد أعطاها رقمي هاتفيهما الخلويين في أوروبا وأميركا ولكن ليس هناك شيء يقدمانه لها من بعيد. يمكن لذلك الانتظار حتى قبول العرض، وعندما يعودان إلى ســان فرانسيــسكو، يمكنها الالتقاء بهما مجدداً في المنــزل. سمعت سارة المجيب الآلي، وثم صدر صوت ذكر. حاول كلاهما التحدث بصوت أعلى مــن صوت المجيب الآلي، ثم أخبرها أن تنتظر حتى يطفئ الآلة. عاد من جديــد إلـــى الخط بعد لحظة، وحاولت سارة ثانية. لم تميز الصوت الذي أجاب.

"مرحباً، اسمي سارة أندرسون، وأنا أحاول ترك رسالة لجيف باركر وماري لويز فورنير لحين عودتهما من أوروبا. هل بإمكانك أن تطلب من أي مـــنهما الاتصال بمكتبي، من فضلك؟" تمنّت أن يتصل بها جيف وليس تلــك الشريكة الفرنسية المستاءة، ولكنها كانت جاهزة للتعامل مع أي واحد يمكنه إيجاد الوقت لمساعدتها.

"أهلاً، سارة. أنا جيف". كحاله سابقاً، بدا مُرحباً ودافئاً.

"ما الذي تفعله هنا؟ اعتقدت أنك في إيطاليا، أو باريس". نسيت وجهة رحلتهما والمكان الذي يفترض أن يكونا به في هذا الوقت.

"كــنت هناك... لا تزال ماري لويز هناك. عدت باكراً. لديّ بعض العمل لزبون. فاتنا الكثير من العمل".

تنفست بعمق، وتحدثت عن الموضوع مباشرة. "سأقوم بتقديم عرض على المنــزل".

بدا مرتبكاً للحظة. "أي منــزل؟"

قالت بفخر: "ذو الرقم عشرين أربعين في شارع سكوت". وبانتهائها من الكلام، كان جيف قد أصيب بالدهشة. تمكّنت سارة من سماع ذلك حتى وإن لم تكن تراه.

"ذلــك المنـــــزل؟ واو! هــذا شيء مفاجئ، وشجاع تقومين به". كانــت الطــريقة التــي قالهــا بها مثبطة للهمة قليلاً. وكأنه اعتقد أنها مجنونة.

"هل تعتقد أنني مجنونة لأقوم بهذا العمل؟"

"لا، لا أعــتقد ذلك". قال وهو غارق بالتفكير. "ليس إن كنت تحبين المنــزل".

قالــت، وقــد بــدا الهدوء عليها أكثر الآن: "إنني أحبه، لقد بناه والد جدتي".

قـــال وقد بدا صوته فرحاً: "هذا رائع جداً الآن. أحب الأشياء كهذه، عندما تكتمل الدائرة. يبدو كأنه الترتيب الصحيح للأشياء نوعاً ما. آمل أن تكوني مستعدة للقيام بشيء كبير"، فضحكت.

"أنا كذلك، آمل أن تكون أنت كذلك أيضاً. أحتاج إلى مساعدتك، وإلى الكثير من الإرشاد. فأنا سأتبع الخطة الأولى".

"أية خطة؟"

"تلك التي تنفق فيها نصف مليون لتجديد المنــزل، وتقوم بالكثير من العمل بنفسك، وتراقب الميزانية جيداً".

"أوه، هذه. كنت سأفعل الشيء نفسه لو كنتُ مكانكِ، لا سيما إن كانت عائلتي تمتلك المنــزل في الأصل".

"مـــع فارق بسيط هو أنك مهندس معماري تعرف الكثير عن تجديد المنازل، وأنا محامية، أعرف الكثير عن قوانين الضرائب ونسب الأملاك، ولا أعرف شيئاً عن تجديد المنــزل، أو حتى كيفية طرق المسمار".

"ستتعلمين. لا يكون لدى معظم الأشخاص الذين يصلحون منازلهم بأنفسهم أية فكرة عما يقومون به. ستكتشفين وأنت تعملين، وإن ارتكبت أي خطأ، ستصلحينه". كان مشجعاً لها جداً، وحميماً كما كان من قبل. شعرت سارة بالارتياح لأن ماري لويز ليست هناك. لن تكون سعيدة لذلك كما كان هو.

"أريدك أن ترى المنزل ثانية عندما تمتلك الوقت، إن لم تكن مشغولاً جداً. بإمكاني أن أدفع ثمن ذلك، بالتأكيد. ولكنني أريد نصيحتك حقاً عما يجب القيام به أولاً. الكهرباء، الصحية، الأسلاك. أحتاج إلى بعض الإرشادات لأبدأ طريقي، وسأحتاج إلى الكثير من النصح طوال الطريق".

"هذا سبب وجودنا. متى ترغبين أن أصطحبك؟ لا أعتقد أن ماري لويز ستعود قبل بضعة أسابيع. أعرفها عندما تجتمع مع أسرتها في باريس. تؤخر رجوعها يوماً بعد يوم. أعتقد أن ذلك سيستغرق ثلاثة أسابيع إضافية. يمكننا الانتظار حتى رجوعها، إن أحببت، أو يمكنني البدء بالعمل وحدي".

"بصراحة، أفضل ألاّ أنتظر".

قال بسهولة: "هذا يناسبني، أخبريني عن برنامجك الأسبوعي".

"الجنون المعتاد". كانت تُفكّر بالاجتماعات التي تتذكرها مع موكليها، وبالعمل الذي لا تزال تعمل عليه على أملاك ستانلي. يتوجب عليها الذهاب إلى المحكمة صباح الثلاثاء حيث ستعقد جلسة للتحقق من صحة الوصية. سيكون أسبوعاً جنونياً إلى حدٍّ ما.

قال وهو يُحدّق بمفكرته: "أنا أيضاً، لديّ فكرة. هل أنتِ مشغولة عصر اليوم؟"

قالت سارة، وهي تشعر بالذنب: "لا، ولكن أعتقد أنك أنت المشغول، لا أفترض أنك تجلس هناك تقرأ كتاباً أو تشاهد التلفاز".

"لا، ولكنني أنجزت الكثير من العمل البارحة وصباح اليوم. يمكنني الاستراحة لبضع ساعات الآن، إن أردتِ الالتقاء بي عند ذلك المنزل. بالإضافة إلى أنكِ زبونة الآن. وهذا عمل".

"أرغب بذلك". لم يكن لديها شيء تفعله طوال العصر. لقد بدأ المنزل يملأ أيامها.

"رائع. سألقاكِ هناك بعد نصف ساعة. في الحقيقة، هل ترغبين بتناول شطيرة قبل الذهاب؟ يمكننا التحدث عن خططك أثناء الغداء".

قالت بسرور: "هذا جيد". لم تشعر بمثل هذه الإثارة منذ قبولها في هارفارد.

"سأقلك بعد عشر دقائق. أين تعيشين؟" أعطته العنوان، بعد خمس عشرة دقيقة كان يضغط على جرس شقتها. ركضت نزولاً على الأدراج لتلتقي به، وصعدت سيارة الجيب التي يقودها ليقلها بها.

سألت سارة باهتمام، "ما الذي حدث لسيارة البيجو؟"

ابتسم لها، "لا يُسمح لي بركوبها". ثم توقفا عند محل بيع الأطعمة في شارع فيلمور لأخذ الشطائر وعصير الليمون. بعد أقل من نصف ساعة من الالتقاء بها، وصلا إلى المنزل الذي تأمل سارة بامتلاكه. بحظها الرائع، سيصبح كذلك. ذكرته بأن الاتفاق لم يتم بعد، فابتسم لها، دون قلق. "سيصبح ملككِ. أشعر بذلك في داخلي".

"أنا أيضاً". قهقهت ضاحكة، وهما يدخلان المنزل.

كان يأخذ عمله على محمل الجد. أحضر معه آلتي تصوير، وشريط قياس صناعياً، ولوح تخطيط، ومجموعة من الأدوات والآلات لقياس الأشياء، ومعدات تقييم أخرى. شرح لها أنه يتوجب حماية الأرضيات والخشب المنحوت أثناء العمل في المنزل. نصحها بمتعهدي بناء لتختار بينهما، وثلاثة من عمال الكهرباء الذين أخبرها أنهم لن يكلفوها الكثير. أما

الترتيب الذي اقترح جيف أن يقوم به معها هو الأجر على الساعة، بالاعتماد على العمل الذي ينجزه، وليس على نسبة التكلفة، لإدارة المشروع. قال إن الأجر لقاء الساعة أقل كلفة عليها. كان جاداً جداً، ينزل أسفل الأشياء، يصعد فوق الأشياء، يطرق على بعضها، يطرق على الجدران، ويتفحص الخشب، والآجر، والجص.

بعد أن قضى ساعة هناك، قال لها: "إن المنزل يبدو مذهلاً، بالنظر إلى عمره". لم يكن هناك شك بأن أعمال الصحية والكهرباء كارثة، على الرغم من أنه أحب حقيقة عدم وجود أي تسريب مرئي في المنزل، والذي قال إنه أمر مستحيل.

"كان ستانلي يعتني بالمنزل إلى حدٍّ ما من الخارج. لم يكن يرغب بالعيش في الجزء الرئيسي منه، ولكنه لم يرغب أيضاً بأن يسقط. لقد وضع منذ وقت قصير سقفاً جديداً".

"إنه رجل ذكي. فالتسريب المائي يفسد كل شيء، وأحياناً يكون من الصعب تحديد مكان التسريب". بقيا هناك حتى السادسة تقريباً، وبحلول الوقت الذي غادرا فيه، كانا يستخدمان أضواء الكشافة. شعرت سارة وكأنها في منزلها هناك. لقد قضت وقت العصر بكامله وهي تكتشف كل شيء مع جيف. وكانت هذه البداية فقط. كان قد ملأ مسبقاً دفتراً كاملاً بالملاحظات والمخططات. قال لها وهي تقفل الباب الأمامي: "لن أفرض عليك أجراً لقاء اليوم". ثم ساعدها لتصعد السيارة.

"هل تمزح؟ لقد قضيت هنا خمس ساعات".

"إنه يوم الأحد. لم يكن لديّ شيء أفضل من هذا لأقوم به، كما أنني استمتعت بذلك. لقد كان اليوم بمثابة هدية. مرحت كثيراً، يجب أن تطلبي مني أنت أجراً لذلك. فربما يكون أجر ساعتك أعلى من أجر ساعتي". مزح معها. بدا أن أجورهما متقاربة، بالنظر إلى الأسعار التي أعطاها إياها على الهاتف.

"أعتقد أننا متعادلان في هذه الحالة".

"جيد. هل لديك الوقت لتناول العشاء، أو هل أنت مشغولة؟ يمكننا البدء بمناقشة بعض الملاحظات. أريد إجراء بعض التقييمات من أجلك صباح الغد". كانا قد ابتعدا عن المنزل في طريقهما.

"ألم تمل مني بعد؟" شعرت وكأنها سارقة، تستفيد منه منذ أن خططت القيام ببعض العمل بنفسها. ولكنه علم ذلك، ولا يبدو أنه يمانع. فذلك هو اقتراحه في الأصل.

"من الأفضل ألاّ أمُل منك، أو من المنزل. أو أن تملي أنت مني. فسترينني كثيراً خلال الأشهر الستة المقبلة، أو ربما لفترة أطول، بالاعتماد على الوقت الذي يلزمنا لإنهاء العمل". سألها وهما ينطلقان بالسيارة، "ما رأيك بالسوشي؟"

"رائع".

أخذها إلى مطعم للسوشي خارج يونيون، وتابعا التحدث عن المنزل بحيوية وحماس. سيكون من الممتع العمل معه. فمن الواضح أنه يحب مهنته، وأصبح مولعاً بشدة بالمنزل الذي ستشتريه سارة على الفور. إنه يشبه المشاريع التي عمل عليها في أوروبا.

أعادها إلى شقتها بعد الثامنة والنصف تقريباً، ووعدها أن يتصل بها صباحاً. كان الهاتف يرن عند دخولها شقتها.

"أين كنت؟" كان المتصل هو فيل. وبدا قلقاً.

قالت بهدوء: "في الخارج أتناول السوشي".

"طوال اليوم؟ لقد كنت أتصل بك منذ الثانية. أعدت الأولاد باكراً. كنت في الخارج طوال اليوم. وتركتُ لكِ الرسائل على هاتفك الخلوي". لم تكن قد تفحصت رسائلها منذ الظهر. لقد كانت منشغلة جداً بمنزل شارع سكوت.

قالت بصدق: "آسفة. لم أعتقد أنك ستتصل بي".

"كنت سأصطحبك لتناول العشاء". بدا مجروح الكبرياء، وهزأت منه.

"يوم الأحد؟ الآن، هناك تغير جديد".

"تناولت البيتزا. منذ السابعة يئست من لقائك. هل تريدينني أن آتي إليك؟"

بدت متفاجئة، "الآن؟" كانت قذرة على نحو شديد. كانا يزحفان حول المنزل طوال اليوم، حتى في القبو. لقد قام فريق التنظيف بعمل جيد، ولكنهما امتلأا بالغبار بالرغم من ذلك. فلا يزال هناك بعض الأوساخ في الزوايا والشقوق البعيدة.

سألها، "هل أنتِ مشغولة؟"

"لا. إنني أبدو بحالة فوضوية وحسب. يمكنك المجيء إلى هنا إن أردت. سأستحم سريعاً". كان يمتلك المفاتيح، منذ سنتين. ليس هناك شيء تخبئه عنه. على الرغم من عثرات ترتيباتهما، من وجهة نظرها، لطالما كانت صادقة معه، وهو صادق معها. لم تتمكّن من ردع نفسها عن التفكير بسبب مجيئه إليها. كانت تجفف شعرها، بعد الاستحمام، عندما دخل إلى الشقة، عابساً.

سألها، وقد بدا قلقاً. "ماذا بكِ؟ أنتِ في الخارج كلما اتصلت بكِ. خرجتِ لتناول السوشي. عادة، أنتِ لا تذهبين لتناول العشاء وحدك. ذهبتِ لمشاهدة فيلم وحدك يوم الجمعة. وكنتِ تبحثين عن شقة". ابتسمت ممتلئة بالأسرار وهو يقول ذلك. كانت تُفكّر بالمنزل في شارع سكوت. "وتبدين بحال غريبة".

"أوه، شكراً". قالت وهي تضحك عليه. ما الذي توقعه؟ غادر لقضاء عطلة الأسبوع مع أولاده، ولم يدعُها. ربما اعتقد أنها ستجلس في شقتها طوال الأسبوع تنتظر رؤيته في عطلة الأسبوع التالية. ليس هذه المرة، على الرغم من أن ذلك قد حدث مسبقاً. "كنت مشغولة وحسب. وقرّرت ألاّ أشتري شقة".

"حسناً، يبدو ذلك طبيعياً على الأقل. لقد بدأت أفكر أنك تواعدين رجلاً آخر أو شيئاً كهذا". ابتسمت له ووضعت ذراعيها حوله.

قالت بصراحة: "ليس في هذه الأثناء، ولكن يوماً ما، سأفعل، إن لم نبدأ برؤية بعضنا أكثر".

"يا الله، سارة، لا تبدئي ذلك من جديد". بدا غاضباً.

"لا أفعل. أنت سألتني".

"اعتقدتُ فقط أنكِ تتصرفين بغرابة". أكثر غرابة مما يمكنه أن يحلم به. وإن حصلت على المنزل، ستصبح أكثر غرابة. لا يمكنها الآن إلاّ الانتظار وبصعوبة حتى تخبره بذلك. ولكنها أرادت التحدث مع البنك، وتنتظر أن تسمع من جميع الورثة أولاً.

تمدّد على الأريكة وشغّل التلفاز، ثم سحبها إلى جانبه. خلال لحظات، شعر بالإثارة، وبعد نصف ساعة، انتقلا إلى غرفة نومها. لم يكن السرير مرتباً، ولم تكن قد غيرت الملاءات، ولكنه لم يبدُ مبالياً بذلك. في الحقيقة، لم يلاحظ ذلك. قضى الليل معها، يحضنها، يعانقها، حتى في مساء يوم الأحد. ثم أقام علاقة ثانية في الصباح التالي. إنه من المضحك – فكّرت سارة بينها وبين نفسها وهي تقود سيارتها لمركز المدينة – كيف يحس الأشخاص عندما تختلف الأمور. كما أن حياتها على وشك أن تختلف كثيراً. إن حصلت على المنزل، ستتغير حياتها جذرياً.

الفصل الحادي عشر

أعدت سارة رسالةً إلى ورثة أملاك ستانلي التسعة عشر يوم الاثنين. ثـم أرسـلتها بالفــاكس إلــى أولئك الذين يملكون أجهزة فاكس، وبالبريد المـستعجل للآخرين، وأضافت العرض الرسمي الذي حضّرته مارجوري بـصفتها الوسـيطة العقاريــة. كان كل شيء رسمياً، ووصل إلى الطرف الآخر قرابة الساعة العاشرة صباحاً.

فــي الحادية عشرة، اتصل بها توم هاريسون من سانت لويس. كان يـضحك عندما أجابت على المكالمة في مكتبها. "تساءلتُ إن كنتِ ستفعلين ذلك، سارة. كانت عيناكِ تشعان وأنتِ تدخلين ذلك المنــزل. هذا جيد لك. أعــتقد أن هذا بالتحديد ما قصده ستانلي عندما أخبرنا أن نبحث عن آفاقٍ جديــدة. يتوجب عليّ القول إنني مستعد لأدفع لكِ ضعف مبلغ العرض كي لا أتحمــل أعباء منــزلٍ ضخمٍ كهذا. ولكن إن كنتِ تحبينه، فافعلي ذلك. إليك موافقتي الكاملة. إنني أقبلُ عرضكِ".

"شكراً لك، توم". كانت تشعر بالحماسة، وهي تصغي إليه.

سمعت الرد من أربعة آخرين في ذلك اليوم، وردّ تسعة يوم الثلاثاء. أمــا الخمسة الباقون فلم تسمع منهم شيئاً. أعطاها اثنان منهم موافقتهما يوم الأربعــاء. وبحلول ذلك الوقت، كان البنك قد وافق أيضاً. ليست هناك أية مــشكلة فــي الحصول على قرض، أو حتى منحها اعتماداً مفتوحاً لتغطية التكالــيف حتــى حــصولها على الإرث من ستانلي. كانت مارجوري قد اقتــرحت علــيها الحــصول على تقرير سلامة التربة، لمجرد التأكد من

ســلامتها، ولــم تكن هناك مشكلة. كان هناك القليل من المشاكل البسيطة المفاجــئة، والتــي يمكــن توقعها في منــزل قديم. لا شيء منها لا يمكن إصــلاحه. كمــا كان ستانلي قد حصل على تقرير من هيئة الزلازل، فقط للتأكد من أن المنــزل لن يهوي على رأسه إذا حدث زلزال. إذاً، المشاكل الوحيدة المتبقية هي تلك الواضحة التي تعرفها.

وصــلت المــوافقات الــثلاث الأخيرة يوم الخميس، وحال حصولها علــيها، اتــصلت ســارة بالبنك، وبمارجوري، وبجيف باركر. هؤلاء هم الوحيدون المطلعون على جنونها. أطلق جيف هتاف المرح عندما أخبرته. فقــد كان قد اتصل بها يوم الخميس ليطمئن، ولكنها لم تكن قد حصلت بعد علــى المــوافقات الخمــس. كــان جميع الورثة مسرورين لبيع المنــزل والــتخلص منه، وسعداء بثمنه. فقد شكّل تعقيداً ومشكلة لا يرغب أي منهم بها. اتفقوا على إعداد صك تنفيذ في غضون ثلاثة أيام، الأمر الذي لم يكن بالأمر المهم جداً. فهو يعني أن المنــزل عملياً يصبح لها يوم الأحد.

قال جيف، عندما سمع الخبر: "يجب علينا الاحتفال، ما رأيكِ بعشاء سوشــي آخــر؟" كان الأمر بسيطاً وسريعاً، واتفقا على أن يلتقيا في مطعم مخــتلف فــي فيلمور، بعد أن ينهي كل منهما عمله. اتفقا على اللقاء عند الــساعة الــسابعة والنصف، وتوجب عليها الاعتراف، أنه كان من الممتع الحــصول على شيء تفعله، وعلى شخص تلتقي به في أيام الأسبوع. كان الأمــر أكثر متعة من تناول الشطيرة على مكتبها أثناء العمل، أو الذهاب إلى المنــزل والتحديق في التلفاز، ونسيان تناول العشاء بالكامل.

تحدثت هي وجيف عن المنــزل لساعتين متواصلتين خلال العشاء. فقــد راودتــه ملايــين الأفكار منذ تحدثا يوم الثلاثاء. أراد معرفة إن كان بإمكانــه مــساعدتها على القيام ببعض الترتيبات على الدرج الخلفي، كما صــمم لهــا مطــبخاً كاملاً في الطابق الرئيسي. بالطبع، كان ذلك مجرد مخطط أولي، ولكنها أحبته. اقترح إنشاء صالة للألعاب الرياضية في القبو،

حيث كان المطبخ القديم، كما أضاف أيضاً حماماً للساونا وغرفة بخار.

سألته، وقد بدت قلقة، "ألن يكلف ذلك ثروة؟" مع علمها أن فيل سيحب ذلك، إلاّ أنها لم تخبره بعد عن المنزل، ولكنها ستفعل في عطلة نهاية الأسبوع القادمة.

"لا يجب ذلك. بإمكاننا استخدام وحدات مستعملة. كما بإمكاننا وضع حمام". ضحكت على هذا الاقتراح.

"بدأنا الآن بالترفيه". لقد أحبت بشكل خاص تصميمه للمطبخ، كان عملياً وجميلاً. كما كانت هناك مساحة لطاولة طعام كبيرة ومريحة أمام النوافذ المطلة على الحديقة. كان يصرف الكثير من الوقت والتفكير على هذا المشروع. أحياناً، يجعلها تتساءل كم ستكون فاتورة أجره. ولكن من الواضح أنه كان شغوفاً بمنزل شارع سكوت مثلها تماماً. إنه من أفضل هواياته.

"يا الله، أحب هذا المنزل، جيف. ألا تحبه أنت؟" ابتسمت بابتهاج.

"بلى". ابتسم لها بسرور، بدا مرتاحاً بعد انتهائهما من العشاء. شرب كلاهما الشاي الأخضر. "لم أستمتع بشيء مثل هذا منذ سنوات. يكاد ينفد صبري وأنا أنتظر الانغماس في العمل به". أخبرته أنها قد اتصلت بمتعهدي الكهرباء والصحية في ذلك الأسبوع. وحددت مواعيد معهما في الأسبوع القادم لتقديم العروض. أخبرها كلاهما أن بإمكانهما البدء في العمل الحقيقي بعد الكرسمس. مثل جيف تماماً، بدأ صبرها ينفد وهي تنتظر البدء. "انتظري فقط حتى يتجزأ المنزل ويتم تصليح وتنظيف كل شيء، ثم نعيد جمعه ".

قالت وهي تبتسم له: "تجعل الأمر يبدو مخيفاً". ولكنه كان هادئاً جداً ومُطمئناً، فإن كان بمقدور أحد جعل الأمر يحدث، فهو هذا الشخص.

"إنه مخيف أحياناً، ولكن عندما تنتهين منه، تحصلين على شعور لا يصدق".

أملت سارة أن يعود المنزل ليبدو محترماً من جديد بحلول الصيف. أو على الأسوأ، بحلول الكرسمس القادم. لم يكن جيف يعتقد أنه سيستغرق سنة كاملة. دفع الفاتورة، ثم نظر إليها بتعبير وجه فضولي. كان له وجه صبياني، ولكن عينا رجل حكيم. بدا عجوزاً وشاباً في الوقت نفسه، وكان أكبر منها بست سنوات فقط. إنه في الرابعة والأربعين من العمر. وكان قد ذكر سابقاً أن ماري لويز في الثانية والأربعين، على الرغم من اعتقاد سارة أنها تبدو أصغر من ذلك بكثير. كان فيها شيء غامض وغير محتشم، نظرة متكشفة جعلتها تبدو أصغر من سارة، التي كان لها مظهر مختلف تماماً، يميل إلى مظهر العمل، على الأقل في الأيام التي تذهب فيها إلى المكتب. عندما تناولت العشاء مع جيف يوم الأحد كانت ترتدي بذلة بسيطة زرقاء اللون داكنة، أحب ذلك المظهر، فعندما التقت والدته بماري لويز، قالت إنها تبدو كالعاهرة، على الرغم من أنه يتوجب عليه الاعتراف أنه في بعض الأوقات يحب ذلك المظهر. بدت سارة أميركية أكثر، أكثر طبيعية ومفعمة بالصحة، مثل موديل رالف لورين، أو موديل طالبة هارفارد؛ الجامعة التي كانت فيها سابقاً.

سأل جيف، على نحو يميل للصبيانية، "أخبريني شيئاً، في حال كنا سنقضي كامل الوقت سوياً، ونحن نعمل في المنزل، هل يُسمح لي أن أطرح عليك أسئلة شخصية؟" كان يشعر بالفضول نحوها منذ التقى بها، بل أكثر من ذلك عندما أخبرته أنها ستشتري المنزل. فقد كان هذا شيئاً شجاعاً تفعله، وأعجب بها لذلك.

قالت على نحو بريء وصريح أحبه فيها: "بالتأكيد". فلطالما بدت سارة وكأنها لا تخبئ أية أسرار. على نقيض ماري لويز التي بدت تخبئ الكثير، البعض منها سيئ من دون شك. أما هي فإنسانة متسامحة. "هات ما عندك".

"من سينتقل معك إلى المنزل؟" بدا محرجاً بعد سؤاله، ولكن سارة لم تكن كذلك.

"لا أحد. لماذا؟"

"هل تمزحين؟ لماذا؟ ستنتقلين إلى منزل بخمسة طوابق، ومساحة تبلغ ثلاثين ألف قدم مربع، وتسألين عن السبب الذي أتساءل لأجله عمن سينتقل معك؟ تباً، سارة، يمكنك دعوة قرية بكاملها إلى هناك معك". ضحك كلاهما عندما صب لهما النادل المزيد من الشاي. "كنت أتساءل وحسب".

"لا أحد. أنا فقط".

"هل تعجبك حياة الوحدة؟" بدا وكأنه يتطوع، ولكن كلاهما علم أنه ليس كذلك. لقد كان يعيش مع ماري لويز خلال السنوات الأربع عشرة الماضية، وحتى ولو بدت صعبة العشرة بالنسبة لسارة، بدا واضحاً أنها تناسبه.

قالت بصراحة: "الآن، هذا سؤال أكثر تعقيداً". نظرت إليه وهي تشرب فنجان الشاي. "يعتمد هذا على ما الذي تعنيه. هل أبحث عن زوج؟ كلا، لا أعتقد ذلك. لم أكن طوال حياتي مقتنعة أن الزواج هو الحل بالنسبة لي. يبدو مثيراً للمشاكل أكثر مما يستحق. ولكن أعتقد أن هذا يعتمد على الشخص الذي تتزوجه. هل أريد أطفالاً؟ لا أعتقد ذلك. هل أرغب بالعيش مع شخص ما؟ ربما، أو على الأقل، أن أحظى بشخص يرغب بالمكوث معي لوقت كامل، حتى ولو كانت لديه حياته الخاصة. أعتقد أن هذا ما أرغب به حقاً. أحب فكرة مشاركة حياتي مع رجل على أسس يومية. ويبدو أن ذلك من الصعب إيجاده. ربما يكون القطار قد فاتني لأجد واحداً كذلك". ضحك على إجابتها، على الرغم من أنه أصغى لها بجدية حتى النهاية.

"بمثل عمرك؟ لم يأتِ القطار إلى محطتك بعد. ففي هذه الأيام، جميع النساء اللواتي أعرفهن ينتظرن حتى الأربعين، أو حتى يصبحن بمثل عمرك على الأقل، ليقرّرن الاستقرار".

"لم تفعل. إنك مستقر مع ماري لويز منذ كنت في الثلاثين".

"هذا أمر مختلف. ربما كنت غبياً. لم يتزوج أحد من أصدقائي حتى أصبحوا في الثلاثين من العمر. أما ماري لويز وأنا فقد حظينا بعلاقة عاطفية جداً مع بعضنا منذ كنا طلبة. لا تزال تبدو علاقة طويلة، ولكننا نواجه أفراح الحياة وأتراحها. وأعتقد أن معظم الأشخاص كذلك. أعتقد أن الأمر يكون أصعب لأننا نعمل سوياً. ولكن أحب أن أكون مع شخص ما كل يوم. تقول هي إنني لا أشعر بالأمان، وإنني كثير الحاجة والتملك". ابتسمت سارة لهذا الوصف.

"تبدو جيداً بنظري".

"هذا لأنك لا تعيشين معي. ربما تكون على حق. أقول لها إنها باردة المشاعر جداً، وذات طباع فرنسية متشددة. إنها تكره المكان هنا، وهذا صعب، أيضاً. تذهب إلى وطنها كلما سنحت لها الفرصة، وتبقى هناك لستة أسابيع بدلاً من اثنين".

قالت سارة متعاطفة: "لا بد من أن ذلك صعب على عملك". لم تكن هي لتحب ذلك أيضاً.

"لا يبدو أن زبائننا يمانعون في ذلك. تعمل من هناك، وتبقى على اتصال معهم بواسطة البريد الإلكتروني. في الأساس، إنها تكره العيش في الولايات، وهذا صعب عليّ. الكثير من الفرنسيين كذلك. مثل شرابهم، لا يحبون السفر كثيراً". ابتسمت من جديد على ما قاله عنها. لم يكن ذلك لؤماً، ولكنه أميل لأن يكون صحيحاً. فهي لم تكن سعيدة أو مسرورة عندما التقت بها. وهذا من الصعب العيش معه. "إذاً ماذا عنكِ؟ أليس هناك من شخص يومي في حياتك الآن؟" لم تشعر بأنه يلاطفها أثناء غياب ماري لويز، ولكنه يحاول أن يكون ودوداً وحسب. شكت بأنه يشعر بالوحدة، وكذلك هي.

قالت بصراحة: "لا، هناك شخص أراه في عطل نهاية الأسبوع فقط. لدينا احتياجات مختلفة. إنه مطلق، ومضى عليه وهو كذلك اثنتا عشرة

سنة. لديه ثلاثة أولاد بعمر المراهقة، يراهم على العشاء مرة أو مرتين في الأسبوع، ويذهب معهم في العطل. لا يراهم أكثر من ذلك، ولا يراهم في عطل نهاية الأسبوع، إنهم منشغلون جداً، ولا أعتقد أنه يريد ذلك. يكره زوجته بشغف، ووالدته، وأحياناً يصب كامل ذلك الغضب عليّ. إنه محامٍ، أيضاً، ومشغول جداً. ولكنه على الأغلب، يحب القيام بأموره الخاصة، خلال أيام الأسبوع، وأحياناً في العطل. لا يحتمل قرب أو وجود شخص في حياته طوال الوقت. نقضي أمسيات الجمعة والسبت معاً. إنها علاقة محددة بعطل نهاية الأسبوع على نحو صارم. يذهب إلى صالة الألعاب الرياضية كل ليلة خلال أيام الأسبوع، ويسرع في إيجاد الأعذار للامتناع عن رؤيتي، باستثناء عطل نهاية الأسبوع. ولا يشمل ذلك العطل السنوية".

سأل جيف باهتمام، "وهل هذا ينفع معك؟" فلم يبدُ ذلك جيداً برأيه. ربما يكون ذلك ترتيباً تُعجب به ماري لويز، إن تمكّنت من الإفلات بذلك، ولكن معه، لا تتمكّن من ذلك. لا يحتمل ما وصفته سارة، وفوجئ من سماع أنها تفعل. بدت كامرأة تريد أكثر من ذلك، وتحتاج إليه. ولكن ربما كان مخطئاً، وهي لا تريد ذلك.

أجابته، "بصراحة؟ لا، لا ينفع معي. الاقتصار على عطل نهاية الأسبوع جحيم بحدّ ذاته. أكره ذلك... كان لا بأس به في البداية، ولكنني مللت ذلك منذ السنتين الأوليين. دائماً كنت أغضب وأتذمر طوال السنة الأخيرة، ولكنه لا يريد أن يسمع. هذا هو الاتفاق. اقبلي به أو ارفضيه. من الصعب التفاوض معه، فهو محامٍ جيد".

"ولماذا تتحملين ذلك، إن كنت لا تحبينه؟" أصبح جيف الآن أكثر فضولاً من السابق.

سألت بكآبة، "وما البديل؟ لست شابة. ليس هناك الكثير من الرجال الجيدين في أعمارنا. معظمهم يخاف الالتزام. قد حصلوا على زواج سيئ ولا يرغبون بآخر، أو حتى بالالتزام لوقت كامل. أما أولئك

الذين لم يتزوجوا سابقاً فهم عادة غير طبيعيين، ولا يمكنهم تحمل أية علاقة على الإطلاق. أما الجيد منهم فقد تزوج ورزق بأولاد. بالإضافة إلى أنني منشغلة... وأعمل بجد. متى يفترض بي الخروج والالتقاء بشخص آخر؟ وأين؟ لا أذهب إلى المشارب. حتى أنني لم أعد أذهب إلى الحفلات. لا أشرب ما يكفي لأستمتع بها. والرجال الذين أعمل معهم جميعهم متزوجون. ولا أحب العلاقة مع رجال متزوجين. وهذا يترك لي ما أحصل عليه. أفكّر دائماً أنه في النهاية سيرغب في قضاء المزيد من الوقت معي، ولكنه لا يفعل. ليس بعد على الأقل. وربما لن يفعل أبداً. هذا يناسبه، أكثر مما يناسبني. إنه رجل لطيف، على الرغم من أنه أناني أحياناً. ومعظم الوقت، أستمتع معه، عندما لا أغضب نفسي بالقلق عن الوقت القليل الذي يقضيه معي". ولم ترغب بأن تضيف لجيف أن العلاقة الجنسية التي يقضيانها معاً رائعة، حتى بعد مضي أربع سنوات.

قال جيف محللاً: "لن يقضي معك وقتاً أكثر على الإطلاق". لقد أصبحا صديقين عندما أفشيا بأسرارهما العاطفية، فأحبا بعضهما. "ولمَ يفعل؟ إنه يحصل على ما يريد. امرأة للعطلة موجودة لأجله، ولا تسبب له المشاكل، لأنك ربما لا ترغبين بالإلحاح كثيراً وخسارته. يحظى بالراحة عندما يريد، يومان في الأسبوع، وحرية لما تبقى من الوقت. تباً له، إنه الترتيب المثالي لرجل متزوج سابقاً ولديه أولاد، ولا يرغب بأكثر مما يحصل عليه منكِ الآن، لقد جعل الأمر ينفع معك تحت الظلال". ابتسمت لهذا التعبير، ولم تخالفه الرأي.

"إنني لا أمتلك الشجاعة بعد لقطع العلاقة. تخبرني أمي نفس الشيء الذي تقوله. تطلق عليه لقب المتهرب. ولكنني أعلم كيف تصبح العطل عندما أكون وحيدة، ولأكون صادقة معك، جيف، أكرهها كذلك. لطالما كرهتها. لست مستعدة لمواجهة ذلك من جديد. ليس بعد".

"لن تجدي شخصاً أفضل، إلاّ عندما تكونين قادرة على قطع العلاقة معه".

قالت بصراحة: "أنت محق، ولكن من الصعب القيام بذلك".

"لقد مررت بذلك. لهذا السبب بقيت أنا وماري لويز معاً. لهذا السبب، وللمنزل الذي اشتريناه سوياً، والعمل، والشقة التي نتشارك بها في باريس، والتي أدفع ثمنها وتستخدمها هي. ولكن في كل مرة نقطع العلاقة، ننظر حول أنفسنا ويخيفنا الأمر، فنعود للاجتماع سوياً. بعد أربع عشرة سنة، نعلم على الأقل ما الذي نحصل عليه. ليست مجنونة، ولست بالرجل غير الطبيعي. لا نستغل أو نخدع بعضنا. آمل ألاّ نفعل على الأقل". قال لها بتكشيرة كئيبة، بما أنها على بعد ستة آلاف ميل في باريس. "ولكن في أحد الأيام، أعتقد أنها ستعود إلى باريس وتبقى هناك، وسيتوجب علينا فصل عملنا، الأمر الذي لن يكون رائعاً لأي منا. نحن نجني أموالاً جيدة إلى حدٍّ ما عندما نعمل سوياً. إنها امرأة جيدة. ولكننا مختلفان وحسب. ربما يكون هذا شيئاً جيداً. ولكنها دائماً تقول إنها لا تريد أن تكبر هنا. ولا أستطيع تخيّل نفسي أنتقل إلى باريس. لسبب واحد، ما زلت لا أتمكّن من تحدث الفرنسية على نحو جيد. يمكنني تدبر أمري، ولكن سيكون من الصعب العمل هناك. وإن لم نكن متزوجين، لن أتمكّن من الحصول على أوراق العمل. تقول ماري لويز إنها لن تتزوج أبداً، وعندما يتعلق الأمر بها، فهي تعني ذلك حقاً. وبالتأكيد لا تريد أن ترزق بأطفال". وكذلك سارة. تشترك هي وماري لويز بذلك، على الرغم من أن كل شيء آخر مختلف بينهما.

قالت سارة، وبدت غارقة في التفكير بالأمر: "يا الله، الأمور معقدة جداً هذه الأيام، أليس كذلك؟ كل شخص يمتلك أفكاراً خاطئة عن العلاقات وعن كيفية العيش. لكل شخص قضاياه. لم يعد هناك شيء سهل. لا يقول الأشخاص **أقبل** وحسب ثم يغادرون تحت أشعة الشمس سوياً ويسعدون في

حياتهم. نخترع تلك الترتيبات الجنونية بأن أموراً تنفع وأخرى لا تنفع، وربما تنفع، ولكنهم من جديد لا يتمكّنون من إنجاحها. أتساءل ما إن كان الأمر كذلك دائماً. إني لا أعتقد ذلك وحسب".

"ربما نكون على هذه الحال لأن أياً منا لم يشهد زواجاً سعيداً في منزله حيث ترعرع. كان الأزواج من جيل آبائنا يظلون معاً رغم أنهم يكرهون بعضهم. أما جيلنا فلا يتزوج على الإطلاق، أو يُطلّق بشربة ماء. لا يحاول أحد إنجاح الأمر. إذا لم يكن الزواج مريحاً، ولم ينجح معهم الأمر، يتخلون عنه بسهولة". قال ذلك، فضحكت سارة على طريقة وصفه. ولكنها لم تعارضه الرأي.

قالت سارة، وقد بدت كئيبة: "ربما تكون على حق". إنها نظرية مثيرة للاهتمام.

سألها، وهو ينظر إليها، "ماذا عن والديك؟ هل كانا سعيدين؟" أعجب بها. أحس أنها إنسانة طيبة حقاً، ذات كرامة وأخلاق حسنة. وكذلك كانت ماري لويز، إلاّ أنها تمتلك طبعاً حاداً. وقد حظيت بطفولة قاسية، وقد أثّرت عليها حتى الآن، سواء اعترفت بذلك أم لا.

ضحكت سارة على سؤاله، "بالطبع لا، كان والدي مدمناً على الكحول بإفراط، لقد عملت والدتي على تغطية ذلك. كانت تعيلنا جميعاً، بينما يتمدّد في غرفة النوم ثملاً جداً لا يقوى على الحراك في حين كانت تختلق الأعذار له. كنت أكرهه لقيامه بذلك. ثم توفي عندما كنت في السادسة عشرة. لا يمكنني القول حتى إنني أشتاق له. الأمر أشبه وكأنه لم يكن هنا تقريباً. في الحقيقة، أصبحت الأمور أسهل حال رحيله". طوال الكثير من حياتها السابقة، تمنّت لو لم يكن فيها. ثم شعرت بالذنب على ذلك بعد وفاته.

سألها باهتمام، "هل تزوجت أُمك من جديد؟ لا بد أنها كانت شابة عندما ترمّلت، إن كنت أنت في السادسة عشرة".

"كانت أكبر بسنة مما أنا عليه الآن، على ما أذكر. كانت تبيع العقارات، ثم أصبحت تعمل في التصميم الداخلي، وتجني أموالاً جيدة إلى حدٍّ ما. أنفقت عليّ طوال مكوثي في هارفارد، ثم في كلية ستانفورد للحقوق. ولكنها لم تتزوج ثانية على الإطلاق. أقامت علاقات مؤقتة مع مجموعة من الأصدقاء. وكانوا دائماً مدمنين على الكحول أو غير طبيعيين، أو هي من يعتقد أنهم كذلك. وغالباً ما تخرج مع صديقاتها الآن، وتذهب إلى نوادي الكتب".

قال جيف متعاطفاً: "هذا مثير للحزن".

"نعم، إنه كذلك، على الرغم من ادعائها أنها سعيدة. لا أصدقها، ولن أفعل. لهذا السبب أنا متشبثة بصديقي الخاص بعطل نهاية الأسبوع. لا أريد أن ينتهي بي الحال بعد عشرين سنة وأنا في نوادي الكتب مثل أمي".

قال بصراحة: "سينتهي بك الحال كذلك على أية حال، إنه يعتبرك ملكية مؤقتة في حياته الآن. أتعتقدين حقاً أنه سيبقى معك لمدة عشرين سنة؟"

قالت بصراحة: "ربما لا، ولكنه كذلك الآن. هذه هي المشكلة. أعتقد أننا سنفترق في أحد الأيام، ولكنني لا أرغب باستعجال ذلك. أكره قضاء عطل نهاية الأسبوع وحيدة".

"أعلم ذلك... فهمت الأمر... وكذلك أنا. لا أقصد أن أبدو متفاخراً بذلك. حتى أنا نفسي لا أملك الحل لذلك".

غادرا المطعم بعد ذلك. وكانا قد جاءا بسيارتين منفصلتين، لذا عانقا بعضهما، ثم قادت سيارتها نحو شقتها. كانت سماعة الهاتف ترن عند دخولها. نظرت إلى ساعتها، وفوجئت حين علمت أنها الحادية عشرة. كانت قد أغلقت هاتفها الخلوي أثناء العشاء.

كان فيل غاضباً، "أين أنتِ؟"

"يا الله، اهدأ. خرجت لتناول العشاء. ليس بالأمر الهام. تناولت السوشي".

"من جديد؟ مع من؟" كاد أن يخرج من سماعة الهاتف، ولم تتمكّن من منع نفسها عن التفكير فيما إن كان يشعر بالغيرة، أو أنه يتصرف بوقاحة وحسب. ربما كان هو نفسه في الخارج يحتسي الشراب.

سألته بانزعاج، "ما الفرق؟ لستَ هنا في أيام الأسبوع على أية حال. خرجت مع شخص أعمل على مشروع معه. كان الأمر متعلقاً بالعمل وحسب". كان هذا صحيحاً.

"ما هذا؟ انتقام؟ لأنني أحتاج للذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية بعد العمل والاسترخاء؟ عقاب؟ يا الله، هذا تصرف طفولي".

وضحت له، "لست أنا من يصرخ، أنت من يفعل ذلك. ما المشكلة؟"

"طيلة أربع سنوات، تعودين إلى المنزل كل ليلة، تتمددين أمام التلفاز، وفجأة أصبحت تخرجين كل ليلة لتناول السوشي. ما الذي تفعلينه؟ تقيمين علاقة مع ياباني؟"

"انتبه لكلامك، فيل... ولتصرفاتك. خرجت لتناول السوشي معك أيضاً. هذا يتعلق بالعمل. منذ متى نخبر بعضنا بأنه لا يجب علينا الخروج في عشاء عمل خلال أيام الأسبوع؟" شعرت بالذنب قليلاً، لأنها استمتعت، وبعد ساعة أو ساعتين، بدا الأمر أشبه بالصداقة. ولكن ذلك صحيح. كان عشاء عمل أيضاً. "إن كنت تتحرق شوقاً لمعرفة أحوالي أيام الأسبوع، لم لا تقلل من أوقات ذهابك إلى صالة الألعاب الرياضية، وتأتي إلى هنا؟ أرحب بك في أي وقت تريد. إنني أفضل الخروج لتناول السوشي معك".

قال: "اللعنة عليك!" وأغلق السماعة. لم تكن هناك أي إجابة أخرى محتملة لأنها كانت على حق وهو يعلم ذلك. لم يكن بإمكانه الحصول على الطريقين معاً، الحرية الكاملة أثناء الأسبوع، ومع ذلك الاطمئنان أنها مقيدة

له، تتحرق شوقاً لرؤيته في عطلة نهاية الأسبوع. ربما يريد أيضاً إعطاءها حزام العفة. إنه محظوظ وحسب، قالت سارة لنفسها، بأن جيف باركر يعيش مع شخص ما. لأنها اعتقدت أنه شخص لطيف. وكل التقييمات التي صاغها حول فيل وعن درجة الالتزام التي بإمكانه منحا لها صحيحة. إن العلاقة التي تحظى بها مع فيل تتمتع بكل صفات العلاقة سوى العلاقة المثالية.

اتصل بها فيل ثانية للاعتذار، ولكنها تركت المجيب الآلي يرد عليه. لقد استمتعت بوقتها تلك الليلة، ولا ترغب بإفساده الآن بالتحدث مع فيل. فالأمور التي قالها أثارت غضبها حقاً. كان يتهمها بالخداع، بشيء لم تفعله على الإطلاق في حياتها. لم تفعله أبداً، ولن تفعله. فهي ليست من هذا النوع من البشر.

اتصل بها فيل ثانيةً عندما كانت تسرع لارتداء ملابس العمل في صباح اليوم التالي. كان ذلك يوم الجمعة. بدا غاضباً ثانيةً. "هل أنتِ مرتبطة بشيء الليلة؟"

سألته ببرود، "لماذا؟ هل لديك خطط أخرى؟" ولكنها كانت تخشى الإلحاح عليه.

"لا. أخشى أنكِ أنتِ من لديه الخطط". لم يكن مفعماً بالدفء أو الراحة. ستكون عطلة نهاية أسبوع عظيمة.

قالت بحدة نوعاً ما: "كنتُ أخطط لرؤيتك، بما أننا لم نرَ بعضنا منذ ثلاثة أسابيع".

"دعينا لا نخوض في هذا الآن. توجب عليّ الذهاب إلى نيويورك لأسبوع، لحضور الجلسات. وكنت مع أولادي الأسبوع الماضي. تعلمين ذلك".

"فهمت الأمر، أيها المحامي. ماذا الآن؟"

"سآتي لعندك اليوم بعد الانتهاء من صالة الألعاب الرياضية".

قالت: "أراك". ثم أغلقت السماعة. إنهما على وشك البدء بأمر سيئ. لقد كان كلاهما مستاءً بوضوح من الآخر. هي بسبب الأسابيع الثلاثة التي لم تعرف فيها شيئاً عنه، على الرغم أن بإمكانه زيارتها خلال الأسبوع. وهو لأنه لا يريدها أن تخرج للعشاء، وتغلق هاتفها الخلوي. هذه هي عطلة الأسبوع التي ترغب بإخباره فيها عن المنزل في شارع سكوت وربما تريه إياه. فحتى نوبة غضب فيل لم تجعل الأمر أقل متعة أو سروراً بالنسبة لها.

اتصلت بجيف في طريقها إلى العمل، وشكرته على الأمسية الرائعة.

قال معتذراً: "آمل أنني لم أكن شديد الصراحة معكِ، تصيبني تلك الحالة عندما أشرب الكثير من الشاي". ضحكت، وكذلك هو. وأخبرها أنه قد راودته المزيد من الأفكار بالنسبة للمطبخ، وحتى ربما لصالة الألعاب الرياضية. "هل لديك الوقت للاجتماع سوياً في عطلة نهاية الأسبوع؟ أو أنتِ منشغلة معه؟"

"اسمه فيل. وهو دائماً يغادر ظهر الأحد. يمكننا الالتقاء في فترة العصر".

"عظيم. اتصلي بي عندما يغادر". لم تخبره أن فيل قد أصيب بالغيرة في الليلة السابقة. أحبت فكرة أن المنزل سيجعلها منشغلة الآن. سيجعل ذلك الأمور أقل إحباطاً لها عندما يغادر فيل أيام الأحد، وفي كل ليلة خلال أيام الأسبوع. سيستهلك ذلك كامل وقت فراغها.

توقفت، واشترت الخضار في طريقها إلى المنزل تلك الليلة، وكانت تُفكّر في طهو العشاء، بما أنهما لم يجتمعا سوياً منذ وقت طويل. فوجئت عندما وجدت فيل يدخل بعد الساعة السابعة تقريباً.

"ألم تذهب إلى الصالة؟" لم يكن يأتي إلى بيتها قبل الثامنة أبداً.

قال لها، وقد بدا هادئاً نوعاً ما: "اعتقدتُ أنك ربما تحبين الخروج لتناول العشاء الليلة". فهو نادراً ما يعتذر شفهياً، ولكنه دائماً يحاول التعويض بطرق أخرى، إن أساء إليها بطريقة ما.

قالت بسرور: "سيكون هذا رائعاً". ونهضت لتقبله. فوجئت بالقوة التي عانقها بها، وبحرارة قبلته. ربما كان يشعر بالغيرة حقاً. كادت تُفكّر أن ذلك جميل. يجب عليها في المستقبل أن تخرج لتناول السوشي، وتغلق هاتفها الخلوي أكثر من المعتاد، إن كان لذلك هذا التأثير عليها.

قال لها على نحو مفعم بالحب: "اشتقت لكِ". فابتسمت له. لقد كانت العلاقة بينهما غريبة جداً. فهو لا يريد رؤيتها في معظم الأوقات، ثم عندما تخرج وحدها، يشعر بالغيرة، ويصاب بنوبة الغضب، ويقول إنه اشتاق لها. بدا وكأن أحدهم يجب أن يكون دائماً مستاءً. إحدى نهايات الأرجوحة يجب أن تكون في الأعلى والأخرى في الأسفل. لا يمكن أن يكونا في زورق واحد في الوقت نفسه. بدا ذلك عاراً بطريقة ما.

اصطحبها لتناول العشاء تلك الليلة، في المطعم الذي تحبه، وبدا أنه يبذل جهداً. وحال عودتهما إلى الشقة، أصرّ على أنه متعب وأرادها أن تأتي إلى السرير معه. عرفت ما الذي يدور في عقله، ولم تعارض. فقد مضت ثلاثة أسابيع منذ إقامتهما العلاقة الجنسية آخر مرة. وعلمت عندما فعلا ذلك تلك الليلة أنه كان مشتاقاً لها. هي أيضاً كانت مشتاقة إليه، ولكن ليس كثيراً بسبب انشغالها بالمنزل. لم تخبره شيئاً عنه على العشاء. أرادت الانتظار حتى صباح السبت. اعتقدت بطريقة ما أنه سيكون في مزاج أفضل. ولم تعرف بالتحديد السبب، ولكنها أحست أنه سيعترض. فيل يكره التغيير، ولم يكن هناك أي شك بأن هذا منزل كبير على نحو غريب.

صنعت له البيض المقلي واللحم المقدد في الصباح، مع فطائر العنبية التي كانت قد أحضرتها الليلة السابقة. حتى أنها أعدت له المايونيز، مع عصير البرتقال، وأحضرت له الصحيفة وهو ما يزال في السرير.

قال بابتسامة ماكرة: "آه – أوه". وهي تسلمه الكابوتشينو مع رشة من الشوكولاته فوقها. "ما الذي يجعلك تتملقينني؟"

قالت بابتسامة عابثة: "ما الذي جعلك تعتقد ذلك؟"

"طعام الفطور كان جيداً جداً، والكابوتشينو رائع. وأنت لا تحضرين لي الصحيفة إلى السرير أبداً. كما أن العصير كان فاخراً". ثم نظر إليها بعينين قلقتين. "إما أنك ترغبين بالتخلص مني، أو كنت تعبثين مع أحدهم".

قالت بنظرة المنتصرة، "لا هذا ولا ذاك". وهي تجلس على حافة السرير. لم تعد تحتمل إخفاء إثارتها. كانت تتوق لتشاركه خبرها، ومعرفة رأيه. كانت تأمل أن تصطحبه لرؤيته بعد ظهر اليوم. "لديّ شيء أخبرك إياه". ابتسمت له.

قال وهو يبدو قلقاً: "لا تمزحي، أحسست بشيء ما. ما الذي فعلته؟"

قالت ببساطة: "سأنتقل". فبدا مذعوراً فجأة.

"بعيداً عن سان فرانسيسكو؟"

ضحكت وشعرت بالسرور. بدا خائفاً حقاً. كانت هذه إشارة جيدة.

"لا. على بعد عدة أبنية من هنا". بدا مرتاحاً.

"اشتريتِ شقة؟" بدا متفاجئاً. "أخبرتني أنكِ قرّرت ألاّ تفعلي".

"فعلت. لم أشترِ شقة. اشتريت منزلاً".

"منزل؟ لكِ وحدكِ؟"

"لي وحدي. ولك في أيام عطل نهاية الأسبوع، إن أحببت".

"إذاً، أين يقع؟" بدا شاكاً بالأمر. تمكّنت من رؤية أنه يعتقد أنها فكرة سيئة. لقد كان قد انتهى مسبقاً من أمر المنزل، أثناء زواجه. لم يعد يرغب بأي شيء أكبر من الشقة الصغيرة التي يعيش فيها. كل ما يملكه فيها هو غرفة نوم كبيرة، وغرفة خلفية صغيرة مع سرير ثلاثي لأولاده. فهم نادراً ما يبقون عنده، وكان من السهل معرفة السبب. يجب أن يكونوا كلاعبي الألعاب البهلوانية ليكفيهم السرير. عندما يريد قضاء وقته معهم، يصطحبهم للخارج. أما ما بقي من الوقت فيقضونه في منزله القديم مع

زوجـته السابقة. كان راضياً على نحو رائع لرؤيتهم فقط على العشاء مرة أو مرتين أسبوعياً.

"إنـه فـي شارع سكوت، ليس بعيداً عن هنا. يمكننا الذهاب لرؤيته عصر اليوم، إن أردت".

"متـى يغلقون عقد الاستلام؟" أخذ رشفة من الكابوتشينو وهو يصغي إليها.

"غداً".

"هل تمزحين؟ متى عقدت الاتفاق؟"

قالت بصراحة: "الخميس. قبلوا عرضي. اشتريته على حاله. يحتاج إلى الكثير من العمل".

"يـا الله، سـارة. هـذا يسبب وجع رأس لا تحتاجين إليه. ما الذي تعرفينه عن إصلاح المنازل؟"

"لا شيء. ولكنني سأتعلم، سأقوم بفعل الكثير بنفسي".

بـرم عينـيه. "أنـتِ تحلمين. ماذا كنت تدخنين عندما قرّرت القيام بذلك؟"

"لا شـيء. أعترف أنه أمر مجنون بعض الشيء. ولكنه جنون جيد. هذا هو حلمي".

"منذ متى؟ حتى أنك لم تبدئي البحث حتى الأسبوع الماضي".

"لقد كان منـزل والد جدتي. ولدت جدتي هناك".

"ليس هذا بالسبب الذي يجعلك تشترينه". فكّر أنه لم يسمع شيئاً أكثر غباءً من هذا طوال حياته، ولم يعلم القصة الكاملة بعد. كانت تنهيها ببطء. وقد أصبح أكثر شكاً بالأمر مع مرور الوقت. "كم عمره؟"

"بناه والد جدتي فيال عام 1923".

سألها، وكأنه يستجوب شاهداً، "ومتى تمّ آخر تجديد له؟"

قالـت سـارة بابتـسامة خجولة: "لم يحدث ذلك أبداً، كل شيء فيه أصـلي. لم يلمسه أحد. أخبرتك أنه يحتاج إلى الكثير من العمل. أظن أنه يحتاج إلى سنة كاملة. لن أنتقل على الفور".

"آمل ألاّ تفعلي. يبدو وكأنك أحضرت لنفسك هماً كبيراً. سيكلفك ثروة". لم تخبره بعد أنها تمتلك واحدة الآن، بفضل ستانلي بيرلمان. لم يكن فيل يسألها عن المال أبداً، ولا هي تسأله. إنه شيء يبقيانه لنفسيهما. "كم هي مساحته؟"

ابتسمت لفيل. تلك هي الحقيقة الحاسمة. كادت تضحك وهي تتحدث. "ثلاثون ألف قدم مربع".

"هل أنتِ مجنونة؟" دفع طاولة الإفطار بعيداً ووثب من السرير. "هل أصـبتِ بالجـنون؟ ثلاثـون ألـف قـدم مربع؟ ما هذا؟ فندق؟ يبدو مثل فيرمونت، بحق الله".

قالت بفخرٍ: "بل إنه أجمل، أريدك أن تأتي لرؤيته".

"هـل تعلـم أمكِ بذلك؟" وكأن ذلك يهم لأي منهما. لم يكن قد ذكرها مسبقاً. لم يكن يحب أودري تماماً كما لم تكن هي تحبه.

"لـيس بعـد. سأخبرها ليلة الكرسمس. أريد أن أفاجئ جدتي. لم ترَ المنـزل مذ كانت في السابعة".

قـال وهـو يحُدّق بها: "لا أعلم ما الذي أصابك، أنت تتصرفين مثل المتهورين. تتصرفين بغرابة منذ أسابيع. لا يخرج المرء ويشتري منـزلاً كهـذا، إلاّ إن كنت قد اشتريته كاستثمار، وستبيعينه لتحققي بعض الربح، بعـد تجديده، ولكن حتى ذلك ليس منطقياً. ليس لديك الوقت للقيام بمشروع كهذا. تعملين بجد كما أفعل. أنت محامية، بحق الله، ولست متعهدة بناء أو مصممة. ما الذي تفكرين فيه؟"

قالت برزانة: "لديّ وقت فراغ أكثر مما لديك". لقد تعبت من الإهانة التـي يلقـيها على المنـزل وعليها. لم تكن تطلب منه أن يدفع ثمنه. بدا وكأنها تفعل، وتلك لم تكن القضية.

"حقاً؟ كيف عرفت أن لديك وقت فراغ أكثر مني؟ آخر ما سمعته أنك تعملين أربع عشرة ساعة في اليوم".

"لا أذهب إلى صالة الألعاب الرياضية. وهذا يمنحني حرية في المساء خمسة أيام في الأسبوع. ويمكنني العمل عليه في أيام عطل نهاية الأسبوع".

سألها، وقد بدا غاضباً، "وما الذي يفترض بي أن أفعله؟ أتفرج عليك وأنت تغسلين النوافذ وتلمعين الأرضيات؟"

"بإمكانك المساعدة. أنت لست هنا أبداً أيام العطل على أية حال، فيل. دائماً ينتهي بك الحال، وأنت تقوم بأمورك الخاصة".

"هذا هراء، وأنت تعرفين ذلك. إنني لا أصدق أنكِ ستقومين بمثل هذا الغباء. هل ستعيشين في منزل بمثل هذا الحجم؟"

"إنه رائع. انتظر حتى تراه". شعرت بالإهانة بسبب كل شيء قاله، وبالاستياء من الطريقة التي قالها بها. لو أنه كلف نفسه عناء النظر إليها، لتمكّن من معرفة ذلك في عينيها. لم يفعل. كان منشغلاً جداً بإحباطها. قالت بهدوء: "حتى أنه توجد قاعة للرقص فيه".

"عظيم. أجّريها لآرثر ماري، وربما تدفع لكِ ثمن التصليحات. سارة، أعتقد أنكِ مجنونة". ثم جلس على السرير ثانيةً.

"هذا واضح. شكراً لدعمك الشديد".

"في هذا الوقت في حياتنا، يجب أن يكون كل شيء يتعلق بتبسيط الأمور. بتصغيرها. بانشغال أقل. من يحتاج إلى همّ كهذا؟ ليست لديكِ أية فكرة عما ورّطتِ نفسكِ به".

"نعم، أعلم. قضيت أربع ساعات مع مهندس الديكور مساء يوم الخميس".

"إذاً، كنت هناك". بدا راضياً ومرتاحاً. كان يشعر بالقلق بشأن ذلك طوال يومين. وكان ذلك هو السبب الذي دفعه لاصطحابها إلى العشاء

الليلة السابقة. "لقد استعنتِ بخدمات مهندس ديكور مسبقاً؟ لم تضيعي وقتك، أليس كذلك؟ وشكراً لطلبكِ النصيحة مني".

"أنا مسرورة لأنني لم أفعل، إن كان هذا ما ستقوله".

"لا بد أنكِ تمتلكين أموالاً لتحرقيها. لم أكن على علم بأن شركتك تجني كل تلك الأرباح". لم تُعلّق على ذلك. فكيفية حصولها على المال لم تكن من شأنه. ليس لديها أي نية في تفسير ذلك له.

قالت، وبدا الانفعال في صوتها: "دعني أخبرك شيئاً، فيل، ربما تعمل أنت على 'تبسيط الأمور' كما قلت، و'تصغيرها' ولكنني لا أفعل ذلك. لقد تزوجتَ، وأنجبتَ الأولاد، وامتلكتَ منزلاً ضخماً. فعلتَ كل هذه الأمور. لم أفعل أياً منها. لقد مضى عليّ وأنا أعيش في هذه الشقة البالية منذ تخرجي من الكلية، مع نفس الأثاث اللعين الذي أحضرته معي عندما غادرت هارفارد. حتى أنني لا أمتلك أية نباتات. وربما أريد شيئاً كبيراً وجميلاً ومثيراً لأفعله. لن أجلس هنا ما تبقى من حياتي مع مجموعة من النباتات الميتة، أنتظر قدومك في عطل نهاية الأسبوع".

"ما الذي تقولينه؟" أصبح صوته أعلى من السابق، وكذلك صوتها.

"أقول إن هذا أمر مثير بالنسبة لي. وأنتظر بفارغ الصبر القيام به. أعشقه. وإن لم يكن باستطاعتك أن تكون مسانداً، أو داعماً، أو حتى مهذباً، فبحق الله، اذهب إلى الجحيم. لا أطلبُ منك أن تدفع ثمنه، أو حتى أن تساعدني. كل ما عليك فعله هو الابتسام، والإيماء، والتشجيع قليلاً. هل هذا صعب جداً عليك؟" لم يجبها لوقت طويل، ثم نهض، وأسرع إلى الحمام، وأغلق الباب بعنف. لقد كرهت كل تصرفاته، وليست لديها أية فكرة عن السبب الذي يدفعه لفعل ذلك بها. ربما يشعر بالغيرة، أو التهديد، أو يكره التغيير. مهما كان السبب، فهو ليس لطيفاً، أو حتى جميلاً لمشاهدته.

عندما خرج من الحمام، بشعره المبلل، لف المنشفة حوله، كانت ترتدي بنطال جينز وسترة قطنية. نظرت إليه بحزن. لم يكن هناك أي

شيء لطيف أو محترم بما قاله لها. لقد كان لئيماً وحسب.

قـال بتجهم: "أنا متأسف لأنني لم أكن سعيداً بشأن منـزلكِ، اعتقدت فقط أنها فكرة سيئة حقاً. أنا قلق بشأنك".

"لا تكـن كـذلك. إن واجهـت الكثير من المتاعب، سأبيعه. ولكنني أرغب بالمحاولة على الأقل. هل ترغب برؤيته؟"

"لـيس تمامـاً". قال بصراحة، وهي تنظر إليه. الأمر بمجمله يتعلق بالـسيطرة. إنـه معجـب بالوضع الحالي، ولا يرغب بتغيير أي شيء... للأبد. أرادها هنا في هذه الشقة، حيث اعتاد عليها، في المنـزل مساء أيام الأسبوع، ليعلم أين هي. أرادها حزينة، وحيدة، تشعر بالملل، وهي تنتظر رؤيـته في أمسيتين فقط من الأسبوع، تماماً كما قالت له. لم تكن قد رأت الأمـر بوضوح. لا يريدها أن تحظى بالإثارة في حياتها، حتى ولو كانت هـي مـن تدفـع الثمن بنفسها. فليست هذه هي المشكلة. أراد أن يحظى باسـتقلاله وحـريته، ولكـن لـيس بإمكانه التعامل مع ما تحظى به. قال بـصراحة: "سأصاب بالجنون إن رأيته، لم أسمع شيئاً بمثل هذا الغباء في حياتـي. كمـا أننـي سأذهب للعب التنس اليوم على كل حال". نظر إلى ساعته. "أنا متأخر، والفضل لك".

لـم تنطق بأية كلمة. دخلت إلى الحمام، وأغلقت الباب. جلست على المـرحاض، وانفجرت بالبكاء. وعندما خرجت بعد عشرين دقيقة، كان قد ذهـب. كان قد ترك لها رسالة، يقول فيها إنه سيعود في السادسة. قالت، وهـي تقـرأ الرسالة: "شكراً على هذا السبت الرائع". كانت الأشياء تزداد سـوءاً وحسب. بدا الأمر وكأنه يرغب بمعرفة كم بإمكانه الضغط عليها. ولكـنها ليست مستعدة بعد لتركه. فكّرت بما قاله جيف باركر، وهي تضع الأطباق في المغسلة دون أن تغسلها. ولم ترتب السرير. لم تعد تبالي لذلك. مـا الهـدف من ذلك؟ إنه مجرد وغد. إنه لم يقل شيئاً هذا الصباح أظهر احتـراماً لها، أو حتى لطفاً. فإخباره أنه يحبها لا يعني شيئاً إن كانت هذه

هـي طـريقة تصرفاته. تذكرت جيف عندما سألها في تلك الليلة ما الذي يـستغرقه تـركها له، وأخبرته أنها ليست واثقة. مهما كان ذلك، فإن فيل يقترب من ذلك. إنه يقطع الحدود التي لم يصل لها من قبل.

ذلـك العـصر، قـادت سيارتها إلى المنـزل، وحين دخلت نظرت حولها. بدأت تتساءل ما إن كان فيل على حق. إن كان الأمر مجرد جنون. كانت تلك هي أول إشارة ندم تراودها، ولكن بينما كانت تمشي عبر جناح الـسيد، فكّـرت بتلك المرأة الشابة التي عاشت هنا، ثم هربت إلى فرنسا، وهجـرت زوجهـا وطفليها. والرجل العجوز الذي أحبته والذي عاش في العلية، ولم يحظَ بحياة أبداً. أرادت أن تجعل هذا المنـزل سعيداً الآن. إن المنـزل يستحق ذلك، وكذلك هي.

عـادت إلى شقتها قبل السادسة تماماً، وفكّرت بما يتوجب عليها قوله لفـيل. كانت تُفكّر طوال اليوم بأن تخبره أن الأمر قد انتهى. لم تكن تريد ذلـك، ولكنها بدأت تشعر أنها لا تملك الخيار. إنها تستحق أكثر بكثير مما يعطـيه إياهـا. ولكن عندما دخلت، رأت الشقة نظيفة، والأطباق مغسولة، وتمكّـنت مـن شم رائحة طعام مطهو، وكان هناك الكثير من الزهور في المزهرية على طاولتها القبيحة. خرج فيل من غرفة النوم، ونظر إليها.

قالت بكآبة: "اعتقدتُ أنكَ تلعب التنس". لقد كانت تشعر باليأس طوال اليوم، بسببه، وليس بسبب المنـزل.

"ألغيـته. عدت لأعتذر عن تصرفي وإفساد فرحتكِ، ولكنكِ كنتِ قد ذهـبتِ. اتـصلتُ بهاتفـك الخلوي، ولكنه مُغلّق". كانت قد أغلقته لأنها لا ترغب بالتحدث معه. "أنا متأسف، سارة. ما الذي تفعلينه في المنـزل ليس من شأني. إنني لا أريدك أن تنشغلي جداً وحسب. ولكن الأمر يتعلقُ بكِ".

قالـت بحـزن: "شـكراً لك". ورأت أنه قد رتب السرير، أيضاً. لم تـشاهده يفعل أياً من هذا من قبل أبداً. ولم تكن لديها أية فكرة حول ما إن كان ما تشاهده خيالاً أو حقيقة. ولكنّ شيئاً واحداً كان واضحاً. لم يكن يريد

خسارتها أيضاً. لم يكن قادراً على القيام بذلك فوراً، ولم يكن راغباً بتركها. لم يكن مختلفاً عنها، باستثناء أنها ترغب بعلاقة حقيقية معه، تلك التي تتقدم وتكبـــر، ولكنه لا يريد ذلك. يريدها كما هي، متجمدة في مكانها، وراكدة. هـــذا لا ينفع معها، ولكن من الصعب قول ذلك له مع كل هذا الجهد الذي بذله للتو.

قـــال وهـــو يتقدم لوضع ذراعيه حولها: "بدأت بطهو العشاء، أحبك، سارة".

بـــدورها قالـــت: "أنا أيضاً أُحبك فيل". وأدارت رأسها بعيداً، كي لا يرى دموعها.

الفصل الثاني عشر

اصطحب فيل سارة لتناول الفطور المتأخر في اليوم التالي في مقهى روزي فـــي ســـتينير. جلـــسا فـــي الخارج تحت أشعة شمس الشتاء. قرأ الجـــريدة، ولـــم تقل هي شيئاً. تناولا فطورهما بصمت. لم يقيما علاقة في اللـــيلة الـــسابقة. شاهدا فيلماً على التلفاز، وذهبا باكراً للنوم. لقد كان يوماً مرهقاً، وشعرت بالتعب الشديد.

لـــم تدعُه لمشاهدة المنـــزل ثانيةً. لم ترغب بسماع ما الذي سيقوله بخـــصوصه. فذلك مؤلم بشدة، ويفسد متعتها. لم تعترض هذه المرة عندما أخبرها أن أمامه عملاً يجب إنجازه بعد الفطور. أثار كآبتها أكثر شعورها بالـــراحة بعـــد رحيله. لقد أصبحت علاقتهما في آخر نهاياتها، وهي تعلم ذلـــك، حتـــى ولو لم يعلم هو، أو يعترف بذلك. لقد بقي القليل من الأشياء الجـــيدة، والكثير من الاستياء والمشاعر السيئة، عند كلا الطرفين. أدركت أن الأمـــر لا يتعلق بالمنـــزل، بل يتعلق بهما. لقد تعبَ من إلحاحها عليه، وتوسلها، وهي أيضاً تعبت من السؤال. إنه وضع لا فائز فيه. ولسبب ما، أصـــبح شراؤها المنـــزل في شارع سكوت يهدده. تماماً كما يهددها بُعده وغيابه عنها.

اتـــصلت بجـــيف عـــند الظهر، كما وعدته. كان في مكتبه، ينتظر اتصالها.

قالـــت بهـــدوء: "سألقاك في المنـــزل بعد نصف ساعة". وتمكّن عند ســـماع صـــوتها من معرفة أن عطلة نهاية الأسبوع لم تكن جيدة. لم يكن

صـــوتها صوت امرأة شعرت بالراحة والحب. بدت وحيدة، وحزينة، وفي مزاجٍ عكر.

سُـحِرَت عـندما وصـل إلى المنــزل مع سلة للنــزهات. كان قد أحضر الفطائر، والجبن، والخبز المخمر، والفواكه الطازجة، وزجاجة من الشراب الفرنسي الأحمر.

ابتــسم لها، "اعتقدتُ أن بإمكاننا أن نحظى بنــزهة". لم يسألها عما كانــت عليه عطلة نهاية الأسبوع. فقد تمكّن من رؤيةِ الإجابة. خرجا مع السلة، وجلسا على السور الحجري في الحديقة. كانت الأزهار قد فُقِدَت من الحديقة منذ زمنٍ بعيد، ولم يكن هناك شيء سوى الأعشاب الضارة. بدت حال سارة بعد الغداء أفضل. عندها عرض عليها أفكاره الجديدة بخصوص المطبخ. كانت أفكاره بكاملها تنبض بالحياة وهو يصفها.

قالــت وعيناها تشعان إثارة: "أحببت ذلك". بدت شخصاً مختلفاً عما كانت عليه عندما وصلت قبل ساعة. لم تشعر بالحياة طيلة عطلة الأسبوع. إلاّ أن الحياة عادت إليها بينما كانت تنظر إلى المنــزل مع جيف. لم تكن متأكدة من المسؤول عن ذلك هو أو المنــزل، أو كلاهما معاً. ولكن، على كــل حال، كان ذلك أفضل بكثير من الإساءة التي تلقتها من فيل في اليوم السابق. بدأ فيل يصبح مسيئاً بشدة. حرب إرادات لن يتمكّن أحد من الفوز بها.

صعدا إلى الطوابق العلوية من جديد، مسها برفق وهو يمشي أمامها، وهمـــا يحـــاولان معرفة ما الذي سيفعلانه بالخزانات في غرفة الملابس. أخبرته أنها لا تمتلك ملابس كثيرة جداً.

مازحهـــا، "ربما يتوجب عليك شراء بعضها". لقد كانت ماري لويز تستخدم تقريباً كل الخزائن. فقد كانت تعود دائماً مع حمولات من الملابس تكفـــي لتعبــئة شــاحنات، وعدد من الأحذية الجديدة. لم يكن لديهما مكان لوضعها جميعاً.

"أنـــا متأســـفة لأنني كنت أنشر الكآبة عند وصولي". اعتذرت، وهما يمــشيان عبر ما كان سابقاً غرفة جدتها وهي طفلة. "لقد كانت عطلة نهاية الأسبوع سيئة جداً".

"عرفت ذلك. هل جاء إليك؟"

"نعــم. دائمـــاً يأتـــي فـــي عطل نهاية الأسبوع. أعلمني برأيه عن المنـــزل. يعتقد أنني مجنونة".

"أنتِ كذلك". ابتسم جيف لها بلطف. كان هناك الكثير مما يحبه فيها. "ولكنه جنون عاقل. ليس هناك خطأ في امتلاك حلم، سارة. كلنا نحلم. ليس هذا ذنباً".

"لا". ابتـــسمت بكآبـــة له. شعر وكأنها صديقته الآن، بالرغم من أنه بالكاد يعرفها، ولكنها شعرت وكأنها تعرفه منذ سنوات، وكذلك هو. "ولكن يجب الاعتراف، أنه حلم كبير إلى حدٍّ ما".

"لـــيس هـــناك عـــيب في ذلك. الأشخاص العظماء يحلمون أحلاماً عظيمة. أما الصغار فليس لديهم أية أحلام". أحس بشعور الكره لفيل مسبقاً مـــن النظرة التي علت وجهها. فقد تمكّن من معرفة أنها متألمة. من القليل الـــذي قالته عنه مساء يوم الخميس، اعتقد أن فيل شخص أحمق. وهي لم تعجب بماري لويز أيضاً. ولكنها لم تقل ذلك لجيف.

اعترفت وهما ينـــزلان السلالم، "لا تسير الأمور على ما يرام".

لـــم ينجزا الكثير من العمل اليوم، ولكنهما كانا يستريحان، ويتعرفان علـــى المنـــزل. لقد اكتشفا كل زاوية وشق فيه. أحب فكرة أنه قادر على القـــيام بذلك معها. كانت ماري لويز قد اتصلت به ذلك الصباح، وقال لها إنـــه سيتناول الغداء مع زبون، ولكنه لم يخبرها من هو الزبون. لم يكن قد فعل ذلك من قبل على الإطلاق، ولم يكن متأكداً من سبب قيامه بذلك الآن. باستثناء أن ماري لويز لم تعجب بسارة أيضاً عندما التقتا. صاغت تعليقات ســـيئة عـــنها وهما في طريق العودة، ومرة أخرى في البندقية. كانت ذات

طباع أميركية شديدة بالنسبة لذوق ماري لويز. كما أنها كرهت ذلك المنزل. لم يكن جيف سيطلب منها أن تعمل فيه معه. فلن يكون من الإنصاف أن تحظى سارة بمهندس معماري لا يحب المنزل. اعتقدت ماري لويز أن هذا عمل مستحيل، وبأنه يجب هدم المنزل بالكامل، الأمر الذي كان أضحوكة برأيه.

"تمكّنت من معرفة أن الأمور ليست على ما يرام عند وصولك". قال جيف وهو يعيد ما تبقى من الطعام إلى السلة، التي اشتراها من سوق القطع المستعملة في باريس، وهي قديمة جداً.

"لا أعلم سبب بقائي معه. لقد تصرف بحماقة شديدة أمس عندما أخبرته عن المنزل، وهذا ما جعلني أُفكّر بقطع العلاقة ليلة أمس. ثم عدت إلى المنزل، فوجدته يطهو العشاء، وقد نظف المنزل، وجلب الكثير من الأزهار، واعتذر. لم يفعل أياً من هذه الأشياء من قبل على الإطلاق. من الصعب إنهاء العلاقة عندما يفعل أشياء كهذه".

"ربما أحس أنكِ قد سئمت من تحمل الأمر. فبعض الأشخاص يمتلكون مواهب متميزة في الحفاظ على العلاقات. ربما كان الأمر يتعلق به أكثر منكِ. ربما ليس مستعداً بعد لقطع العلاقة هو أيضاً. فإن ذلك يبدو كانتقال مسبب للذعر بالنسبة له". ابتسمت على ذلك التقييم الذكوري.

"تباً. أُفضل أن يكون لطيفاً معي بخصوص المنزل على أن يشتري لي الأزهار. قال الكثير من الأمور القبيحة حقاً. أشعر أنني تافهة إن بقيت في تلك العلاقة".

قال بحكمة: "ستتخلين عنها عندما تصبحين جاهزة، إن كان هذا هو الشيء الصحيح. ستعرفينه".

سألته، "ما الذي يجعلك ضليعاً بهذه الأشياء؟" فابتسم.

"أنا أكبر سناً منكِ، ومررتُ بذلك من قبل. ولكنني لست أذكى أو أشجع منك. اتصلت ماري لويز هذا الصباح". لم يخبر سارة عن كذبته

حولها، أخبرها فقط عن البقية. "كل ما فعلته هو التذمر بشأن العودة، وإخباري كم تكره المكان هنا. لقد سئمتُ من سماع ذلك، أنا أيضاً. إن كانت تكره المكان لهذه الدرجة، فربما يتوجب عليها البقاء هناك. ستفعل ذلك في أحد الأيام على كل حال. أعرف ذلك". تلك هي المرة الثانية التي يقول بها ذلك، وبدا كئيباً. كانت دائماً تهدده بأنها لن تعود.

"إذاً ما الذي يبقيك معها؟" أرادت سارة معرفة ذلك. ربما يُعلّمها شيئاً لنفسها.

"من الصعب قطع العلاقة بعد أربع عشرة سنة، والاعتراف أنني ربما كنت على خطأ. لست متأكداً بعد".

اعترفت، "من الصعب قطع العلاقة بعد أربع سنوات".

"جرّبي إضافة عشر سنوات لذلك. كلما كانت المدة أطول كلما كان الأمر أسوأ".

"اعتقدت أن الأمر يصبح أفضل إن بقيت أطول".

"هذا ينفع فقط مع الأشخاص المناسبين".

"كيف نعرفهم بحق الله، جيف؟"

"لا أعلم. لو كنت أعلم، لكانت حياتي أكثر بساطة. أنا أيضاً أطرح على نفسي الكثير من الأسئلة. ربما ليس من السهل على الإطلاق فعل ذلك. هذا ما أخبر نفسي به".

"وكذلك أنا. أختلق الكثير من الأعذار لتصرفاته السيئة".

"لا تفعلي. على الأقل اعرفيها كما هي". أومأت، وهي تُفكّر بما يقوله، ثم نظرت للخارج إلى الحديقة من غرفة المعيشة، عندما شعرت بأن جيف يقف بالقرب منها، التفتت نحوه. كان أطول منها، فارتفع رأسها عند التقاء عيونهما معاً وحافظا على ذلك سوياً. وجدت شفاهه شفاهها دون جهد كبير، التفت ذراعاهما حول بعضهما، وبدت القبلة لا تنتهي. لقد نسيت هذا

الشعور، وكذلك هو. لم يكن صعباً. إنه سهل، ولكنه جديد أيضاً، وفاكهة محرمة. إنهما ملتزمان مع شخصين آخرين، مهما كان الأمر صعباً عليهما.

قالت بلطف بعدها: "أعتقد أن ذلك خطأ". شعرت بالذنب، ولكن ليس بالذنب الكثير. لقد أحبت جيف كثيراً. لقد كان ألطف بكثير من فيل.

قال جيف مجيباً: "كنت أخشى ذلك، ولكنني لست متأكداً من أن ذلك خطأ. لم أشعر بذلك. ما رأيك؟"

"لا أعلم". بدت مرتبكة.

"ربما يجب علينا أن نجرب ثانيةً لنتأكد". وبينما كان يقول ذلك، قبّلها من جديد، وضغط جسدها على جسده هذه المرة. شعر بالقوة، وشعرت هي بالأمان والدفء بين ذراعيه. "خطأ أم لا؟" همس، فضحكت هذه المرة.

قالت، وهو يعانقها: "سنجلب لنفسينا المتاعب مع فيل وماري لويز". كان لذلك شعور رائع.

"ربما هذا كل ما يستحقانه. ليس من الجيد أن نقسو على الآخرين على النحو الذي عاملونا به". لقد سئم جيف من مشاكله هو أيضاً.

قالت بعقلانية: "إن كان هذا صحيحاً، فيجب أن نتحلى بالشجاعة، ونقطع العلاقة معهما". سيكون هذا أروع شيء يفعلانه.

قال جيف مبتسماً لها: "أوه، ذلك". لقد بدا أن فترة العصر مليئة بالحب على نحو استثنائي، وخاصة في الدقائق القليلة الأخيرة. "فعلت ذلك عدة مرات، وكذلك هي. ولكننا دائماً نجتمع في المكان نفسه، ونبدأ من جديد".

"لماذا؟"

"العادة، الخوف، الكسل، التآلف، الطمأنينة".

سألت بصراحة، "الحب؟" طرحت على نفسها السؤال نفسه بخصوص فيل. هل تحبه أم لا؟ لم تعد واثقة من ذلك.

"ربما. بعد أربع عشرة سنة، يكون من الصعب معرفة ذلك. أعتقد ن السبب وراء ذلك هو العادة على الأغلب، والعمل أيضاً. سيكون من لفوضى أن نحاول تجزئة العمل. فلسنا نعمل في بيع الأحذية. فمعظم ِبائننا يعملون معنا كفريق. وفي العمل، نحن بارعان. أحب العمل معها".

علّقت سارة على كلامه، "هذا ليس بالسبب الجيد لبيقيكما سوياً، على حو شخصي على كل حال. هل بإمكانكما العمل سوياً إن قطعتما العلاقة؟" كانت تحقق معه، وكذلك هو.

"ربما لا. ستعود إلى باريس على أية حال. أخوها مهندس معماري يضاً. ودائماً تخبرني أنها ستعمل معه. يمتلكان شركة هامة هناك".

"كم هذا رائع لها!"

"لا أخشى العمل وحدي. ولكنني لا أحب الفوضى التي سيسببها لك". أومأت سارة. فهمت ما يقوله. ولكنها أيضاً لا ترغب بأن تكون 'المرأة الأخرى' في حياته. سيكون ذلك سبباً في فوضى أكثر من تلك التي حظيان بها الآن. قال على نحو منطقي: "يجب على المرء أحياناً أن يدع لحياة تتكشف له، إن الأمر بكامله يتعلق بالشيء المناسب في الوقت لمناسب. أعتقد أنه عندما يحين الوقت، ستعرفه. فدائماً ما أصاب بانجذاب ـديد إلى الأشياء الخاطئة". اعترف بذلك، وهو يبدو خجولاً. "كنت أحب لنساء المخيفات عندما كنت شاباً. أو النساء اللواتي من الصعب التأقلم عهن. وماري لويز واحدة تجمع الأمرين معاً".

أضافت محذرة، "لست كذلك". فابتسم.

"أعلم ذلك. أُحب ذلك فيكِ. لا بد من أن أنضج في النهاية".

فكّرت بالأمر، "ولستَ لئيماً. على الرغم من أنك غير متاح. هذه هي خصصاتي. أنت تعيش مع امرأة أخرى. لا أعتقد أنها فكرة صائبة لأي ـنا الآن. هذا خطر عليك. كما أنك لست متاحاً لي. وهذا شيء غير

مسموح به". علم كلاهما أنها على حق، ولكن الأمر شديد الإغواء، وقد كانت القبلات عذبة. ولكن إن كان الأمر جيداً، فسينتظر.

قال جيف بعقلانية: "دعينا ننتظر ما الذي سيحدث". سيقضيان الكثير من الوقت سوياً في منزلها. وسيكون أفضل لكل منهما إن تطورت الأمور مع الوقت.

سألت وهما يخرجان من الباب الأمامي إلى شارع سكوت، "متى ستعود؟"

"قالت إنها ستعود بعد أسبوع. ربما أكثر من أسبوعين، أو ثلاثة، أو أربعة".

"هل ستعود قبل الكرسمس؟"

قال بكآبة، وهو يرافقها إلى سيارتها: "لم أُفكر بذلك، لست واثقاً من ذلك. ربما لا. عندما يتعلق الأمر بها، لا تعرفين شيئاً. يوماً ما ستعود، عندما تضيق بها الأعذار للبقاء هناك".

"تبدو مثل فيل. إن لم تعد قبل ذلك، هل تحب أن تقضي الكرسمس مع عائلتي؟ فقط جدتي وأمي وأنا، وربما صديق جدتي. إنهم رائعون جداً سوياً".

ضحك قائلاً: "ربما أفعل ذلك حتى وإن عادت. تكره العطل، وترفض الاحتفال خلالها. أما أنا فأحب الكرسمس كثيراً".

"أنا أيضاً. ولكنني أفضل ألاّ تفعل ذلك إن عادت. سأشعر بالوقاحة إن لم أدعُها معك، ولا أريد ذلك. إن كان الأمر مناسباً لك".

قبلها بلطف على شفتيها وهي تدخل السيارة. "كل شيء تفعلينه مناسب لي، سارة". كان هناك الكثير مما يعجبه فيها. إنها امرأة ذات معنى، ومبادئ، وكرامة، وعقل، وقلب كبير. ليست هناك مجموعة أفضل من ذلك برأيه. إنها تمتلك كل الصفات الحميدة.

شكرته على الغداء الذي أحضره، وقادت سيارتها بعيداً ملوّحة له. وبينما كانت تقود سيارتها عائدة إلى شقتها، تساءلت ما الذي ستفعله بفيل. لم تكن ترغب بإصدار أي قرار يتعلق بجيف. فالأمر لا يتعلق به، بل يتعلق بفيل. كما أن جيف يمتلك ماري لويز. لن تدع نفسها تنسى ذلك. لن تلتزم بأحد منشغل من جديد، حتى ولو كان بصيغة أخرى هذه المرة. كان جيف رجلاً ودوداً بصدق. ولكن الشخص غير المتاح خارج نطاق اهتماماتها. لن تسمح لنفسها أن تفعل ذلك ثانيةً. مهما فعلت هذه المرة، يجب أن يكون صحيحاً. وفيل ليس متاحاً، تبعاً لكل ما تمكّنت من رؤيته. ولا تعلم بعد إن كان جيف كذلك.

الفصل الثالث عشر

كما يفعلان دائماً، احتفلت سارة مع فيل بالكرسمس في الليلة السابقة لمغادرته إلى أسبن مع أولاده. دائماً ما يغادر فيل في السبت الأول من عطلة المدارس، ويبقى هناك إلى ما بعد السنة الجديدة. يتركها وحيدة في العطل، الأمر الذي كان يعزّ عليها كثيراً، ولكنها القصة القديمة نفسها. أراد قضاء وقته وحيداً مع أولاده. ويجب على سارة أن تكون وحيدة في الكرسمس وعطلة السنة الجديدة، وهذا صعب. علمت أن والدتها ستثير جلبة كبيرة حول الأمر كعادتها دائماً. في الواقع، هذا الكرسمس الخامس الذي تقضيه من دونه، فقد دخلت علاقتهما للتو عامها الخامس.

في ليلتهما الأخيرة سوياً اصطحبها إلى جاري دانكو لتناول العشاء. وكان الطعام فاخراً، والشراب الذي اختاره باهظ الثمن ومتميزاً. بعدها، عادا إلى منزلها، وتبادلا الهدايا، وأقاما العلاقة الجنسية. أهداها آلة جديدة لصنع القهوة، لأن آلتها أصبحت في آخر أيامها، وسواراً فضياً جميلاً من تيفاني، وقد أحبته. كان سواراً بسيطاً تستطيع وضعه في المكتب، أو في أي وقت. لم يكن مبهرجاً. أما هي فأهدته حقيبة جديدة يحتاجها بشدة، وكنزة زرقاء جميلة من الكشمير من صنع أرماني. وكما هو الحال دائماً، عندما يغادر في الصباح، تكره أن تراه يرحل. تباطأ في الرحيل أكثر من المعتاد. سيمضي أسبوعان قبل أن تراه من جديد. أسبوعان رائعان من أيام العطل. عطل تقضيها وحيدة من جديد.

قالت سارة: "وداعاً... أحبك..". فيما كان يُقبّلها مرة أخرى قبل رحيله. ستشتاق إليه كثيراً، كما تفعل دائماً، ولكنها هذه المرة لم تتناقش معه بخصوص الرحيل. فلا جدوى من النقاش في هذا الموضوع. الاختلاف الوحيد في عطل هذه السنة أنها ستكون منشغلة بمنزلها.

لقد قضت سارة الكثير من أوقات عطل الأسبوع هناك، تمسح، تنظف، تقيس، تضع القوائم. كانت قد اشترت لنفسها علبة معدات جميلة جداً، وكانت تحاول بناء خزانة كتب بنفسها، في غرفة نومها. كان جيف قد أخبرها أنه سيُعلمها الطريقة.

أخيراً، عادت ماري لويز إلى المدينة في الأسبوع الماضي. وكلما تحدثت سارة معها، كانت طباعها الفرنسية تظهر أكثر من السابق، على الرغم من عدم اشتراكها بالمشروع. عادت لتنجز أعمالها، فقد كان معظم زبائنها يطالبون بعودتها. أصبحت سارة الآن تتحدث مع جيف كل يوم تقريباً. كانا قد اتفقا، قبل عودة ماري لويز، على عدم الاستمرار في قصة حبهما، بل التركيز بتعاملهما وصداقتهما على المنزل بالكامل. وإن حدث أي شيء آخر فيما بعد، كما لو فشلت علاقتهما الحالية، سيكون ذلك علاوة إضافية، ولكن سارة وضّحت له أن الأمر سيكون مسيئاً لها بشدة إن أخفت مشاعر حب تجاهه، في الوقت الذي يعيش فيه مع ماري لويز ويقع في شركها، سواء كان سعيداً معها أم لا. ووافقها جيف على ذلك.

في اليوم التالي لرحيل فيل، تناولا الغداء سوياً. وكان ذلك يوم الأحد، أما ماري لويز فكانت مشغولة في مكتبها، تحاول التعويض عما فاتها. بعد تناولهما عجة البيض في مقهى روزي، سُحرت سارة وفوجئت عندما دفع جيف علبة صغيرة باتجاهها على الطاولة. فتحتها بحذر، وحبست أنفاسها عندما رأت المشبك الصغير الأثري الجميل داخل العلبة. كان المشبك على شكل منزل ذهبي صغير مع ألماسات صغيرة على النوافذ، كان المشبك بمثابة الهدية المثالية.كان جيف يتصف بالكرم وحسن التفكير معاً.

قال جيف بخجل: "إنه ليس بحجم منزلك، ولكن اعتقدت أنه جميل".

قالت سارة وقد بدت متأثرة: "أحببته!" بإمكانها وضعه على ستر البذلات التي ترتديها عندما تذهب إلى المكتب، بحيث تذكّرها به وبمنزلها. كانت تتعلم الكثير منه، عن كيفية تجديد المنزل. كما أهداها أيضاً كتاباً، يشرح لها أعمال النجارة وتجديد المنازل، سيكون كتاباً مفيداً جداً لها. لقد أهداها الهدايا المثالية، المُختارة بعناية.

أما هي فأهدته بدورها مجموعة من الكتب الجميلة المجلدة بغلاف فني قديم والتي يدور موضوعها حول هندسة الديكور، والتي كانت من الطبعات الأولى. كانت قد وجدتها في محل لبيع الكتب القديمة في وسط المدينة. كلفها شراؤها مبلغاً طائلاً، لقد أحب جيف هديتها كثيراً. كانت إضافة جميلة لمكتبته التي يضيف إليها كلما سنحت له الفرصة، والتي يحبها بشغف.

سألها أثناء تناول القهوة بعد انتهاء الوجبة،"ماذا ستفعلين في أيام العطل؟" بدا متعباً ومتوتراً جداً. كان لديه الكثير من المشاريع لينهيها، وبما أن ماري لويز قد عادت، أصبحت حياته أكثر انشغالاً وأقل هدوءاً، فهي دائماً تشغل له منزله مثل الإعصار. على مرّ السنين، وجد أن معظم الأشياء التي تقال عن ذوي الرؤوس الحمراء صحيحة. إنها سريعة الغضب، وديناميكية، وذات طباع مليئة بالخوف. ولكنها عاطفية أيضاً، بخصوص كل شيء، من الجيد والسيئ.

قالت سارة بسهولة: "سأعمل في المنزل". وكانت تتطلع لذلك. مع رحيل فيل، أصبح بإمكانها العمل أثناء عطل نهاية الأسبوع، وحتى وقت متأخر في المساء. كانت تأمل أن يساعد ذلك في مرور العطلة بسرعة. "سأذهب لتناول عشاء الكرسمس مع جدتي وأمي، والأشخاص الذين يدعونهما. أما فيما تبقى من الوقت، فسأعمل في المنزل. مكتبنا مغلق بين الكرسمس ورأس السنة الجديدة".

"وكذلك مكتبي. ربما يمكنني المجيء لمساعدتك. إن ماري لويز تكره الأعياد كثيراً، ودائماً تكون منزعجة في هذا الوقت من السنة. إنها لا تكره الاحتفال بها وحسب، بل تنزعج شخصياً إن فعل أحد غيرها ذلك، وخاصة أنا". ضحك وهو يقول ذلك، فابتسمت سارة. لا شيء سهل دائماً، على أي شخص، مهما بدا من الخارج. "إنها تُفكّر في الذهاب للتزلج يوم رأس السنة. أنا لا أتزلج، لذا يمكنني البقاء هنا وإنجاز بعض العمل. كنت دائماً أذهب معها، وأجلس في الغرفة طوال اليوم، وفي المساء تكون متعبة جداً للذهاب إلى أي مكان. كادت تشترك في الأولمبياد وهي صغيرة، لذا فهي متزلجة بارعة. حاولت أن تعلمني منذ وقت طويل، ولكن لا أمل يرجى مني. إنها إحدى الألعاب الرياضية التي لست بارعاً فيها ولا أحبها. إنني أكره البرد". ابتسم لها متابعاً. "والسقوط على الأرض، وهذا ما فعلته كثيراً، بينما تضحك هي عليّ. إنها تذهب الآن إلى سكوا وحدها. كلانا يفضل ذلك".

قالت سارة مُرحبة: "تعال في أي وقت تحب". علِمت أن قضاء أوقاتهما سوياً في المنزل سيكون أكثر حذراً الآن. لم يقبلها ثانيةً منذ يوم النزهة هناك. اتفقا سوياً بأن تلك ليست بالفكرة الجيدة، وستوقعهما في المشاكل وحسب، وسيتضرر شخص ما جراء ذلك. لم تكن سارة ترغب أن تكون هي المتضررة، وكذلك هو. كان قد سلّم بأنها محقة، على الرغم من أنه كان من الصعب عليه منع نفسه عن القدوم إليها ومعانقتها عندما يكونان وحدهما، فذلك يصب في مصلحتها كما يصب في مصلحته، أخذ يقاوم الاندفاع نحوها الآن. بدلاً من ذلك، أخذا يعملان سوياً لساعات، جنباً إلى جنب، دون لمس بعضهما حتى، وغالباً ما كان ذلك صعباً. ولكنه احترم حكمها وأمنياتها. ولم تكن لديه أية رغبة حقيقية في تعقيد وضعه مع ماري لويز.

"ما الذي تفعلانه أنتما الاثنان في يوم الكرسمس، بما أنها لا تحتفل بالعطل؟" دائماً تشعر سارة بالفضول بخصوص حياتهما. فقد بدا أنهما مختلفان عن بعضهما كثيراً.

ابتسم جيف قبل أن يجيب. "عادةً، نتشاجر. أتذمر من موقفها الذي يؤدي إلى إفساد عطلي. فيما تخبرني أنني غير مخلص لها، وفظ، ومهتم بالشؤون التجارية وحسب، وبأنني ضحية المؤسسات التي تبيعني أشياء تافهة عندما كنت صغيراً، وضعيف جداً، وغبي لدرجة أنني لم أعرف ذلك حتى الآن ولم أقم بمقاومة تلك المؤسسات. تعرفين، الأمور الاعتيادية كهذه". ضحكت سارة. "لقد حظيت بطفولة مأساوية، قضتها على الأغلب مع أقاربها الذين يكرهونها أو يسيؤون إليها ولبعضهم البعض. لا تكن أي احترام للروابط العائلية، أو التقاليد أو الأحداث الدينية. لا تزال تقضي الكثير من الوقت مع عائلتها، ولكنهم جميعاً يكرهون بعضهم".

"كم هذا محزن بالنسبة لها!"

"نعم، أعتقد ذلك. وتعوض عن ذلك الحزن بالغضب الشديد. وهذا يجدي نفعه معها". ابتسم عندما قال ذلك. إن جيف يقبل بماري لويز كما هي، على الرغم من أنه أصبح من الصعب العيش معها.

مشيا ببطء إلى شارع يونيون سوياً، حيث تركا سيارتيهما. كانت المحلات التجارية مزينة بزينة الأعياد، وكانت هناك أضواء تومض على الأشجار، حتى تحت ضوء النهار. بدا كل شيء يتمتع بمظاهر الاحتفال.

وعدها، "سأتصل بك عندما تكون مكاتبنا مغلقة، سآتي إليك، وأساعدك كلما أردت".

سألت سارة بحذر، "ألن تمانع ماري لويز؟" كانت تخشى أن تغضبها بالتطفل على حياتها. من جميع ما علمته سارة عنها، اعتقدت أنها غادرة. ولكنها لا زالت، تحترم تعلّق جيف بها، بالرغم من تذمره أحياناً.

طمأنها، "حتى أنها لن تلاحظ". لم يكن ينوي إخبارها، على الرغم من أنه لم يقل ذلك لسارة. لقد علم كم هي شخصية محترمة. وشعر بأن طريقة تعامله مع ماري لويز تخصه هو. فهو يعرفها جيداً، ويعرف

حدودها. وكرأي سارة تماماً، صمم الآن على عدم جعل انجذابه لها يخرج عن السيطرة، فقد اتفقا على أن يكونا صديقين وحسب.

شكرا بعضهما على الهدايا، وعادت سارة إلى شقتها. بعد برهة، عادت إلى المنزل في شارع سكوت، حاملة كتابها الجديد الذي أهداها إياه جيف تحت ذراعها. ظلت تعمل هناك تلك الليلة حتى فترة طويلة من بعد منتصف الليل. وفي عشية الكرسمس، وضعت المشبك الذهبي الجميل الذي أهداها إياه، وهو على شكل منزل. علّقت والدتها عليه لحظة جلوس سارة، كانت سارة قد نسيت سوار فيل الفضي على الخزانة. ولم تكن قد سمعت أي شيء عنه منذ ثلاثة أيام، فهو دائماً يتصرف على هذا النحو عندما يكون في أسبن. إنه يمرح كثيراً لدرجة لا تمكّنه من الاتصال.

علّقت والدتها على المشبك، "أحببته، من أين حصلت عليه؟"

قالت لها سارة على نحو يخفي سراً: "هدية من صديق". كانت تنوي إخبارهم جميعاً عن المنزل تلك الليلة. وكانت تتحرق شوقاً لذلك.

"من فيل؟" بدت والدتها متفاجئة. "لا أعتقد أنه يتمتع بهذا الذوق".

قالت سارة: "ليس منه". والتفتت للتحدث مع جورج، صديق جدتها. كان قد اشترى للتو منزلاً في بالم سبرنغ، ويشعر بالإثارة تجاه ذلك. كان قد دعاهم جميعاً لزيارته في المنزل الجديد. كانت ميمي قد ذهبت مسبقاً لرؤيته وأحبته، حيث علمها كيفية لعب الغولف.

كان عشاء الكرسمس مفعماً بالراحة والدفء. أعدت أودري اللحم المشوي وفطائر يوركشير والتي كانت تبرع بها، أما ميمي فقد أعدت الخضار، وخبزت فطيرتين، وقد حصلت على تقدير متميز. في حين أحضرت سارة الشراب الفرنسي، الذي علّق الجميع على مذاقه الرائع. قدّم جورج لميمي سواراً من الياقوت الأزرق جعل عينيها تشعان عندما تباهت به، وقد تفاجأ الجميع به، وهذا ما بعث السرور العارم في نفس جورج.

انتظــرت سارة خمود الإثارة، بعد الانتهاء من تناول الطعام. كانت أودري تقدم القهوة، عندما أخذت سارة تنظر حول الطاولة.

قالت والدتها، وهي تتمنّى ألاّ تكون ابنتها تريد إخبارهم أن فيل خطبها: "تــبدين مــثل القطة التي ابتلعت الكناري". وفي حال صدق حدثها، افترضت أودري أن فــيل يجب أن يكون حاضراً على الأقل، إلاّ أنه ولله الحمد لم يكن هناك من خاتم في إصبعها. لذا، اطمأنت أودري أن الأمر ليس كذلك.

قالــت سارة عاجزة عن إخفاء إثارتها أمام الحشد المجتمع: "ليس كناري بالــتحديد، لقــد أخــذت بنصيحة والدتي أخيراً". في أثناء ذلك دوّرت أودري عينيها، وجلست، وقاطعتها "ستكون هذه أول مرة". فابتسمت سارة لها بلطف.

"فــي الحقيقة، فعلت، أمي. اشتريت منــزلاً". لفظت الكلمات، وكأنها امــرأة تعلــن أنهــا ستــرزق بمولــود، وقد بدت عليها علامات الإثارة، والابتهاج، والفخر.

"حقاً؟" بدت أودري مبتهجة. "متى فعلت ذلك؟ لم تخبريني!"

"أخبركِ الآن. اشتريته قبل بضعة أسابيع. لقد كان الأمر بكامله غير مــتوقع وغير مخطط له. بدأت البحث عن شقة، وبمحض الصدفة النادرة أصــبح المنــزل من مسؤوليتي. إنه أشبه بحلم يتحقق، حلم لم أعرفه حتى حصلت عليه، ووقعت في حبه".

"كم هذا رائع، حبيبتي!" أسرعت ميمي في مشاركتها حماسها، وكذلك جــورج، الــذي كان يشعر بالحماسة بخصوص منــزله الجديد هو أيضاً. وكعادتها دائماً، بدت أودري ميالة للشك قليلاً.

"إنــه ليس في الجوار المزعج، أليس كذلك؟ وستغيرين العالم بانتقالك إلى هناك؟" علمت أن ابنتها قادرة على ذلك. هزّت سارة رأسها.

"لا، أعــتقد أنكِ ستوافقين عليه. إنه على بعد بضعة أبنية من المكان الذي أسكن فيه الآن، في باسفيك هايتس، إنه مكان محترم على نحو شديد، وآمن تماماً".

"إذاً ما المشكلة؟ أحس بوجود واحدة". كانت أودري قاسية جداً، تمنّت سارة لو تجد أُمها صديقاً يلهيها. ولكن إن حدث ذلك، يجب عليهم إسكاتها، وجعــل فمها مغلقاً دائماً، إنها تخيفهم جميعاً حتى يهربوا، أو تتخلص منهم هــي. إنها حادة جداً، وخصوصاً مع سارة، التي غالباً ما تتقطع بالشفرات الحادة للسان والدتها.

"لا مــشكلة، أمــي. يحتاج إلى العمل. إلى الكثير منه، ولكنني أشعر بالحماس للقيام بذلك، وحصلت عليه بسعر رائع".

"أوه، يا الله، إنه مكان للنفايات. علمت ذلك".

هزّت سارة رأسها، وواصلت كلامها. "لا، إنه مكان رائع. سيستغرق منــي ســتة أشهر أو سنة لأعيد الحياة إليه، وبعدها ستدهشين من جماله". نظــرت إلى جدتها وهي تقول ذلك. كانت ميمي تومئ، قادرة بالكامل على تصديقها، كعادتها دائماً، على عكس أودري، التي تتحداها في كل لحظة.

سألت أودري على نحو عملي، "من سيساعدك؟"

"تعاقدتُ مع مهندس، وسأقوم بإنجاز الكثير من العمل وحدي".

"أعتقد أنه من الصحيح الافتراض بأننا لن نرى فيل يستخدم المطرقة فــي أيــام عطل نهاية الأسبوع. لا بد أن شركتك تجني أرباحاً جيدة لكي تتمكّنــي مــن الــتعاقد مع مهندس". زمّت أودري شفتيها، فأومأت سارة. الإرث الذي حصلت عليه من ستانلي ليس من شأنهم، أيضاً. "متى تحصلين على الملكية؟"

قالت بفخر والابتسامة تعلو وجهها: "لقد حصلت عليها مسبقاً".

قالت أودري والشك يسيطر عليها: "كان هذا سريعاً".

اعتــرفت سارة، "جداً، ما إن قرّرت حتى وقعت في حبه من النظرة الأولى. لقد عرفت المنــزل منذ وقت طويل، وقد تمّ عرضه للبيع مؤخراً. لم أُفكّر في امتلاكه أبداً، أو بالقيام بأي شيء كهذا".

سألت أودري بمنطقية، "كم يبلغ حجمه؟" وضحكت سارة بصوت عالٍ عند سماعها السؤال.

قالت بفخر: "ثلاثون ألف قدم مربع". وكأنها تقول: 'واحد' أو 'اثنان'. حدّقت المجموعة المحتشدة بها دون تصديق.

سألت أودري، بعينين واسعتين، "هل تمزحين؟"

"لا، لا أمزح. لهذا السبب حصلتُ عليه لقاء سعر جيد. لم يعد أحد يرغب بمنزل بمثل هذا الحجم". ثم التفتت إلى جدتها، وتحدثت بلطف. "ميمي، أنت تعرفين المنزل. لقد ولدتِ فيه. إنه منزل والديك رقم أربعين عشرين في شارع سكوت، هذا هو السبب الرئيسي الذي دفعني لشرائه. إنه يعني الكثير لي، وآمل أن يكون كذلك لكِ أيضاً، عندما ترينه".

قالت ميمي والدموع تنبثق من عينيها: "أوه، عزيزتي...". حتى هي لم تعد تعلم إن كانت ترغب برؤية المنزل من جديد. في الحقيقة، كانت واثقة تقريباً من أنها لن تفعل. تمتلك ذكريات مؤثرة هناك، عن والدها قبل تحطيم الانهيار لنفسيته، وللمرات الأخيرة التي رأت فيها والدتها قبل اختفائها. "هل أنتِ متأكدة؟... أعني... إنه منزل كبير جداً لتتمكّني من تدبر أمره بمفردك. لم يعد أحد يعيش بمنزل بهذا الحجم... كان والداي يوظفان ما يقارب الثلاثين موظفاً هناك، أو ربما أكثر". بدت قلقة، وخائفة تقريباً، وكأن شبحاً من الماضي مدّ يده ولمسها. شبح والدتها؛ ليلي.

قالت سارة، والابتسامة لا تزال تعلو وجهها، على الرغم من عبوس والدتها، ونظرة جدتها الخائفة: "حسناً، لن أُوظف ثلاثين موظفاً، أعدكِ بذلك". حتى جورج بدا مذهولاً بعض الشيء، فمنزله في بالم سبرنغ يقع على مساحة خمسة آلاف قدم مربع، ويخشى أن يكون كبيراً جداً عليه. مساحة ثلاثين ألف قدم مربع تتحدى الخيال. "ربما أستخدم عامل تنظيف مرة في الأسبوع. أما ما تبقى فهو لي. ولكنه منزل جميل جداً، وعندما

أنتهي من تجديده وإعادته لما كان عليه، أو قريباً مما يمكنني تحقيقه، أعتقد أنكم جميعاً ستحبونه. فقد أحببته مسبقاً".

سألت أودري بقليلٍ من الفضول، وهي تهزّ رأسها، وكأنها أصبحت مقتنعة الآن، على نحو لا يقبل الجدل، بأن ابنتها مجنونة، "من امتلك المنزل طوال هذه السنين؟"

قالت سارة ببساطة: "موكلي المتوفى، ستانلي بيرلمان".

سألت والدتها بفظاظة، "هل تركه لك؟" كادت تسأل سارة ما إن كانت تقيم علاقة معه، إلاّ أنها تذكرت بأن سارة أخبرتها أنه يبلغ من العمر قرابة المئة عام.

"كلا، لم يفعل". أما البقية فهي بينها وبين ستانلي والورثة التسعة عشر الآخرين. "عرضه الورثة للبيع بسعر قليل جداً، واشتريته. كلفني أقل مما كان ستكلفني شقة صغيرة في باسفيك هايتس، وأحبه أكثر بكثير. بالإضافة إلى أنه يعني الكثير بالنسبة لي أن أعيده إلى عائلتنا، وآمل أن يعني لكما أيضاً". قالت لجدتها وأمها. بقيت المرأتان صامتتين. "كنت آمل أن تأتيا وتشاهدانه غداً. سيعني ذلك الكثير لي". للحظة بدت طويلة، لم تجب أي منهما، بينما كانت خيبة الأمل ترفرف فوق قلب سارة كفراشة العث.

كعادتها دائماً، تحدثت أمها أولاً، "لا يمكنني أن أصدق أنكِ اشتريت منزلاً بهذا الحجم. هل لديك أية فكرة عما سيكلفك تجديده أو إعادته للحياة، بغض النظر عن الديكور والأثاث؟" لم تكن كلماتها تفشل بأن تذيع التهديدات على أذني سارة.

"أعلم. حتى ولو استغرقت سنوات، إنه هام بالنسبة لي. وإن كان الأمر كثيراً عليّ جداً، يمكنني بيعه".

قالت أودري منبهة: "وتخسرين كل شيء فعلته أثناء ذلك". في ذلك الوقت، مدّت جدة سارة يدها، وأمسكت بيد حفيدتها بين يديها. لا تزال

تمتلك يدين ناعمتين رائعتين - حتى وهي في هذا العمر - وأصابع طويلة جميلة.

"أعتقد أنك فعلت شيئاً رائعاً، سارة. أعتقد أننا كنا جميعاً متفاجئين نوعاً ما. أرغب حقاً برؤيته. لم أعتقد أنني أريد رؤية المنزل ثانيةً، ولكن الآن، بما أنه أصبح لكِ، فأريد فعل ذلك..". كان ذلك هو الشيء المناسب لقوله. لطالما كانت ميمي تحسن التصرف عند الحاجة، على نقيض أودري.

"هل بإمكاننا الذهاب غداً، ميمي؟" سيكون يوم الكرسمس. راود سارة الشعور نفسه الذي كان يراودها وهي طفلة، تعرض على جدتها مشروعاً تعمل عليه، أو لعبة جديدة. أرادت أن تكون ميمي فخورة بها، وبوالدتها. لطالما كان من الصعب الفوز بثناء من والدتها.

قالت ميمي بثبات، فيما كانت تكافح لتستوعب مشاعرها وخوفها: "سنذهب إليه كأول عمل نفعله صباحاً". إن العودة إلى هناك ليست بالأمر السهل، ولكن من أجل سارة، ستواجه كل مخاوفها، حتى ولو كانت مخاوفها الخاصة وذكرياتها المؤلمة. وقال جورج إنه سيذهب معها أيضاً. وبقي الأمر متعلقاً بأودري.

"لا بأس بذلك. ولكن لا تتوقعي مني أن أخبرك أنكِ فعلت الشيء المناسب، فأنا لا أعتقد أنكِ فعلت الشيء الصحيح".

"لا أتوقع أي شيء منك أقل من ذلك، أمي". بدت سارة مسرورة. غادرت بعد ذلك بقليل، وقادت سيارتها إلى منزلها. قادتها مارة بشارع سكوت، وابتسمت للمنزل. كانت قد وضعت إكليلاً من الزهور الخاصة بالكرسمس على الباب في اليوم السابق. لا يمكنها انتظار تزيينه حتى تنتقل إليه.

اتصل بها فيل في منتصف الليل، ليتمنّى لها كرسمس سعيد. قال إن أولاده يحظون بوقت رائع، وكذلك هو. أخبر سارة أنه اشتاق إليها، وقالت

له الشيء نفسه، وشعرت بالحزن عند انتهاء المكالمة. لم تتمكّن من إيقاف نفسها عن التساؤل فيما إن كانت ستتمكّن من أن تحظى برجل يقضي معها أيام العطل. حتى ولو ليوم واحد.

فكّرت في الصباح التالي بالاتصال بجيف وتمنّي كرسمس سعيد له، ولكنها خشيت أن تجيبها ماري لويز. في النهاية، لم تتصل. ذهبت مباشرة إلى المنزل في شارع سكوت، تجولت حوله، وانتظرت وصول عائلتها في الساعة الحادية عشرة كما وعدوها. وصلوا متأخرين بضع دقائق فقط. كانت والدتها قد أقلت ميمي وجورج من المنزل، وتظاهرت بأنها لا تعرف أنهما قضيا الوقت سوياً. إنهما لا ينفصلان عن بعضهما هذه الأيام. كان جورج يستغل ومن دون شك احتياجات ميمي الأخرى، ومزحت سارة معها وقالت بأن السبب هو دروس الغولف، أما أودري فقالت إن السبب هو منزل بالم سبرنغ. على الأقل، تحظى امرأة واحدة في العائلة بعلاقة لائقة. ومن الجيد أن تكون ميمي، فهي لطيفة جداً، وتستحق أن تقضي ما تبقى من حياتها وهي سعيدة. اعتقدت سارة أن جورج مناسب لها تماماً.

كانت ميمي أول من يدخل عبر الباب الأمامي، نظرت حولها وكأنها تخشى رؤية الأشباح. دخلت إلى الصالة الرئيسية ببطء، والآخرون خلفها، ثم ذهبت مباشرة إلى نهاية الدرج الرئيسي، ونظرت للأعلى، وكأنها ما تزال ترى الأشخاص المألوفين هناك. وعندما التفتت إلى سارة، كانت الدموع تتدحرج ببطء أسفل وجنتيها.

قالت بلطف: "يبدو تماماً بالشكل الذي أتذكره به، دائماً أتذكر أمي وهي تنزل هذه الأدراج بثوب المساء الجميل، تضع مجوهراتها والفرو، حيث ينتظرها والدي في نهاية الدرج بسترته الطويلة وقبعته، ويبتسم وهو ينظر إليها. كانت رائعة جداً وجديرة بأن ينظر إليها". تمكّنت سارة من تخيّل ذلك بسهولة، من الصورة الوحيدة التي رأتها فيها. كان هناك شيء ساحر في ليلي، يخطف الأبصار. بدت كنجمة أفلام أو أميرة في قصص

الخيال، أو ملكة شابة. إن وجود ميمي في المنزل الآن أعاد الحياة لسارة بشكل لا يمكن لشيء آخر أن يفعله.

تجولوا في الطابق الرئيسي لما يقارب الساعة، فيما كانت سارة تشرح لهم خططها للمنزل، وموقع المطبخ الجديد وتصميمه. كانت أودري هادئة جداً، وهي تتفحص ألواح الأبواب، والتحف المعمارية الناتئة، والخشب المنحوت. علّقت على الأرضيات الخشبية الفاخرة التي جيء بها من أوروبا. كما ذُهل جورج بالثريات. ومن لا يفعل؟

شرحت ميمي وهم يقفون تحتها، "كلها أحضرها والدي من النمسا من أجل والدتي". لم يكن من الممكن إضاءتها حتى الآن، ولكن جيف كان قد أحضر شخصاً ليتأكد من أنها مثبتة جيداً ولن تسقط على أحد. لذا كان من الآمن الوقوف أسفلها. قالت ميمي وهي مستغرقة في التفكير: "أخبرتني مربيتي مرة عنها، أعتقد أن اثنتين منها من روسيا، والأخرى من فيينا، وتلك الموجودة في غرفة أمي من باريس. لقد نهب والدي القصور الفاخرة في جميع أنحاء أوروبا عندما بنى المكان". كان من السهل رؤية ذلك، فالنتائج رائعة.

قضوا نصف ساعة أخرى في الطابق الثاني، ينظرون إلى غرف الجلوس، ثم وقفوا في غرفة الرقص، بكامل بريقها ومراياها، والأرضيات الخشبية المزخرفة والمرصعة. ذهبت ميمي مباشرة إلى غرفة نومها وغرفة نوم أخيها. شعرت وكأنها شاهدتهما في الأمس آخر مرة. حتى أنها لم تتمكّن من التحدث، وهي تقف هناك، عندما وضع جورج ذراعه اللطيفة حول كتفيها. كان الوقوف في هذه الغرف من جديد رحلة عاطفية عميقة بالنسبة لها. كادت سارة تشعر بالذنب لأنها وضعتها في هذا الموقف، ولكن في الوقت نفسه، تمنّت أن يشفي هذا جروحها القديمة.

شرحت ميمي للجميع عن غرفة نوم والدتها وغرف الملابس، والأثاث الذي كان هناك، والستائر الوردية والسجادة المنسوجة باليد التي لا

تقدر بثمن. قرأت فيما بعد أنها قد جلبت ثروة حتى عندما تمّ بيعها في المزاد عام 1930. أخبرتهم جميعاً عن عباءات والدتها في الخزائن الكثيرة، وعن الملابس التي كانت ترتديها، وعن القبعات الجميلة التي صنعت خصيصاً لها في باريس. كان الاستماع لها أشبه بأسطورة ليس لها مثيل، ودرس في التاريخ. كانت أودري هادئة على نحو ملحوظ طوال الوقت. طوال السنوات الواحدة والستين من حياتها، لم تسمع والدتها تتحدث عن ذلك لهذا الحدّ، أو عن أي شيء، يتعلق بطفولتها، وذهلت عندما أدركت مقدار ما تتذكره. لطالما اعتقدت أنها غير قادرة على تذكر أي شيء. كل ما عرفته بنفسها عندما كانت طفلة أن عائلة والدتها قد خسرت كل شيء في انهيار العام 1929، وبأن والدها توفى بعد فترة قصيرة، ولم يترك شيئاً. لم تكن أودري تعلم شيئاً عن الأشخاص الذين شغلوا حياة والدتها عندما كانت طفلة، وعن تفاصيل اختفاء جدتها، أو حتى عن وجود هذا المنزل. لم تكن ميمي قد تحدثت عنه من قبل على الإطلاق، والآن انفجرت كافة الذكريات والقصص، مثل المجوهرات الموجودة في خزائن عميقة، حين تُفتح أقفالها في النهاية، تنتشر في كل مكان. شاطرتهم تاريخاً ثميناً.

تفحصوا العلية والقبو أيضاً، على الرغم من عدم وجود الكثير هناك لرؤيته. تذكرت ميمي المصعد وكم كانت تعشق صعوده مع والدها، وخادمتها المفضلة التي كانت تتسلل لرؤيتها في العلية، كلما تمكّنت من الإفلات من مربيتها.

كانت الساعة الثانية تقريباً عندما أنهوا جولتهم. بدت ميمي منهكة، وبدا الآخرون متعبين. لقد كانت أكثر من مجرد جولة لساعة، أو درس في التاريخ، لقد كانت رحلة إلى الماضي لزيارة الأشخاص المنسيين، الذين تمكّنت الآن من زيارتهم مجدداً لأن سارة حققت حلمها، وشاركتهم به.

سألت سارة، عندما توقفوا في الرواق الأمامي، على وشك المغادرة، "حسناً، ما رأيكم؟"

قالــت ميمي: "شكراً لك". وعانقتها، وقالت والدموع تتلألأ في عينيها مجدداً: "فليباركك الله، أتمنّى أن تحظي بالسعادة هنا، سارة. لقد كنا كذلك، لفتــرة. آمــل أن تكوني سعيدة دائماً، إنكِ تستحقين ذلك. أنت تفعلين شيئاً رائعاً بإعادة الحياة إلى هذا المكان. أرغب حقاً بتقديم كافة ما يمكنني فعله لمساعدتك". كانت ميمي تعني كل حرفٍ قالته. اقترب جورج، وعانق سارة أيضاً.

قالــت ســارة: "شكراً لك، ميمي"، وعانقتها، ثم نظرت إلى والدتها، كانت عيناها مليئتين بالذعر الذي يصيبها عندما تنتظر موافقة والدتها. التي لم يكن من السهل الحصول عليها.

أومــأت أودري، وبدت مترددة، ثم تحدثت ببحة صوت واضحة في حنجــرتها وبتعبير غامض. "كنت أريد إخباركِ أنكِ مجنونة. اعتقدتُ أنكِ كذلك... ولكنني فهمت الآن. أنتِ محقة. هذا أمر هام، لنا جميعاً... كما أنه منــــزل جمــيل قديم... سأساعدك في الديكور، إن أحببت، عندما تكونين جاهزة". ابتسمت لابنتها ابتسامة مفعمة بالحبّ. "سيتطلب هذا المكان أطناناً مــن القمــاش... الــستائر وحــدها ستكــسر ميزانية مصرف... أرغب بالمــساعدة... لــديّ بعــض الأفكار لكافة غرف الجلوس، أيضاً. تعلمين، يمكــنك تأجيره لإقامة حفلات الزفاف، حالما ينتهي. ربما يجلب لك دخلاً جــيداً. دائمــاً يبحث الأشخاص عن مواقع جميلة لإقامة حفلات الزفاف. سيكون هذا مثالياً، ويمكنكِ طلب مبالغ كبيرة لقاء تأجيره".

قالت سارة، والدموع في عينيها: "هذه فكرة رائعة، أمي". لم تكن والــدتها قد عرضت المساعدة مسبقاً على الإطلاق، كانت دائماً تخبرها مــا تفعــل وحــسب. بطريقة غريبة، كان المنــزل يقربهم من بعضهم أكثر. لم يكن ذلك هو هدفها الأصلي، ولكنه إضافة غير متوقعة تستمتع

بها أيضاً. "لم أُفكّر بذلك". اعتقدت سارة أنها فكرة جيدة بالفعل.

وقفــت النــساء الــثلاث يبتسمن لبعضهن قبل مغادرتهن المنــزل، وكأنهن يشاطرن بعضهن سرّاً خاصاً جداً. لقد عاد أحفاد ليلي دو بوون إلى المنــزل أخيراً، تحت السقف الذي بناه ألكساندر لها. لقد كان منــزلاً مليئاً بالحبّ في السابق، وبعمل سارة، علمت النساء الثلاث أنه سيعود كذلك من جديد.

الفصل الرابع عشر

قــضت سارة كل لحظة من لحظات استيقاظها في إجازة الكرسمس تعمل في المنــزل. اعتادت أودري أن تعرّج عليها مراراً. كانت قد ذهبت إلــى المكتـبة لتبحث عن تاريخ المنــزل، ووجدت بعض الأخبار المثيرة للاهــتمام ومعلــومات رغــبت بمــشاركتها مــع سارة، وراودتها بعض الاقتــراحات الجيدة المثيرة للاستغراب حول ترتيب المنــزل وديكوره في المــستقبل. للمرة الأولى منذ سنوات، كانت سارة تستمتع بصحبة والدتها. زارتهــا ميمــي عدة مرات أيضاً، وأحضرت لسارة الشطائر كي لا تشعر بالجوع وهي تطرق، وتصقل، وتنشر. بدأت خزانة الكتب التي تبنيها تأخذ شــكلها، وكانــت تزيت الألواح والخشب المنحوت بإتقان، والذي بدأ يشع تقريباً.

قــضى جيف عدة أمسيات معها عندما ذهبت ماري لويز للتزلج. عملا بجدٍ في إحدى الليالي في غرف منفصلة. لم يكن يطلب منها أجراً على الأوقات التي يقضيها هناك، فقط على التصاميم والرسومات وعلى علاقاتــه العملــية مــع المتعهدين أثناء ذلك الوقت. قال إن العمل في المنــــزل يريحه. جاء للاطمئنان على عملها، إنه يحاول إضافة صقل جديد على إحدى الغرف ذات الألواح الخشبية. كانت سارة تبدو منهكة، يــداها متعبــتان، وشعرها مرفوع أعلى رأسها، وكانت ترتدي وزرة، وتنــتعل حــذاء عمــل طــويلاً. توقفت عن العمل لبضع دقائق، عندما أعطاها الشراب.

قالــت وهــي تجلس على الأرض لتأخذ استراحة: "أشعر وكأن يديّ على وشك أن تسقطا". نظر إليها جيف ضاحكاً. كانا قد تناولا البيتزا سوياً في وقت أبكر.

"هل تعلمين ما هو اليوم؟" سألها وهو يضع أداة من يده، بينما يرشف من زجاجة الشراب التي فتحها لنفسه.

"ليــست لديّ فكرة". كانت تفقد الإحساس بالوقت وهي تعمل. كانا قد أشــعلا أضــواء مؤقتة، لتنير المنطقة التي يعملان عليها. أما بقية الغرف فكانــت غارقــة بالظلال. منحهم ذلك شعوراً لطيفاً، وليس شبحياً. لم تكن تــشعر بالانــزعاج هناك، حتى في الوقت المتأخر من الليل، عندما تعمل وحيدة. ولكن كان من اللطيف وجوده معها.

كــان قــد نظر إلى التاريخ للتو في ساعته، وابتسم عندما رآه. "إنها عشية رأس السنة الجديدة".

"حقــاً؟" بدت مندهشة. "هذا يعني أنه يتوجب عليّ العودة إلى المكتب بعــد يومين. لقد كان من الرائع أن أعمل بحرية هنا كل يوم. سأكره واقع أننــي سأعمل هنا في عطل نهاية الأسبوع فقط. ربما يمكنني إنجاز بعض الأشياء في المساء بعد العمل". كلما عملت أسرع، وكلما قضت المزيد من الوقت هنا، ينتهي الأمر على نحو أسرع.

كانت تنتظر الانتقال إلى هنا بفارغ الصبر. تمنّت أن تنهي العمل هنا بحلول فصل الربيع. ثم تذكرت ما قاله. "كم الساعة؟"

"الحاديــة عــشرة وثــلاث وخمــسون دقيقة. سبع دقائق لبدء السنة الجديــدة". رفعت زجاجة الشراب باتجاهه، وهي تجلس على الأرض وهو يقف قربها، وشربت نخب ذلك. كانت تلك طريقة جميلة بالنسبة لها لتستقبل بها السنة الجديدة، وكذلك بالنسبة له أيضاً. مريحة وسهلة، مع صديق جيد، وهذا ما أصبحا عليه. "آمل أن تكون سنة جيدة لكلينا".

"أنــا أيــضاً. فــي السنة القادمة في هذا الوقت، سأكون مقيمة هنا،

"ويمكنني إقامة حفلة رأس السنة في صالة الرقص". لم يكن ذلك سيناريو محتملاً، ولكن من الممتع تخيّل ذلك.

قال، مبتسماً، وهو يمازحها: "آمل أن تدعيني إليها". وأجابته على الفور.

"نعم، بالتأكيد. أنت وماري لويز. سأبعث لكما بدعوة".

"أرجوك افعلي". قال حانياً رأسه بلطف. كانت ماري لويز تتزلج في سكوي فالي. لم تكن تأبه لأمسية رأس السنة، كما أنها لم تكن تأبه له أيضاً. أما فيل فهو ما يزال في أسبن مع أولاده. كان قد اتصل بها في اليوم السابق، ولكنه لم يذكر أمسية رأس السنة، وكذلك هي. من المفترض عودته في الأسبوع القادم، عندما يتوجب على أولاده العودة إلى المدرسة.

"الحادية عشرة وثمان وخمسون دقيقة". أعلن جيف، وهو ينظر إلى ساعته من جديد، بينما نهضت سارة مع زجاجة الشراب. وضعت الزجاجة في علبة أدواتها، ومسحت يديها بالوزرة. كانت وسخة من رأسها حتى قدميها، وكان هناك خطوط من الغبار والشمع على وجهها. لاحظت انعكاس نفسها في المرآة الموضوعة في الخشب وضحكت.

"يا له من رداء جميل لأمسية رأس السنة، أليس كذلك؟" ضحك هو أيضاً، وكانت مسرورة لأنهما سوياً. لربما كان الجو هادئاً على نحو بغيض إن لم يكن هنا. كانت تشعر بالوحدة على نحو أقل مما كانت تشعر به في شقتها طيلة حياتها.

"الحادية عشرة وتسع وخمسون دقيقة". أبقى عينيه على الساعة هذه المرة وتقدم نحوها. لم تبتعد أو تخطو للخلف. قال بلطف: "كل عام وأنت بخير، سارة". أومأت، وكأنها تمنحه الإذن هذه المرة فقط من أجل العام الجديد.

"كل عام وأنت بخير، جيف". قالت بلطف وهو يضع ذراعيه حولها ويقبلها. لم يفعلا ذلك منذ زمن، وقصدا ألاّ يفعلاه. تعانقا لوقت طويل، ثم ابتعدا ببطء، ووقفا ينظران إلى بعضهما. "شكراً على وجودك هنا".

"لا أرغب بالتواجد في أي مكان آخر". ببطء، عادا إلى مشروعهما الذي يعملان عليه، دون تعليق على القبلة، أو إن كان من الصحيح حدوثها. تركا بعضهما في الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل.

عندما عادت إلى الشقة، كانت هناك رسالة من فيل على مجيبها الآلي. كان قد اتصل في منتصف الليل، حسب توقيتها، ليتمنّى لها عاماً سعيداً. لم يتصل على هاتفها الخلوي. كانت قد تركته في المنزل بوضعية التشغيل، تحسباً لذلك فقط. اتصل بها ثانيةً في الصباح، وأيقظها عند الساعة الثامنة.

سألها باهتمام، "أين كنت ليلة أمس؟" كان يتصل من هاتفه الخلوي، راكباً في الكرسي المُعلّق، حيث كان الإرسال ضعيفاً، وظل الاتصال يتقطع.

"أعمل في المنزل. عدت في الثالثة، ووجدت رسالتك. شكراً على اتصالك". تمطت، وتثاءبت.

قال: "أنت وذلك المنزل المجنون. اشتقت إليك". ثم انقطع الاتصال للحظة، ثم عاد الخط.

قالت: "أنا أيضاً". رغم أنها قبّلت جيف ليلة أمس عند منتصف الليل، وكان الأمر لطيفاً.

قال: "سأراك عندما أعود". ثم فقدا الاتصال عند وصوله إلى أعلى الجبل. عندها، نهضت سارة وذهبت إلى المنزل، ووصلت إليه عند الساعة العاشرة.

انضمّ إليها جيف عند الظهر. لم يخبرها أنه تشاجر مع ماري لويز على الهاتف في ذلك الصباح. لم تتصل به في منتصف ليلة الأمس، ولكنها أرادت أن تعرف أين هو. أخبرها الحقيقة، ونال بأن الأمر خال من أي سوء نية. لم تعتقد بحسن نيته، بالنظر إلى إخلاصه لسارة وللمنزل. ذكّر ماري لويز أنه لا يمتلك أي شيء أفضل يفعله من العمل في المنزل

عشية رأس السنة الجديدة. شتمته، ثم أغلقت السماعة. كان من المفترض أن تعود تلك الليلة. قضى ما تبقى من اليوم مع سارة، وتركها في السادسة. لم يذكر أي منهما قبلة منتصف الليلة في الأمس، ولكنها ظلت في عقلها. أخذت تذكر نفسها من جديد بشدة ألاّ تنجذب إلى رجل غير متاح. ولكنه كان جذاباً ووسيماً جداً. أحبت عقله، قلبه، شكله. وربما حقيقة أنه يعيش مع امرأة أخرى. لطالما كانت سارة قاسية على نفسها.

على الرغم من قلقها بشأنه، قضيا وقتاً ممتعاً في ذلك اليوم وهما يعملان في المنزل سوياً، كما هو الحال دائماً. بدت أقسام لوح الخشب التي لمعتها رائعة. أصرّت على تطبيق ذلك على المنزل بكامله.

"أعتقد أنني لن أمتلك أظافر مجدداً حتى السنة التالية". ضحكت وهي تنظر إلى يديها. "سأفكر بعذر أقدمه لموكليّ. سيعتقدون أنني كنت أحفر الخنادق تحت ضوء القمر بيديّ". أصبحت لا تتمكّن الآن من تنظيف يديها، ولكنها لا تأبه لذلك. فالأمر يستحق ذلك.

بقيت تلك الليلة حتى التاسعة، ثم عادت إلى المنزل لتنهار أمام التلفاز. لقد كانت أيام العطل مثالية هذه السنة. أو كادت تكون كذلك. كانت ستبدو أجمل مع فيل، أو ربما لا. فقد كانت جميلة مع جيف، أثناء العمل في المنزل. من حسن حظهما أن ماري لويز لم تكن هنا أيضاً.

عادت سارة للعمل في الصباح التالي، وعاد فيل إلى المدينة بعد ذلك بيوم. اتصل بها حال وصوله إلى الشقة، ولكنه لم يعرض عليها أن يزورها ويراها. ولم تطلب منه ذلك، فهي تعرفه جيداً. سيخبرها أنه مشغول جداً، ولديه أكوام من العمل تنتظره على مكتبه، كما يتوجب عليه الذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية. لقد تعبت من الإصابة بخيبة الأمل. من الأسهل الانتظار حتى نهاية الأسبوع. قال بأنه سيراها يوم الجمعة، فعدد المرات التي يراها فيها غير مهم، فما تزال تشعر بالاستغراب عند معرفتها أنه قد عاد إلى المدينة، في شقته على بعد بضعة أبنية فقط، ولا تتمكّن من رؤيته. أزعجها ذلك لأيام.

كانت تحاول الذهاب إلى المنزل كل ليلة الآن للعمل على الألواح التي كانت تشمعها، وفي مساء يوم الخميس، أنجزت بعض العمل على خزانة الكتب التي تبنيها. أخطأت في العمل عدة مرات، وتوجب عليها إخراج المسامير ثم البدء من جديد. كان الأمر مثيراً للغضب، وشعرت بأنها خرقاء، وأخيراً قرّرت تركها قرابة الساعة الحادية عشرة. كانت تقود سيارتها إلى المنزل، عندما أدركت أنها تبعد مسافة مبنى واحد عن شقة فيل. كانت ستراه في اليوم التالي، ولكن فجأة بدا لها أنه من الممتع أن تزوره وتقبله في طريقها للمنزل، أو تستلقي في سريره، وتنتظر عودته للمنزل من الصالة. إنها غالباً لا تقوم بمثل هذه الأشياء، ولكن بين حين وآخر تفعلها. كما أنها تملك مفاتيح شقته. كان قد أعطاها إياها أخيراً قبل سنة، بعد سنة من إعطائه مفاتيحها. لطالما كان أبطأ في الرد. وعلم أنها لا تسيء استعمال ذلك الامتياز إلاّ من أجل شيء كهذا، لتفاجئه، فهي لم تذهب إلى منزله على الإطلاق إن لم يكن هناك. تمتلك احتراماً كبيراً لخصوصيته، كما يفعل هو تجاهها. نادراً ما يمران بمنزلي بعضهما للزيارة، ويتصلان أولاً. فالأمر كذلك يبدو ألطف وجديراً بالاحترام. الاحترام المتبادل بينهما هو أحد الأسباب التي جعلت علاقتهما تدوم لأربع سنوات.

ركنت سيارتها في نهاية شارع شقته، وهي ما تزال ترتدي الوزرة، وتنتعل حذاء العمل. كانت الوزرة مغطاة بالشمع الذي تستخدمه على الألواح، وشعرها مرفوع في أعلى رأسها لتبعده وهي تعمل.

بينما كانت تمشي باتجاه البناء، تمكّنت من رؤية الأضواء مطفأة في شقته. أحبت فجأة فكرة أن تتسل إلى سريره، وتنتظره هناك. قهقهت بينها وبين نفسها وهي تستخدم المفاتيح للمرور عبر الباب الخارجي، ثم إلى شقته في الطابق الثاني. كانت الشقة مظلمة عندما دخلت. لم تهتم لإشعال الأضواء، لأنها لم ترد إعلامه بأنها هنا، في حال كان في الشارع، في طريق عودته من الصالة، وصادف أن نظر إلى نوافذ شقته.

مشت مباشرة في الظلام عبر الرواق إلى غرفة نومه، فتحت الباب، ودخلت. في الظلام، تمكّنت من رؤية أن السرير غير مرتب، فأسرعت في خلع الوزرة وكنزتها. وبينما كانت تخلع كنزتها، سمعت أنيناً فوثبت ما يقارب القدم. بدا وكأن أحدهم مصاب، فالتفتت لجهة الصوت مذعورة. فجأة، من أسفل الغطاء، نهض جسدان بشريان، ونطق صوت ذكري قائلاً: "اللعنة!" أشعل الضوء بسرعة، ورأى سارة مرتدية حمّالة الثدي فقط والسروال التحتي، ومنتعلة الحذاء الطويل، ورأت جسده العاري مع امرأة شقراء عارية بجانبه. حدّقت سارة فيهما بارتباك صامت لفترة تكفي لتميز أن الفتاة في الثامنة عشرة من عمرها تقريباً، وبأنها فائقة الجمال.

قالت: "أوه، يا الله". وحدّقت به، وهي تحمل كنزتها والوزرة بيدين مرتجفتين. اعتقدت للحظة أنه سيغمى عليها.

"ما الذي تفعلينه هنا؟" سأل بنظرة مجفلة ونبرة صوت وحشية. أدركت بعد ذلك أن الأمر يمكن أن يكون أسوأ، لكن ليس كثيراً. فقد كان بإمكانها أن تراه يقيم العلاقة مع تلك الشقراء الجميلة حال دخولها، بدلاً من رؤية ما كانا يفعلانه تحت الغطاء. لحسن حظها، كانت أمسية باردة، وشقته باردة دائماً، فبقيا تحت الغطاء.

قالت سارة بصوت مرتجف، تغص بدموع الألم، والغضب، والإذلال: "جئت لأفاجئك".

قال: "لقد فعلتِ ذلك حقاً". فيما كان يمرر يده فوق شعره وهو يجلس. بقيت الفتاة مستلقية على السرير بعد إشعال الضوء، لا تعرف ماذا تفعل. كانت تعلم بأن فيل غير متزوج. ولم يخبرها أي شيء عن صديقته. بدت المرأة الواقفة عند مؤخرة السرير بملابسها الداخلية بحالة يرثى لها. "ماذا تسمّين هذا؟" لم يعرف ما يقول، ولم تقل الشقراء الشابة شيئاً، بل بقيت تُحدّق في السقف، تنتظر أن يرحل كل شيء.

قالت سارة، وهي تحُدّق بعينيه مباشرة: "هذا يسمى خيانة، أعتقد أن هذا هو الهراء الذي كانت عليه أيام عطل نهاية الأسبوع دائماً. يا لها من دناءة". قالت، وهي لا تعلم ما إن كانت تشير لسياسة مواعدته معها، أو تشير إليه. ارتدت كنزتها بيدين مرتجفتين، ارتدتها بالمقلوب. أرادت أن تركض خارجة من الباب، ولكنها لم ترغب بأن تمشي في الشارع بملابسها الداخلية. ثم تمكّنت من ارتداء الوزرة مغلقة جانباً واحداً فقط. كانت تنزل للأسفل على نحو رديء.

"عودي إلى المنزل. سأتصل بكِ. ليس الأمر كما يبدو عليه". نقل نظره من سارة إلى الشقراء ثم إلى سارة. ولكنه لم يتمكّن من النهوض من السرير، لأسباب واضحة. إنه عارٍ.

سألت سارة، "هل تمزح؟" وهي ترتجف من رأسها حتى قدميها. "ليس الأمر كما يبدو عليه؟ كم تعتقد أنني غبية؟ هل كانت في أسبن معك؟ هل كنت تصطحب هذه معك طيلة السنوات الأربع؟"

"لا... أنا... انظري... سارة..".

عندها جلست الفتاة على السرير، ونظرت إلى فيل بتعبير وجه مرتبك. "هل تريدني أن أرحل؟"

أجابت سارة نيابة عنه. "لا تقلقي". وبذلك، ركضت إلى الرواق، أغلقت الباب الأمامي بعنف، رمت المفاتيح على الأرض وهي تغادر، ونزلت الأدراج راكضة خارج البناء، عائدة إلى سيارتها. كانت ترتجف بشدة، وتمكّنت بصعوبة من قيادة سيارتها. لقد ضيعت أربع سنوات من حياتها. ولكنها عرفته الآن على الأقل. لا مزيد من الخداع والكذب. لا مزيد من خيبة الأمل. لا مزيد من التحقيق المؤلم مع النفس عن سبب تحمل دناءته. أخيراً، قالت لنفسها إنها مسرورة لانتهاء الأمر، ولكن الدموع كانت تنهمر على وجنتيها وهي تدخل شقتها. إنها صدمة مروعة. كان الهاتف يرن عندما فتحت الباب. لم تجب عليه. لم يعد

هـناك شـيء يقـال. سمعته يترك رسالة على المجيب الآلي. عرفت صوته، إنه صوت الخداع. مشت إلى الآلة ومحتها دون سماعها. إنها لا تريد سماعها.

تلك الليلة، تمدّدت في سريرها صاحية لساعات، وهي تعيد في رأسها عـرض ذلك المشهد القبيح، عندما نهضت عن السرير، وأدركت أن هناك امـرأة معـه. كان الأمر أشبه بمشاهدة انهيار مبنى يتفجر على نفسه، أو انفجـار قنبلة، في برجيهما التوأم. ذلك العالم الخيالي بأكمله الذي شاركته إيـاه لأربع سنوات، مهما كان غير كافٍ، قد تساقط حولهما. وليست هناك وسيلة لإعادة جمعه سوياً. لا تريد ذلك. وحتى في حالتها المرتجفة، علمت أن هذه رحمة. ربما كانت ستقبل بعطل نهاية الأسبوع وحسب لعدة سنوات أخرى.

اسـتمر الهاتف بالرنين طوال الليل، أخيراً، نزعت المأخذ، وأطفأت هاتفهـا الخلوي. كان من المرضي أن تعرف أنه يهتم لهذه الدرجة. إنه لا يـريد أن يظهـر بمظهر سيئ وحسب. أو ربما يقضي أيام عطل الأسبوع معهـا بـشكل مريح على أية حال، ولا يريد خسارتها. لم تعد تأبه لذلك. فالخداع هو الشيء الوحيد الذي لا يمكنها تحمله. لقد تحملت الكثير مسبقاً. ولكـن، فـي الـنهاية، وعلى نحو لا يمكن الرجوع فيه، هذه هي الضربة الأخيرة.

حاولـت إخـبار نفسها في الصباح أنها تشعر بأنها بأفضل حال. في الحقـيقة، علمـت أنهـا ليست كذلك. ولكنها وثقت بأنها ستشعر بذلك في الـنهاية. ففـي الـنهاية، لم يترك لها الخيار. ارتدت ملابسها للذهاب إلى العمل، ووصلت مكتبها في الوقت المناسب. اتصلت والدتها بها في التاسعة وعشر دقائق، وبدت قلقة.

"هل أنتِ بخير؟"

"أنا بخير، أمي". تلك المرأة تمتلك راداراً متميزاً.

"حاولت الاتصال بك ليلة أمس. قالت شركة الهاتف إن الهاتف خارج الخدمة".

"كنت أعمل على مذكرة قضائية، لذا نزعت المأخذ. بصدق، أنا بخير".

"جـيد. كنت أطمئن وحسب. لديّ موعد عند طبيب الأسنان. سأتصل بكِ فيما بعد".

بعـد أن أنهت مكالمتها، اتصلت سارة بشقة فيل، وهي على علم بأنه سـيكون قـد غادر للعمل حينها، وتركت رسالة. طلبت منه أن يعيد إليها مفاتـيحها. "لا تمـر علـيّ لإعطائـي إياها، لا تحضرها أنت. لا ترسلها بالبـريد. فقـط أرسلها عبر الساعي. شكراً لك". كان هذا كل ما قالته. في ذلـك اليوم، اتصل بها ست مرات في مكتبها. لم تتلقَ الاتصالات، ثم وفي الـنهاية، عـند المكالمة السابعة، أجابت. أخبرت نفسها أنها ليست بحاجة للاختباء منه. لم تفعل شيئاً خاطئاً، بل هو الذي فعل.

كـل مـا قالته هو مرحباً عندما حولت لها السكرتيرة المكالمة. بدا مذعوراً، وهذا ما فاجأها. إنه وغد مزهو بنفسه، علمت أنه سينجو بفعلته، ولكنه لم يتمكّن من ذلك. "انظري، سارة... أنا متأسف... إنها أول مرة منذ أربـع سـنوات... تحـدث هـذه الأشياء... ربما كان ذلك آخر نَفَس في حريتـي... نحتاج للتحدث سوياً... ربما يجب أن نرى بعضنا بضع مرات خـلال أيام الأسبوع... ربما أنت محقة... سآتي إليك الليلة، ونتحدث عن الأمر... حبيبتي، أنا متأسف... تعلمين أنني أحبك..".. قاطعته أخيراً.

وقالـت ببـرود: "حقاً؟ يا لها من طريقة طريفة للتعبير. الحب عن طريق التفويض. أفترض أنها كانت هناك بديلة عني".

"هـيا، حبيبتي... من فضلك... أنا إنسان... وأنتِ كذلك... يمكن أن يحدث ذلك لك يوماً ما... عندها سأسامحك..".

"لا، لا يمكن لذلك أن يحدث لي. في الواقع، لأنني غبية على نحو لا يـصدق، أصـدق ذلـك الهراء الذي تقوله لي. سمحت لك أن تتركني في

المنزل في عطل نهاية الأسبوع والعطل السنوية لتذهب مع أولادك. قضيت كل الكرسمس ورأس سنة وحدي لأربع سنوات، بينما تخبرني أنك مشغول في أيام الأسبوع وأنك ستذهب إلى الصالة، عندما تكون في الحقيقة تقيم علاقة مع امرأة أخرى. الاختلاف بيننا، فيل، هو أنني صادقة، ولديّ كرامة. أما أنت فلا. وهذا ما يوصلنا إلى أن الأمر انتهى. لن أراك ثانيةً. أعد لي مفاتيحي".

"لا تكوني غبية، سارة". بدأ الانزعاج يظهر عليه. لم يستغرق ذلك منه وقتاً طويلاً. "لقد قضينا أربع سنوات سوياً".

قالت سارة ببرود: "كان يجب أن تُفكّر بذلك ليلة أمس قبل أن تذهب إلى السرير معها، وليس بعد ذلك". كانت ترتجف ثانية، وكانت تراودها مشاعر تجاهه، ولكن ليس هناك مجال للعودة. لا تريد ذلك. الآن، وأخيراً، بعد الكثير الكثير من التأخير، أرادت إنهاء العلاقة معه.

"هل خطئي أنكِ تطفلتِ على شقتي وكشفتني؟ كان يجب أن تتصلي قبل ذلك".

"كان يجب ألاّ تقيم علاقة مع امرأة أخرى، سواء 'تطفلت' أم لا. أنا مسرورة لأنني فعلت. كان يجب أن أقوم بذلك قبل وقت طويل. كان بإمكاني أن أوفر على نفسي الكثير من الألم وإضاعة أربع سنوات. وداعاً، فيل".

حذّرها، "ستندمين على ذلك، أنت في الثامنة والثلاثين، سينتهي بك الحال وحيدة. بحق الله، سارة، لا تكوني غبية". كان يهددها نوعاً ما، ولكنها لن تعيده إليها حتى ولو كان هو آخر رجل على الكوكب.

قالت سارة بهدوء: "كنت وحيدة وأنا معك، فيل، أما الآن فسأكون مع نفسي فقط. شكراً على كل شيء". قالت ودون سماع ما سيجيبها به، أغلقت الهاتف. لم يعاود الاتصال بها. حاول بضع مرات في المساء، بعد أن أعادت وصل الهاتف من جديد، وهذه المرة أغلقت المجيب

الآلي، لا تريد سماع صوته ثانيةً. لقد انتهى الأمر حقاً. في المساء، ذرفت القليل من الدموع، وحاولت إخراج مشهد الليلة السابقة المروع من رأسها. جاءت مفاتيحها إليها عبر ساعٍ في الصباح التالي. أرسلها إلى شقتها. كان ذلك صباح يوم السبت. أرفق معها ملاحظة تقول إنه موجود لأجلها، في أي وقت تريد الاتصال به، وبأنه يأمل أن تفعل ذلك. تخلصت من الملاحظة بعد أن نظرت إليها، جمعت الأشياء التي كان قد تركها عندها. لم يكن هناك الكثير منها، مساحيق تنظيف، بعض الجينزات، ملابس داخلية، قمصان، حذاء رياضي، حذاء صيفي، وحذاء جلدي، وسترة جلدية تركها هناك لأيام العطل. أدركت وهي تحزم أشياءه أنه كان أشبه بالخيال في حياتها عن كونه حقيقياً. لقد كان تجسيداً للأمل، وتأجيجاً لاضطراباتها العصبية، ولذعر البقاء وحيدة ومهجورة من الرجال؛ كما فعل معها والدها من قبل. لذا تحملت الفتات الذي منحها إياه، ولم تطالب بالمزيد. طلبت، ولكنها كانت مستعدة للتحمل عندما منحها أقل مما تستحق. وفوق كل هذا، كان يخونها. لقد قدّم لها خدمة كبيرة تلك الليلة عندما ذهب للسرير مع الشقراء الشابة. كانت متفاجئة في الحقيقة لأنها لم تشعر بالسوء الذي خشيت أن تشعر به بعد قطع العلاقة معه. في أواخر فترة العصر، كانت هناك في المنزل، تعمل بجدٍّ على خزانة الكتب. اعتقدت أن الطرق سيريحها، وفعل ذلك حقاً. لم تسمع حتى صوت جرس الباب في البداية، وعندما سمعته أخيراً، خشيت أن يكون فيل. نظرت للأسفل بحذر، من نافذة الطابق الثاني، ورأت أنه جيف. نزلت على الدرج الرئيسي إلى الباب الأمامي لتفتح له.

قال بسهولة: "مرحباً، رأيت سيارتك في المدخل، وقلت إن بإمكاني المرور عليك لدقيقة". لاحظ أنها تبدو مشوشة الذهن فتفحصها عن قرب أكثر. "هل أنت بخير؟"

طمأنــته، "أنا بخير". ولكنها لا تبدو كذلك. هناك شيء ما، ولكنه لم يتمكّن من تحديد ما هو. لقد رآه في عينيها.

"أسبوع شاق في المكتب؟"

"نعــم. تقــريباً". تــبعها صــعوداً على الدرج، وتفحص عملها على الخــزانة. كانــت جــيدة على نحو مفاجئ بالنسبة لمبتدئة. كانت أنيقة في عملها. عندها، التقت عيناها بعينيه وابتسم لها.

"مــا الأمر، سارة؟ لا يجب عليك إخباري ما هو، ولكن هناك شيء ما". أومأت، لكنها لم تبكِ.

"قطعــت علاقتــي مع فيل منذ يومين. لقد تأخرت طويلاً عن القيام بذلك". وضعت المطرقة لدقيقة، وأبعدت شعرها عن عينيها.

"ماذا حصل؟ شجار كبير بعد عودته من أسبن؟"

قالت بهدوء: "ليس ذلك، ضبطته مع امرأة أخرى. إنها تجربة جديدة، شــيء مختلف وجديد". قالت بصوت رتيب، وبذلك، اعتقد جيف أنها بدت جيدة نوعاً ما.

"واو!" أطلق صفيراً. "لا بد من أن ذلك كان بغيضاً".

"إنــه كــذلك. بــدوت كالغبية، أما هي فبدت أشبه بالعاهرة، وهو كالــوغد تماماً. ربما كان يفعل ذلك طوال الوقت. رميت مفاتيحه على الأرض، وخــرجت. أرسـلت لــه أغراضــه هذا الصباح. ظل يتصل كالمجنون".

"هــل تعــتقدين حقــاً أن الأمر انتهى، أو هل تظنين أنكِ ستقبلين بعــودته؟" كانــت ماري لويز قد خانته منذ سنوات، إلاّ أنه لان عندما عادت، وتوسلته أن يسامحها. بعد ذلك، شعر بالأسف لأنه فعل. فقد خانته مجــدداً. ولكــن لم تعد الكرّة بعد ذلك. فقد كان حاداً تلك المرة. لقد شهدا الكثير خلال أربع عشرة سنة.

قالــت سارة بحزن: "كلا، لن أقبل بعودته". كانت حزينة أكثر بشأن الغــباء الــذي كانت عليه كل ذلك الوقت مما هي حزينة على فقدانه. "لقد انتهــى الأمر. كان يجب أن أفعل ذلك منذ وقت طويل. إنه وغد، وكاذب، وخائن. كل هذه الأمور الجميلة".

توقع جيف، "لن يدعك ترحلين بهذه السهولة".

"ربما لا. ولكن يجب عليّ فعل ذلك. لا يمكنني أن أغفر له. لقد كان مــشهداً مثيــراً للاشمئزاز. كنت على وشك الصعود إلى سريره لأفاجئه، عــندما اكتــشفت أن امرأة أخرى تنام معه في السرير. لم أشعر بمثل هذا الغــباء فــي حياتي من قبل على الإطلاق، أو بمثل هذه الصدمة. اعتقدتُ أننــي سأصاب بنوبة قلبية عندما غادرت. على أية حال، لقد انتهى الأمر، وأنــا هنا، عدت للعمل في المنــزل. عالم جديد رائع. إنني أنتظر الانتقال إلى هنا بفارغ الصبر". قالت لتغير الموضوع، فأومأ هو. لقد فهم التغيير. كــان يــشعر بالفضول لمعرفة ما إن كانت ستبتعد عن فيل حقاً. فهي تبدو ثابتة تماماً الآن. ولكن مضى يومان فقط على ذلك الحدث السيئ. بدا ذلك مزعجاً لها، كما كان له.

"متى تعتقدين أنك ستتمكّنين من الانتقال؟"

"لا أعلــم. ما رأيك؟" من المفترض أن يبدأ العمل بالكهرباء الأسبوع القــادم، وبعدها الأعمال الصحية. سيكون هناك طاقم عمل في جميع أنحاء المنـــزل لأشــهر. لــن يبدؤوا العمل في المطبخ حتى فبراير أو مارس، عندما تنتهي جميع الأعمال الأخرى أو تقترب من الانتهاء.

"ربمــا فــي أبريل". قال وهو غارق في التفكير. "يعتمد على مقدار ثــباتهم علــى العمل. إن التزموا به، ربما تتمكّنين من الانتقال إلى هنا في مارس، إن كنت تتحملين الغبار والضجيج".

ابتــسمت له، "أحب ذلك، أنا أتطلع شوقاً للانتقال من شقتي". لقد كبرت عليها، وخاصة الآن، برحيل فيل. أرادت الانتقال بيأس شديد. لقد حان الوقت.

بقي جيف لفترة مرافقاً إياها وهي تعمل. لم يكن يمتلك الوقت للعمل على المنزل اليوم، فلديه أشياء يفعلها. ولكنه شعر بالسوء لأنه سيتركها هناك وحيدة، وخاصة بعد ما حصل للتو. أخيراً، بعد ساعتين، أخبرها أنه سيحاول المجيء في اليوم التالي، وتركها تطرق على الخزانة. بقيت هناك حتى منتصف الليل تقريباً، ثم عادت إلى شقتها الفارغة. لا يزال المجيب الآلي خارج الخدمة، وكذلك هاتفها الخلوي. ليس هناك أحد تريد التحدث معه، لا حاجة لتلقي المكالمات. وبينما كانت تنسل في سريرها غير المرتب، فكّرت بفيل وتلك المرأة التي يقيم العلاقة معها. تساءلت ما إن كان معها الآن، أو مع امرأة أخرى. تساءلت أيضاً، عن عدد النساء اللواتي خانها معهن، على مرّ السنين، بينما كان يخبرها أنه لا يتمكّن من رؤيتها في أيام الأسبوع، فقط في عطل نهاية الأسبوع. كان من المثير للكآبة معرفة مقدار غبائها. ليس هناك شيء تفعله بخصوص ذلك، باستثناء التأكد من أنه سيبقى بعيداً للأبد. لم تكن تريد أن تلتقي عيناها به مجدداً على الإطلاق.

الفصل الخامس عشر

بحلول نهاية شهر يناير، شعرت سارة بتحسن. كانت مشغولة في المكتب، وتعمل في المنزل كل عطلة أسبوع، وكان جيف محقاً. لم يستسلم فيل بسهولة. اتصل بها عدة مرات، راسلها، بعث لها بالزهور، وزارها حتى دون إعلامها في منزل شارع سكوت. رأته من نافذة الغرف العلوية، ولم تسمح له بالدخول. لم تجب على أي من اتصالاته أو رسائله، ولم تشكره على الزهور، وتخلصت من رسائله. لقد عنت ما قالته. ليس هناك شيء تناقشه معه. لقد انتهى الأمر، كانت تفترض الآن بأنه قد خانها طوال تلك السنوات. فبالطريقة التي نظّم فيها حياتهما، حظي بكل الفرص. ولن تتمكّن من الوثوق به طالما أنها تعرفه الآن. هذا يكفيها... انتهى الأمر. استغرق ما يقارب الشهر للتوقف عن الاتصال. وعندما فعل، عرفت أنه تركها لأخرى. كان قد اعترف لها مرة في السابق أنه خان زوجته في النهاية، ولكنه لامها على ذلك، وقال إنها هي من قادته لذلك. فكّرت سارة أنه ربما الآن يلومها هي.

كانت أملاك ستانلي قد نُظمت تقريباً. وزّعوا مقداراً جيداً من الأملاك على الورثة. وتلقت هي أيضاً حصتها من الإرث، الحصة النقدية من أملاكه. قسمتها بعناية بين المتعهدين الذين استخدمهم جيف لصالحها. كان أحدهم قد وضع رهناً عقارياً على منزلها، وقد أصرّ على أن هذا هو الإجراء المعتاد، ولكنها أجبرته على إزالته. حتى الآن، يقع التجديد ضمن ميزانيتها، وكان جيف يشرف على جميع المقاولين الفرعيين. أما هي

فكانــت تقوم بمقدار كبير من العمل بنفسها، وتستمتع بكل دقيقة منه. كان مــن المثير للسرور، وعلى نحو لا يصدق، أنها تقوم بعمل يدوي، بعد كل توتراتها العقلية في المكتب. وكانت متفاجئة لتجد أنها لم تشتق لفيل بمقدار ما كانت تخشى. فالعمل على المنــزل في أيام الأسبوع ساعدها كثيراً.

ســرت ســارة لتلقــي اتصال من توم هاريسون في آخر أسبوع من ينايــر. قــال إنه سيأتي إلى سان فرانسيسكو في مهمة عمل في الأسبوع القــادم، ودعاهــا إلى العشاء. عرضت عليه أن تريه عملها في المنــزل، وقــال إنــه سيكون مسروراً لذلك. حددت معه موعداً لتقله من الفندق ليلة وصوله.

يوم وصوله، كانت السماء تمطر بغزارة، وهذا هو الطقس النموذجي فــي مثل هذا الوقت من السنة. ولكنه قال إنه أفضل من الثلوج في سانت لــويس. اصــطحبته إلــى المنــزل في شارع سكوت، في طريقهما إلى العشاء، وسُحر بشدة مما أنجزته في وقت قصير. لم تكن منتبهة لمقدار هذا التقدم، بما أنها تذهب إلى هناك كل يوم تقريباً.

قــال وقد علت وجهه ابتسامة عريضة: "أنا مندهش لما فعلته، سارة، لأكــون صادقاً معك، اعتقدتُ أنكِ مجنونة عندما اشتريت المنــزل. ولكن الآن، يمكننــي رؤية سبب قيامك بذلك. سيكون مكاناً جميلاً عندما تنتهين". علــى الرغم من أنه ضخم جداً عليها، من دون شك. ولكنها لم تتمكّن من مقاومة إنقاذ قطعة من التاريخ، لا سيما أنها تتعلق بها، وجوهرة كهذه.

شــرحت له، "لقد بناه والد جدتي". وأخبرته قصة ليلي على العشاء. اصــطحبته إلــى مطعم جديد يقدم طعاماً فرنسياً وآسيوياً لذيذاً. قضيا وقتاً ممتعاً، وهذا لم يفاجئها. لقد أحبته منذ اللحظة الأولى التي التقت به. سيبقى فــي المدينة ليومين يحضر الاجتماعات، ثم تذكّرت فكرتها السابقة. سألته بحــذر، "هــل أنــت مشغول على الغداء غداً؟" لم تكن تريد أن يعتقد بأنها ترغب بالاستفادة منه، فابتسم عندما سألته.

"يمكننــي أن أكــون كذلك. ما الذي يشغل بالك؟" كان كل شيء فيه حكيماً، وذكياً ولطيفاً. عاملها كابنة له، وليس كامرأة يريد مطاردتها، وهذا ما أراحها.

"أعلــم أن هــذا ربما يبدو سخيفاً. ولكنني أريدك أن تلتقي بوالدتي. ذكــرت ذلك عندما التقينا، ولكن عندها لم يكن الوقت مناسباً. إنها مزعجة جــداً بصفتها أم، ولكنها في الواقع امرأة لطيفة. يراودني شعور بأنك ربما تعجب بها، وربما تعجب بك هي أيضاً".

قال لها، وهو يضحك: "أوه، أوه". ولكن ليس بطريقة مهينة، "تتكلمين مثل إحدى بناتي. دائماً تعمل على جمعي مع والدات صديقاتها. يجب عليّ الاعتراف بأن هناك بعض المبدعات الحقيقيات، ولكنني، أعتقد أنه في مثل عمري، يجب أن أتقبل حقيقة أن أجد نفسي وحيداً".

تعــرف بأنــه في الثالثة والستين من عمره، ووالدتها تبلغ من العمر إحدى وستين سنة، ولا تزال امرأة جميلة. سرت سارة لسماعها أنه يواعد الأمهات وليس البنات. فمعظم الرجال في مثل عمره يكونون أكثر اهتماماً بالبــنات، أو الأسوأ، بالفتيات الصغيرات جداً اللواتي بمثل عمر حفيداتهم. أحــياناً، حتى وهي في الثامنة والثلاثين، تشعر بأن القطار قد فاتها. تعرف بأن الكثيرات من صديقات أودري جربن خدمات المواعدة عبر الإنترنت، وأحياناً تكون النتائج جيدة. ولكن سوى ذلك، يواعد معظم الرجال في مثل عمــر أودري نساءً بعمر سارة. اعتقدت أن توم هاريسون سيكون مناسباً تمامــاً، طالمــا أن أودري لا تصاب بالاستياء أو العدوانية أو تخيفه حتى يهرب.

حــددا موعداً للالتقاء على الغداء في اليوم التالي في ريتز كارلتون، واتصلت بوالدتها حال وصولها الشقة.

"سارة، لا يمكنني ذلك". بدت أودري محرجة. كانت لطيفة على نحو مدهش مع سارة طوال الشهر الماضي، منذ أن جاءت لرؤية المنــزل في

الكرســمس. لقد منحهما ذلك، بطريقة ما، اهتماماً مشتركاً ورابطاً جديداً.

"حتى أنني لا أعرف الرجل. ربما يكون مهتماً بمواعدتك، وكان يحاول أن يكون لطيفاً وحسب".

أصــرّت سارة، "لا، إنه ليس كذلك، أقسم، إنه طبيعي. إنه فقط لطيف، لبق، جذاب، ذكي، رجل جميل توفيت زوجته وهو من ميدويست. ربما يكون الأشخاص هناك أكثر احتراماً بكثير عما هو حالهم هنا. يعاملني كطفلة".

"أنت طفلة". ضحكت والدتها عليها، بصوت بدت فيه يافعة على نحو مغايــر لشخــصيتها. وإن لــم يكن ذلك لأي سبب آخر، فقد كانت تشعر بالسرور والكبرياء الشديدين. فإنها لم تحظَ بموعد منذ أشهر. وآخر موعد حظــيت به كان مخفقاً تماماً. كان في الخامسة والسبعين من عمره، يمتلك أســناناً بديلــة ما انفكت تنــزلق، وكان أصم كالحجر، ومحافظاً على نحو متطــرف، ورفــض أن يترك البقشيش بعد تناول العشاء، ويكره كل شيء تحــبه هي. أرادت أن تقتل صديقتها التي جمعتها معه والتي غضبت لأن أودري لم تعتقد أنه 'لطيف'. لم يكن لطيفاً، لقد كان بخيلاً. ولم يكن هناك أي ســبب يدفعها للاعتقاد بأن توم هاريسون أفضل منه، باستثناء أن سارة أصــرّت أنه كذلك. في النهاية، لانت أودري عندما ذكرتها سارة أن الأمر لــيس عملــية تجــسس أو عملية قلب مفتوح، أو زواج، إنه مجرد غداء.

"حسناً، حسناً، ماذا أرتدي؟ على نحو جاد أو مثير؟"

"محــافظ، ولكــن ليس مثيراً للاكتئاب. لا ترتدي بذلتك السوداء". لم تــرغب ســارة إخبارها بأن تلك البذلة تجعلها تبدو كبيرة في السن كثيراً.

"ارتدي شيئاً يثير السرور يجعلك تشعرين بالتحسن".

"النمر؟ لديّ سترة سويدية جديدة مخططة على شكل النمر. رأيتها في المجلة مع حذاء ذهبي".

"لا!" كــادت ســارة تصرخ بوجهها. "ستبدين مثل العاهرة... آسفة، أمي". انسحبت سارة عندما سمعت والدتها تتصلب.

"لم أبدُ كالعاهرة طيلة حياتي!"

قالــت ســارة بلطف أكبر: "أعلم ذلك، أنا متأسفة، إلاّ أن ذلك سيبدو لباساً غير محتشم بالنسبة لمصرفي من سانت لويس".

قالــت أودري بغطرســة، ثم هدأت قليلاً: "ربما يكون هو من سانت لويس، ولكنني لست كذلك، لا تقلقي. سأجد شيئاً".

"أعلم أنك ستبدين رائعة، وستوقعين به الهزيمة".

قالت والدتها برزانة: "بصعوبة".

كانت سارة تشعر بالتوتر أكثر من أي منهما عندما التقت بهما في صــالة ريتز كارلتون عصراً. جاءت متأخرة، أما هما فقد وصلا على الوقت، وكانا يتحدثان مسبقاً بسعادة وقت وصول سارة إلى هناك. كان تــوم قد عرف من هي أودري، وشعرت سارة بالفخر بها عندما رأتها، بدت مناسبة تماماً. كانت ترتدي ثوباً صوفياً أحمر يكشف جسدها، دون أن يظهــرها كالعاهرة، وكان للثوب رقبة عالية وأكمام طويلة، وكانت تنــتعل حــذاءً بكعــب عــالٍ بالإضافة إلى اللؤلؤ، كما صففت شعرها بتــسريحة فرنسية أنيقة. ارتدت فوق الثوب معطفاً جميلاً أسود قصيراً كانــت تمتلكه منذ سنوات، ولكنه بدا رائعاً عليها. أما هو فكان يرتدي بذلــة زرقاء داكنة مقلمة، وقميصاً أبيض، وربطة عنق زرقاء جميلة. رأت ســارة أنهمــا رائعــان معاً، وكانت المحادثة تتدفق كالماء. كانا يحــرمانها مــن الكــلام تقريباً وهما يتحدثان عن أولادهما، سفرهما، زوجــيهما الراحلين، اهتمامهما بالحدائق، الحفلات الموسيقية، الحفلات الراقــصة، الــسينما والمتاحف. بدا أنهما يتفقان على كل شيء تقريباً. أرادت ســارة أن تــصفق لكثــرة السرور، وهي تجلس تتناول بهدوء شــطيرتها ذات القــسمين، أمــا هما فتناولا الحساء وسلطة السلطعون. تحدث عن مقدار حبه لسان فرانسيسكو، بينما قالت أودري إنها لم تزر ســانت لــويس من قبل على الإطلاق، ولكنها لطالما عشقت شيكاغو.

تحدثا لفترة طويلة جداً، عندها توجب على سارة تركهما والعودة إلى المكتب. كان لديها اجتماع قد تأخرت عليه، وكانا ما يزالان يتحدثان عندما تركتهما. بينغو! قالت لنفسها، تبتسم بابتهاج وهي تغادر الفندق. يا لهذا النجاح!

اتصلت بوالدتها في وقت متأخر من فترة العصر عندما خرجت من الاجتماع، وأكدت أودري أن سارة محقة، إنه رجل رائع.

اعترفت سارة، "ربما لديه عقبة جغرافية". فلم تكن سانت لويس قريبة، أو سهلة للمواعدة. ولكنها التقت بصديق جديد. "بالمناسبة، لديه ابنة من ذوي الاحتياجات الخاصة، أمي. أعتقد أنها مكفوفة ومصابة بتلف في الدماغ، وتعيش معه". كانت قد نسيت أن تذكر لها ذلك قبل الغداء، وفكّرت بأنه يجب أن تفعل ذلك الآن على الأقل.

قالت والدتها: "أعلم. اسمها ديبي". وبدت كأنها تعرف كل شيء عنه، وبأنه صديقها، وليس صديق سارة. "تحدثنا عنها بعد مغادرتك. يا لها من مأساة بالنسبة له. ولدت قبل أوانها، وأصيبت بالضرر أثناء الولادة. لم يكن ليحدث شيء كهذا هذه الأيام. قال إن هنالك أشخاصاً رائعين يعتنون بها. لا بد أن الأمر صعب عليه الآن بما أنه وحيد". كانت سارة مندهشة تماماً.

قالت سارة: "أنا مسرورة لأنكِ أحببته، أمي". وشعرت وكأنها قد ربحت اليانصيب بنفسها. كان من اللطيف رؤيتهما أثناء الغداء.

"إنه رجل وسيم جداً، ولطيف جداً". تابعت أودري التحدث عنه.

"أنا متأكدة من أنني سأسمع شيئاً منه عندما يأتي إلى هنا في المرة القادمة. بدا أنه يستمتع برفقتك، أيضاً". يمكن لأودري أن تكون ساحرة عندما تريد ذلك، لا سيما مع الرجال. فقط تكون مع ابنتها صارمة وقاسية جداً. ما تزال سارة تتذكر كم كانت جيدة مع والدها، مهما كان سكيراً. وكانت متأكدة قطعاً أن توم هاريسون ليس سكيراً.

اعترفت أودري، "سنتناول العشاء سوياً الليلة".

"هل ستفعلان؟" بدت سارة مندهشة.

"كانت لديه خطط أخرى مع شركاء العمل، ولكنه ألغاها. من المحزن أنه سيغادر غداً". قالت وهي تبدو كئيبة.

"يبدو وكأنه سيعود".

قالت أودري: "ربما". بدت غير مقتنعة، ولكنها كانت تستمتع بالأمر الآن. وكذلك ابنتها. لقد كان مثالياً. تمنّت لو تتمكّن من أن تجمع نفسها مع أحدهم أيضاً. ولكنها لا تريد مواعدة أحد الآن على أية حال. أرادت أن تأخذ فترة راحة بعد فيل، فقد كان مخيباً للأمل ومؤلماً جداً. وكانت منشغلة في المنزل. الآن على الأقل، لا تريد رجالاً. لم تكن أودري قد حظيت برجل حقيقي منذ وقت طويل.

"استمتعي الليلة. لقد بدوت جميلة على الغداء".

قالت أودري: "شكراً، حبيبتي". وبدت ألطف مما كانت عليه منذ وقت طويل. وقالت: "لا يمكن لميمي وحدها أن تحظى بكل المرح!" فضحكتا سوياً. لقد كانت جدتها منشغلة جداً هذه الأيام مع جورج، وبدا أن بقية معجبيها مهملون. كانت قد شرحت لسارة بعد الكرسمس أنها وجورج 'ثابتان'. كادت سارة تسألها ما إن كانا قد 'ألصقا سوياً' أو أنها حظيت بخاتمه في المدرسة الثانوية. كان من اللطيف رؤيتهما مسرورين معاً. كانت هناك براءة حلوة تجمعهما.

لم تسمع سارة شيئاً من والدتها حتى عدة أيام بعد موعد العشاء. في ذلك الوقت، كان توم قد غادر المدينة بعد أن ترك لسارة رسالة يشكرها فيها على تعريفها له على والدتها الرائعة، ووعد أن يزورها مجدداً عندما يعود إلى سان فرانسيسكو. لم تكن لدى سارة أية فكرة عن موعد ذلك، وعندما توقفت أمام منزل والدتها يوم السبت لتحضر غسيل أودري الجاف، والذي وعدتها بأن تحضره لها، لاحظت مزهرية مليئة بالزهور الحمراء الطويلة الساق.

قالت سارة، وقد بدت محتارة: "دعيني أحزر، مممم... ممن يمكن أن تكون هذه؟"

قالـــت أودري: "من معجب". بدت شقية من جديد، وهي تأخذ الغسيل الجاف من سارة. "حسناً، حسناً. إنها من توم".

"كم هذا مؤثر، أمي". تمكّنت من نظرة واحدة معرفة أن هناك الكثير منها. "هل سمعت شيئاً منه منذ غادر؟"

قالت أودري برزانة: "نتراسل عبر البريد الإلكتروني".

بـــدت ســـارة مندهـــشة ثانـــيةً، "حقـــاً؟ لا أعلم بأنك تمتلكين جهاز كومبيوتر".

"اشـــتريت جهاز كومبيوتر محمولاً بعد يوم من رحيله". اعترفت ثم تورد خدها خجلاً. "إنه ممتع".

علّقت سارة، "ربما يجب أن أفتح خدمة مواعدة". وبدت مندهشة لأن ذلك قد حدث خلال بضعة أيام.

"يمكـــنك اســـتخدام خـــدماتك لنفسك". كانت سارة قد أخبرتها أنها قد قطعت العلاقة مع فيل. لم تشرح لها السبب، ولكنها قالت إن الوقود قد نفد من العلاقة، وللمرة الأولى اكتفت أودري بذلك.

قالـــت سارة: "أنا منشغلة جداً الآن بالمنـــزل". كانت ترتدي الوزرة ثانية وفي طريقها إلى هناك.

"لا تستخدمي ذلك كعذر، بالطريقة التي تفعلينها مع عملك".

قالت: "لا أفعل". بدت عنيدة.

"قال توم إنه يرغب بتعريفك على ابنه. إنه أكبر منك بسنة، وقد نال الطلاق مؤخراً".

"أعلـــم، ويعيش في سانت لويس. لن يفيدني ذلك كثيراً، أمي". ولكن الاجتماع بتوم أبهجها ورفع من معنوياتها.

"مـــاذا عـــن المهـــندس الذي استخدمته للعمل في المنـــزل؟ هل هو أعزب، ووسيم؟"

"إنـــه جـــيد، وكـــذلك المرأة التي يعيش معها منذ أربع عشرة سنة. يعملان معاً، ويمتلكان منـــزلاً في بوتريرو هيل".

"أعتقد بأن هذا لا ينفع. حسناً، سيظهر أحدهم من حيث لا تعلمين".

قالت سارة بتشاؤم: "نعم، مثل هيلسايد سترانجلر أو تشارلز مانسون. أنتظـــر بفارغ الصبر". كانت تشعر بالمرارة بخصوص الرجال هذه الأيام. لقد ترك فيل في فمها طعماً مراً، بعد مغامرته الأخيرة.

وبختها والدتها، "لا تكوني متشائمة جداً، تبدين كئيبة".

"لا لـــست متشائمة" - هزت سارة رأسها - "بل متعبة وحسب. كان لديّ الكثير من العمل في المكتب هذا الأسبوع".

قالت والدتها فيما كانت ترافقها إلى الباب: "ومتى لم يكن لديك الكثير مـــن العمل؟" ثم سمعتا صوت جرس من جهاز الكومبيوتر المحمول يقول "وصلتك رسالة!" وصلتك رسالة!" رفعت سارة حاجبها وابتسمت لوالدتها.

" كيوبيد[1] يناديك!"

قبلـــتا بعضهما، وغادرت سارة. كانت مسرورة لأن جمعها لوالدتها مـــع تـــوم جـــرى على نحو جيد جداً. لا يمكن توقع جني الكثير من ذلك، بوجوده في سانت لويس، ولكن كان ذلك لطيفاً لكليهما. راودها شعور بأنه يـــشعر بالوحدة، وكذلك أودري. يحتاج الجميع إلى زهور من وقت لآخر، وإلى رسالة إلكترونية من صديق.

1 إله الحب عند الرومان القدماء

الفصل السادس عشر

بحلول نهاية شهر فبراير، كان لدى سارة أنابيب نحاسية في جميع أرجاء المنزل، وفي جزء من المنزل أسلاك جديدة أيضاً. كانوا ينهون العمل طابقاً تلو آخر. وفي شهر مارس، بدؤوا بوضع أساسات المطبخ. كان من المثير رؤية الأشياء تصل إلى مكانها. كانت قد اختارت أجهزتها الكهربائية من كتيبات في مكتب جيف، واشتراها لها بسعر الجملة. لم يكن المنزل جاهزاً بعد لتنتقل إليه، ولكن الأمور تجري على نحو جيد. أخبروها أن ما تبقى من الأعمال الكهربائية سينتهي في أبريل.

"لم لا تأخذين عطلة؟" اقترح جيف في إحدى الليالي عندما كانا يضعان عوارض أفقية في المطبخ، للتأكد من أن جميع الأجهزة الكهربائية تتناسب داخلها. كانت تريد وضع جزيرة من ألواح الخشب القاسي في المركز، ولكنه خشي من أن يصبح المكان مزدحماً جداً، ولكنها أصرّت على أن الأمور ستجري على نحو جيد. وكما اتضح في النهاية، كانت محقة.

مزحت معه، "هل تحاول التخلص مني؟ هل أسبب لك الجنون؟" قال لها: "لا". ولكن ماري لويز تفعل. كانت مصابة بإحدى نوباتها: كره كل شيء في الولايات، ومن ضمنها هو. كانت تهدده بالعودة إلى فرنسا. فهذا هو وقتها من السنة، عندما تشتاق للربيع في باريس. لم تكن قد غادرت بعد لقضاء عطلة الصيف الممتدة لثلاثة أشهر حتى حزيران. كان يعد الأيام، على الرغم من أنه يكره الاعتراف بذلك لنفسه. ولكن أحياناً من الصعب العيش معها.

قال، مقترحاً العطلة مجدداً: "ليس هناك الكثير مما يمكنك فعله الآن حتى ننتهي من أعمال الكهرباء والمطبخ. أعتقد أنك إن سافرتِ لبضعة أسابيع، ربما تتمكّنين من الانتقال إلى هنا عند عودتك. سيكون هذا أمراً مثيراً بالنسبة لك". كان يحب مساعدتها في المنزل. ذكره ذلك بالأوقات التي عمل خلالها على منزله في بوتريرو هيل. إلاّ أن منزلها على مقياس أكبر بكثير، بالطبع، ولكنه يطبق المبادئ نفسها، على الرغم من أن لكل منزل قديم خصوصياته.

تذمرت سارة، "لا يمكنني الابتعاد عن المكتب كل تلك المدة".

"امنحينا أسبوعين إذاً. إن ذهبتِ في منتصف أبريل، أعدك أن تتمكّني من الانتقال إلى هنا في أول مايو". قفزت للأعلى والأسفل كالطفلة الصغيرة عندما قال لها ذلك، وفكّرت بالأمر تلك الليلة ببعض الجدية.

كان ذلك يحيرها. لم تكن تحب مغادرة مكتبها. ليس لديها مكان تقصده. أو شخص يذهب معها. كانت تكره السفر وحدها. كان لجميع صديقاتها أولاد وأزواج. اتصلت بصديقتها من الجامعة في بوسطن، ولكنها كانت قد تطلقت منذ فترة وجيزة ولا يمكنها ترك أولادها المُدّمرين. واست سارة نفسها بتذكيرها أنها لم تكن لتتمكّن من الذهاب مع فيل أيضاً. لم يكن قد اصطحبها في رحلة على الإطلاق خلال السنوات الأربع، إنه يذهب مع أولاده فقط. كما طلبت من محامية أخرى في مكتبها ذلك ولكنها قالت إنها لا تستطيع السفر هذه الأيام. بحالة من اليأس، طلبت من والدتها، التي أجابتها بأنها قد خططت للتو رحلة إلى نيويورك مع صديقتها، للذهاب إلى المسرح والمتاحف، لذا لن تتمكّن من الذهاب. فكّرت سارة بالتخلي عن الفكرة، ثم قرّرت الذهاب وحدها. بعد ذلك، أصبح القرار الصعب هو وجهة الرحلة. فهي لطالما تشعر بالمرض في المكسيك، ولم تعتقد أنه يتوجب عليها الذهاب إلى هناك وحيدة. كانت تحب هاواي، ولكن قضاء أسبوعين هناك فترة طويلة جداً. كانت تستمتع بنيويورك، ولكن ليس هناك

أي مسرح وهي وحيدة. لم تكن قد قرّرت بعد، عندما نظرت إلى صورة ليلي في عطلة الأسبوع، ثم فجأة علمت بالتحديد إلى أين تريد الذهاب. إلى فرنسا، للبحث عنها. تذكرت ميمي تقول إنها قد ذهبت لرؤية قصر ليلي الفرنسي، حيث عاشت مع المركيز الذي هجرت زوجها من أجله. قالت ميمي إن القصر مغلق، ولكن سارة اعتقدت أنه من الممتع رؤيته، ومعرفة أين كانت تسكن ليلي خلال سنواتها في فرنسا. فقد عاشت هناك لخمس عشرة سنة قبل وفاتها، وتلك مدة طويلة نسبياً.

ذهبت سارة للتحدث مع ميمي عن ذلك يوم الأحد، وعثرت على مكانه، اتضح أنه في دوردو، بالقرب من بوردو. بدت رحلة جميلة برأي سارة. فلطالما أرادت زيارة تلك المنطقة، وقصر لوار، إن امتلكت الوقت. كانت تحب باريس، وبحلول يوم الاثنين، قرّرت أخذ عطلة لمدة أسبوعين في فرنسا. ستغادر في اليوم التالي للفصح، وأخبرت جيف بأنها ستبقيه على وعده لها بأنها ستتمكّن من الانتقال إلى المنزل في أول مايو. وذلك بعد ستة أسابيع، حيث قال جيف إن هناك فرصة جيدة لأن يكونوا جاهزين. كانت سارة قد قرّرت بأن يتمّ طلاء المنزل بعد انتقالها إليه. ستحاول وضع السجاد بمساعدة من جيف، في بعض الغرف الصغيرة التي ستستخدمها، كغرف الملابس والمكتب، وغرفة الضيوف الصغيرة، وأحد الحمامات المتشققة الأرضية. وكلما سنحت الفرصة، ستقوم بإنجاز بعض الدهان بنفسها. وإن لم تفعل ذلك، فسيكلفها ذلك مبلغاً طائلاً، ويؤثر على ميزانيتها. فضلاً عن ذلك، اعتقدت أن طلاء بعض الغرف سيكون أمراً ممتعاً، ومعرفة كيفية مدّ السجاد ألهمها بأنها توفر المال. في الواقع، كانت ميزانيتها جيدة حتى الآن.

أخبرت والدتها وجدتها عن رحلتها إلى فرنسا، فدونت لها ميمي جميع المعلومات التي تعرفها عن والدتها، والموقع الدقيق، واسم القصر. لم تكن تعرف أكثر من ذلك. فقد كانت رحلة بحثها مثيرة للكآبة، ولكن سارة

لم تهتم بذلك. بدت الرحلة ممتعة برأيها، بل أكثر إمتاعاً إن تمكّنت من إيجاد شخص يعرف ليلي، على الرغم أنه قد مضى على ذلك أكثر من ستين سنة.

في الشهر التالي، أنجزت كل ما يتوجب عليها إنجازه في المكتب، وبدأت تحزم أغراض شقتها، لتكون جاهزة للانتقال عند عودتها. خططت أن ترمي معظم ما تملكه في القمامة أو تعطيه للجمعية الخيرية. كل ما يتوجب عليها أن تأخذه معها بالفعل هو كتبها وملابسها. أما البقية فهي أشياء رديئة. عندما تنظر إليها، كانت تتساءل عن السبب الذي جعلها تحتفظ بها كل تلك المدة.

قضت سارة الفصح مع والدتها وميمي. تناولن فطور الفصح الرائع في فيرمونت، وفي اليوم التالي، غادرت أودري إلى نيويورك. كانت تشعر بالإثارة لذلك. أما ميمي فقد خططت لقضاء بضعة أيام في بالم سبرنغ مع جورج، والعمل على تحسين مستواها في الغولف، أما سارة فستنطلق إلى باريس. تناولت العشاء مع جيف في الليلة السابقة لمغادرتها.

قالت وهما يجلسان مقابل بعضهما على الطاولة في المطعم الهندي: "شكراً لاقتراحك الرحلة". كان قد طلب طعامه حاراً، أما سارة فطلبته معتدلاً، ولكن كلاهما كانا جيّدين. "أشعر بالإثارة حقاً بخصوص ذلك. سأذهب لرؤية القصر حيث عاشت والدة جدتي".

سألها باهتمام، "أين هو؟" عرف القصة منها، ولكنه لم يعرف التفاصيل. كان يشعر بالفضول الشديد لمعرفتها، مثلها تماماً. فذلك يمنح المنزل الحياة، والحيوية، والروح. لقد كانت ليلي مُغامرة ونوعاً ما شابة شجاعة في عصرها. وخصوصاً عندما يفكر المرء بأنها كانت في الرابعة والعشرين من عمرها عندما رحلت. لقد ولدت في ليلة زلزال ألف وتسعمائة وستة، في عبّارة ذاهبة إلى أوكلاند للهرب من نيران المدينة. إنها بداية ميمونة لحياة مثيرة للاهتمام ومتمردة نوعاً ما. لقد كان وصولها

إلى العالم مُثاراً بزلزال، ونهاية حياتها معلّمة بالحرب. أثار اهتمام سارة أيضاً إدراكها أنها كانت بمثل عمر سارة عندما توفيت. حياة قصيرة ولكنها متقدة. توفيت وهي في التاسعة والثلاثين، دون رؤية طفليها لخمس عشرة سنة. توفي زوجها، الماركيز، في السنة نفسها، أثناء المقاومة.

شرحت لجيف، "يقع القصر في دوردو". كانت عيناه تدمعان من الكاري الحار. كان يحب القول إنه يعشق امرأته وبهار الكاري، على الرغم من أنه مؤخراً، رجحت كفة الكاري بدرجة كبيرة. لقد كانت ماري لويز تزداد عنفاً، ويزداد لسانها حدة مع مضي كل ساعة، ولكنه صامد.

"أجدادك أكثر إثارة للاهتمام من أجدادي". علّق وهما يتحدثان أثناء العشاء.

اعترفت سارة، "أنا معجبة بجدتي، من المدهش أنها كبرت بشكل طبيعي تماماً، بوجود والدة هجرتها، ووالد أصيب بالاكتئاب للأبد بعد ذلك، وفقدانهما كل الأموال في انهيار سوق المال، وأخ قتل في الحرب. إنها سليمة العقل وسعيدة على نحو ملحوظ رغم كل ذلك". لم يكن جيف قد التقى بها مسبقاً على الإطلاق، ولكنه سمع الكثير عنها، وتمكّن من معرفة أن سارة معجبة بها. تمنّى أن يلتقي بها يوماً ما. "غادرت في رحلة إلى بالم سبرنغ مع صديقها أمس، حياتها أكثر حيوية من حياتي". ضحكت على نفسها. لم تكن قد واعدت أحداً بعد فيل، ولكنها كانت تشعر بالإثارة حقاً بشأن رحلتها، وكان جيف مسروراً لأجلها. اعتقد أنها فكرة رائعة أن تتقصى قصة ليلي، وكان سيحب مشاركتها ذلك. "بالمناسبة، كيف الحال مع ماري لويز؟" تماماً كما اعتادت أن تحدثه عن فيل قبل انقطاع العلاقة، فهو يحدثها غالباً عن ماري لويز. لقد أصبحا صديقين سريعاً في أشهر عملهما سوياً في منزلها. وكما هو الحال دائماً، كانت تضع مشبك المنزل الأثري على صدر سترتها، فهي تضعه تقريباً بشكل دائم الآن. كان ذلك رمز تحررها، وشغفها بالمنزل. وأحبته كثيراً لأنه هدية من جيف لها.

أجاب على سؤالها، "أعتقد أن الأشياء جيدة هذه الأيام، وجهات نظرها تحمل طباعاً أكثر فرنسية عن وجهات نظري. تقول إن الحياة دون شجار ستكون مثل البيض من دون ملح. أنا على وشك أن أصبح جاهزاً لنظام غذائي خالٍ من الملح في أحد الأيام. ولكن أعتقد أنها ستشعر بأنها غير محبوبة إن لم نتشاجر طوال الوقت". لم يكن هناك شك بأنه يحبها، ولكن العيش معها أصبح تحدياً. كانت تهدد بهجره باستمرار في أي وقت يختلف فيه معها. وكان هذا يجعل جيف متوتراً. بالنسبة لها، كان ذلك أسلوب للحياة، فعائلتها تمتلك هذه الطباع. يبدو الأمر أحياناً، عندما يزورهم معها، أنهم يستيقظون كل صباح، ويغلقون الأبواب بعنف لمجرد الاستمتاع. ينطبق هذا الأمر على جميع أعمامها وعماتها وأبنائهم، إنهم لا يتحدثون بأصوات طبيعية على الإطلاق، دائماً يصيحون على بعضهم. "أعتقد أن ذلك مجرد شذوذ، وليس الطبع الفرنسي، ولكن لا يمكنني القول إنني أستمتع به". حتى أنه لم يتمكّن من تخيّل العيش بتلك الطريقة لبقية حياته، ولكنه فعل لأربع عشر سنة. لم تتمكّن سارة من تخيّل أنها تعيش على هذا النحو أيضاً، ولكن طالما أنه يتمكّن من احتماله، فمن الواضح أنه يجدي نفعه معها.

قال وهما ينهيان العشاء: "أعتقد أن الأمر مثلما كان معك ومع فيل". شعر وكأنه يتبخر من الكاري الذي تناوله للتو، ولكنه يعشقه. "بعد فترة، تعتادين على الأمر، وتنسين وجود أي اختلاف. إنه من المذهل كيف نعتاد على الأمور أحياناً. بالمناسبة، هل سمعت أي شيء منه؟"

"ليس في الشهرين الماضيين. لقد استسلم أخيراً". كانت صادقة مع نفسها ولم تتحدث معه ثانيةً. ولم تعد تشتاق إليه الآن. إنها تشتاق لوجود شخص معها أحياناً، ولكن ليس هو بالطبع. "ربما يمتلك صديقة جديدة الآن، ويخونها، أيضاً. أدركت الآن أن هذا هو حاله". هزت كتفيها باستهجان، وعادا للتحدث عن رحلتها. كانت ستغادر في الصباح التالي. ستكون رحلة طويلة إلى باريس.

قال عندما أوصلها إلى شقتها: "لا تنسي أن ترسلي لي بطاقة بريدية". فشكرته على العشاء. لم يقبلها قبلة المساء. فالآن، هي حرة وهو ليس كذلك، لم تكن ترغب بلعب ذلك النوع من الألعاب معه. علمت أنها ستتأذى. واحترم أمنياتها. كان يهتم كثيراً بألاّ يجرحها، وكان متورطاً جداً مع ماري لويز، مهما كانت النتيجة. إنها في أسوأ حالاتها هذه الأوقات، ولكن يمكن لذلك أن يتغير في أي لحظة. لا يعلم أبداً على أصوات من سيستيقظ في الصباح، بامبي أو جودزيلا. يتساءل أحياناً ما إن كانت ثنائية القطب.

"اتصل بي إن حدث أي شيء في المنزل أحتاج أن أعلم عنه، أو عن أي قرار يتوجب عليّ اتخاذه". كان يعرف خط رحلتها، وكذلك الأمر بالنسبة لمكتبها وجدتها. كانت تنوي استئجار هاتف خلوي من المطار ووعدته أن تتصل به لتعطيه الرقم. كما أنها ستأخذ جهاز الكومبيوتر معها من أجل الرسائل الإلكترونية، في حال احتاج مكتبها للاتصال بها.

"لا تقلقي، انسي أمره وحسب. استمتعي برحلتك، وسأساعدك بالانتقال عندما تعودين". ابتسمت مبتهجة عندما قال ذلك. كانت تنتظر بفارغ الصبر. ولكن أمامها رحلة ممتعة أولاً. "سأرسل لكِ رسائل إلكترونية، وأعلمك بتقدمنا". علمت أنه سيفعل. كان جيداً بإعلامها عما يحصل في المنزل. حتى الآن، لم تكن هناك أية مفاجآت سيئة، فقط مفاجآت جيدة.

بدا وكأن هذا المشروع مقدر لها منذ البداية. لقد كان التجديد حلماً، وكأن ليلي وستانلي أراداها أن تمتلك المنزل، على الرغم من أن لديهما أسباباً مختلفة. ولكن بدا وقبل أن ينتهي العمل في المنزل أنه سيكون موطناً لها، وسيزيد الانتقال إلى هناك الحلو حلاوةً. كانت قد قرّرت مسبقاً استخدام غرفة نوم ليلي، وطلبت سريراً جديداً من القياس الملكي، مع غطاء من الحرير الوردي الخفيف للسرير. سيوصلونه حال عودتها.

"استمتعي برحلتك!" صاح وهي تصعد أدراج شقتها، فالتفتت لتلوح له. وفيما اختفت داخل البناء، قاد سيارته بعيداً، وهو يفكر بها. أمِلَ أن تحظى برحلة جيدة.

الفصل السابع عشر

حطت الطائرة في مطار شارل ديغول في الثامنة صباحاً حسب توقيت باريس. استغرق منها إحضار حقائبها والمرور عبر الجمارك ساعة كاملة. في العاشرة صباحاً، كانت تمر بسيارة الأجرة أمام قصر الإليزيه، وكانت تنظهر حولها ووجهها تعلوه ابتسامة عريضة. كانت قد نامت على نحو جيد في الطائرة خلال الرحلة التي استغرقت إحدى عشرة ساعة. منحها ذلك شعوراً وكأن الرحلة قد دامت للأبد، ولكن، الآن وأخيراً، ها هي هنا. شعرت وكأنها بطلة فيلم، وهي تمر عبر بلاس دو لا كونكورد بنوافيره وعبر بونت ألكسندر III باتجاه إنفاليديز، حيث تمّ دفن نابليون. كانت ستمكث في الضفة اليسرى في بوليفار سان جرمان، في قلب لاتين كوارتير. كان جيف قد أعطاها اسم الفندق، معتمداً على توصية من ماري لويز، وكان مكاناً مثالياً.

تركت سارة حقائبها في الغرفة، ثم جالت في أنحاء باريس. توقفت لشرب القهوة في المقهى، وتناولت العشاء وحيدة في مطعم صغير. ذهبت إلى اللوفر، وركبت في باتو موشيه في اليوم التالي، مثل سائحة حقيقية. زارت نوتردام، وساكري كوير، وفتنت بالأوبرا. كانت قد زارت باريس من قبل، ولكن، هذه المرة، كان الأمر أكثر إثارة نوعاً ما. لم تشعر من قبل بمثل هذا التحرر، أو بمثل هذه الحرية من جميع الأعباء. كانت سعيدة وحسب لمكوثها هنا ثلاثة أيام قبل مغادرتها إلى دوردو على متن القطار. كان البواب في فندقها في باريس قد أعطاها اسم مكان تبقى فيه هناك. قال

إنه بسيط، ونظيف، وصغير جداً وهذا يناسبها على نحو رائع. فهي لم تأتِ إلى هنا لجذب الانتباه. كانت تشعر بالدهشة لإحساسها بالراحة لأنها وحيدة. شعرت بالأمان تماماً، وعلى الرغم من لغتها الفرنسية المحدودة، بدا الناس مستعدين لمساعدتها على طول الطريق.

عندما نزلت من القطار، استقلت سيارة أجرة إلى الفندق. كانت قديمة من نوع رينو ترتطم بكل شيء على طول الطرقات. كان الريف جميلاً. هذا هو بلد الأحصنة، فقد رأت عدداً من الإسطبلات وهي خارج البلدة. كما رأت عدة قصور فرنسية، معظمها بشكل بالٍ. تساءلت ما إن كان قصر ليلي سيبدو كهذه القصور، أو فيما إن تمّ تجديده في غضون ذلك الوقت. كانت تشعر بالإثارة لرؤيته. كانت قد كتبت العنوان بدقة، وأرته إلى موظف المكتب في الفندق. أومأ وقال شيئاً يصعب فهمه بالفرنسية، ثم أراها إياه على الخريطة وتحدث بلغة إنكليزية رديئة. سألها ما إن كانت ترغب بأن يوصلها أحدهم إلى هناك، وقالت إنها تريد ذلك. كان الوقت عصراً آنذاك، ووعدها أن يُؤمّن لها سيارة وسائقاً في الصباح.

تلك الليلة، تناولت طعامها في الفندق، فتناولت كبد إوز من بيرجورد المجاورة، وكان لذيذاً جداً. حضّروه مع تفاح مطبوخ على الجانب، وسلطة وجبن بعده. حالما عادت إلى غرفتها، غاصت في سرير الريش، ثم نامت مثل الرضيع الصغير حتى الصباح. استيقظت عندما أرسلت الشمس أشعتها عبر النوافذ. لم تكن قد اهتمت بإغلاق الستائر الثقيلة. فهي تفضل أشعة الشمس. كان للغرفة حمامها الخاص، مع حوض استحمام ضخم، وبعد أن استحمت وارتدت ملابسها، نزلت للأسفل لتتناول الفطور المكون من القهوة بالحليب المقدمة في زبدية، والكعك المحلى المصنوع في الصباح. الشيء الوحيد الذي تفتقده هو صحبة أحدهم. لم يكن هناك أحد تتحدث معه عن مقدار لذة الطعام، أو عن جمال الريف، بعد ذلك، أوصلها السائق الذي وعد موظف الفندق بإحضاره إلى شاتو دو ميليار، حيث قضت والدة جدتها أيامها هناك.

استغرقت الرحلة نصف ساعة من الفندق، وشاهدت الكنيسة الجميلة قبل وصولها إلى القصر. كانت ملحقة بالقصر من قبل، ولكنها لم تعد كذلك، هذا ما شرحه لها السائق الشاب بإنكليزية رديئة. ثم وببطء، قادا على طول الطريق الضيق، فشاهدته... بدا ضخماً. كان هناك أبراج وفناء واسع، وعدد من الأبنية الإضافية. يعود للقرن السادس عشر، وكان جميلاً جداً، بالرغم من أنه يخضع لإعادة التجديد حالياً. كانت هناك منصات ثقيلة حول البناء الرئيسي، وكان العمال يعملون بجدٍّ، تماماً كما يفعلون في شارع سكوت.

قال السائق الشاب، مشيراً إلى القصر: "امتلكه شخص جديد، وهو يقوم بإصلاحه". فأومأت. من الواضح أن مالكاً جديداً قد اشتراه للتو. "رجل غني! يعمل بالشراب الفرنسي! غني جداً جداً!" ابتسما لبعضهما. كان المالك الجديد يجني ثروته من الشراب الفرنسي.

نزلت سارة من السيارة، ونظرت حولها، تشعر بالفضول حول الأبنية الإضافية والملكية. كان هناك بساتين للفاكهة وحقول كرمة، وإسطبل كبير، دون أي إشارة لوجود أحصنة. لا بد من أنه كان مكاناً جميلاً في أيام ليلي، حسبما توقعت سارة. لقد امتلكت ليلي موهبة ومهارة التواجد في منازل مذهلة، فكّرت سارة مبتسمة، حيث تجد رجالاً يدللونها. تساءلت وهي تنظر إلى القصر ما إن كانت ليلي سعيدة هنا، وما إن كانت قد افتقدت إلى ولديها، أو ألكسندر، أو موطنها في سان فرانسيسكو. وعلى الرغم من أن سارة لم ترزق بأطفال، لم تتمكّن من تخيّل أن بإمكان أحدهم ترك أولاده. كاد قلبها ينفطر حزناً على ميمي، عندما راودتها تلك الفكرة.

لم يبدِ أي من العاملين اهتماماً لوجود سارة، فتجولت قرابة الساعة، تكتشف المكان. كانت تشعر بالفضول لتنظر داخل القصر نفسه، ولكنها لم تجرؤ، لذا وقفت في الخارج ونظرت للأعلى. كان هناك رجل يقف أمام

النافذة، ينظر للأسفل إليها، وتساءلت ما إن كان يريد منها أن تغادر. ظهر على الأدراج الأمامية بعد بضع دقائق، ومشى باتجاهها بنظرة محتارة على وجهه. كان رجلاً طويلاً، بشعر فضي، يرتدي كنزة صوفية، وبنطال جينز، وينتعل حذاء عمل. ولكنه لم يبدُ مثل العمال الآخرين. كانت هناك مسحة من السلطة فيه، وعندما اقتربت، رأت أنه يرتدي ساعة ذهبية ثقيلة باهظة الثمن على معصمه.

سألها بلطف بلغة فرنسية، "كيف أساعدك، آنستي؟" كان يراقبها منذ وقت. بدت غير مؤذية، ولكنه تساءل ما إن كانت صحفية. فنادراً ما يأتي السياح إلى هنا. إلاّ أن الصحافة تأتي إلى هنا أحياناً بسببه هو.

"أنا آسفة". مدّت يدها بابتسامة خجولة. قالت بالفرنسية: "لا أُجيد التكلم بالفرنسية". كان هذا كل ما تعرفه لتخبره أنها لا تتحدث الفرنسية. قالت: "أنا أميركية، وأتكلم الإنكليزية". فأومأ.

سألها ثانية، هذه المرة بالإنكليزية، "هل بإمكاني مساعدتك، آنستي؟" كان يشعر بالفضول عمن تكون. "هل تبحثين عن شخص ما؟" كانت لغته الإنكليزية تحمل لكنة فرنسية، ولكنها خالية من أي خطأ.

"لا". هزت رأسها. "أردتُ فقط رؤية القصر. إنه جميل. عاشت والدة جدتي هنا، منذ وقت طويل".

"هل كانت فرنسية؟" بدا فضولياً. كان رجلاً مدهشاً جداً في أوائل الخمسين من العمر. بدا قوي البنية، ووسيماً، وذكياً. كان يتفحص سارة بتفصيل معقد.

"لا. إنها أميركية، تزوجت من المركيز. المركيز دو ميليار. اسمها ليلي". قالت وكأنها تعرض عليه مصداقيتها، فابتسم لها، وكأنه يمنحها مروراً آمناً.

قال وهو لا يزال مبتسماً لها: "عاشت والدة جدتي هنا أيضاً، وكذلك جدتي، وأمي، عملتا هنا. ربما عملت جدتي لدى جدتك".

ذكرته سارة، "إنها والدة جدتي في الحقيقة". فأومأ. "أنا متأسفة على التطفل. أردت فقط زيارة المكان الذي عاشت فيه".

قال متفحصاً سارة: "لا يأتي إلى هنا العديد من الأشخاص". بدت مثل فتاة شابة، ترتدي بنطال جينز مع كنزة فوق كتفيها، وتنتعل حذاءً رياضياً، وشعرها الطويل مجدول للخلف. قال لها: "لقد كان القصر مغلقاً لمدة ستين سنة، اشتريته السنة الماضية. كان في حالة مروعة. لم يلمسه أحد منذ الحرب. إننا نقوم بعمل هائل هنا. لقد انتقلت للتو".

أومأت سارة، وابتسمت. "اشتريت منزلها للتو في سان فرانسيسكو. إنه منزل ضخم، على الرغم من أنه ليس بحجم هذا. لم يسكنه أحد منذ العام 1930، باستثناء بعض الغرف في العلية. باعه زوجها، والد جدتي، عندما رحلت، بعد انهيار العام 1929. وأنا أعمل على تجديده، سأنتقل إليه عندما أعود للوطن".

"لا بد من أن والدة جدتك كانت تحب المنازل الكبيرة، آنستي، والرجال الذين يقدمونها لها". أومأت. تلك هي ليلي. "إننا نشترك بالكثير من الأمور، ننجز العمل نفسه، على منزليها، كما يبدو الأمر". ضحكت سارة على ما قاله، وكذلك هو. "آمل أن تعجبي بذلك. هل تحبين الدخول لمشاهدته؟" كان مضيافاً على نحو كبير. ترددت سارة، ثم أومأت بالإيجاب. كانت تتلهف لرؤيته، ولإخبار ميمي عنه بعد ذلك، وكذلك جيف ووالدتها. يمكنها أن تقول إنها رأته الآن.

"سأبقى لبضع دقائق فقط. لا أريد التسبب بالإزعاج. قالت جدتي إنها أتت إلى هنا قبل سنوات، ولكنه كان مهجوراً. لماذا لم يعش فيه أحد طوال تلك المدة؟"

"لم يكن هناك ورثة. فلم يرزق آخر مركيز بالأولاد. اشتراه أحدهم بعد الحرب، ولكنه توفي بعد فترة قصيرة، وحدث نزاع كبيرة بين أفراد عائلته. تشاجروا بشأنه لمدة عشرين سنة، ولم يعش أحد منهم هنا. مع

الوقت، تركوه وحسب، فالأشخاص الذين كانوا يريدونه قد رحلوا، والآخرون لا يرغبون بالعيش هنا. عرض للبيع لعدة سنوات، ولكن لم يتواجد أحد غبي بما يكفي ليشتريه، حتى جئت أنا". ضحك وحيا العمال وهما يدخلان.

كان الجزء الداخلي من المنزل ضخماً وكئيباً نوعاً ما. هناك أسقف عالية على نحو هائل، ودرج رئيسي يوصل إلى الطوابق العليا. كانت هناك أروقة طويلة حيث تمكّنت سارة من تخيّل وجود صور للأسلاف على جدرانها. أما الآن فهناك ستائر تغطي الجدران. كان هناك حاملات مصابيح جدارية مصنوعة للشموع، وبينما كانا يمشيان نحو الداخل، سمحت النوافذ الطويلة لأشعة الشمس بالدخول. فكّرت بأن منزل سان فرانسيسكو أكثر جمالاً وإشراقاً، ولكنه أصغر من دون شك. كانت تشعر وكأنها في كهف أكثر مما تشعر أنها في قصر، وجدت سارة القصر حزيناً نوعاً ما. كانت هذه حياة مختلفة بالكامل. تساءلت ثانيةً ما إن كانت ليلي سعيدة هنا في حياتها كزوجة المركيز، فهي حياة مختلفة تماماً.

رافقها مالك القصر الجديد للأعلى، وأراها غرف النوم القديمة الضخمة، والعديد من المكتبات التي ما تزال مليئة بالكتب. كانت هناك غرفة رسم مع موقد بإمكان رجل طويل الوقوف داخله، وأثبت لها مضيفها ذلك، ثم وبعد فكرة خطرت في باله، مدّ يده إليها.

"أنا متأسف على فظاظتي. أنا بيير بيتيت". أمسك بيدها، وقدّمت هي نفسها له. "لست الماركيز دو ميليار"، مزح معها. "أنتِ ابنة حفيدة زوجة الماركيز، أنا ابن حفيد الفلاح، وحفيد الطباخ. كانت والدتي تخدم هنا وهي شابة. اشتريت المكان لأن عائلتي عملت هنا لفترة طويلة عندما كانت أسرة ميليار هنا. في الأصل، كانوا من العبيد. اعتقدت أنه قد حان الوقت لإعادة آل بيتيت إلى القصر، بما أنه لم يعد هناك أحد من آل ميليار. الفلاحون جذورهم قوية، وفي النهاية، هم من يحكمون العالم". ضحك عندما قال

ذلـــك. "أنا مسرور جداً للتعرف عليك، سارة أندرسون. هل ترغبين بكأس من الشراب الفرنسي؟" ترددت، ثم قادها إلى مطبخ ضخم، لا يزال تذكاراً من الماضي. لم يعملوا على تجديده بعد. كان الموقد يبلغ من العمر ثمانين سنة على الأقل، وبدا مشابهاً تماماً لذلك الذي تخلصت منه للتو.

لـــم تعـــرف سارة أن بيير بيتيت هو واحد من أهم تجار الشراب في فرنـــسا. كـــان يُـــصدّر الشراب الفرنسي إلى جميع أنحاء العالم، وخاصة الولايات المتحدة، بالإضافة إلى بلدان أخرى أيضاً. أخذ زجاجة من الرف، وذهلـــت عـــندما رأت الاسم والشراب المعتق. كان يفتح زجاجة من شاتو ماركيس من العام 1968.

قالت بابتسامة خجولة: "هذه سنة مولدي". وهي تقبل كأساً يقدمها لها.

"يجب أن تدعيها تتنفس لبرهة". اعتذر منها، ثم اصطحبها لرؤية بقية القـــصر. عـــادا إلى المطبخ القديم بعد نصف ساعة. كان في السابق مكاناً جمـــيلاً ولكنه موحش الآن. شرح لها خططه لأجله وهما يتجولان حوله، وطرح عليها أسئلة عن منـــزلها. أخبرته ما الذي تفعله، ومقدار حبها له، وأخبـــرته قـــصة ليلـــي، والتي وجدها أسرة أيضاً. "كم من المذهل تركها لـــولديها، ألا تعـــتقدين ذلك؟ ليس لديّ أطفال، ولكن لا يمكنني تخيّل امرأة تفعل ذلك. هل تكرهها جدتك لأنها فعلت ذلك؟"

"لا تـــتحدث عنها أبداً، ولكنني لا أعتقد ذلك. لا تعرف الكثير عنها، كانت في السادسة عندما رحلت".

قال متعاطفاً: "لا بد من أنها حطمت قلب زوجها".

"أعتقد أنها فعلت. توفي بعد نحو خمس عشرة سنة من رحيلها، ولكن بعد خسارته ثروته وزوجته، تقول جدتي إنه أصبح نوعاً ما ناسكاً، وتوفي في النهاية من الحزن".

هـــز بيير بيتيت رأسه وهو يرتشف شرابه. قال: "تفعل النساء أموراً كهـــذه". نظـــر إلـــى ســـارة، وتابع قائلاً: "إنهن قادرات على أن يصبحن

مخلوقات خاليات من الرحمة. لهذا السبب لم أتزوج. وإنه لمن الممتع أكثر أن تتواجد أكثر من واحدة لتحطيم القلب عن مجرد واحدة فقط". ضحك بعد أن قـــال ذلـــك، وكـــذلك فعلت سارة. لم يبدُ رجلاً محطماً للقلوب برأيها، ولكـــنه، مـــن دون شك، قام بتحطيم قلب إحداهن، واستمتع بكل دقيقة من ذلك. كان رجلاً وسيماً جداً، بكثير من السحر، وكان من الواضح أنه ذكي جداً بالتجارة. فهو ينفق ثروة لتجديد القصر.

قال لها: "تعلمين، هناك امرأة أعتقد أنكِ ستحبين لقاءها". وبدا غارقاً بالتفكيـــر. "جدتـــي. كانت الطاهية عندما عاشت والدة جدتك هنا. إنها في الثالـــثة والتـــسعين من عمرها وواهنة جداً. لا يمكنها المشي الآن، ولكنها تتذكـــر كـــل شيء بكامل التفاصيل الدقيقة. ما تزال ذاكرتها ممتازة. هل تحبين لقاءها؟"

"نعم، أحب ذلك". لمعت عينا سارة لهذه الفكرة.

سألها، "تعيش على بعد نصف ساعة من هنا. هل أصطحبك؟" وضع كأسه، وابتسم لها.

"ألـــن يـــسبب لك ذلك الكثير من المشاكل؟ لديّ سائق، إن أعطيتني العنوان".

"لا تكوني سخيفة. ليس لديّ شيء أفعله هنا. أعيش في باريس. جئت إلى هنا لبضعة أيام للاطمئنان على العمل". تبعاً لما أخبر به سارة، يحتاج إنهـــاء العمل في القصر إلى سنتين. لقد مضت عليه سنة وهو يعمل عليه. "ســـأقلك إلى هناك بنفسي. أستمتع برؤيتها، فهي دائماً ما توبخني لأنني لا أزورهـــا بـــشكل كـــافٍ. ســـتمنحينني عذراً جيداً. لا تتحدث الإنكليزية، وسأترجم أنا لك".

مـــشى بخطوات واسعة عبر الرواق على نحو مليء بالعزم، وعلى أســـفل الدرج الرئيسي، وسارة تتبعه، وهي تشعر بالإثارة لأنها التقت به، ولأنها ستحظى بفرصة لقاء امرأة عرفت ليلي. أملت أن تكون ذاكرة جدته

جيدة كما قال. أرادت أن تتمكّن من العودة إلى منزل ميمي وهي تحمل أخباراً عن والدتها. كان ذلك أشبه بهدية تحضرها معها، وكانت ممتنة للمساعدة التي يقدمها بيير بيتيت.

تركها في الفناء، وأخبرها أنه سيعود بعد لحظة. ظهر بعد خمس دقائق، يقود سيارة سوداء اللون من ماركة رولز ذات سقف قابل للطي. كانت سيارة جميلة جداً. بيير بيتيت يعامل نفسه على نحو جيد جداً. ربما كان أجداده من العبيد، ولكن من الواضح، أنه رجل ثري جداً.

ركبت سارة بجانبه، بعد أن شرحت للسائق الذي أقلها إلى هنا أن السيد سيعيدها إلى الفندق. حاولت أن تدفع له، ولكنه قال إن ذلك سيضاف إلى فاتورتها. بعد لحظة، انطلقت هي وبيير في السيارة. تحدث معها بسهولة في الطريق، سألها عن عملها وحياتها في سان فرانسيسكو. قالت إنها محامية، وسألها ما إن كانت متزوجة، فأخبرته أنها ليست كذلك.

قال مبتسماً: "ما زلت شابة، ستتزوجين يوماً ما". قالها على نحو أظهر نوعاً من الاعتداد بالنفس، وقبلت ذلك التحدي على الفور. أحبته، وكان لطيفاً معها. كانت تستمتع بالرحلة عبر الريف في الرولز رويس. سيكون من الصعب أن لا يستمتع أي كان برحلة في الريف على متن سيارة رولز مكشوفة، فقد كان يوماً مثالياً من أيام نيسان، وكانت في فرنسا، تركب سيارة رولز رويس مع رجل وسيم جداً يمتلك قصراً ضخماً. كل تلك أمور تفوق الخيال.

"لمَ تعتقد أنني سأتزوج؟ أنت لم تفعل. لم يجب عليّ ذلك؟"

"آهه... أنت واحدة من أولئك، ألست كذلك؟ امرأة مستقلة. ألا تتمنّين أن تتزوجي؟" كان يستمتع بإثارة حفيظتها، من الواضح أنه يحب النساء. وتوقعت أنهن يحببنه أيضاً.

قالت سارة بسهولة: "لا أحتاج أن أتزوج. أنا سعيدة بالحال الذي أنا عليه".

قال مظهراً اعتداده بنفسه: "كلا، لست كذلك، قبل ساعة كنت وحيدة في سيارة رينو قديمة دون وجود أحد تتحدثين معه. أنت تسافرين وحدك. وأنت الآن في رولز رويس، تتحدثين معي، وتضحكين، وتشاهدين أشياء جميلة. أليس الأمر أفضل كذلك؟"

قالت سارة موضحة: "لكنني لن أتزوجك، نحن أفضل بكثير على هذه الحال. كل منا... ألا تظن ذلك؟"

ضحك على إجابتها. أعجبت به، وأعجب بها أيضاً. كانت ذكية وحادة الذهن. "ربما تكونين محقة. والأطفال؟ ألا تريدين أن ترزقي بأطفال؟" هزت رأسها بالنفي، ونظرت إليه. "لم لا؟ يبدو أن معظم الأشخاص يستمتعون بأطفالهم كثيراً".

"أعمل بجد. ولا أعتقد أنني سأكون أماً جيدة. لا أملك الكثير من الوقت لأمنحهم إياه". كان ذلك عذراً مريحاً.

"ربما تعملين بجدٍّ على نحو سيئ". اقترح عليها. لدقيقة بدا مثل ستانلي. ولكن هذا الرجل مختلف جداً. كان يمتلك المتعة، والحياة، والمرح وليس العمل وحسب. لقد تعلم أسراراً عن الحياة لم يحظَ ستانلي بها طوال حياته.

أجابت، "ربما ألا تفعل ذلك؟ لا بد أنك عملت بجهد كبير حتى امتلكت كل هذا". لم يرثه، لقد عمل لأجله، وضحك وهو يجيب.

"أحياناً أعمل بجدٍّ على نحو سيئ. وأحياناً أمرح جداً. أحب القيام بالأمرين معاً، في أوقات مختلفة. يجب أن تعمل بجدٍّ حتى تمرح بشدة. أمتلك قارباً جميلاً أبقيه في الجنوب... يخت. هل تحبين القوارب؟"

"لم أركب واحداً منذ وقت طويل". منذ أيام الجامعة، عندما أبحرت مع صديقاتها في مارثا فينيارد، ولكنها كانت متأكدة من أن القوارب التي ركبتها لا تماثل قاربه.

وصلا إلى منزل جدته بعد بضع دقائق. كان كوخاً صغيراً أنيقاً مع سياج حوله، مصان على نحو جميل، مع أجمات من الزهور في الأمام،

وحقل صغير خلفه. خرج من السيارة، وفتح لسارة الباب بلطف. كان التواجد معه تجربة رائعة. شعرت وكأنها في فيلم. كان الفيلم حول حياتها الآن. وكانت هي البطلة. بعيدة جداً عن سان فرانسيسكو.

رن الجرس، وفتح الباب، فأسرعت امرأة نحوه، تمسح يديها بمئزرها. تحدثت مع بيير، وأشارت إلى أحدهم في الحديقة الخلفية. كانت تلك المشرفة على العناية بجدته. قاد بيير سارة إلى المكان الخلفي في المنزل الصغير. كان مليئاً بالتحف الرائعة، وهناك ستائر جميلة بلون ساطع على النوافذ. كان المنزل صغيراً، ولكن من الواضح أن بيير يعتني بجدته على نحو جيد. كانت تجلس في كرسي متحرك في الحديقة تنظر إلى حقول الكرمة والريف خلفها. لقد عاشت في هذا الجزء من العالم طوال حياتها، وقد اشترى لها الكوخ قبل عدة سنوات. بالنسبة لها، كان بمثابة القصر. برقت عيناها عند رؤيته.

"أهلاً، بيير!" تعجبت بابتهاج، ثم ابتسمت لسارة. بدت مسرورة لرؤيتها، كانت تستمتع بالزوار وخاصة عندما يزورها حفيدها. كان فرحة حياتها، وكانت فخورة جداً به. وهذا واضح.

"صباح الخير، جدتي". قدّم لها سارة، وشرح سبب زيارتها. أجابت جدته بنظرة من الاهتمام، والكثير من التعجب، وأومأت رأسها عدة مرات لسارة، وكأنها ترحب بها. وتحدثت هي وبيير على الفور، جاءت المشرفة مع الحلوى وعصير الليمون، وسكبته لهما، ووضعت الإبريق على طاولة مجاورة، في حال رغبا بالمزيد. كانت الحلويات لذيذة.

عندها التفت بيير إلى سارة، وسحب كرسياً لكل منهما. "قالت إنها تعرف والدة جدتك جيداً، ولطالما أحبتها. قالت إنها امرأة رائعة. كانت جدتي في السابعة عشرة من عمرها، ومجرد خادمة في المطبخ عندما جاءت ليلي. قالت إن والدة جدتك كانت لطيفة معها". كانت تشير إلى ليلي في المحادثة على أنها زوجة المركيز. "ساعدتها والدة جدتك لتصبح طاهية

بعد عدة سنوات. قالت إنها لم تعلم أن لديها أولاداً إلى أن رأتها تنظر إلى صورهم في الحديقة، وكانت تبكي. ولكنها قالت إنها عدا ذلك، كانت مسرورة جداً هنا. كانت لها طبيعة مبتهجة، وكانت معجبة جداً بزوجها. كان أكبر منها ببضع سنوات، وكان يقدرها كثيراً. وقالت إنهما كانا سعيدين جداً. كان يضحك طوال مكوثه معها. وقالت إن الحياة كانت صعبة جداً على الجميع عندما كان الألمان هنا، فلقد احتلوا الإسطبلات وجزءاً من القصر، لقد امتلأت الأبنية الإضافية برجالهم، وكانوا أحياناً وقحين جداً، ويسرقون الطعام من المطبخ. كانت والدة جدتك لطيفة معهم، ولكنها لم تكن تحبهم كثيراً. قالت إن ليلي أصيبت بمرض شديد عند نهاية الحرب، لم يكن هناك دواء، وازداد مرضها سوءاً، وكاد المركيز يجن لذلك، لكثرة قلقه عليها. بدا الأمر أشبه بالسل أو ذات الرئة، على ما أعتقد". أضاف بلطف. كان ذلك سرداً مدهشاً لكل منهما، لا سيما سارة، وهي تتخيّل ليلي تبكي على صور ميمي وأخيها. على نحو غريب، أدركت الآن، أنه قد توفي في نفس سنة وفاة والدته، في العام 1945، قبل نهاية الحرب تقريباً. كما أن ألكسندر، زوجها السابق، توفي أيضاً في تلك السنة، كان من الصعب تخيّل كيف تمكّنت ليلي من العيش طوال تلك السنوات دون سماع أخبار عن ولديها أو الاتصال بهما، أو أي من الأشخاص الذين كانت تحبهم سابقاً. تركتهم جميعاً من أجل المركيز، أغلقت باب الماضي خلفها، ولم تفتحه مجدداً على الإطلاق.

"تقول جدتي إن والدة جدتك توفيت في النهاية، على الرغم من أنها كانت لا تزال شابة". تابع بيير، "تقول إنها أجمل امرأة شاهدتها في حياتها. ولم يتمكّن أحد من مواساة المركيز بعد وفاتها. تعتقد جدتي أنه بقي في المقاومة طوال الوقت، ولكن لم يكن أحد واثقاً من ذلك. بدأ يختفي أكثر فأكثر بعد وفاتها، ربما في مهمات مع خلايا محلية، أو في مقاطعات أخرى. قتله الألمان في إحدى الليالي، ليس في مكان بعيد عن هنا. قالوا

إنه كان يحاول نسف القطار، لا تعلم ما إن كان هذا صحيحاً أم لا. كان رجلاً جيداً، ولم يكن ليفعل أي شيء لقتل الناس، باستثناء الألمان ربما. تعتقد أنه ترك نفسه يموت بسبب ألمه الشديد على موت زوجته. توفي بفارق أشهر قليلة بينهما ودفنا في مقبرة بالقرب من القصر. يمكنني أخذك إلى هناك إن أحببت". عرض عليها، فأومأت. "قالت إن الجميع أصيبوا بالحزن عندما توفيا، قام الألمان بإبقاء الخدم في القصر، وجعلوهم يعملون بجهد كبير. انتقل الأمر إليه بعد وفاة المركيز. أخيراً، غادر الألمان، وبعد الحرب، غادر جميع الخدم إلى أمكنة أخرى، وتم إغلاق القصر. في النهاية، اشتراه أحدهم... وتعرفين البقية. يا لها من قصة مذهلة". قال بيير لسارة، التي مدّت يديها وأخذت يدي العجوز بين يديها لتشكرها. أومأت جدة بيير وابتسمت، فهمت تلك الإيماءة. لقد كانت صافية الذهن، تماماً كما قال بيير، كانت القصة التي أخبرتها لسارة هدية تأخذها معها إلى ميمي، قصة حياة والدتها في فرنسا وأيامها الأخيرة.

"شكراً لكِ... شكراً..". كررت سارة كلامها، وهما لا تزالان تمسكان بيدي بعضهما. كانت تلك العجوز هي الرابط الوحيد مع والدة جدتها المفقودة، تلك المرأة التي اختفت وتملك منزلها الآن. المرأة التي أحبها رجلان بشغف شديد لدرجة أنهما توفيا بعد فقدانها. لقد انتمت لكل منهما، وكانت لهما، وفي النهاية، أصبحت لنفسها فقط. كانت كالطير الجميل الذي يمكن أن يُعشق ويحب، ولكن لا يمكن أن يحبس. وبينما جلسوا سوياً، وسارة غارقة بالتفكير في قصة ليلي، تجعد حاجب جدة بيير للحظة، ثم أضافت شيئاً له. أصغى السمع وأومأ، ثم التفت إلى سارة بمسحة من الكآبة.

"تقول جدتي إن هنالك شيئاً آخر عن أولاد ليلي. قالت إنها غالباً ما كانت تراها تكتب رسائل. لم تكن متأكدة، ولكنها اعتقدت أنها ربما تكون لهم. قال الصبي الذي كان يذهب إلى مكتب البريد بأن رسائلها إلى أميركا

كانت تعود دائماً، كان يعيدها إلى زوجة المركيز بنفسه، وعندها كانت ليلي تشعر بالحزن الشديد. أخبرتني جدتي بأنها كانت تضعها في علبة صغيرة، حيث تبقيها مربوطة بالأوشحة. قالت جدتي إنها لم ترَها حتى وفاة ليلي. وجدت الصندوق عندما كانت تساعد في التخلص من أشيائها، فأرت علبة الرسائل إلى المركيز، الذي طلب أن تتخلص منها، وفعلت ذلك. ليست واثقة تماماً، ولكنها تظن أنها كانت رسائل لولديها، وجميعها أعيدت. لا بد من أنها حاولت الاتصال بهما على مرّ السنين، ولكن أحدهم كان يعيدها لها دائماً دون فتحها. ربما يكون ذلك هو الرجل الذي كانت متزوجة منه، والد الطفلين. لا بد من أنه كان غاضباً منها. كنت سأفعل ذلك، لو كنت مكانه". كان من الصعب على الجميع فهم قدرتها على هجر زوجها وطفليها، بسبب حبها لشخص آخر. ولكن تبعاً لما قالته جدة بيير، لقد أحبت المركيز كثيراً. قالت إنها لم ترَ شخصين يحبان بعضهما مثلهما في حياتها، من البداية حتى الممات. ما يكفي لهجر ولديها من أجله. لم تتمكّن سارة من التوقف عن التفكير فيما إن كانت قد ندمت على ذلك، وتمنّت لو فعلت. إن دموعها على الصور وعلى الرسائل العائدة تقول شيئاً. ولكن في النهاية، كان من الصعب فهم أن حبها للمركيز أكثر قوة من حبها لولديها. كان من الواضح أنه العشق الذي يبرر السبب وكل الأمور الأخرى. لقد تركت حياتها بكاملها لتمنح نفسها له، وتخلت عن كل شخص غيره، حتى طفليها. لقد ذهبت إلى قبرها دون رؤيتهما مجدداً، وهذا ما بدا القدر المروع برأي سارة وكذلك ميمي الجدة التي تحبها كثيراً.

تحدث بيير مع جدته لفترة، ثم غادرا. شكرتها سارة ثانية قبل رحيلها. لقد كان يوماً مذهلاً بالنسبة لها. وكما عرض عليها أن يفعل، اصطحبها بيير إلى المقبرة في طريق العودة. كان من السهل إيجاد ضريح ميليار، ووجدوهما هناك: أرماند ماركيز دو ميليار، وليلي مركيز دو ميليار. لقد كان في الرابعة والأربعين من عمره عندما توفي، وهي في

التاسعة والثلاثين. توفيا بفارق ثمانين يوماً، لم يبلغ الفارق ثلاثة أشهر حتى. شعرت سارة بالحزن وهي تغادر المقبرة، بعد سماع القصة، تساءلت كم من المرات بكت ليلي على طفليها اللذين هجرتهما، عن السبب الذي لم يجعلها ترزق بأولادٍ من المركيز. ربما كان ذلك سيواسيها، أو ربما لم تتمكّن من احتمال فكرة أن ترزق بأطفال آخرين، بعد الاثنين اللذين هجرتهما. بالرغم من كل ما تعرفه سارة الآن، ستبقى ليلي غامضة على الجميع. ما الذي أصابها، من كانت، ما الذي شعرت به أو لم تشعر به، أو ما الذي اهتمت به أو اشتاقت له، جميعها أسرار أخذتها معها. على نحو واضح، كان حبها للمركيز قوة جبارة. علمت سارة أن ليلي قد التقت به في حفلة قنصلية في سان فرانسيسكو قبل الانهيار بقليل. كيف قرّرت الهرب معه، أو متى حصل ذلك، وما هو السبب، لا يعلم أحد الحقيقة ولن يفعل أحد على الإطلاق. ربما لم تكن سعيدة مع ألكسندر، ولكن من الواضح أنه كان يقدسها. ولكن، في النهاية، كان المركيز هو من امتلك قلبها، وهو وحده. شعرت سارة وكأنها تحمل شيئاً تعود به، وهذا سيرضي جدتها وحتى والدتها، على الرغم من أن ليلي ستبقى لغزاً غامضاً للأبد. لقد كانت امرأة ذات حب وغموض كبيرين حتى النهاية. كانت تخطط لإخبار ميمي عن رسائل والدتها إليها عندما تعود.

مازحها بيير، وهو يقلها عائداً بها إلى الفندق، "أعتقد أنني وقعت بحب والدة جدتك، لا بد أنها كانت امرأة متميزة، ذات شغف كبير وسحر شديد، وخطيرة إلى حدٍّ ما. لقد أحباها بشدة، لحدّ الدمار. لم يتمكّنا من العيش دونها عندما رحلت". قال، وهو ينظر إلى سارة: "هل أنتِ خطيرة مثلها؟" مزح معها مجدداً.

"لا، لست كذلك". ابتسمت لمضيفها. لقد جعل رحلتها جديرة بالاهتمام. شعرت وكأن القدر قد جمعهما سوياً. لقد كان لقاء بيير هدية لا تصدق.

قال، وهما يعودان إلى الفندق: "ربما تكونين خطيرة". شكرته سارة على لطفه، وعلى قضاء اليوم بكامله وهو يقلها.

"لم أكن لأعرف أياً من هذه الأمور، لو لم ألتقِ بجدتك. شكراً جزيلاً لك، بيير". كانت ممتنة له بصدق.

قال بهدوء: "استمتعت بذلك، أيضاً. إنها قصة رائعة، لم تخبرني بأي من هذا من قبل. لقد حدث ذلك بكامله قبل ولادتي". وفيما كانت سارة تخرج من السيارة، مدّ يده ولمس يدها. "سأعود إلى باريس غداً. هل ترغبين بتناول العشاء معي الليلة؟ هناك مطعم صغير هنا، ولكنه جيد نوعاً ما. سأستمتع بصحبتك، سارة. قضيت وقتاً ممتعاً معكِ اليوم".

"وكذلك أنا. هل أنت متأكد من أنك لم تسأم مني؟" شعرت وكأنها قد أساءت إلى كرم ضيافته، ولا ترغب بفعل ذلك مجدداً.

مازحها قائلاً: "ليس بعد. عندما أسأم منكِ، سأعيدك".

"إذاً، أرغب بذلك حقاً".

"ممتاز. سآتي لاصطحابك عند الثامنة".

بعد ذلك، صعدت الأدراج، وتمدّدت على سريرها. لديها الكثير لتفكر فيه. لم تتمكّن من إخراج ليلي من رأسها. شعرت بأنها مأسورة بها، بعد سماع القصة التي أخبرتها بها جدة بيير، وقال بيير إنه شعر بالشيء نفسه عندما عاد لأخذها في الرولز.

كان المطعم الصغير الذي اصطحبها إليه بسيطاً جداً، والطعام عادياً، ولكنه جيد. كان قد أحضر معه زجاجة الشراب الخاصة به. أمتعها بقصص عن سفره وعن مغامراته على اليخت عندما أبحر حول العالم. كان من الممتع التحدث معه ومن المفرح المكوث معه. شعرت وكأنها على كوكب آخر وهي تضحك وتحدثه. كانت أمسية رائعة لكليهما. كان أكبر منها بخمس عشرة سنة، ولكنه يتمتع بنظرة شبابية عن الحياة، ربما لأنه لم يتزوج على الإطلاق أو يرزق بأطفال. قال إنه هو نفسه لا يزال طفلاً.

"وأنـــتِ، عزيزتـــي". وبخّها وهما ينهيان آخر ما تبقى من الزجاجة، والتـــي كانت من الشراب المعتق الفاخر أيضاً، "جدية جداً، مما يمكنني أن أرى. تحتاجين إلى الكثير من المرح، وتأخذين الحياة على نحو أقل جدية. تعملـــين بجـــدٍّ، وتقتلين نفسك الآن في ذلك المنـــزل. متى تلعبين؟" فكرّت بالأمر، ثم هزت كتفيها باستهجان.

"لا أفعـــل. المنـــزل هو لعبتي الآن. ولكنك محق. ربما لا أمرح بما يكفي". افترضت سارة على نحو صحيح أنه ليس بإمكان أحد لوم بيير على ذلك.

"الحياة قصيرة. يجب عليك البدء بالمرح الآن".

قالـــت، وبـــدت سعيدة: "لهذا السبب أنا هنا، في فرنسا. عندما أعود، سأنتقل إلى منـــزل ليلي".

"إنه ليس منـــزل ليلي، سارة. إنه منـــزل سارة. لقد عاشت حياتها، فعلت بالتحديد ما رغبت بفعله، مهما كان الأشخاص الذين آذتهم أو تركتهم خلفهـــا. كانت امرأة تعرف ما بداخل عقلها، وتحصل دائماً على ما تريد. يمكـــنك معرفة ذلك، من سماع قصتها. أنا واثق من أنها كانت جميلة جداً، ولكـــنها ربمـــا أنانـــية جـــداً. يبدو دائماً أن الرجال يقعون في حب النساء الأنانـــيات، وليس اللطيفات، أو الجيدات، أو اللواتي يكن جيدات معهم. لا تكونـــي جيدة جداً، سارة... ستصابين بالأذى". تساءلت إن كان هو كذلك، أو مـــا إن آذى إحداهن. ولكنها خمنت أنه وصف ليلي على نحو صحيح. لقد هجرت ولديها وزوجها. لا يزال من الصعب على سارة حتى الآن فهم ذلك. وكذلك ميمي. فقد كانت ليلي والدتها. سألها بيير، "من ينتظركِ عندما تعودين للوطن؟" وفكّرت سارة بالأمر.

"جدتـــي، ووالدتي، وأصدقائي". فكرّت بجيف وهي تقول ذلك. "هل يبدو ذلك مثيراً للشفقة؟" كان محرجاً بعض الشيء من النطق بذلك، ولكنه كان قد اكتشف ذلك بنفسه على أية حال في عصر اليوم السابق. تمكّن من

الإحساس بعدم وجود رجل في حياتها، وبأنها كانت مرتاحة لذلك، وهذا ما اعتقد أنه أمر محزن، بالنظر إلى جمالها وعمرها.

"لا، يـــبدو رائعـــاً. ربما رائع جداً. أعتقد أنكِ يجب أن تكوني أكثر قسوة مع رجالك".

"ليس لديّ رجال". ثم ضحكت على ما قاله.

"ستحصلين عليهم. سيأتي الرجل المناسب".

قالـــت بهدوء: "حظيت بالرجل غير المناسب لمدة أربع سنوات". لقد أصـــبحت هي وبيير صديقين. أعجبت به، على الرغم من أنها أحست أنه من الرجال الباحثين عن المتعة. ولكنه كان لطيفاً معها، وأبوياً بطريقة ما.

"هذه فترة طويلة للاحتفاظ بالرجل غير المناسب. ماذا تريدين؟" كان يأخـــذها تحت جناحه. كانت بريئة في عينيه. وبدا مثل سانتا كلوز، يسألها عن قائمة أمنياتها.

"لـــم أعـــد أعلم ما الذي أريده. الصحبة، الصداقة، الضحك، الحب، شخص يرى الأمور كما أفعل، ويهتم بالأشياء نفسها. شخص لا يؤذيني أو يخـــيّب أملـــي... شـــخص يعاملني على نحو جيد. أريد اللطف أكثر من العشق. أريد شخصاً يحبني وأحبه".

قال بجدية: "إنك تطلبين الكثير، لست واثقاً من أن بإمكانك أن تجدي كل هذا".

قالت كنوع من الحقيقة: "عندما أفعل، يكونون متزوجين".

قـــال: "مـــا العيب في ذلك؟ أفعل ذلك طوال الوقت". فضحكا سوياً. كانت واثقة من أنه يفعل ذلك. لقد كان ومن دون شك فتى شقياً أحياناً. إنه وسيم جداً لكي لا يفعل ذلك، وغني بما يكفي ليحصل على ما يريده وينجو بفعلـــته. لقد كان مُفسداً جداً. قال على نحو غير متوقع: "أنا رجل الضمير، ولـــو لـــم أكـــن كذلك، لكنت انجذبت إليك بهيام شديد، وأقمت معك علاقة

جنونية". كان نصف مازح بقوله ذلك، وعرفت هي ذلك. قال وهو ينظر إليها بلطف. كان يريد وقايتها، ومن النادر أن يصدر عنه ذلك: "ولكن إن فعلت ذلك، سارة، ستصابين بالأذى. ستكونين حزينة عندما تعودين، ولا أريد فعل ذلك معك. سيفسد ذلك هدف رحلتك بكاملها. أريدك أن تعودي وأنت مسرورة".

"وكذلك أنا. شكراً لأنك لطيف جداً معي". كان هناك دموع في عينيها وهي تقول ذلك. كانت تُفكّر بفيل وكيف كان رديئاً معها. أما بيير فكان رجلاً لطيفاً. لهذا السبب ربما تحبه النساء كما هو، سواء أكان متزوجاً أم لا.

قال بهدوء: "جدي الشخص المناسب، سارة. أنت تستحقين ذلك، ربما تعتقدين أنك لا تستحقين، ولكنك كذلك. لا تضيعي وقتك مجدداً مع السيئين. ستجدين الرجل الطيب في المرة القادمة". قال، وهو يتحدث معها كصديق: "يمكنني أن أشعر بذلك في أعماقي".

"آمل أن تكون محقاً". كان من المثير للفرحة كيف أن ستانلي أخبرها ألاّ تضيع حياتها بالعمل الدؤوب، والآن بيير يخبرها بأن تجد الرجل الجيد. كانا بمثابة أستاذين لها، وضعا في طريقها لإعطائها الدروس التي تحتاج أن تتعلمها.

سألها وهو يعيدها إلى الفندق، "هل ترغبين بمرافقتي في العودة إلى باريس غداً؟"

قالت مترددة: "كنت سأعود في القطار".

"لا تكوني سخيفة، مع كل أولئك الأشخاص الرديئين، ذوي الرائحة البشعة؟ لا تكوني سخيفة. إنها رحلة طويلة، ولكنها ممتعة. سأستمتع بصحبتك". قال ذلك ببساطة، وبدا أنه يعني ما يقوله حقاً.

"إذاً سآتي. لقد كنت لطيفاً جداً معي".

"حسناً إذاً، سأكون سيئاً معك على الأقل لمدة ساعة غداً. هل يجعلك هذا تشعرين بتحسن؟" مزح معها مجدداً.

أخبرها أنه سيأتي لاصطحابها في التاسعة من صباح اليوم التالي، وسيصلان إلى باريس عند الخامسة عصراً. قال إنه سيلتقي بأصدقاء في باريس في الليلة القادمة، ولكنه سيستمتع لو رافقها إلى العشاء في باريس في إحدى ليالي مكوثها هناك. بدا ذلك رائعاً بالنسبة لها، وحددا موعداً لذلك في طريق عودتهما إلى باريس.

قضيا وقتاً ممتعاً على الطريق، واصطحبها إلى مطعم رائع لتناول الغداء، حيث بدا أنهم يعرفونه وأنه يمر عليهم كثيراً في طريقه إلى دوردو. لقد جعل التجربة بكاملها بمثابة مغمرة ومتعة لها، تماماً كما فعل في اليوم السابق. مرت الساعات كالدقائق، ووصلا إلى فندقها في باريس قبل أن تدرك. وعدها بأن يتصل بها في اليوم التالي، وقبّلها على وجنتيها عندما غادر. شعرت سارة وكأنها سندريلا عندما مشت عائدة إلى الفندق. لقد تحولت العربة إلى يقطينة، والخدم إلى ثلاثة فئران، وصعدت الأدراج إلى غرفتها، تحمل حقيبتها، متسائلة ما إن كان اليومان الماضيان حقيقة، ورغبت أن تقرص نفسها لتتأكد. لقد وجدت كل شيء تريد معرفته عن ليلي، شاهدت القصر، ورأت مثواها الأخير، حتى أنها حظيت بصديق طوال الطريق. لقد أثمرت الرحلة عن نجاح مذهل.

الفصل الثامن عشر

زارت سارة، في بقية أيام مكوثها في باريس، النُصب التذكارية، ودور العبادة، والمتاحف. تناولت طعامها في المطاعم الصغيرة، وجلست في المقاهي. جابت الشوارع، واكتشفت الحدائق، وتأملت فيها، واستكشفت الأماكن الأثرية. قامت بكل شيء أرادت فعله طوال حياتها في باريس، وحين عادت إلى الولايات، شعرت وكأنها قد عاشت فيها لمدة شهر.

اصطحبها بيير إلى العشاء في إحدى الليالي، وزارا دي أرجينت، ورقصا في بين دوشي بعد ذلك، لم تستمتع طوال حياتها كما استمتعت معه. في الحقيقة كان بيير رائعاً في بيئته الخاصة، وبدا أنه من النوع الذي يبحث عن المتعة دون شك، ولكن ليس معها. قبلّها ثانية على وجنتيها عندما أوصلها إلى الفندق في الرابعة صباحاً. قال إنه سيحب رؤيتها مجدداً، ولكنه ذاهب إلى لندن لمقابلة الزبائن. كان قد قدّم سلفاً ما يزيد عن حصته العادلة في إنجاح رحلتها. وعدت أن ترسل له صوراً عن منزل ليلي في سان فرانسيسكو، ووعدها أن يرسل لها صوراً عن قصره لتعطيها لميمي. جعلته يعدها بأن يتصل بها في حال زار سان فرانسيسكو، ولم يراودها أي شك بأنه سيفعل. لقد استمتعا حقاً بمعرفة بعضهما، وغادرت باريس وهي تعلم بأن لها صديقاً هناك.

عندما خرجت من الفندق، شعرت وكأنها تغادر وطنها، واستقلت سيارة الأجرة إلى المطار. تمكّنت الآن من فهم سبب رغبة ماري لويز بالعودة إلى هنا. فقد كانت هي نفسها ستفعل نفس الشيء لو استطاعت. إنها

مدينة ساحرة، وكانت رحلة سارة فيها أفضل أسبوعين قضتهما طوال حياتها. لم تعد منزعجة الآن لأنها سافرت وحيدة. لم تشعر بالحرمان، بل شعرت بأنها أغنى. كانت كلمات بيير تتردد في أذنيها، تماماً كما كانت كلمات ستانلي، *ابحثي لنفسك عن رجل جيد عندما تعودين*. القول أسهل من الفعل. ولكن في غياب 'الرجل الجيد'، تمتلك نفسها، وهذا أمر جيد في الوقت الحالي، وربما للأبد. أرادت العودة إلى باريس مجدداً عما قريب. فقد حملت لها الرحلة كل شيء تمنّته وأكثر.

كانت قد تحدثت مع جيف مرتين فقط طوال الرحلة. إحداها عن مشكلة صغيرة في الكهرباء، والثانية عن الثلاجة البديلة، حيث لم تصل تلك التي طلبتها، ولن تصل قبل بضعة أشهر. كانت رسائله الإلكترونية موجزة. ولم يتصل مكتبها بها على الإطلاق. تمتعت برحلة حقيقية، وعلى الرغم من شعورها بالحزن عند مغادرتها، شعرت أيضاً بأنها جاهزة للعودة. لم تكن متلهفة للعودة إلى العمل. ولكنها لم تتمكّن من الانتظار لتنتقل إلى منزلها. قال جيف إن المنزل جاهز، ينتظرها.

استقلت طائرة من مطار شارل ديغول عند الساعة الرابعة، والتي أوصلتها إلى سان فرانسيسكو عند السادسة مساءً، حسب التوقيت المحلي. كان يوماً جميلاً من أيام أبريل. كان يوم الجمعة، ومن المفترض أن تنتقل يوم الاثنين، وتعود إلى العمل يوم الثلاثاء. كانت لديها كامل عطلة نهاية الأسبوع لتحزم فيها ما تبقى من أشيائها، وبإمكانها أيضاً إيصال بعضها إلى المنزل بنفسها. كانت تُفكّر بالمبيت في عنوانها الجديد في عطلة نهاية الأسبوع، على الرغم من أن شركة نقل الأغراض ستقوم بنقل الأغراض يوم الاثنين، في الأول من مايو، تماماً كما وعد جيف. لقد جهّز لها كل شيء.

كانت متلهفة لرؤية جدتها لتخبرها عن كل شيء رأته وسمعت به، ولكنها تلقت رسالة إلكترونية من والدتها، تخبرها بأن ميمي لا تزال في

بالم سبرنغ مع جورج، وبأن لديها حفلة راقصة في نيويورك مع أصدقائها. لقد أصبحت والدتها الآن محترفة في مجال الاتصالات الحديثة، وتعشق الرسائل الإلكترونية. اعتقدت سارة بأن الأمر ممتع حتى الآن. تساءلت ما إن كانت والدتها قد تلقت شيئاً من توم مجدداً، أو ما إن كانت الأمور قد انتهت من قبل. فمن الصعب أن تجري الأمور على نحو جيد بالنظر إلى كل تلك المسافة البعيدة. كانت سارة قد جرّبت ذلك وهي في الكلية، ولكنها لم تحب الأمر إطلاقاً.

استقلت سيارة أجرة من المطار إلى شقتها، وفيما دخلت عبر الباب، بدت الشقة أسوأ مما كانت عليه من قبل. شعرت وكأنها لم تعد تعيش هنا. لقد أصبحت تنتظر بفارغ الصبر الانتقال منها. كانت هناك عُلب حزمتها سارة قبل مغادرتها في كل مكان، وما تبقى من ممتلكاتها كان موضوعاً في أكوام على الأرض. كان من المفترض أن تأتي الجمعية الخيرية يوم الثلاثاء لتأخذ كل شيء لم تنقله معها. لن تنقل سارة الكثير من الأشياء معها. كانت محرجة بعض الشيء لإعطائها إلى الجمعية الخيرية. شعرت وكأنها قد نضجت في الأشهر الستة الماضية، منذ شرائها المنزل.

اتصلت بوالدتها تلك الليلة لتخبرها بعودتها، بدت والدتها على عجلة من أمرها، قالت إنها تأخرت على الرحلة، فهي ستذهب إلى كارمل لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. بدا أنها تتنقل كثيراً هذه الأيام، وتستمتع بوقتها. قالت والدتها إنه من المفترض أن تعود ميمي يوم الأربعاء. أرادت سارة أن يأتوا جميعاً إلى المنزل لتناول العشاء في عطلة نهاية الأسبوع القادمة. فلديها الكثير لتخبرهم إياه، بعد زيارتها إلى دوردو.

تفاجأت سارة بعدم اتصال جيف بها تلك الليلة، فهو يعلم موعد عودتها، ولكنه ربما يكون مشغولاً. تلك الليلة، شعرت بالنعاس في وقت مبكر، فهي لا تزال تحت تأثير توقيت باريس، استيقظت في الخامسة صباحاً، مجهدة من الرحلة الطويلة. استحمت وارتدت ملابسها، أعدت

لنفسها كوباً من القهوة، وتوجهت إلى المنزل عند السادسة. كان صباحاً مشمساً رائعاً.

عندما دخلت المنزل، شعرت وكأنها عاشت هنا من قبل. تجولت مبتهجة في جميع أنحاء مملكتها. كانت جميع الأنوار تعمل، وبدا أن كل التمديدات الصحية جيدة. كانت ألواح الخشب تشع. وعندما مشت للداخل، بدا المطبخ الجديد رائعاً، وأجمل مما توقعت. أحبت الثلاجة البديلة أكثر من التي كانت قد طلبتها. كانت ستبدأ بطلي الغرف الأصغر في الأسبوع القادم، أما عمال الدهان المحترفون فسيبدؤون العمل في غضون أسبوعين على الغرف الكبيرة. بحلول شهر يونيو، سيكون العمل في المنزل قد انتهى تقريباً. وستعمل على إنجاز التفاصيل الأخرى ببطء، مع مرور الوقت، وستبدأ بالبحث عن الأثاث في أسواق بيع الممتلكات والمزادات. سيستغرق ذلك وقتاً طويلاً، ولكنها تريد صرف أموالها بشكل مدروس، إن الفضل في إنجاز الأمور بشكل أسرع، وأرخص، وإحضار كل شيء تريده بسعر الجملة يعود للمساعدة التي تلقتها من جيف. لم تكن في عجلة لإنجاز المصعد الآن، لأنها في الواقع لا تحتاج إليه. كما عرّفها جيف أيضاً على البستاني الذي استخدمه هو وماري لويز في بوتريرو هيل. أصبح كل شيء منظفاً، كما زُرعت صفوف أنيقة من الأزهار، وهناك سياج من الشجيرات يحيط بالمنزل.

قالت مبتسمة لنفسها: "واو!" وهي تجلس على طاولة المطبخ الجديدة. وكررت كلمة **الواو** مع ابتسامة ابتهاج، لقد أحبته.

كانت قد مضت على وجودها هناك ساعتان عندما رنّ جرس الباب. نظرت بسرعة إلى الخارج من خلال نافذة جانبية، ورأت جيف يقف خارجاً، يحمل كوبين من مقهى ستاربكس.

سألها، مبتسماً "ما الذي تفعلينه هنا في هذا الوقت المبكر جداً؟" بدا مرتاحاً وسعيداً، وهو يقدم لها كوب الكابوتشينو المضاعف مع رغوة خالية من الدسم، تماماً على النحو الذي تحبه.

"إنني تحت تأثير اختلاف التوقيت". ولكن من النظرة التي علت وجهها، تمكّن من معرفة أنها استمتعت برحلتها.

"هل استمتعتِ؟"

"أحببت المنزل... والمطبخ يبدو رائعاً". قالت وهو يلحق بها وينظر حوله. كان قد أحضر طاقم التنظيف في اليوم السابق، لكي يبدو المنزل مثالياً عندما تراه. مازحها قائلاً: "إنني أدير مكتب خدمات كاملة".

كانا يشربان قهوتهما، ويتحدثان براحة تامة عندما سألها مازحاً ما إن رأت ماري لويز في باريس. بدت سارة مرتبكة بهذا السؤال.

"لا. هل عادت؟ أليس الوقت مبكراً للقيام برحلة الصيف؟"

"ليس هذه السنة. لقد هجرتني". نظر إلى سارة في عينيها وهو يقول ذلك.

كررت سارة كلامه، "هجرتك؟" بدت مجفلة. "هل تقصد الهجر بالمعنى الحقيقي للكلمة، أو أنها ذهبت لقضاء بضعة أسابيع في باريس؟"

"لقد انتقلت إلى هناك، سأشتري حصتها من العمل، ونحن نعمل على بيع المنزل، لا يمكنني تحمل نفقة شراء حصتها فيه أيضاً. سأستخدم حصتي من بيع المنزل في شراء حصتها في العمل. في الحقيقة، سأبيع المنزل". بدا هادئاً وهو يقول ذلك. تمكّنت من تخيّل شعوره. فالإلقاء بأربع عشرة سنة من النافذة أمر يصعب تحمله. ولكنه بدا بخير. فمن بعض النواحي، كان ذلك راحة له.

قالت سارة بلطف: "أنا آسفة لسماع ذلك، كيف حدث الأمر؟"

"إنه شيء تأخر حصوله وقتاً طويلاً. كانت تشعر بالأسى هنا منذ يوم وصولها. لا أعتقد أنها كانت سعيدة معي، أيضاً. أخمن أنها لم تكن كذلك – قال باشمئزاز – وإلاّ لبقيت هنا". حتى ولو تقبّل الأمر على نحو جيد، وعلم أنه خطوة نحو حياة أفضل بالنسبة له، إلاّ أنه لا يزال متألماً. كانا

يتشاجران باستمرار منذ الكرسمس. أرهقه ذلك، فهو يشعر الآن ببعض الراحة لأن الأمر قد انتهى.

واسته سارة، "لا أعتقد أن الأمر يتعلق بك، أعتقد أنه يتعلق بها، وبالعيش هنا، وعدم رغبتها بالتواجد هنا".

"عرضت عليها أن أنتقل معها إلى أوروبا في إحدى المرات، قبل عدة سنوات. ولكن ذلك لم ينفع معها، أيضاً. إنها إنسانة متكدرة وحسب، وتعشق الأمور المغضبة جداً". لقد ظلت غاضبة حتى آخر دقيقة، فقد أغلقت الباب بقوة عندما رحلت، ولم تكن هذه هي الطريقة التي يرغب فيها بإنهاء الأمر. فهي لم تكن تعرف طريقة أخرى لإنهاء الأمر. يرحل الناس من منازلهم بطرق مختلفة، بعضهم بطرق لطيفة، وبعضهم الآخر بطرق غاضبة.

"ماذا عنك؟ هل قابلت رجل أحلامك في باريس؟" بدا متلهفاً وهو يسألها.

"لقد أنشأت صداقة مع أحدهم". أخبرته عن زيارتها إلى قصر دو ميليار، ولقاء بيير بيتيت، وجدّته، وأخبرته عن كل ما رأته وسمعته. كانت تتمكّن من سماع صدى كلمات بيير، *ارجعي إلى وطنك وابحثي عن الرجل الجيد*. لم تقل شيئاً عن ذلك لجيف. فلديه ما يكفي في عقله، وما تزال مشاعره مجروحة بعد ترك ماري لويز له. شابه ذلك وضعها عندما قطعت العلاقة مع فيل. علمت أنها خطوة نحو الأفضل، ولكنها لا تزال خطوة مؤلمة. قالت بهدوء، وهي تنهي الكابوتشينو: "لقد أمضيت أوقات رائعة". لم ترغب أن تزيد آلامه سوءاً. فمن الواضح أنه قضى أوقات مروعة في غيابها.

"علمتُ أن أوقاتك كانت رائعة. فلم تبعثي لي بأي رسالة إلكترونية". ابتسم بكآبة. فقد أقلقه ذلك قليلاً.

"كنت أستمتع بكل دقيقة، واعتقدت أنكَ مشغول". أخبرته مجدداً كم تشعر بالأسى بشأن ماري لويز، وبعد ذلك، تجولا في الأرجاء، يتفحصان

المنـــزل، وأثناء ذلك كان يريها الإضافات والتفاصيل الجديدة. لقد ترتب المنـزل حقاً خلال أسبوعين، تماماً كما وعدها. قالت بفخر: "سأبيت الليلة هـنا". ابتـسم لمقدار السعادة التي بدت عليها. بدت أفضل مما كانت عليه ســابقاً، وكــان مسروراً لعودتها إلى الوطن. اشتاق لها، لا سيما مؤخراً. كانت ماري لويز قد غادرت الأسبوع الماضي. ولكنه لم يرغب بإخبار سارة حتــى عـودتها. كان يحتاج إلى الوقت للتكيف مع نفسه. لا تزال عودته إلى منـــزل فــارغ أمراً غريباً عليه بعض الشيء. أخذت كل شيء تريده معها، وأخبـرته أن يحتفظ بما تبقى أو يبيعه. لم يكن هناك شيء يربطها بالمنــزل، حتــى هو نفسه، وهذا ما كان يؤلمه. أربع عشرة سنة هي مدة طويلة. سيكون هــذا تعـديلاً كبيراً. في الليلتين الأوليين، كاد يضحك على نفسه. أدرك بأنه يشتاق للشجار. فقد كان جوهر علاقتهما لمدة أربع عشرة سنة.

"إذاً، ما الذي ستفعلينه اليوم، سارة؟"

"أحــزم بعــض الأشياء. أحضر بعضها إلى هنا. أريد أن أبدأ بنقل ملابــسي". لــم تكن تمتلك الكثير. فقد وزعت الكثير منها أيضاً. أصبحت عديمة الرحمة فيما يخص التنظيف، بالتخلص من كل شيء لم تعد تريده أو تحتاج إليه.

سألها مفعماً بالأمل، "هل تريدين مساعدة؟"

"هل تقول هذا لمجرد التصرف بلطف، أم أنك تعني ذلك حقاً؟" علمت أنه مشغول.

"إنني أعني ما أقول". لم يكن مشغولاً كما اعتقدت، وأراد مساعدتها.

"إذاً، أريــد مساعدتك. يمكننا نقل بعض الأشياء إلى هنا، لأتمكّن من المبيت هنا الليلة. لن أبيت مجدداً في شقتي". لقد انتهى الأمر. حتى أنها لم تكــن تــرغب حتى بالمبيت هناك في الليلة السابقة. لقد تمّ إيصال سريرها إلــى شارع سكوت. كان رائعاً وأنثوياً جداً مع لوحة رأسية وردية اللون. كان جديراً لأن يكون لليلي تقريباً.

رافقهــا إلــى شقتها، ساعدها في حمل الكميات الهائلة من الملابس والعلــب إلــى الأسفل، وأوصلا أربع نقلات من أشيائها في سيارتيهما. ثم ســاعدها في حملها جميعاً إلى غرفة نومها. كان ذلك بمثابة علاج له. فقد تمكّنت من رؤية أن ذلك قد صرف ذهنه. بدا مرهقاً قليلاً.

"هل تعتقد أنها ستعود هذه المرة؟" سألته سارة عن ماري لويز عندما تــوقفا لتــناول الغداء. كانت تتضور جوعاً. كان التوقيت في باريس أكثر بتسع ساعات. لاحظت أنه لم يأكل كثيراً.

قال كنوع من الحقيقة، وهو يلعب بالشطيرة التي أعدتها له: "لا أعتقد ذلــك". كانــت سارة قد تناولت شطائرها في غضون دقيقتين. "اتفقنا سوياً على أن الأمر قد انتهى. كان يجب فعل ذلك قبل سنوات. كنا مجرد عنيدين وجبانــين لأنــنا لــم نقطــع العلاقة، أشعر بالسرور لأننا قطعناها أخيراً. سأعرض المنـــزل للبيع هذا الأسبوع". تعرف أنه يحب منــزله وقد عمل فــيه بجد، لذا شعرت بالأسف عليه لذلك. ولكنهما سيجنيان عائدات جيدة، وهــذه إحدى الأشياء الجيدة على الأقل. قال إن ماري لويز تريد كل فلس تتمكّن من الحصول عليه. سيدفع لها مبلغاً ضخماً لقاء نصيبها من العمل.

سألته سارة باهتمام، "أين ستعيش؟"

"ســأجد شــقة هنا في باسفيك هايتس، قريبة من المكتب. يبدو الأمر أكثــر منطقــية". لــم يكونا قد تمكنا على الإطلاق من وضع مكتبهما في منـــزل بوتريرو هيل لأنه كان بعيداً جداً، لا يتمكّن الزبائن من المجيء إليه. "ربما يجب عليّ الانتقال إلى شقتك القديمة".

"لا تفعــل. ســتكرهها. إنهــا بغيضة جداً". ولكن، مع الأثاث الذي يمتلكه، ستبدو أفضل مما كانت عليه بأثاثها.

"ســأرى بضعة أماكن غداً. هل تريدين المجيء معي؟" بدا وحيداً، لا يعــرف ما الذي يفعله بنفسه، وهذا كان طبيعياً. لم تكن ماري لويز تقضي الكثيــر من الوقت معه، ولكن الأمر مختلف الآن، فهو يعرف أنها رحلت

للأبـد. مهمـا كانت العلاقة صعبة، إلاّ أنها تركت فراغاً، ولم يعرف بعد كـيف يملؤه. كانت أشبه بورم شُفي في أحد الأضلاع. يؤلم أحياناً، ولكن الحياة من دونه أفضل.

"أحب رؤية الشقق معك. لن تشتري منـزلاً آخر؟"

"لـيس الآن. أريد تسوية الأمور أولاً، أبيع المنـزل القديم، وأرى ما أحـصل علـيه. ربما أحصل على ما يكفيني لشراء شقة بعد أن أدفع لها نصيبها من العمل. ولكنني لست في عجلة من أمري".

"هـذا تفكير ذكي". وافقته. لقد كان ذكياً، وعملياً، وكريماً مع ماري لويز، وهذه هي طبيعته.

ساعدها في نقل المزيد من الأشياء. قضى وقته معها، ثم طلبا الطعام الـصيني للعشاء، وتركها بعد ذلك. عاد في اليوم التالي ليصطحبها للذهاب لرؤية الشقق.

سـألها عندما جاء ليقلها، "إذاً، كيف كانت ليلتك الأولى؟" كان يبتسم، وبـدا بأفضل حال مما كان عليه في اليوم السابق، على الرغم من أنه كان مـسروراً جـداً لـرؤيتها. لقـد اشتاق لها حقاً عندما سافرت. فقد أصبحا صديقين حميمين في الأشهر الأخيرة.

"كانـت مدهـشة. أحببت سريري الجديد، والحمام رائع جداً. يمكنك وضـع عشرة أشخاص في حوض الاستحمام". شعرت طوال الليل وكأنها فـي منـزلها حقاً. أحست بذلك منذ المرة الأولى التي رأت فيها المنـزل. والآن، أصبح حقيقة. لقد تحقق حلمها في النهاية.

عثـروا على شقة له عصر ذلك اليوم. كانت صغيرة ومندمجة. لم تكن مثيـرة، ولكـنها نظـيفة وبحالة جيدة، وتبعد بناءً واحداً عن مكتبه. كان فيها أصيصٌ صغير أيضاً. وتبعد أربعة أبنية عن منـزلها في شارع سكوت. كان الموقـع ممـتازاً، كما كانت الشقة تضمُ موقداً. قال لسارة بأن العيش في شقة سيكون أمراً غريباً بالنسبة له، بعد قضاء عدة سنوات في منـزل.

بعـد ذلـك، أعاد سارة إلى منـزلها، كان يتوجب عليه العودة إلى منـزله، والبدء بحزم الأشياء. اتصل بها فيما بعد تلك الليلة.

سألته بلطف، "كيف حالك، جيف؟"

"أنا بخير. إنه من المثير للكآبة حزم كل تلك الأمتعة. سأبيع ما أقدر علـيه مع المنـزل، ولكنني أعتقد أنني في النهاية سأضع الكثير منها في المخـزن". كانت الشقة التي استأجرها صغيرة، ولكنها تحتوي على كل ما يـريده الآن. في النهاية، قال إنه سيشتري منـزلاً آخر، ولكن ليس الآن. من المبكر فعل ذلك. كان ذلك شعوراً قديماً بالنسبة لها هي أيضاً الآن. لم تكـن تعلـم موضـع علاقتهما الآن بالتحديد بعد الكلام اللطيف بين الحين والآخر خلال الأشهر الخمسة الأخيرة، واللحظات التي اقتربت من الشغف عندما قبّلها في بعض المناسبات، وكذلك الأمر بالنسبة له. أصبحا صديقين خلال الأشهر الخمسة، وأصبح الآن حراً فجأة. كانا يتحركان ببطء، وبحذر شـديد. لـم تكـن ترغب بإفساد صداقتهما بعلاقة ربما لا تدوم، أو تهديم الصداقة السهلة التي يشتركان بها.

لـم تتلقَ منه اتصالاً حتى يوم الثلاثاء عندما اتصل بها في المكتب. قال إن لديه موعداً في الجوار، ودعاها إلى الغداء. قابلته في بيغ فور عند الـساعة الواحدة. كان يرتدي سترة فضفاضة وبنطالاً فضفاضاً وبدا وسيماً جداً. كانت تضع مشبك المنـزل الذي أهداها إياه على صدر سترتها.

"أردت طـرح سـؤال عليك". طلب منها بحذر، في منتصف وجبة الغداء. كان ذلك هو الهدف الرئيسي للدعوة. لم تكن قد شكت بشيء.

لم تفهم السؤال، "ما رأيك بالمواعدة؟"

"علـى نحو عام، أو خاص، أو كعادة اجتماعية؟ لست واثقةً في هذه الأثـناء أنني أتذكر طريقة قيامك بها". لم تكن قد واعدت أحداً لمدة أربعة أشـهر، منذ أن قطعت علاقتها بفيل، أو مع أي شخص آخر لأربع سنوات قبل ذلك. "لقد أصبحت صدئةً نوعاً ما".

"أنا أيضاً. أعني على نحو خاص، كما هو الحال بيننا".

"بيننا؟ الآن؟"

"حـــسناً، إذاً. إن أردت اعتبار هذا موعداً غرامياً. فبإمكانك القول إن هذا هو الموعد الأول. ولكنني أعتقد أنه يجب أن يكون دعوة على العشاء وذهابـــاً للـــسينما وتقبـــيلاً، تعـــرفين... جمـــيع تلك الأمور التي يقوم بها الأشـــخاص أثناء المواعدة". ابتسمت له. بدا متوتراً. مدّت يدها، وأمسكت بيده.

"في الواقع، أحب ذلك الجزء المتعلق بالتقبيل. ولكن لا بأس بالعشاء والسينما أيضاً".

قـــال، وقد بدا مرتاحاً: "جيد، إذاً هل نعتبر هذا هو موعدنا الأول، أو مجرد جولة تدريبية؟"

"كلاهما. ما رأيك؟"

"تـــدريب، علـــى ما أعتقد. أعتقد أنه يتوجب علينا البدء بالعشاء. ما رأيك غداً؟"

قالت مبتسمة له: "يبدو جيداً، هل لديك خطط لليوم؟"

"لا أريد أن أستعجل الأمر، أو أظهر بأنني متلهف جداً".

"أنت تفعل الأمر على نحو جيد".

"أنـــا مـــسرور لسماع ذلك. لم أفعل في الحقيقة شيئاً كهذا منذ أربع عـــشرة ســـنة. عند التفكير بذلك، أرى أن الوقت قد حان ". ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، وعندما غادرا المطعم، كانا يمسكان بيدي بعضهما الـــبعض. مشى معها إلى مكتبها، ثم عاد ليقلها عند الثامنة مساءً. ذهبا إلى مطعم إيطالي صغير في شارع فيلمور الذي كان يبعد عن منـــزلها مسافة يمكن قطعها سيراً على الأقدام. وسيكون إلى جواره أيضاً، عندما ينتقل بعد وقتٍ قريب.

عـــندما مشى معها إلى منـــزلها، توقف خارج الباب الأمامي وقبّلها. "أعتقد أن هذا يجعل موعدنا الأول رسمياً. ألا تتفقين معي؟"

همست، "طبعاً". وقبلها ثانيةً. فتحت قفل الباب الأمامي، وقبلّها للمرة الأخيرة، ثم ركب سيارته وذهب إلى منـــزله، مبتسماً لنفسه. كان يفكر بأن ماري لويز قد قدمت له أكبر معروف في العالم عندما عادت إلى باريس.

بينما كانت سارة تصعد الأدراج ببطء إلى غرفة نومها الجديدة، كانت تفكـــر بكلمات بيير ثانيةً. *ابحثي عن الرجل الجيد. تستحقينه*. علمت دون شك، أنها فعلت ذلك للتو.

الفصل التاسع عشر

أقامت سارة أول حفلة عشاء في منزل شارع سكوت في أول عطلة نهاية أسبوع لها فيه بعد انتقالها إليه. جهّزت الطاولة في مطبخها، ودعت ميمي وجورج، ووالدتها وجيف. كانت ستقدمه على أنه المهندس الذي يساعدها في المنزل، وهذا يشرح سبب وجوده هناك، دون الحاجة إلى إخبار عائلتها بأنهما يتواعدان. فالأمر لا يزال جديداً بالكامل، وليست مستعدة بعد لمشاركتهم هذه المعلومة. وهذه طريقة سهلة للتعرف عليه. أخبرها على الهاتف في اليوم السابق أنه متوتر. فعبّرت له عن اعتقادها بأن والدتها ستكون جيدة، وبأن جدتها جديرة بالتقدير، وبأن جورج شخص لطيف. وطمأنه ذلك نوعاً ما، فلقد كان هذا أمراً هاماً بالنسبة له، ولا يريد إفساده.

كانا قد التقيا ثلاث مرات في ذلك الأسبوع. زارها في إحدى الليالي مع الكاري الهندي (الحرّ له، والمعتدل لها)، في ذلك الوقت كانت قد بدأت بطلي غرفة ملابسها. عند وصوله، كان شعرها منقطاً بالدهان الوردي، وعلّمها ضاحكاً كيفية القيام بذلك، ثم انتهى به الحال وهو يساعدها. نسيا تناول الطعام إلى ما بعد منتصف الليل، ولكنّ غرفة ملابسها بدت رائعة عندما استيقظت سارة في الصباح التالي، وأسرعت لتفقد اللون. لقد بدا اللون الوردي الجاف، تماماً كما أرادته، بخطوط لطيفة، ونظيفة، وملساء.

زارها جيف في اليوم التالي أيضاً، وقامت سارة بإعداد العشاء. انتهى بهما الحال وهما يتحدثان عن كل شيء بدءاً من الأفلام الأجنبية، مروراً بالديكور والسياسة، فلم ينجز أي منهما أي عمل، ولكنهما استمتعا بوقتهما. أما يوم الجمعة، فترافقا إلى العشاء والسينما، "لتعزيز حالة المواعدة بينهما"، كما وصف ذلك. تناولا وجبة فرنسية جيدة في مطعم صغير في شارع كليمين، ثم ذهبا لمشاهدة فيلم تشويق جيد استمتعا به سوياً. لم يكن فيلماً جاداً، ولكنهما قضيا وقتاً ممتعاً سوياً، وعندما أوصلها إلى المنزل، قبّلها مجدداً ولوقت طويل. لا تزال علاقتهما تتقدم ببطء، رغم أنهما يلتقيان ببعضهما كثيراً. أمضى معها يوم السبت، يعمل في الدهان من جديد، وساعدها في تحضير طاولة العشاء لحفلتها الأولى. أعدت فخذ حَمَل مع بطاطا مهروسة وسلطة مخلوطة ذات قطعٍ كبيرة. وكان قد أحضر معه التشيزكيك وبعض الحلويات الفرنسية. بدت الطاولة رائعة عندما وضعت إناء الزهور فوقها. وبدا المطبخ جميلاً جداً وكل شيء في مكانه. انتظرت بفارغ الصبر مجيء ميمي ووالدتها. أرادت إخبارهما عن كل شيء سمعته عن ليلي في فرنسا، وعن لقائها بجدة بيير، بعد أن جمعهما القدر معاً.

كانت ميمي وجورج أول الحاضرين. بدت ميمي سعيدة وجميلة كحالها دائماً، وأبدت سرورها للالتقاء بجيف ولعمله الجيد في مساعدة حفيدتها في المنزل. ذهبوا مباشرة إلى المطبخ، فلم يكن هناك مكان جاهز ليجلسوا فيه في تلك الأثناء، باستثناء سرير سارة. وحال رؤيتها المطبخ الجديد والجميل، في مكان تواجد حجرات تخزين الأطعمة القديمة، صفقت ميمي بيديها.

"أوه، يا الله! كم هو جميل! لم أرَ مطبخاً بهذا الحجم في حياتي!" كان المنظر المطل على الحديقة رائعاً ويبعث على الطمأنينة. كان ترتيب النضد والأجهزة الكهربائية ذكياً، وكان الغرانيت الأبيض متلألئاً، وكذلك لوح الخشب الخاص بالفرم، والطاولة الكبيرة المدورة في المنتصف. أعجبت ميمي بكل شيء رأته. "أتذكر المطبخ القديم عندما كنتُ طفلة. لقد كان دائماً

مكاناً مظلماً وكئيباً، ولطالما كان الأشخاص الذين يعملون هناك لطفاء جداً معي. كنت أهرب من مربيتي، وأختبئ هناك، حيث كانوا يقدمون لي كل أنواع الحلوى التي بإمكاني تناولها". ضحكت على تلك الذكرى، ولم تبدُ منزعجة لتواجدها في المنزل. بل على العكس، بدت سعيدة. اصطحبت جيف في جولة، ودست يدها في ذراعه، وشاطرته ذكرياتها العديدة وتاريخها. كانا ما يزالان في الطوابق العلوية عندما رنت والدتها الجرس ففتحت لها سارة. كانت أودري تلهث، واعتذرت عن التأخر.

"لستِ متأخرة، أمي. لقد وصلت ميمي للتو. إنها ترافق المهندس في جولة، أما جورج فهو معي في المطبخ". أخذت معطف والدتها وعلّقته في خزانة الرواق الغائرة، والتي كانت تقريباً بحجم غرفة نومها في شقتها القديمة. كان آل دو بومون يستخدمونها لوضع العباءات ومعاطف الفرو الخاصة بضيوفهم عندما يقيمون الحفلات في غرفة الرقص. كانت سارة قد قالت لجيف إن بإمكانها استخدامها كمكتب، على الرغم من أن لديها العديد من الغرف الأخرى لذلك، وستستخدم المكتبة في الجناح الرئيسي لذلك الغرض.

"هل دعيت المهندس للعشاء الليلة؟" بدت أودري مندهشة، في تلك الأثناء أخبرتها سارة أن شعرها جميل حقاً. كانت تصففه على نحو مختلف هذه الأيام، بتسريحات متنوعة والتي تظهر جمالها حقاً، كما أثنت سارة على الأقراط الجديدة التي تضعها أمها والمصنوعة من اللؤلؤ والتي بدت جميلة جداً.

"اعتقدتُ أنك ستحبين الالتقاء به". قالت سارة، مشيرة إلى جيف، ثم خفّضت صوتها على نحو تآمري. "شعرت حقاً أنه يتوجب عليّ دعوته. لقد فعل الكثير من أجلي، لقد جلب لي الكثير من الأشياء بسعر الجملة، وقد أنجز عملاً جميلاً في المنزل". أومأت والدتها كردّ على ذلك، ولحقت بسارة إلى المطبخ، والتي بدت مشوشة الذهن نوعاً ما. ابتسمت أودري

عندما رأت جورج، جالساً إلى الطاولة، يرشف كأساً من الشراب الفرنسي الأبيض، ويستمتع بمنظر الحديقة.

قالت أودري بسرور: "مرحباً، جورج، كيف حالك؟"

أجاب جورج بفخر، "رائع. لقد عدنا للتو من بالم سبرنغ. تحولت والدتك إلى لاعبة غولف نوعاً ما". قالت أودري، عندما سلمتها سارة كأس الشراب: "أنا أيضاً كنت أحضر بعض الدروس". فنظرت إليها سارة متفاجئة.

"متى بدأت ذلك؟"

قالت أودري: "في الواقع، قبل بضعة أسابيع". وابتسمت لابنتها. وعندما عاد جيف وميمي إلى الغرفة، كانت سارة تُفكّر بأنها لم تشاهد والدتها على هذا النحو الجيد من قبل.

تعانقت أودري ووالدتها، ولم تتمكّن ميمي من التوقف عن التحدث عن روعة الحالة التي بدا عليها المنزل. لا يزال يحتاج إلى طبقة من الدهان بالطبع، ولكن كل المصابيح الكهربائية الجديدة والثريات المجددة جعلت المنزل متوهجاً الآن. كانت الألواح الخشبية تلمع، والحمامات نظيفة وبحالة جيدة. حتى من دون الأثاث، بدا المنزل مثل الموطن الحقيقي. أحبت ميمي ما فعلته سارة في غرفة نومها. كان جيف قد وضّح لها كل التفاصيل الجديدة، بينما كانت ميمي تخبره قصصاً عن طفولتها، وتشير إلى الأماكن الضيقة والزوايا في غرف الأطفال. أصبحا صديقين خلال جولتهما القصيرة.

أشعلت سارة الشموع على الطاولة، عندما جلسوا لتناول العشاء بعد ذلك بوقت قصير. قالت ميمي إن فخذ الحَمل رائع. وكانت هي وجورج يمتعانهم بقصص عن نشاطاتهما في بالم سبرنغ. أصغى جيف جيداً للجميع، كان يجلس بين سارة وميمي، وبدا أنه يستمتع بكل شيء يقولونه. سألته أودري عن عمله، وشرح لها شغفه بالمنازل القديمة. اعتقد الجميع

أنه جذاب جداً، على الرغم من أن أودري تذكرت قول سارة إنه يعيش مع امرأة، لذا كان من الواضح أن علاقتهما علاقة عمل وليست علاقة رومانسية. ومع ذلك، بدا أنهما صديقان حميمان جداً.

"ماذا كنت تفعلين أمي؟" سألت سارة وهي تضع أطباق الوجبة الرئيسية في غسالة الأطباق، ويساعدها جيف في تحضير الحلوى لختم الوجبة بها. بدا فعالاً جداً في المطبخ، علّقت ميمي على ذلك، وذكرتها سارة أنه هو الذي صممه.

مزحت ميمي، "مهندس يقدم كافة الخدمات حتى أنه ينظف الأطباق".

قالت أودري كجواب على سؤال ابنتها: "قضيت وقتاً رائعاً في نيويورك، كانت المسرحيات التي شاهدناها رائعة، والطقس جميلاً. كانت رحلة مثالية تماماً. كيف كانت فرنسا؟" سألتها باهتمام.

أثناء تناول الحلوى، أخبرت سارة الجميع عما سمعته من بيير بيتيت وجدّته، عندما زارت قصر دي ميليار في دوردو. شعرت ببعض الاستياء قليلاً عند تحدثها بصراحة شديدة عن ليلي أمام جدتها، بحضور الآخرين، ولم تكن واثقة ما إذا كان ذلك مُحرجاً لها. أخبرتهم عن الصور التي بكت ليلي عليها وعن الرسائل التي كانت تعود إليها والتي احتفظت بها. انهمرت الدموع على وجنتي ميمي وهي تصغي السمع، ولكنها لم تبدُ دموع الحزن أكثر من كونها دموع الراحة.

"لم أتمكّن على الإطلاق من فهم سبب عدم محاولتها الاتصال بنا. أشعر بأنني أفضل الآن لدى معرفتي بأنها حاولت. لا بد أن والدي كان هو من يعيد الرسائل". جلست ميمي بهدوء للحظة، تستوعب كل ما قالته سارة. كانت قد استمعت إلى كل كلمة بعناية، وأومأت عدة مرات، وطرحت عدداً من الأسئلة، وانهمرت الدموع من عينيها أكثر من مرة. ولكنها أخبرت سارة فيما بعد بأنها تشعر بارتياح كبير لمعرفتها ما الذي حدث لوالدتها التي أحبتها بعمق شديد، والتي كانت محبوبة جداً، ولمعرفتها أن سنوات

حياتها الأخيرة كانت سعيدة. كان ذلك قولاً متسامحاً إلى حدٍّ نموذجي، بالنظر إلى كل ما فقدته. لقد ترعرعت من دون أم، لأن ليلي هربت مع الماركيز. راود ميمي شعور غريب أحمق عند معرفتها أن والدتها قد عاشت حتى بلغت هي نفسها الواحدة والعشرين من عمرها، ولم ترها على الإطلاق مجدداً منذ كانت في السادسة. قضت وقتاً مؤلماً في حياتها، وقالت إنها ربما تقوم هي وجورج بزيارة قصر دي ميليار يوماً ما في رحلة إلى فرنسا. كانت تلك رحلة ما تزال ترغب بالقيام بها، لرؤية مكان دفن والدتها، وتتشرف بالوالدة التي فقدتها منذ كانت طفلة.

كانت أمسية رائعة للجميع، وكرهوا رؤيتها تنتهي. كانوا على وشك مغادرة الطاولة أخيراً، عندما تنحنحت أودري وطرقت على كأسها. اعتقدت سارة أنها على وشك أن تتمنّى لها حظاً سعيداً في منزلها الجديد. ابتسمت لوالدتها بترقب، كما فعل الآخرون، وتوقف جيف عن التحدث إلى ميمي. كانا قد استمتعا بمحادثة رائعة مع بعضهما طوال المساء، لا سيما عن المنزل، وحول مواضيع أخرى أيضاً. تمكّنت سارة من رؤية أن ميمي قد سحرت جيف بالكامل.

قالت أودري: "لديّ شيء أقوله للجميع". ونقّلت عينيها بين والدتها وابنتها، ثم إلى جورج. بعدها، نظرت إلى جيف بإيماءة قصيرة. لم تكن قد توقعت من سارة أن تضمه في هذه الأمسية، ولكنها لم ترغب بالانتظار أيضاً. فقد قرّرا في نيويورك. "سأتزوج". قالت بنفَس واحد عندما حدّق الجميع بها. اتسعت عينا سارة، وابتسمت ميمي لها، فهي على عكس حفيدتها، لم تكن متفاجئة.

"حقاً؟ ممن؟" لم تتمكّن سارة من تصديق ما تسمع. حتى أنها لم تكن تعلم أن والدتها تواعد أحدهم، بغض النظر عن التخطيط للزواج.

"إنه خطؤكِ". ابتسمت لسارة، التي لا تزال تبدو مرتبكة. "أنتِ عرّفتني عليه. سأتزوج توم هاريسون، وأنتقل إلى سانت لويس". بدت أشبه

بمن يلتمس المعذرة تجاه والدتها وابنتها. "أكره مغادرتكما، ولكنه أروع رجل قابلته في حياتي". ضحكت عندها على نفسها والدموع تملأ عينيها. "وإن أفسدت الأمر، ربما لن أحظى بفرصة أخرى، أكره مغادرة سان فرانسيسكو، ولكنه ليس مستعداً بعد للتقاعد، ولا يبدو أنه سيفعل ذلك في الوقت الحالي. ربما عندما يفعل، يصبح بإمكاننا الانتقال إلى هنا. ولكن، في هذه الأثناء، سأعيش في سانت لويس". نظرت إلى سارة بحنان، ثم إلى والدتها، بينما كان الجميع يحاولون استعاب ما قالته. نهض جيف، وذهب لعناقها، ولتهنئتها. كان أول من فعل ذلك.

قالت متأثرة: "شكراً لك، جيف". ثم انحنى جيف قربها، وقبّل وجنتها.

ثم قال جورج: "أحسنت، متى حفل الزفاف؟" لم يكن هناك شيء يحبه أكثر من الرقص والحفلات، وضحك الجميع عندما قال ذلك.

"قريباً، على ما أعتقد. لا يعتقد توم أنه يتوجب علينا الانتظار. سنقوم برحلة هذا الصيف، ويعتقد أنها ربما تكون شهر العسل أيضاً. يريد الذهاب إلى أوروبا. تقدم للزواج مني في نيويورك، ونعتقد أننا سنتزوج في أواخر حزيران. أعلم أن هذا أمر مبتذل، ولكنني أحب أن أكون عروس شهر حزيران". تورّدت خجلاً وهي تقول ذلك، فابتسمت سارة. كانت سعيدة بشأن أمها، لم تكن لدى سارة أية فكرة بأن تعريفها عليه قد ينتهي بمثل هذا النجاح الكبير. كانت تأمل أن يكونا صديقين وحسب، أن يتواعدا في المناسبات. كان هذا أشبه بتحقيق نجاح كبير في لاس فيغاس.

سألت سارة باهتمام، "هل كنت معه في نيويورك؟"

قالت أودري: "نعم". وابتسمت بفرح للجميع. لم تشعر بمثل هذه السعادة من قبل طوال حياتها. كانت سارة على حقّ عندما عرفتهما على بعضهما، إنه رجل مذهل.

في طريق عودتها من نيويورك، توقفت أودري في سانت لويس والتقت بأولاد توم. كانوا رائعين جميعاً ومرحبين بها، وقضت وقتاً لا بأس

به مع ديبي وممرضاتها. قرأت لها بعض القصص التي اعتادت أن تقرأها لسارة عندما كانت صغيرة. كان توم يشاهدهما من مدخل غرفة ديبي والدموع تتلألأ في عينيه. كانت أودري مستعدة حقاً للتعامل مع الممرضات ورعاية ديبي، كما كانت زوجته الراحلة تفعل. أرادت فعل كل شيء بإمكانها القيام به لمساعدته. وبعدما نظرت حول طاولة عشاء سارة بعينين واهنتين. "أشعر بالذنب الشديد لتركي لكما أنتما الاثنتان". نظرت إلى سارة ووالدتها. "إلاّ أنني لا أريد تفويت الفرصة... فهو يجعلني سعيدة جداً". عندئذ نهضت سارة، وطوقت أمها بذراعيها، ثم فعلت ميمي الشيء عينه. ذرفت النساء الثلاث دموع الفرح، بينما تبادل جيف وجورج الابتسامات. كان جيف محرجاً بعض الشيء للاشتراك بهذا، ولكن بدا أن الرجلين متأثران.

أعلن جورج، "يا لها من مناسبة رائعة!" في الوقت الذي ذهبت فيه سارة إلى الثلاجة لتبحث عن زجاجة من الشراب كانت قد أحضرتها معها من شقتها. وجدتها، وساعدها جيف بنزع الفلين عن الزجاجة. وشرب الجميع نخب العروس.

قال جيف بلطف: "بالرفاه والبنين". عالماً بأنه من المفترض تقديم التهاني للعريس وليس للعروس.

شربوا جميعاً نخب أودري، وتوم الغائب، ثم أدركت سارة فجأة أن أمامهما حفل زفاف يجب التخطيط له. "أين ستقيمان العرس، أمي؟"

قالت أودري، فيما كانت تضع كأسها على الطاولة: "يا الله، تعلمون ليس لديّ فكرة عن الأمر. لم نتحدث أنا وتوم عن ذلك بعد. ربما هنا، بالطبع. سيأتي أولاده، باستثناء ديبي. نريد زفافاً عائلياً يحضره بعض الأصدقاء المقربين فقط". في حالة أودري، يعني ذلك عدداً هائلاً من النساء اللواتي كانت تمضي أوقاتها معهن خلال العشرين سنة الماضية. "تريد ابنة توم إقامة حفلة لنا في سانت لويس. ولكن لا أعتقد أننا نريد حفلاً كبيراً

هنا". لم تكن لديها مجموعة واسعة من الأصدقاء، ولم يكن توم يعرف أحداً في سان فرانسيسكو.

قالت سارة، مبتسمة لوالدتها: "لديّ فكرة، سيكون منزلي قد طُلي بالكامل بحلول ذلك الوقت". كان حفل الزواج بعد شهرين تقريباً. "لنُقم الحفل هنا. يمكنك مساعدتي في تحضيره، أمي. يمكننا استئجار بعض الأثاث، وربما بعد الأشجار. يمكننا إقامة حفل كوكتيل في الحديقة، وإقامة المراسم في غرفة الجلوس... سيكون الأمر لطيفاً جداً. كما أنه منزل العائلة. ما رأيك؟"

نظرت إليها أودري وابتسمت. "أحب ذلك. توم ليس متديناً كثيراً، وأعتقد أنه سيكون مرتاحاً هنا أكثر من دار العبادة. سأسأله، ولكن أعتقد أن الأمر سيكون رائعاً. ما رأيك، أمي؟" التفتت إلى ميمي، عندها ابتسمت والدتها لها على نحو مليء بالحب.

قالت ميمي وهي تبتسم وتشعر بالسعادة: "أشعر بالسرور لأجلك، أودري. أعتقد أنه من الرائع إقامة الحفل هنا، إن تمكّنت سارة من ذلك. سيعني هذا الكثير لي". كان ذلك خبراً رائعاً للجميع. قالت أودري إنها ستتصل بمتعهد لتقديم الطعام وببعض الموسيقيين. وبإمكان بائع الزهور تدبر أمر الزهور. كل ما يتوجب على سارة فعله هو أن تتواجد هنا. كما أنها ستطلب هي وتوم بطاقات الدعوة. لم تتمكّن سارة من تصديق أن الأمر سيحدث. ستتزوج والدتها وتنتقل إلى سانت لويس.

قالت سارة بكآبة عندما كانت تمشي وأمها إلى الباب بعد فترة قصيرة: "سأشتاق إليكِ، أمي". أمامهما ملايين التفاصيل لتخططا لها الآن، وكانت أودري تدمدم من كثرة السرور، ومعظم كلامها عن العريس، وهذا ما يجب أن يكون الحال عليه. "أخبرتني أنه يتوجب عليّ تأجير المنزل لإقامة حفلات الزفاف حال الانتهاء منه". قالت سارة، ضاحكة وهي تفكر بالأمر. "لم أدرك أن أول زفاف سيكون زفافك".

"كما أنني شخصياً ما كنت أتوقع ذلك". وضعت أودري ذراعها حول ابنتها وعانقتها. قالت والدتها، وهي تقصد ما تقوله: "يمكنك اعتباري مثالاً لك، آمل أن تقيمي في يوم من الأيام حفل زفاف لك. بالمناسبة، أحببت مهندسك. إنه إنسان رائع، من المؤسف جداً أنّ لديه صديقة. كم هي جدية العلاقة؟" كانت أودري كما هو حالها دائماً تحاول الجمع بين أي ثنائي تراه مناسباً، ولكن هذه المرة سبقتها سارة. ولكنها لم تكن مستعدة بعد لإخبارها أنها تواعد جيف. أرادت إبقاء الأمر لنفسها لفترة، لكي تستمتع به سراً وهما يكتشفان بعضهما.

قالت سارة بصدق مستخدمة زمن الماضي: "عاشا سوياً لأربع عشرة سنة". ولكن أودري كانت تشعر بالإثارة الشديدة فلم تلاحظ شيئاً.

"هذا سيئ جداً... وأعتقد أنكِ قلت إنهما يمتلكان منزلاً وعملاً مشتركاً. حسناً، هناك فريد، ابن توم في سانت لويس. إنه رائع، وقد طلق للتو. هناك ملايين النساء يلاحقنه. ستلتقين به في حفل الزفاف".

"يبدو وكأنه يتوجب عليّ شق طريقي عبر الحشود لأجده. فضلاً عن ذلك، البعد الجغرافي لا ينفع معي، أمي. أنا شريكة في شركة محاماة هنا".

"سنجد لكِ شخصاً مناسباً". طمأنتها أودري، على الرغم من أن سارة لم تكن قلقة. كانت مرتاحة مع نفسها الآن، وتواعد جيف، حتى ولو كان الأمر ما يزال سراً. لم تكن باليائسة التي تبحث عن رجل. وبالنظر إلى كل شيء تمكّنت من رؤيته، إنها تمتلك شخصاً... شخصاً عظيماً حقاً.

قالت سارة، وهي تقبلها قبلة المساء: "سأتحدث معك قريباً، أمي. أنا مسرورة جداً، لأجلك ولأجل توم". غادرت ميمي وجورج بعد بضع دقائق. كانا رائعين سوياً، وشكلا ثنائياً مدهشاً. مزحت سارة مع ميمي، وهما يغادران، بأن حفل زفافهما هو التالي، فضحكت ميمي لذلك، وأخبرتها بألاّ تكون سخيفة، بينما قهقه جورج. كانا سعيدين بوضعهما، يذهبان إلى الحفلات ويرقصان، يلعبان الغولف، ويذهبان إلى بالم سبرنغ. يملكان كل

ما يريدانه دون الزواج. ولكن توم سيكون رائعاً لأودري، التي ما تزال شابة لكي تحظى برجل. قالت ميمي إنها سعيدة كما هي.

كان المنزل هادئاً على نحو غريب بعد مغادرة الآخرين. مشت سارة عائدة إلى المطبخ، تُفكّر بمقدار غرابة شعورها بمعرفتها أن والدتها ستنتقل. اشتاقت لها منذ الآن. كانتا متفاهمتين بشكل جيد في الأشهر الأخيرة لدرجة أن الأمر سيصبح خسارة حقيقية بالنسبة لسارة، وجعلها ذلك حزينة نوعاً ما، مثل الطفلة التي يهجرها أحدهم. حتى أنها لم تكن ترغب بالتعبير عن ذلك الشعور بالكلمات. فذلك سيجعلها تبدو سخيفة، ولكن ذلك حقيقي.

قالت سارة وهي تعود إلى المطبخ: "حسناً، لقد كانت أمسية رائعة". كان جيف يملأ غسالة الأطباق بانتظار عودتها. قالت، عندما ذهبت لمساعدته: "لم أتوقع ذلك الخبر، ولكنني مسرورة لأجلها".

"هل يناسبك الأمر؟" نظر جيف إليها عن قرب. يعرفها أكثر مما اعتقدت، ويهتم بأمرها كثيراً. "أليس بالرجل اللطيف؟" أحب جيف عائلتها، وشعر فجأة بأنه يريد حماية هذه العائلة، وشعر أن حمايته يجب أن تمتد لتشمل أودري أيضاً، التي لا يعرفها إلاّ منذ فترة وجيزة لا تعود لأبعد من هذا المساء.

"توم؟ رجل رائع. عرّفتها عليه بنفسي. إنه واحد من ورثة أملاك ستانلي بيرلمان وهذا المنزل. لكن، لم تكن لديّ فكرة أنها ستتزوجه. علمت أنهما تناولا العشاء سوياً عندما كان هنا، وبأنه يبعث لها برسائل إلكترونية. لم تقل لي أية كلمة عنه منذ ذلك الحين. ولكنني أعتقد أنها ستكون سعيدة حقاً معه، وحالما يتجاوز المرء طبعها الحيني الواخز ولسانها الحاد، فإن والدتي إنسانة جيدة حقاً". كانت تحترمها وتحبها، بالرغم من أنها كانت تُصعّب عليها الحياة في بعض الأحيان على مدار سنوات عمرها. ولكنّ تلك الأيام أصبحت خلفهما. والآن، وبعد أن أصبحتا

أكثر قرباً من بعضهما مما كانتا عليه في أي وقتٍ مضى فإنها ستغادر. جعل ذلك سارة حزينة. "سأشتاق إليها، أشعر وكأنه قد تمّ وضعي في مخيم". ابتسم لها وتوقف عن ملء الغسالة بما يكفي لإعطائها قبلة طويلة على شفتيها.

"ستكونين بخير. يمكنك زيارتها متى شئت. وأنا واثق من أنها ستعود لرؤيتك ورؤية ميمي كثيراً. هي أيضاً ستفتقدكما. وبالمناسبة، لديّ شيء أود الاعتراف به".

"ما هو؟" كانت لديه طريقة لطيفة في طمأنتها، وأحبت ذلك كثيراً. كان هناك شيء ثابت ومريح فيه. لم يكن يمنحها شعوراً بأنه على وشك هجرها. كان واحداً من الرجال الذين يلتزمون ويبقون، تماماً كما فعل مع ماري لويز حتى رحيلها. لديه ماضٍ جيد في ذلك.

"اعترافي هو أنني ربما أواعدك، ولكنني وقعت في غرام ميمي. أريد أن أهرب معها وأتزوجها، حتى ولو اضطررت للتقاتل مع جورج بسببها. إنها ألطف، وأرق، وأمرح إنسانة رأيتها في حياتي، بعدكِ طبعاً. أردت إعلامك فقط أنني أخطط لطلب يدها في المستقبل القريب. آمل أن يناسبك ذلك". ضحكت سارة لما قاله جيف، وشعرت بالسرور لأنه أحبها. لم يكن من الممكن مقاومة حب ميمي إطلاقاً، لقد قصد كل كلمة قالها.

ابتسمت سارة بسرور، "أليست رائعة؟ إنها ألطف جدة في العالم. لم أسمعها في حياتها تقول كلمة سيئة بحقّ أحد، تحب كل من تلتقي بهم، وتنشر المرح في كل مكان تذهب إليه. يشعر الجميع بالجنون حولها، ودائماً يقضون معها وقتاً رائعاً. تمتلك أفضل سلوك عرفته في حياتي".

قال جيف وهو يشغّل الغسالة: "أوافقك تماماً". ثم التفت نحو سارة. "إذاً لا تمانعين زواجي بها؟"

"على الإطلاق، وأنا سأقيم الحفل. أوه، هذا يجعلك زوج جدتي، أليس كذلك؟ هل يتوجب عليّ أن أناديك باسم جدي؟" أجفل عندما قالت ذلك.

"ربما جدي جيف يكون أكثر لطفاً. ما رأيك؟" ثم ابتسم لها ابتسامة عريضة. "أعتقد أن هذا يجعلني عجوزاً سيئاً حقاً ليواعدك الآن". كان أكبر منها بست سنوات فقط. وفيما كان يقول ذلك، طوقها بذراعيه وقبّلها. لقد شعر بالسرور لكونه أحد الحاضرين في العشاء العائلي، ولمشاركتهم الخبر المثير. لم يتوقع أحد منهم وجوده، ولكنه أضاف جمالاً خاصة على العشاء بالنسبة للجميع، حتى بالنسبة لجورج وميمي التي سرّت لأن ابنتها تريد أن تقيم حفل زفافها في المنزل الذي ولدت هي فيه. لقد اكتملت الدائرة.

عرضت سارة على جيف كأساً أخرى من الشراب الفرنسي. لم يكن هناك مكان يجلسان فيه بعد. كل ما لديها هو طاولة المطبخ والكراسي، وسريرها في الأعلى. أمضيا ما تبقى من الوقت وهما يعملان في المنزل، ولم يمانعا الجلوس على الأرض. ولكن في مناسبة خاصة كهذه، كانت الخيارات محدودة. ولم تشعر بأنها تعرفه جيداً بعد، في سياق المواعدة، لتدعوه إلى التمدّد على سريرها ومشاهدة التلفاز في الأعلى. حتى أنها لا تمتلك كرسياً في غرفتها، على الرغم من أنها طلبت أريكة صغيرة وردية اللون، وموعد وصولها بعد أشهر.

قال إنه شرب ما يكفي، وجلسا في المطبخ يتحدثان لوقت طويل. كان يدرك أن هذا الخرق الاجتماعي سببه نقص الأثاث. يعلم ظروفها جيداً. وأخيراً، تثاءبت، فابتسم.

قال جيف: "سأذهب، يبدو أنك بحاجة للذهاب إلى السرير". نهض جيف، وأوصلته سارة ببطء إلى الباب الأمامي. كانت أمسية رائعة للجميع.

قبّلها أمام الباب الأمامي تماماً، ثم بدا مرتبكاً للحظة. "ما تاريخ اليوم، بالمناسبة؟"

"لا أعلم". تمتمت وهو يقبّلها مجدداً. كان يعد شيئاً ما، ولم تكن واثقة لماذا يسأل. أحبت الطريقة التي يبدو بها سخيفاً أحياناً، فذلك يجعلها ذلك تشعر بالشباب.

"حسناً، إن كان الغداء هو أول موعد رسمي بيننا... هل اتفقنا على ذلك؟.."، قال، وقبّلها أكثر. "بعدها ذهبنا لتناول العشاء ثلاث مرات... اثنتان هنا، واحدة في الخارج... وهذا يجعلها أربع مرات... والليلة هي الخامسة... إذاً هذا هو موعدنا الخامس، على ما أعتقد..".

"ما الذي تتحدث عنه؟" ضحكت عليه. "تتصرف بحماقة كاملة. ما الاختلاف الذي نجنيه من هذا التاريخ؟" احتارت لعدم فهمها الفكرة التي يحاول إيضاحها، بينما هما لا يتوقفان عن تقبيل بعضهما. مهما كان اليوم، فإنه لطيف جداً، وأحبته كثيراً، وتقبّله أيضاً. لم تتمكّن من إبعاد نفسها عنه لما يكفي للسماح له بالمغادرة، وبدا أنه يعاني من المشكلة نفسها.

قال بصوت أجش كثيراً، ومليء بالعاطفة: "كنت أحاول معرفة وحسب، ما إن كان الموعد الخامس موعداً مبكراً جداً لكي أطلب منك قضاء الليلة معك... ما رأيك؟"

قهقهت. أحبت الفكرة، فقد كانت تتساءل عن الشيء نفسه. "اعتقدت أنك خطيب ميمي... تعلم، يا جدي جيف".

"هاه... هذا صحيح... الخطبة ليست رسمية بعد... ولا يتوجب علينا إخبارها... هذا إن لم يكن... باستثناء... ما رأيك هل تريدين أن أذهب لبيتي، سارة؟" سألها، وقد بدا جاداً للحظة. لم يكن يريد فعل أي شيء يغضبها، فهو لم يكن مستعجلاً، ولكنه كان يتلهف لقضاء الليلة معها، وكانت تلك هي حالته منذ التقائهما سوياً. "إن كنتِ تريدينني أن أذهب إلى البيت، فسأفعل". تساءل ما إن كان ذلك مبكراً جداً بالنسبة لها. فالأمر لم يكن كذلك بالنسبة له. ومن الواضح، أنه ليس كذلك بالنسبة لها أيضاً. هزت رأسها مجيبة عن سؤاله. إنها بالتأكيد لا تريده أن يذهب إلى منزله، وهي تبتسم بخجل له.

"أريدك أن تبقى... إن المكان غير ملائم هنا بعض الشيء، أليس كذلك؟... فغرفة نومي ليست على بعد بضعة أقدام..". كان يتوجب عليه

صعود مسافة طابقين، بما في ذلك الدرج الرئيسي. إنها بالتأكيد ليست بمسافة قريبة للوصول إلى سريرها.

"هل نتسابق؟" ضحك، وهي تطفئ الأنوار، وتضع السلسلة على الباب الأمامي. بدا أنه سيبقى عندها. "سأحملك على الدرج، ولكن لأكون صادقاً، سأصاب بالشلل حال وصولي إلى غرفة نومك. بسبب إصابات كرة القدم من أيام الكلية... ربما أكون قادراً على حملك إن اضطررت. فلا يكون الأمر صعباً على الجزء الأسفل من الظهر". ابتسمت له وهي تمسك بيده، وهما يصعدان الدرج الرئيسي، ثم مجموعة الأدراج الثانية، ثم صعوداً في مجموعة أخرى إلى غرفة نومها في الطابق الثالث. بدا سريرها وردياً جداً وجميلاً في غرفة النوم الرئيسية، وعكست الأنوار بريقاً لطيفاً في الغرفة.

قالت بلطف وهي تلتفت لتنظر إليه: "أهلاً بك في منزلك". كان يحدّق فيها بعينين مليئتين بالذهول، وهو يحرر شعرها بلطف، فسقط كالشلال على كتفيها. كانت عيناها الزرقاوان الكبيرتان مليئتين بالصدق والأمل.

قال بلطف: "أحبك، سارة، أحببتك منذ المرة الأولى التي شاهدتك فيها هنا... لم أعتقد أنني سأكون محظوظاً بما يكفي لأصل إلى هنا..".

"أنا أيضاً". همست وهو يُقبّلها، ثم رفعها بلطف إلى السرير.

نزعا ثيابهما، ثم ضمّا بعضهما أسفل الغطاء. أطفأت النور الموضوع على جانبها من السرير، وأطفأ النور الموضوع على جانبه من السرير، ثم ضمّا بعضهما بشدة عندما كان الحب يتصاعد بينهما. كانت يداه تبدأان في جعل جسدها يغني وهو يهمس. "سأتذكر دائماً ما حدث في موعدنا الخامس..". مزح معها بكلماته وشفاهه وهي تضحك بلطف.

قالت: "هششش...". ثم ذابت بين يديه في السرير ذي الغطاء الوردي الرئيسي، في الغرفة التي كانت سابقاً غرفة ليلي.

الفصل العشرون

ازدهرت العلاقة العاطفية بين سارة وجيف طوال شهري أيار وحزيران. كان يقضي معظم الليالي معها في منزل شارع سكوت. وكان يذهب إلى منزله فقط في الليلة التي يتوجب عليه فيها إنجاز عمل يحتاج فيه إلى طاولة الرسم. في النهاية، اقترحت عليه، إحضار طاولة، ووضعها في إحدى الغرف الصغيرة الفارغة. فهي تمتلك الكثير منها، ولديها العديد من الغرف، ليجهز في إحداها مكتباً مؤقتاً. أحب الفكرة، ووجد طاولة مستعملة جيدة، أحضرها في إحدى ليالي أيام الجمعة، وسحبها صعوداً على السلالم. بتلك الطريقة، أصبح بإمكانه العمل بينما تستمر هي في دهن عشرات الغرف الصغيرة. كان عمال الدهان ينجزون عملاً رائعاً في الغرف الكبيرة. ومع مرور كل يوم، كان المنزل يبدو أكثر روعة.

اتضح فيما بعد أن جيف طباخ متميز، وكان يُعدّ الفطور لهما كل صباح قبل ذهابهما إلى العمل. أعدّ الفطائر المحلاة، والتوست الفرنسي، والبيض المقلي، والأومليت، والبيض المخفوق، وحتى البيض على طريقة بينيديكت في أيام عطل نهاية الأسبوع، وحذّرته أنه سيتوجب عليه المغادرة إن سبب لها البدانة. كان من الممتع وجوده هناك ليدللها، وكانت تقوم بواجبها تجاهه بمقدار ما يقوم به تجاهها كلما استطاعت. لا يزالان يطلبان الطعام الجاهز في معظم الليالي لأن كلاً منهما كان يعمل لوقت متأخر، ولكنها كانت تطهو له العشاء في الأمسيات الثلاث لعطلة نهاية الأسبوع، باستثناء الأوقات التي يصطحبها فيها لتناول العشاء خارجاً. مضى وقت

طـويل منذ أن نسيا إحصاء عدد المواعيد، ولكنهما اتفقا على أنها كثيرة. كانا يقضيان معظم أوقاتهما سوياً كل يوم منذ إعلان أودري عن زواجها القريب. وكان يقضي كل ليلة تقريباً من ليالي الأسبوع معها. لم ينتقل إلى منزلها بشكل رسمي، ولكنه يقضي وقته باستمرار هناك. لقد أصبحت إحدى غرف الملابس الرئيسية غرفته الآن. كان كل شيء مرضياً لكليهما على نحو جميل.

بحلول أول شهر حزيران، أصبحت تحضيرات زفاف أودري وتوم على قدم وساق. كانت أودري قد اختارت بعض الأثاث لتستأجره للطابق الرئيسي، من أجل غرفة الطعام وغرف الجلوس، وللصالون الرئيسي. كما اختارت أشجاراً مشذبة تتفتح الأزهار الملونة داخلها. وطلبت زهوراً من أجل غرف الاستقبال، وأكاليل من الزهور البيضاء وزهوراً ملونة من أجل الباب الأمامي. وتماماً كما وعدت، اهتمت بكل التفاصيل الممكنة، ودفعت ثمنها بنفسها. سيكون حفل الزفاف صغيراً، ولكنها أرادته أن يكون مثالياً. حتى ولو كان الزفاف الثاني لكل منهما، أرادته يوماً يتذكرانه طوال حياتهما، لا سيما توم. كما طلبت مجموعة من أربعة أشخاص لعزف موسيقى الاستقبال بينما يدخل الحاضرون. أما حفل الزفاف نفسه فسيقام في غرفة المعيشة. لقد فكّرت بكل شيء. الشيء الوحيد المفقود والذي جعلها في ذعر كامل هو أنها لم تجد ثوباً، وكذلك سارة. فقد كانت منشغلة جداً في المكتب، بحيث لم تجد الوقت للذهاب للتسوق منذ إعلان أودري الخبر. أخيراً، أقنعتها والدتها أن تأخذ عصر أحد الأيام إجازة، وذهبتا للتسوق سوياً، وكانت نتائج تسوقها رائعة من نيمان ماركوس.

وجدت أودري ثوباً من الساتان بألوان مختلطة تميل جميعها للأبيض، كانت حواف الثوب، والكمين، والرقبة مشغولة بالخرز. كان الثوب بكمين طويلين، وبدا محتشماً. كما وجدت حذاءً أبيض مثالياً من الساتان مع إبزيم من الماس المقلد يتناسب معه، وحقيبة تنسجم معه. كان توم قد أهداها

زوجاً رائعاً من الأقراط الماسية كهدية حفل الزفاف، كما أن خاتم الخطبة الذي أهداها إياه كان من الماس المصقول بوزن عشرة قراريط والذي سحر عيني سارة عندما رأته. كانت أودري قد قرّرت مسبقاً أنها ستحمل باقة صغيرة من نبات السحلبية الأبيض، وستظهر بشخصية أنيقة جداً.

بحلول الساعة الخامسة من يوم تسوقهما، لم تكن سارة قد وجدت بعد فستاناً لها، وبدأت تصاب بالذعر. أصرّت والدتها على أنه ليس بإمكانها ارتداء ثوبها الأسود القديم ذي الألوان المختلطة الذي ارتدته في حفلة الكرسمس في مكتبها خلال السنتين الماضيتين. فبصفتها وصيفة الشرف، يتوجب عليها ارتداء شيء جديد، ثم وقعت عينا والدتها أخيراً على ثوب جميل على نحو استثنائي من فالنتينو. كان باللون الأزرق اللامع المماثل للون عيني سارة. ثوب من الساتان، دون حمالتي كتفين ومعه سترة صغيرة بإمكانها خلعها بعد انتهاء حفل الزفاف. اقترحت والدتها أن ترتديه مع حذاء مفتوح فضي بكعب عالٍ، والذي بدا مناسباً تماماً. ستجعلها والدتها تحمل باقة أصغر من باقتها من الزهور البيضاء نفسها، كما طلبت واحدة لميمي أيضاً، كي لا تشعر بأنها منَسية. وأحضرت زهور العروة لتوم وأبنائه، وباقة صغيرة من الزهور الملونة لابنته لتضعها على صدر فستانها. واستأجرت أودري مصوراً لتسجيل كل شيء، بصور فوتوغرافية وفيديوية. مهما كان حفل الزفاف صغيراً، فكّرت بكل التفاصيل. شعرت سارة بالراحة لأنها وجدت ثوباً تحبه. لم تكن ترغب بارتداء شيء تعتقد أنه قبيح أو لن تتمكّن من ارتدائه مجدداً. كان الثوب الأزرق الذي اختارته بلون مثالي لعينيها، وبشرتها، وشعرها. كما أنه مثير جداً، ولكنه في الوقت نفسه محتشم مع السترة، وبقصة ظهر منخفضة جداً قالت عنها أودري إنها تبدو مثيرة جداً عليها.

سألتها والدتها بشكل عرضي وهما تغادران محلات نيمان، "بالمناسبة، كيف حالك مع جيف؟ في كل مرة أمرُّ فيها إلى المنزل

لإيصال شيء سواء في المساء أو في أيام عطل نهاية الأسبوع، يكون هناك. لا يمكن أن يكون الأمر متعلقاً بالعمل فقط. ما رأي صديقته بخصوص كل ذلك التكريس الذي يقدمه لمشروع التجديد؟"

قالت سارة بإيجاز: "ليس لها رأي". فيما كانت تواجه صعوبة في حمل أكياسها وهما تتوجهان إلى مرآب ساحة يونيون، حيث أوقفتا سيارتيهما.

"ماذا يعني ذلك؟" لم تكن أودري ترغب أن تتورط ابنتها في موقف آخر تصاب فيه بالأذى، على الرغم من أنها أحبت جيف كثيراً.

قالت سارة ببرود: "لقد انفصلا". لا تزال ترغب بإبقاء أمورها لنفسها، حتى ولو أصبحت مقربة من والدتها كثيراً هذه الأيام، لا سيما مع اقتراب موعد حفل الزفاف. بالنظر إلى أن والدتها ستسافر قريباً، كانت سارة تقضي المزيد من الوقت معها، ولأول مرة منذ سنوات، تستمتع بذلك.

"هذا مثير للاهتمام. هل انفصلا بسببك؟" اعتبرت أودري ذلك إشارة مليئة بالأمل.

"لا. لقد انفصلا قبلنا".

"قبلنا؟" رفعت أودري حاجبها، "هل أصبحتِ وجيف تتحدثان بصيغة المثنى هذه الأيام؟" هذا خبر جديد. كانت قد بدأت تشك بذلك، ولكنها لم تكن واثقة. ولم تقل سارة شيئاً عن ذلك.

"ربما. لا نتحدث عن الأمر". هذا صحيح تماماً. إنهما يستمتعان مع بعضهما وحسب، دون مناقشة أو تسمية لذلك. لقد خرج كلاهما مؤخراً من علاقة طويلة الأمد، لم تكن ناجحة، وهذا ما جعلهما حذرين قليلاً، رغم أنهما سعيدان مع بعضهما. ربما أكثر مما كانت سعيدة مع فيل، وأكثر مما كان سعيداً مع ماري لويز.

سألت أودري، "لماذا لا تتحدثان عن ذلك؟"

"لا حاجة لأن نعرف".

أصرت أودري، "لمَ لا؟ سارة، أنت في التاسعة والثلاثين من العمر. ليس لديك الكثير من السنوات لتضيعيها في علاقة لا توصل إلى شيء". لم تقل ذلك، ولكن كلتاهما تعلمان بأن علاقتها مع فيل لم توصل إلى أية نتيجة طوال الأربع سنوات.

"لا أريدها أن توصلنا إلى شيء، أمي. أحب الحال كما هو. وكذلك هو. إننا لا نخطط للزواج". دائماً تقول ذلك، ولكن أودري تؤمن بأنها إن وجدت الرجل المناسب، فستغيّر رأيها. وربما فعلت هذه المرة. فجيف يبدو لطيفاً، وكفوءاً، وذكياً، وناجحاً، ويمكن الوثوق به. ماذا تريد أكثر من ذلك؟ تثير قلق أودري بسبب ذلك أحياناً. فهي تعتقد أن سارة مفرطة جداً في استقلالها.

"ماذا لديك ضد الزواج؟" سألت أودري عندما وجدتا سيارتيهما وكانتا تبحثان عن المفاتيح في حقيبتيهما.

ترددت سارة للحظة، ثم قرّرت أن تكون صادقة. "أنتِ وأبي. لا أريد أن أصبح كما كنت معه. لا يمكنني فعل ذلك". فهي لا تزال تشاهد كوابيس عن ذلك.

بدت أودري قلقة، وخفَضت صوتها على نحو تآمري. "هل يثمل جيف؟" ضحكت سارة، وهزت رأسها.

"لا، أمي، لا يفعل. أو على الأقل ليس أكثر مما ينبغي. ربما أشرب أنا أكثر منه، علماً أنني لا أشرب كثيراً، أيضاً. الزواج يبدو معقداً جداً بالنسبة لي. كل ما تسمعينه عنه هو الأشخاص الذي يكرهون بعضهم، يطلقون، يدفعون النفقات الزوجية، ثم يكرهون بعضهم أكثر من السابق. من يحتاج إلى ذلك؟ أنا لا أحتاجه. أنا أكثر سعادة على حالي. فحالما تضيفين الزواج إلى الخليط، من وجهة نظري، يفسد الأمر". وأدركت

عـندها مـا الذي تقوله لوالدتها، في اليوم الذي اشترت فيه الفستان الذي ستلبسه فـي حفل زفافها القادم. "أنا آسفة، أمي. توم رجل رائع. وكذلك جيف. ولكن الأمر لا يناسبني. ولا أعتقد بأن جيف مهتم بتلك الفكرة أيضاً. عاش مع شريكته السابقة لأربع عشرة سنة، ولم يتزوجا".

"ربما كانت مثلك. أنتن الشابات مخلوقات غريبات هذه الأيام. ليست هناك واحدة منكن ترغب بالزواج. نحن العجائز نفعل ذلك وحسب".

"أنت لست 'عجوزاً' أمي، لقد بدوت رائعة في ذلك الفستان. سيغمى علـى تـوم عـندما يراك. لا أعلم، ربما أنا جبانة وحسب". كانت الدموع تنهمر من عيني أودري وهي تسمعها.

"أنـا متأسـفة لأنني فعلت أنا ووالدك ذلك بكِ. ولكن معظم الزيجات ليست كذلك".

"ولكنّ الكثير منها كذلك. لا أحب الرهانات غير المضمونة".

"وكذلك أنا. ولكن انظري إليّ الآن. أنتظر بفارغ الصبر القيامَ بذلك". بدت مصابة بالنشوة، وكذلك كانت سارة على نحو مساوٍ لها.

"ربما أفعل ذلك وأنا في عمرك، أمي. لستُ في عجلة من أمري".

بعـثت كلمات سارة الحزن في نفس أودري، وربما أكثر ما أحزنها فـي الأمر اعتقادها أن سارة لن ترزق بأطفال على الإطلاق. ولكنها دائماً تقول إنها لا تريد أطفالاً، وحتى الآن، مع اقترابها من سن اليأس، ما تزال ملتزمة برأيها على نحو مُسلم به. لا أطفال... لا زوج. حتى الآن، كل ما يشغل تفكيرها هو منـزلها الجديد. إنه حبها الوحيد، بالإضافة إلى العمل. إلاّ أن أودري تـشكّ فـي أن سـارة واقعـة بحـب جيف ولكنها لا تريد الاعتراف بذلك. ولا يهم ما قالته لأمها، علمت أودري أنها تحبه. وهذا ما يجعـل الأمر أكثر إخافة عندما تفكر بالالتزام. لم تكن مستعدة، وربما لن تـصبح أبـداً. في الوقت الحالي، كان ذلك يجدي نفعاً مع الاثنين. لم يكن جـيف يـضغط علـيها إطلاقاً... فقط أودري. أرادت الجميع أن يكون

سـعيداً، ويـشعر بالإثارة للحظتها الكبيرة القادمة، اعتقدت أنه يتوجب علـى الجمـيع الـزواج، مـثلها ومثل توم. "لم لا تعملين على ميمي وجورج؟" مزحت سارة.

قالـت أودري مبتـسمة: "لا يحتاجان للزواج وهما في هذا العمر". بالرغم من أنهما رائعان معاً، ولا ينفصلان هذه الأيام.

"ربما لا يتفقان معك. أعتقد أنه يتوجب عليك أن ترمي لها باقة الورد في حفل الزفاف. فإن رميتها إليّ، سأعيد رميها إليك".

قالـت أودري متـنهدة: "فهمت الرسالة". كانت سارة تعرف ما الذي تريده وما الذي لا تريده.

ركـبت كل منهما سيارتها، وقادتا إلى منـزليهما، تشعران بالراحة لأنهمـا وجدتا الفستانين المناسبين للحفل. عندما وصلت سارة، كان جيف يـتحدث مع عمال الدهان. كانوا على وشك الانتهاء. حتى الآن، استغرق الـتجديد سـتة أشهر، وبدا المنـزل رائعاً. لا تزال هناك بعض التفاصيل التـي يجب الاعتناء بها، وسيظل هناك غيرها لمدة طويلة. ولكنّ المنـزل بدا جميلاً ومنظماً تماماً، وبفضل جيف، كل شيء ضمن ميزانيتها. كما أنها أنهـت خزانة الكتب التي كانت تصنعها في غرفة مكتبها، وأصبحت الآن مليـئة بكتب القانون، وكانت هناك مساحة للمزيد أيضاً. كل شيء في هذا المنـزل مثالي. كانت تُفكّر حالياً في البدء بطلب الستائر، لبعض الغرف علـى الأقل. أرادت الانتهاء من المنـزل جزءاً فجزء، وجعله على النحو الذي تريده. في فصل الخريف، تريد البدء بالبحث عن الأثاث في مزادات القطـع الأثـرية. اعتقدت وجيف أنه من الممتع أن يذهبا سوياً. فهو على دراية جيدة بالقطع الأثرية وكان يُعلّمها الكثير.

"كيف كان يومك؟" ابتسم لها جيف وهي تدخل وتضع أشياءها. خلعت حذاءها متنهدة. كانت والدتها تتسوق بمثابرة، وتأخذ الأمر على نحو جدي. كانت منهكة.

"يوم شاق في نيمان. وجدنا ثوبين لحفل الزفاف". علم أنهما كانتا قلقتين حيال ذلك حتى هذا الحين.

"أتحدث أنا وجوي عن لون غرفة الرقص. أعتقد أنها يجب أن تكون بلون البيج الموحي بالدفء. ما رأيك؟" كانا قد اتفقا مسبقاً على أن اللون الأبيض الصارخ سيكون جافاً جداً، وبلحظة تهور، فكّرت سارة باللون الأزرق الفاتح، ولكنها أحببت فكرة البيج أكثر. كانت تثق بعيني جيف ومواهبه. لم يوجهها إلى أي شيء خاطئ حتى الآن، وكان يحترم آراءها بشدة، حتى ولو كان هو المهندس. على كل حال المنزل منزلها، وهو مدرك لذلك.

"أتفق معك".

"جيد. الآن، اذهبي للاستحمام، واشربي كأساً من الشراب الفرنسي أو شيئاً ما. سأصطحبك لتناول العشاء في الخارج". صعد للأعلى إلى غرفة الرقص مع الدّهان، لتجريب عينات على الجدران، وهذا ما يشكل اختلافاً كبيراً دائماً، بالاعتماد على ملائمة الضوء له.

قالت: "حاضر سيدي". وأسرعت إلى غرفتها في الأعلى، تحمل حذاءها، وغنائمها من نيمان. كانت السلالم في منزلها الجديد تساعدها في الحفاظ على رشاقتها. لم تكن قد بدأت بإنشاء صالة التمارين الرياضية في القبو. أرادت إنهاء الستائر والأثاث أولاً.

بعد نصف ساعة عاد جيف إلى غرفة نومها في الأعلى. كانت متمدّدة على سريرها، تشاهد الأخبار، وبدت مرتاحة. كان أحياناً يحب مشاهدتها وحسب. تمدّد بالقرب منها، ووضع ذراعه حولها.

قالت سارة بشرود وعيناها على التلفاز: "أخبرت والدتي عنا اليوم".

"ماذا قالت؟"

"لم تقل الكثير. إنها تحبك، وكذلك ميمي. أسمعتني الكلام الحاد المعتاد، عن عمري، وفرصتي الأخيرة، وعن الأطفال، إلخ... إلخ... إلخ".

"ترجمي لي ذلك". سألها باهتمام. "ذلك الجزء إلخ... إلخ... إلخ. املئي الفراغات".

"تعتقد أنه يتوجب عليّ الزواج وإنجاب الأطفال. لا أريد ذلك. لن أفعل على الإطلاق".

"لم لا؟"

"لا تعجبني فكرة الزواج. أعتقد أنه يجعل الأمور تسوء".

"حسناً، هذا يبسط الأمور، أليس كذلك؟"

"بالنسبة لي، نعم. هل هو مناسب بالنسبة لك؟" عندها نظرت إليه، وبدت قلقة نوعاً ما. لم يتحدثا عن هذا الموضوع بالتفصيل. فبما أنه لم يتزوج ماري لويز إطلاقاً، لذا كانت دائماً تفترض أن رأيه مماثل لرأيها.

"لا أعلم. أعتقد ذلك. لا أمانع بأن أحظى بطفل يوماً ما، أو حتى طفلين. وربما يكون من الأجمل بالنسبة للأطفال أن يكون والداهما متزوجين، ولكنه ليس ضرورياً إن كان ذلك أمراً أساسياً بالنسبة لك".

قالت بثبات، وبدت خائفة: "لا أريد أطفالاً".

"لمَ لا؟"

"إنهم مخيفون جداً. إنهم يغيّرون حياة الناس كثيراً. لا أرى صديقاتي السابقات على الإطلاق. إنهن دائماً مشغولات بتغيير الحفاضات وتبادل المسؤوليات. كم يمكن لهذا أن يكون ممتعاً؟"

قال بحذر: "يبدو أن بعض الأشخاص يستمتعون بذلك".

نظرت إليه عندها بسذاجة. "قُل الحقيقة، هل يمكنك تخيّلنا مع طفل؟ لا أعتقد أننا ذلك النوع من الأشخاص. على الأقل، أنا لست كذلك. أحب عملي. أحب ما أقوم به. أحب أن أتمدّد أمام التلفاز قبل أن تصطحبني لتناول العشاء، ولا نحتاج إلى مربية لنقوم بذلك. أحبك... وأنا مجنونة بحب منزلي. لماذا أعبث بهذا الشيء الجيد؟ لمَ أستعجل ذلك؟ ماذا إن

رزقنا بطفل أصبح تاجر مخدرات أو سارق سيارات أو شيئاً كهذا، أو مثل ابنة توم، عمياء ومصابة بتلف في الدماغ؟ لا يمكنني القيام بذلك".

"إنك ترسمين صورة متشائمة جداً، سارة".

"نعم. كان يجب أن تشاهد حياة والدتي عندما كانت متزوجة من أبي. كان أبلهاً، ثملاً على الدوام، يختبئ في غرفة النوم بينما تختلق له الأعذار. كانت طفولتي كابوساً، كنت دائماً أخشى أن يخرج عندما تكون صديقاتي عندي في المنزل، أو يقوم بشيء يحرجني. بعدها توفي، وهذا كان أسوأ. كانت والدتي تبكي طوال الوقت، لذا كنت أشعر بالذنب لأنني كنت أتمنّى أن يموت أو يغادر أو شيئاً من هذا القبيل، ثم مات، واكتشفت أن هذا خطئي، وبعدها نسيت الأمر. وفي النهاية، تمكّنت من شق طريقي في شبابي، ولن أعود إلى أي من ذلك الجزء. لم أكن أحب نفسي وأنا طفلة، ولا أريد فعل ذلك بأي شخص آخر".

قال على نحو عملي: "لكنّ أياً منا لا يثمل".

نظرت إليه خائفةً. "هل تقول لي إنك تريد أطفالاً؟" كان ذلك خبراً جديداً بالنسبة لها، ولكنه ليس بالخبر الجيد.

قال بصراحة: "ربما يوماً ما، قبل أن أصبح عجوزاً".

"وإن لم أفعل؟" شعرت بالذعر وهي تسأله، ولكنها أرادت أن تعرف، قبل أن يتابعا علاقتهما. يمكن أن يكون ذلك أمراً حاسماً لها.

"إن لم تفعلي، فسأحبك على أية حال، لن أضغط عليك، أفضّل أن أحصل عليك بدلاً من الطفل... ولكن ربما في وقت ما، لن أمانع بالحصول على الاثنين معاً". أذهلها سماع ذلك، كانت قد افترضت أنه لا يريد أياً من ذلك، أيضاً. لم يكن هذا خبراً جيداً لها.

قالت بتحدٍ: "إن رزقت بطفل، لن أتزوج". وضحك عليها، ثم انحنى وقبّلها.

"لن أتوقع أي شيء أكثر من هذا حبيبتي. دعينا لا نقلق لذلك. مهما حدث". كانا حذرين في هذا الأمر، ولكن عند الإصغاء إليه، ذكّرت سارة نفسها بأن تكون أكثر حذراً. فهي لا تريد أي خطأ، وإن حدث، فربما يريد الاحتفاظ به وهي لا تريد. لا يحتاجان إلى هذا الألم أو وجع الرأس. تعتقد أن حياتهما سوياً مثالية كما هي.

قالت، بشكل دافعي: "على كل حال، أنا كبيرة جداً في السن لكي أحظى بأطفال، سأبلغ الأربعين في العام القادم، هذا عمر كبير جداً". ولكن كلاهما يعلمان بأنه ليس كذلك. لم يعلّق. فقد بدا واضحاً أنه موضوع يثير غضبها، في الوقت الحالي، على أية حال، فهي ليست مشكلة ملحة. لأي منهما.

نسيا الموضوع، وخرجا واستمتعا بعشاء رائع. أخبرته سارة عن فكرة والدتها في تأجير المنزل، أو أجزاء منه، للأشخاص الذين يريدون إقامة حفلات الزفاف، وبأن سارة تعتقد أنها ليست بالفكرة السيئة لجني المزيد من الأموال لدفع ثمن الأثاث الذي تريده. أحبت الفكرة، واعتقد جيف أنها ربما تكون ممتعة، على الرغم من الانزعاج الناجم عن وجود غرباء في المنزل ربما يتجولون في أماكن لا يتوجب عليهم الاقتراب منها. أمّا جيف فكانت لديه فكرة أخرى، والتي اعتقد أنها ستكون ممتعة، ولكنها تحتاج إلى المال لجني المزيد من المال، وفي الوقت الراهن، كانت تعتمد على ما لديها من مال للاهتمام بمنزلها وبجميع الأشياء التي تريد شراءها لجعله أكثر جمالاً مما هو عليه مسبقاً.

تقضي فكرة جيف بأن يشتريا منازل سوياً، بأوضاع سيئة، يعملان على تجديدها وتجديد ديكورها سوياً، ثم بيعها وجني الربح الهائل. أحب الأشياء التي فعلتها بمنزلها، وقال إنها ماهرة بذلك. أحبت الفكرة، ولكنها كانت قلقة بشأن الأموال – فتلك فكرة تحتاج إلى وقت طويل لتحقيق الربح، إن حدث – وكذلك بشأن الزواج والأطفال. بدا أنهما الليلة يناقشان

خططاً طويلة الأمد. ولكنها أحبت فكرته عن تجديد المنازل دون أن تكون متأكدة من أنها مربحة. أخيراً، علمت أنها ستكون حزينة عندما ينتهي المنزل في شارع سكوت. فقد استمتعت بكل دقيقة من العمل فيه، وما تزال تفعل.

تلك الليلة، ظل معها، وفي عطلة نهاية الأسبوع أيضاً. كان نادراً ما يذهب إلى منزله إلاّ عندما يكون بحاجة لإحضار الكتب والملابس، لقد قضى فيه بضعة أيام فقط منذ استأجره. أثناء العشاء، أخبرها أنه قد حصل على عرض جاد بخصوص المنزل في بوتريرو هيل. كانت ماري لويز تبعث له برسائل إلكترونية لتضغط فيها عليه من أجل المال. بعد التقييم، سيحتفظ هو بالعمل وهي ستحصل على عائدات المنزل. أخبرته أن يقبل العرض ففعل. كانت قد اشترت حصته في الشقة في باريس. ستعيش فيها، وتنشئ استديو لنفسها، لقد انحلت حياة الأربع عشرة سنة بسهولة واضحة، على نحو مثير للدهشة، وهذا ما يؤكد صحة وجهة نظر سارة. فمن الأسهل عدم الزواج، لا سيما إن حصل شيء خطأ بعد ذلك. اعتقدت سارة أن ماري لويز محظوظة، فجيف رجل رائع، لقد عالج كل شيء لها، ولم يخدعها في أي فلس، وكان كريماً على نحو مفرط، وأعطاها كل شيء أرادته. لقد كان رجلاً حقيقياً في كل النواحي. تأثرت سارة بكل ما رأته. لقد ابتسم لها القدر هذه المرة. حتى الآن على الأقل، ولم ترغب بالنظر إلى الماضي.

الفصل الواحد والعشرون

جاء حفل زفاف أودري أسرع مما توقع الجميع. كان من الصعب تصديق أن نهاية حزيران قد حلت. في إحدى اللحظات، كانوا يخططون للحفل، وفي التالية، كان متعهدو الطعام مهتاجين في المطبخ، والمصور يجهز آلة التصوير في الزاوية المناسبة، وقد أحضر متعهد الزهور الأشجار المشذبة، وكانت أكاليل الزهور موضوعة على السلالم وفوق الباب الأمامي. لاحق المصور كل شخص في المنزل مثل القذيفة المتتبعة للحرارة، ثم صور الديكور، والتحضيرات، والضيوف حال وصولهم. كان الموسيقيون يعزفون، ووقف توم وأولاده في الرواق الأمامي، بينما كان جيف وسارة يتحدثان معهم. كان فريد قد أحضر صديقته الجديدة، وهذا ما جعل سارة تبتسم. لم ينجح الأمر، لم تكن تهتم لذلك، فلديها جيف الآن. ثم دخلت ميمي وجورج وبدَوا مثل صورة إعلانية لكبيرين في السن مفعمين بالحياة على غلاف إحدى المجلات. كانت ترتدي ثوباً من الحرير باللون الأزرق الفاتح وسترة تتوافق جيداً مع سترة سارة الأكثر سطوعاً.

وفجأة، كانوا ينتظرون نزول أودري على السلالم. لم يكن هناك أحد ليمشي معها. نزلت وحدها على موسيقى هانديل، والدموع تنهمر على وجنتيها وهي تنظر إلى توم. سحرت الجميع، بدت جميلة جداً. وبدت ميمي فخورة بها، ضغطت سارة على ذراع جيف. وحين نظر توم إلى المرأة التي سيتزوجها، بكى بصوت واضح، وهو يقف بين أولاده. تأثر الجميع، وهي تمشي إليه، وتمسك بذراعه.

تحدث القاضي الذي أدى الطقوس بحكمة عن تحديات الزواج، وعن المباركات التي يقدمها عندما يكون صحيحاً، وعن حكمته عندما يكون بين شخصين طيبين اختارا بعضهما جيداً. كان الطعام لذيذاً، والشراب فاخراً. بـدا المنـــزل رائعاً، وبدا الأثاث الذي استأجرته أودري وكأنه ينتمي إلى هـذا المكان. أحبت سارة أبناء توم حقاً، وتآلف أبناؤه مع جيف على نحو متميـز. كـان يوماً مثالياً، وفي التوقيت المثالي، وقبل أن يطرف أحدهم عينـيه، كانت أودري تقف في أعلى السلالم ثانية بثوبها الأبيض الجميل، وتُلقـي بـباقة الزهور البيضاء للأسفل لترتطم بميمي في صدرها، عندها حررت سارة نَفَسها، وغمزت والدتها. قذف توم الرباط إلى جيف. ثم وقف الجميع أمام مدخل المنـــزل، يرمون الزهور، عند انطلاق توم وأودري في سـيارة الرولـز المـستأجرة إلى فندق الكارلتون، حيث سيقضيان أمسية الـزفاف قبل السفر إلى لندن في الصباح التالي. كانا سيسافران من هناك إلـى مونتي كارلو، ثم إلى إيطاليا في شهر عسل يدوم ثلاثة أسابيع، خطط لـه توم بعناية، وهو يتبع كل تعليمات أودري. لم يزعجه ذلك إطلاقاً، بل أحبه.

عـند دخـول سارة وعائلة زوج والدتها الجديد إلى المنـــزل، كانت ميمـي تجلـس على الأريكة المستأجرة، لا تزال تحمل الباقة وتبتسم. "أنا التالية!" قالت بسرور عندما تظاهر جورج أنه قد أُغمي عليه.

"لـيس أنـت، جورج!" صحُح له جيف بذعر مصطنع. "أنا التقطت الرباط. أنا وميمي، وليس أنت!" قهقهت ميمي، وضحك الجميع، عندما كان الـنُدُل يـصبون للجميع المزيد من الشراب. قامت ميمي وجورج برقصة أخيرة، عندما كان جميع الشباب يتحادثون.

أحـبت سارة أقاربها الجدد، وحثتهم على العودة والمكوث معها متى أرادوا. كـان اثـنان مـنهم متزوجين، وواحد كان كذلك في السابق، وقد أحـضروا معهم أطفالهم الذين أحسنوا التصرف. كان لأودري عائلة جديدة

الآن، تـشتمل على ستة أحفاد. وللحظة، شعرت سارة بالغيرة، لأن والدتها ستـراهم أكثـر ممـا تـراها. أصـبحت ميمي عائلتها الوحيدة في سان فرانسيسكو. كانت أودري قد تخلت عن شقتها، وتم نقل كل شيء تملكه إلى سـانت لويس، ليستوعبه منـزل توم الكبير. كانت قد أعطت بعض الأثاث إلـى سـارة، ولكنها تركت معظمه لنفسها. علمت سارة أن غياب أودري سـيكون تحـدياً كبيراً لميمي ولها، ولكنهما كانتا سعيدتين من أجلها. بدت عروساً جميلةً عندما غادرت.

كان الوقت قد تأخر عندما غادر الجميع. كان متعهدو الطعام لا زالوا ينظفون. أما الأشجار فسيتم جمعها في اليوم التالي. ليس هناك شيء تفعله سارة، لذا صعدت السلالم ببطء مع جيف.

سألته متثائبة، "كان ذلك جميلاً، أليس كذلك؟" فيما كان يبتسم لها، لقد أعجـبه فـستانها، الذي جعل عينيها تبدوان زرقاوين بشدة. استندت عليه مسرورة.

"كـان جميلاً. كانا رائعين جداً عندما وقفا هناك يبكيان أثناء الحفل. كدت أبكي أنا أيضاً".

"أنـا دائمـاً أبكي في حفلات الزفاف. بسبب الذعر". ضحكت سارة بسخرية، عندما هز جيف رأسه بابتسامة عريضة.

"لا أمل منكِ".

"وأنت عاطفي على نحو مريض، ولذلك أحبك". قالت وهما يقبّلان بعـضهما في أعلى السلم، ثم صعدا مجموعة الأدراج التالية إلى غرفة نـومهما. كـان يوماً مثالياً. بالنسبة لأودري ولتوم، ولكل من يحبهما. كانت سارة مسرورة لأجلها. لم تكن قد توقعت أن يوصل تعريفهما على بعـضهما إلى هذه النتيجة، ولكن بما أن ذلك قد حدث الآن، فلقد سرت لأنهـا فعلـت. تمنّت أن يحظيا بحياة طويلة وسعيدة سوياً. اتصلت بها والـدتها وهما يستعدان للذهاب إلى السرير، لتشكرها على السماح لها

باستخدام المنزل، ولإخبارها كم تحبها. بدت مسرورة، وبمنتهى السعادة.

اقتربت سارة من جيف تلك الليلة. كانت تحب عناقه في السرير، تماماً كإقامة العلاقة الجنسية، وهذا ما كانا يفعلانه كثيراً. كانت العلاقة مثالية لكليهما. لقد أنشأا روتيناً مريحاً، وأحبت حقيقة أن جيف مرتاح جداً مع عائلتها، وخاصة ميمي، التي كان يقدرها كثيراً. قال إنه يريدها أن تتبناه، إن لم تكن تريد الزواج منه. كان مستعداً للقيام بأي من هذين الأمرين، أو الاثنين معاً.

همس لها، وهما يتجهان للنوم، "تصبحين على خير، حبيبتي".

أجابت سارة، "أحبك". وابتسمت وهي تفكر بباقة الزهور التي فاتتها بينما أمسكتها ميمي.

الفصل الثاني والعشرون

عملت سارة وجيف على المنزل طوال الصيف. فبدأا البحث في الفهارس والقوائم والذهاب إلى المزادات. كان يعمل على مشروع تجديد كبير في باسفيك هايتس ويتضمّن تجديد الديكور أيضاً، والذي استهلك الكثير من وقته. وكانت سارة منشغلة جداً في المكتب.

في شهر آب، قرّرا سوياً أخذ إجازة لمدة أسبوع وذهبا إلى بحيرة تاهو. مشيا وسبحا، وركبا الدراجات، وتزلجا على الماء في البحيرة المتجمدة. في عطلة العمال، في نهاية إجازتهما، ذكّرها جيف بأنه قد مضت على علاقتهما أربعة أشهر. اتفقا معاً على أنها أسعد أشهر حياتيهما. لم يُذكر موضوع الزواج والأطفال ثانيةً. إنه أميل لأن يكون مسألة نظرية برأيهما. فلم يكن أي منهما يمتلك الرغبة بإثارة المشاكل. لديهما العديد من الأمور التي تبقيهما منشغلين.

اتصلت أودري من سانت لويس عدة مرات حال عودتها من إيطاليا. كانت منشغلة بالاستقرار في سانت لويس، وأرادت أن تعمل على ديكور منزل توم، فانهمكت بذلك وبالتعرف على أولاده. اشتاقت لابنتها وأمها، ولكنها تعرف مسبقاً أنها لن تعود لقضاء الشكر معهما. لقد وعدت توم بأنها ستبقى في سانت لويس مع أولاده، وقالت سارة إنها ستقضي عشاء الشكر مع ميمي. ستقيمه في منزلها هذه السنة - إن جرت كل الأمور على ما يرام - وسينضم جيف إلى الاحتفال. قالت سارة لأودري إنها لا تريد الذهاب إلى سانت لويس، فقد كانت متلهفة جداً للبدء بإقامة تقاليدها

الخاصـــة، على الرغم من أن المجموعة أصبحت أصغر هذه السنة بغياب أودري. وسيتوجب على سارة أن تطهو الديك وتعدّ العشاء للمرة الأولى.

كـــان فصل الخريف مليئاً بالعمل بالنسبة لسارة على نحو استثنائي. حـــيث كان لديها ثلاث ملكيات هائلة لإثبات صحتها، بالإضافة إلى عملها علـــى منــــــزلها فـــي أيام العطل. شكل ذلك مصدراً لا ينتهي من البهجة بالنسبة لها، وسيظل لسنوات. كانت تذهب وجيف إلى المزادات، حتى أنهما وضـــعا مزايدة على أثاث في محلات سوثبي وكريستي في لوس أنجلوس ونيويورك. كما أحضرت عدة قطع جميلة. واشترى لها جيف القليل منها، أيضاً. في تشرين الأول، تخلى عن شقته. لم يعد يستخدمها على الإطلاق، نقـل أشـياءه إلـــى منـــزل سارة، كان لديه الآن مكتب ومكان يخلو فيه للـــبحث، وغـــرفة ملابس وحمام، وقال إنه لا يمانع العيش في غرفة نوم ورديـــة اللـــون. كـــان يحبها. ولكن الأهم من ذلك، أنه يحب سارة. يحبها بصدق، وهي أيضاً تحبه.

كـــان قـــد ســـوّى أمر المنـــزل والشقة في باريس مع ماري لويز. وأصـــبح العمـــل له وحده الآن. حوّل جميع زبائننا أعمالهم إليه. لم يسمع شـــيئاً منها منذ شهر آب، ومما أثار دهشته أنه لم يفتقدها. على الرغم من أنهمـــا قـــضيا أربع عشرة سنة سوياً، لطالما علم أن ذلك خطأ. لقد كانت مجـــرد علاقة استثمار. ولكنه الآن، برفقة سارة، رأى الاختلاف، كان ذلك أشـــبه بأنهما خلقا لبعضهما، كان يستيقظ كل صباح معها، غير قادر على تصديق عثوره على كنـــزه الثمين.

تذكر قول جده القديم بأن هناك قدراً لكل غطاء، أو غطاء لكل قدر. مهما كان، فقد وجده. الشخص الوحيد المستمتع مثله هي سارة، التي كانت مسرورة برفقته بقدر سروره برفقتها.

وكما وعدت سارة، أعدت عشاء الشكر تلك السنة في منـــزلها. كانا في ذلك الوقت، يملكان أريكة وبعض الكراسي، وطاولة للقهوة ومكتباً أثرياً

جميلاً في غرفة المعيشة. في الواقع، امتلكا مكاناً للجلوس ولوضع الشراب عـــندما جاءت ميمي وجورج إلى العشاء. كانت ميمي قد طلبت منها دعوة صـــديقتيها المفـــضلتين، كمـــا تفعـــل عادة عندما تحتفل في منـــزلها، لذا أشركتهما سارة في العشاء، ودعا جيف صديقاً له كان قد قدم من نيويورك ولـــيس لديـــه أي مكـــان آخر ليقضي فيه الشكر. شكلوا مجموعة مريحة وهادئـــة، عندما جلس السبعة في غرفة المعيشة، بينما تناوبت سارة وجيف فـــي الاطمئـــنان على الديك. خشيت سارة أن يحترق أو يظل نيئاً. لم يكن الأمـــر كمـــا كان في السابق دون وجود أودري. ولكنّ المفاجأة تمثلت بأن العـــشاء كـــان جـــيداً. تلت ميمي المباركات، وقام جيف هذه السنة بتقطيع الـــديك. قام بعمل احترافي، وقال جورج إنه يشعر بالراحة لأنه لم يتوجب عليه القيام بذلك بنفسه.

كان قد عاد هو وميمي لتوهما من بالم سبرنغ. ولاحظت سارة أنهما يقـــضيان الكثيـــر مـــن الوقت هناك. قالا إنهما يحبان الطقس هناك أكثر، وميمي تستمتع برفقة أصدقائه وبحفلات العشاء التي يذهبان إليها. كانت قد احـــتفلت لتوها بذكرى ميلادها الثالثة والثمانين، ولكنها لم تبدُ كذلك. كانت مفعمـــة بالحيوية وجميلة كحالها دائماً. أما جورج فقد أصبح ثابت الشكل، وأكبر بقليل منها.

كانـــت ســـارة تقـــدّم الفطائر المحشوة وفطائر التفاح واليقطين التي يتـــناولونها كـــل ســـنة فـــي نهاية الوجبة، بينما كان جيف يقدّم المثلجات والكـــريما المخفـــوقة، عـــندما نظرت ميمي إليهما، بتوتر نوعاً ما، وأومأ جورج على نحو تشجيعي.

"لديّ شيء أخبركم به". قالت بجبن عندما نظرت سارة إليها. أحست سارة بأكثر من مجرد تخمين بأن هناك شيئاً ما. ولكن بعمر ميمي، ما الذي يمكن أن يكون؟ كانت حياتها تمرّ دون حوادث، طالما أنها في صحة جيدة. تـــلألأت عيناها عندما نظرت إلى جيف أولاً ثم إلى سارة. قالت ميمي بما

يـشبه الهمس: "سنتزوج أنا وجورج". بدت محرجة قليلاً، وكأن هناك شيئاً سـخيفاً في ذلك. ولكنهما يحبان بعضهما، وأرادا قضاء سنواتهما الأخيرة معاً. الخبر السيئ الوحيد في زواجهما هو أنهما سينتقلان إلى بالم سبرنغ. كـان جورج قد باع منـزله في المدينة، وستعرض ميمي منـزلها للبيع. وسيـستخدمان شقة جورج في سان فرانسيسكو، كلما قدما إلى هنا، الأمر الذي توقعت سارة، على نحو حزين، أنه لن يكون كثيراً. فإنهما يستمتعان كثيراً بوقتيهما في بالم سبرنغ، أكثر بكثير من سان فرانسيسكو.

قال جيف، وبدا غاضباً: "ستتزوجينه بدلاً مني؟ أنا من أمسك الرباط، تعلمـين ذلك، وهو لم يفعل". تظاهر بالاستياء، وبالغضب على نحو جاد، بينما ضحك الآخرون عليه.

"أنا متأسفة، عزيزي". ربتت ميمي على يده مفعمة بالحب. "سيتوجب عليك أن تتزوج من سارة".

"كلا، لن يفعل". أسرعت بالإجابة.

تذمر جيف، "نعم، هذا احتمال بعيد جداً، لن تقبل بي".

"هـل سـألتها؟" سألت ميمي بعينين مليئتين بالأمل والدهشة. ستحب ذلك، وعلمت أن أودري ستحب ذلك أيضاً. لقد تحدثنا عن ذلك عدة مرات.

"لا". أجاب جيف بصدق، وجلس لتناول فطيرته، بينما صبت سارة الـشراب. شـعرت وكأنها خاضت تلك التجربة مسبقاً، ففي هذا المكان كانت والدتها قد أعلنت الشيء نفسه على الطاولة نفسها في شهر آيار. الآن، سـتتزوج ميمـي. أخذت سارة تفكر جدياً بأن قريبتيها تتزوجان وتـسافران بعـيداً. هـذا ما تركها وحيدة هي وجيف فقط في المدينة. شعرت بالوحدة مسبقاً لمجرد فكرة أن ميمي ستغادر، على الرغم من أن فكـرة زواج ميمي أثارت البهجة في نفس سارة، وكان واضحاً أن ميمي وجورج سعيدين أيضاً. جلس جورج هناك وابتسم بابتهاج، بينما كانت عينا ميمي تتراقصان.

قال جيف: "في حال طلبت من سارة الزواج بي، فربما تتخلص مني، أو تطردني خارجاً على الأقل. إنها ملتزمة بفكرة العيش بالإثم كأسلوب في الحـياة". فضحكت ميمي. كان الجميع يعلم بأن سارة وجيف يعيشان سوياً، ولم يزعجها ذلك على الإطلاق. فلقد كانت في الأربعين من عمرها تقريباً، وتملك الحق بفعل كل ما يحلو لها.

تجاهلـت سارة تذمُّر جيف المرح، وسألت ميمي وجورج عن موعد حفـل الـزفاف. لم يحددا اليوم بعد، ولكنهما أراداه أن يكون قريباً. قالت ميمـي بابتهاج: "بعمرنا، لا يمكننا المجازفة بالانتظار". وبدا أنها تشير إلى أن الزواج أمرٌ جيد. قالت ميمي بينما كانت غارقة في التفكير: "ربما يريد جـورج أن يتزوج في ملعب الغولف، بين الألعاب. لم نقرّر بعد ما إن كنا نـريد إقامـته هناك أو هنا. لدينا الكثير من الأصدقاء هناك، وربما تسبب إقامـة الحفـل هنا الكثير من الفوضى غير المبررة". في تلك الأثناء كان الجميع يشربون نخب العروسين.

اقتـرحت سـارة، "لـمَ لا تقيمين الحفل هنا، كما فعلت أمي؟" تشعر بالحنين إلى الحدث بكامله. من الغريب جداً أن جميع كبار السن في عائلتها يتزوجون. شعرت فجأة بأنها تُركت وحيدة.

قالت ميمي: "هذا يسبب لك الكثير من المشاكل، لا أريد إشغالك بكل ذلك العمل. أنت مشغولة جداً".

أصـرّت سـارة، "لا أكون مشغولة عندما يتعلق الأمر بك، يمكنني الاسـتعانة بمـتعهدي الطعـام نفسهم الذين حضروا في حفل ميمي. كانوا رائعين. حتى أنهم لم يتركوا أية فوضى".

"هـل أنت متأكدة؟" بدت ميمي مترددة، ولكن جورج بدا متحمساً. أحـب الفكـرة، وذكـرها بأنها قد ولدت في هذا المنـزل. بدا أنه من المعقـول أن يتـزوجا فيه. كان ذلك شيئاً جميلاً وشاعرياً. كان صديق جـيف القـادم مـن نيويورك يستمتع بتبادل الخطط وقال إن جدته قد

تزوجت من جديد قبل سنة وانتقلت إلى بالم بيتش، وهي سعيدة جداً.

سألت سارة بشكل عملي، "متى ترغبان بإقامة الحفل؟" بينما استمر جيف في لعب دور العاشق المنبوذ، وهذا ما أثار سرور ميمي. كانت دائماً تشير إليه عند ذكره أمام سارة على أنه 'ذلك الفتى الحلو'. بعمر الخامسة والأربعين، ومنذ عهد قريب وحسب، لم يعد فتىً، على الرغم من أنه بدا شاباً بالنسبة لعمره.

تدخّل جورج، "كنا نفكر بأمسية رأس السنة الجديدة، سيمنحنا هذا شيئاً نحتفل به كل عام". وأضاف، "أعتقد أنه من اللطيف بالنسبة لجدتك أن تقيم الحفل هنا، في هذا المنزل. سيعني ذلك لها الكثير". فتوردت وجنتاها خجلاً. كانت قد أخبرته في الصباح أنها لا تريد أن تزيد الأعباء على سارة، ولكن توجب عليها الاعتراف الآن بأنها ستحب ذلك، لذا كان الجميع مسروراً.

"هل تعرف أمي بالأمر؟" تساءلت سارة فجأة. لم تكن والدتها قد قالت شيئاً. أومأت ميمي بالإيجاب.

"اتصلنا بها هذا الصباح، وأخبرناها عندما كنا نتمنّى لها شكراً سعيداً، ووافقت".

تذمّر جيف على نحو مهدد، "أيها الخائن، أنا أفضل منك في الالتقاط". نظر بسرعة إلى جورج مما أثار دهشة الجميع. "على الرغم من أنه يتوجب عليّ الاعتراف بأنك ترقص أفضل مني. عندما رقصتُ مع ميمي في حفل زفاف أودري، دست على قدمها، وعلى ذلك الحذاء الأزرق الجميل. لذا، أعتقد أنك تستحقها، ولكنك حطمت قلبي".

انحنت، وقبّلت وجنتيه، "أنا متأسفة، عزيزي. تعال لزيارتنا في أي وقت تريد في بالم سبرنغ. يمكنك إحضار سارة أيضاً".

"آمل ذلك". تظاهرت سارة بالاستياء، ثم أخذوا يكتبون تفاصيل الحفل. أحضرت مجموعة من الأوراق الصفراء، ووضعت قائمة بما

يريدانه. أرادا جعله حفلاً بسيطاً. يضم أفراد العائلة فقط، مع عشاء بسيط. أرادا أن يزوجهما رجل دين، وأكدت ميمي لسارة بأن رجل الدين الذي عقد قران أودري يقبل بالمجيء إلى المنزل. أرادت ميمي إقامة الحفل في الساعة الثامنة، ثم تناول العشاء في التاسعة. كانت أودري قد أخبرتها في ذلك الصباح بأنها ستأتي هي وتوم. قالت إنهما ربما يذهبان إلى بيبيل بيتش بعد ذلك لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

تذمرت سارة بصوت عال، "ما هذه الحال التي أصبحت عليها عائلتي فجأة؟ رحالة؟ ألا يريد أحد البقاء في سان فرانسيسكو باستثنائي؟"

أجاب جيف عنهم، "من الواضح، أن أحداً لا يريد، لا أعتقد أن الأمر شخصي. يبدو أنهم يجدون متعة أكثر في أمكنة أخرى". لم يرغب بالاعتراف أمام سارة، ولكن بمقدار ما يحب ميمي وأودري، أحب فكرة الاحتفاظ بسارة لنفسه.

قالت سارة، وهي تُفكّر فجأة بالأمر: "واو، لدينا ستة أسابيع فقط للتخطيط للحفل. سأتصل بمتعهد الطعام وبالجميع غداً". ولكن لم تكن هناك بطاقات دعوة لتوزيعها، ولا الكثير لتنظيمه. كل ما يريدانه هو حفل بسيط جداً. ستجتمع فقط العائلة في المنزل عشية رأس السنة. سيكون الحفل أبسط حتى من حفل زفاف أودري وتوم.

تحدثوا بحماس عن الحفل في الساعتين التاليتين، ثم ذهب جميع الضيوف إلى منازلهم. كانت ميمي قد أخبرتهم قبل مغادرتها برفقة جورج بأنها لن تذهب في شهر عسل. سيفعلان شيئاً أكثر سهولة كقضاء عطلة نهاية الأسبوع في فندق بيل أير في لوس أنجلوس. لطالما أحبت ميمي فعل ذلك، وتلك رحلة أسهل في القيادة عليهما. أخبرهما جيف بأنه قد خاب أمله عند سماعه أنهما لن يقوما بشيء أكثر غرابة، كرحلة إلى لاس فيغاس، ثم قام بمعانقة الثنائي الذي يعدون لحفل زفافه فيما كانا يغادران.

"أوه، أليس هذا شعوراً غريباً؟" اعترفت سارة لجيف وهما يملأان غسالتي الأطباق في المطبخ. كان جيف قد شجّعها على شراء اثنتين، وكانت مسرورة لأنها فعلت. فهذا يجعل دعوات المساء أمراً بسيطاً. كما أن الأشياء تكون أكثر سهولة عندما يساعدها جيف. كان شخصاً فعالاً في إنجاز أشياء كهذه.

"ماذا؟ زواج جدتك؟ أعتقد أنه أمر جميل لها بالفعل. إنه جميل لكليهما ألاّ يكونا وحيدين في هذه السن".

"كانت تبجّل جدي، وكانت والدتي تخشى أن تموت بعد وفاته، ولكن أصبحت لها حياة ثانية بالكامل. وأحياناً، أعتقد أنها تستمتع بها كثيراً". بدت الليلة أنها كذلك، ومن دون شك. "أقصد، إنه لشعور غريب أن ينتقل الجميع بعيداً. عشنا هنا معاً كل هذه السنوات. الآن، أمي في سانت لويس، وجدتي ستنتقل إلى بالم سبرنغ".

قال بلطف: "أنا هنا".

"أعلم". ابتسمت، ثم انحنت وقبّلته. "أعتقد أن هذا يجبرني على أن أعيش حياة أكثر نضجاً. لطالما شعرت أنني ما أزال طفلة وهما هنا. ربما هذا ما عنيته عندما قلت شعوراً غريباً".

قال جيف: "لا بد من أنه كذلك". أطفأا أنوار المطبخ وصعدا للأعلى، إلى ما يطلقان عليه اسم 'غرفتهما'، وليس غرفتها وحسب.

عندما اتصلت سارة بأمها في الصباح لتتمنّى لها شكراً سعيداً، أخبرتها بأنه لا يمكن الاعتماد عليها، وذلك لأنها أخفت السر عنها في اليوم السابق. فلقد كانت أودري قد اتصلت بها مرة ثانية، ولم تقل أية كلمة عن ذلك.

"لم أرغب بإفساد المفاجأة. طلبت مني ألاّ أفعل. أعتقد أن هذا رائع، والطقس أفضل بالنسبة لها هناك. المناخ هناك أفضل. سنأتي أنا وتوم إلى حفل الزفاف، على الأقل لليلة واحدة".

سألتها سارة مفعمة بالأمل، "هل ترغبين بالبقاء هنا؟"

"نحب ذلك".

"سيكون من الممتع أن ننام جميعاً تحت سقف واحد".

أخذت سارة بعد ذلك جميع التفاصيل التي تحتاجها من والدتها، ثم حددت الموعد يوم الاثنين. كل ما يتوجب على ميمي فعله هو شراء الفستان. قالت إنها ستشعر بأنها كبيرة جداً في السن لو تزوجت بفستان أبيض اللون. اتصلت بسارة بعد يومين، وبدت منتصرة. لقد وجدت الفستان المثالي، بلون يسمّونه لون الشمبانيا. أدركت سارة عندها أنه يتوجب عليها إحضار واحد لنفسها. اختارته هذه المرة من المخمل، باللون الأخضر الغامق. وبما أنها عشية الكرسمس، قرّرت أن تحضر واحداً طويلاً. وقالت أودري إنها سترتدي فستاناً باللون الأزرق الداكن.

في الأسابيع الخمسة الفاصلة بين الشكر والكرسمس، كانت حياة سارة أشبه بسباق التتابع، دون وجود أحد لإعطائه العصا. لم تكن ترغب بأن تقوم ميمي بأي من الأعمال من أجل حفل زفافها، ولكن سارة لا تملك الوقت أيضاً. وكّلت متعهدي الطعام للقيام بكل شيء. جعلتهم يتأكدون من التفاصيل بدلاً عنها.

فضلاً عن ذلك، كانت مهتاجة جداً بشأن المنزل، تحاول التأكد من أن حفل زفاف ميمي سيكون خالياً من أي خطأ، وكانت في أيام العطل تذهب إلى الحفلات مع جيف، وتحاول الاستعداد للكرسمس بمعزل عن التحضير لحفل الزفاف. كان جيف مسروراً، فبعد سنوات من الحذر الدفاعي مع الكآبة الموسمية السنوية لماري لويز، وكأنه هو الذي يقول للناس احتفلوا بالكرسمس، أصبح بإمكانه الاحتفال هذه السنة على نحو مفرط. ففي كل يوم، يحضر معه إلى المنزل ديكورات جديدة والمزيد من الهدايا، وشريطاً آخر من الترانيم، وقبل أسبوعين من الكرسمس، عاد إلى المنزل مع شجرة تنوب بطول عشرين قدم. جعل

الحرس ينصبونها بالقرب من الدرج الرئيسي، وذلك بعد أن أحضر للمنزل حمولتين من الزينة. ضحكت سارة عندما رأتها. كانت الترنيمات في المسجلة عالية جداً بحيث لم تتمكّن سارة إلاّ بصعوبة من سماعه وهو يتحدث معها من أعلى السُلم. وكان قد وضع للتو النجمة في أعلى الشجرة.

صاحت له، "أقول إن الأمر أشبه بالعيش في مشغل بابا نويل!" ثم أعادت كلامها ثلاث مرات. "لا تهتم. تبدو رائعة!" مدحتها، وصاحت من جديد، فسمعها هذه المرة، وشكرها. كان مسروراً جداً، وأحبته لذلك. كانت قد اشترت له مكتباً أثرياً قديماً وجميلاً من المزاد، وتم إيصاله إلى المنزل عشية الكرسمس. كاد يغمى عليه عندما رآه.

"أوه، يا الله، سارة، إنه رائع!" أحبه. أحبَّ الاحتفال بالكرسمس معها.

كانت كل من والدتها وجدتها بعيدتين. كان ذلك هو أول كرسمس دونهما. ولكن جيف جعل ذلك رائعاً بالنسبة لها. طهت ديكاً رومياً صغيراً عشية الكرسمس، ثم ذهبا إلى دار العبادة معاً في منتصف الليل. أدركت وهي تشاركه العشاء، وزجاجة ممتازة من الشراب الفرنسي التي كان قد أحضرها، بأنه في السنة الماضية، في هذا التاريخ بالتحديد، أخبرت أمها وجدتها عن منزل شارع سكوت، وهما هنا الآن، وهي داخله.

لم تنسَ أيضاً أنه قبل سنة، كانت تمضي العطلة وحيدة للسنة الخامسة على التوالي، وكان فيل في أسبن مع أولاده، حيث كالعادة لم يأخذها معه. لقد تغيرت حياتها جذرياً خلال سنة، وأحبت ذلك التغيير، وجيف، والمنزل. أما الجانب السلبي الوحيد هو أن عائلتها قد انتقلت بعيداً، ولكنها لم تكن تنتحب لذلك. إنه الارتقاء؛ أحياناً يكون جيداً، وأحياناً لا. إلاّ أنهما سافرتا بعيداً لأسباب سعيدة.

قضى جيف وسارة يوماً كسولاً في يوم عيد الميلاد. كان قد أهداها سواراً ماسياً ضيقاً بأحجار كريمة رائعة، وظلت تنظر إليه وتبتسم له. كان كريماً جداً معها، ولقد أحبّت السوار جداً بمقدار ما أحب مكتبه الجديد. وأهدته أيضاً مجموعة من الهدايا الصغيرة السخيفة، ملأت جورباً له، وتركت له أيضاً رسالة من بابا نويل، تخبره كم هو فتىً رائع، ولكن تطلب منه أن يتوقف من فضله عن إسقاط غسيله الوسخ على أرضية غرفة الغسيل متوقعاً أن يلتقطه أحدهم له. كان ذلك هو عيبه الوحيد. لم يكن لديه الكثير من العيوب. أحبّ كل شيء فعلته سارة له أثناء العطل. كان ذلك مختلفاً تماماً عن تجربته مع ماري لويز. كانت سارة هي أفضل هدية عيد ميلاد حصل عليها في حياته.

بعد خمسة أيام من الكرسمس، وصلت أودري وتوم من سانت لويس. عندها شعرت سارة، بأنها عطلة كرسمس بالفعل. كما وصلت جدتها وجورج أيضاً في تلك الليلة. كان كلا الزوجين سيبقيان في منزل سارة، وأحبت ذلك. ساعدها جيف في طهو الطعام للجميع. وقضت النساء ثلاث ساعات طويلة في المطبخ يتحدثن. أخبرت أودري الجميع عن حياتها في سانت لويس، وكم تحبها. كان توم أفضل حتى مما حلمت به طوال حياتها. بدت سعيدة بصدق. وبدت ميمي مبتهجة جداً. تلك العروس المتوردة الحقيقية. أحبت سارة فكرة بقائهم جميعاً معها. جعلها وجودهم جميعاً معها تشعر بأنها طفلة من جديد.

خرجوا جميعاً لتناول الفطور في اليوم التالي، في صباح رأس السنة الجديدة. كان متعهدو الطعام يعملون مسبقاً في المطبخ. وبدا أن التحضيرات لا تنتهي، حتى من أجل حفل عشاء صغير. بدا كل من ميمي وجورج هادئين على نحو ملحوظ. استمتعوا جميعاً بوقت جميل، فضحكوا وتحدّثوا. تحدّث الرجال الثلاثة عن كرة القدم وعن تغيّرات سوق الأسهم. تحدّث توم وجورج عن الغولف. مزح جيف مع العروس،

الأمر الذي أثار بهجتها، وتحدثت أودري وسارة عن تفاصيل حفل الزفاف وراجعتا القائمة. بعد ذلك، ذهبوا للتنزّه ولم يعودوا إلى المنزل حتى الساعة الواحدة.

بعد ذلك، اختفت ميمي في غرفة نوم مختلفة، وأخبرت جورج بأنها لا تريد رؤيته حتى المساء. ورتبت لها سارة مجيء مصفف الشعر إلى المنزل، ومقلم الأظافر للاعتناء بها.

قضوا عصراً سارّاً يستمتعون ببعضهم البعض. سيبقون جميعاً معها الليلة أيضاً، لاستقبال السنة الجديدة بعد حفل الزفاف. وفي اليوم التالي، سيتوجّه العريسان الجديدان إلى لوس أنجلوس لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، وتوم وأودري إلى بالم بيش. أما جيف وسارة فسيبقيان في المنزل للاسترخاء. كانت ستحاول طلاء غرفتين أخريين، فقد أصبحت خبيرة بذلك، كما يتوجب على جيف العمل على مجموعة من المشاريع.

امتلأ المنزل بالصخب مع اقتراب الساعة الثامنة. صعدت سارة وأودري للأعلى لمساعدة ميمي في ارتداء ملابسها. عند دخولهما الغرفة، كانت جالسة على سريرها، ترتدي عباءة المساء، وتحمل صورة والدتها.

نظرت إلى ابنتها وحفيدتها، والدموع في عينيها وهي تضع الصورة.

سألتها أودري بلطف، "هل أنتِ بخير، أمي؟"

تنهدت ميمي، "أنا بخير، كنت أُفكّر للتو بمقدار السعادة التي كان عليها والدي هنا في البداية... وبأنني ولدت في هذا المنزل... أنا مسرورة جداً لأنني أتزوج جورج هنا. أشعر بطريقة ما أن هذا صحيحاً جداً... كنت أُفكّر بأن والدتي ستحب ذلك". نظرت عندها إلى سارة. "أنا مسرورة جداً لأنك اشتريت هذا المنزل. لم أعلم على الإطلاق أنه سيعني

لي الكثير عندما أخبرتنا عنه... يبدو من السخف أن أقول وأنا في هذا العمر، وبعد كل الحزن الذي ترعرعت عليه، والشوق لوالدتي عندما كنت شابة، أشعر أخيراً وكأنني عدت إلى المنزل، ووجدتها".

عندها، عانقتها سارة وهمست بلطف للجدة التي تحبها كثيرة، كما يحبها الجميع: "أحبك، ميمي... جداً... شكراً لكِ لقول هذا". جعل ذلك سارة تشعر بأن شراء المنزل كان شيئاً صحيحاً أكثر. في الحقيقة، كان مثالياً.

الفصل الثالث والعشرون

في الدقيقة الأخيرة، قرّروا جعل حفل الزفاف رسمياً. لذا سترتدي النسوة الثلاث عباءات طويلة، وكذلك صديقات ميمي الخمس أو الست الحاضرات. أما الرجال فسيرتدون ملابس رسمية. بدا العريس لطيفاً جداً بربطة العنق الحمراء الفراشية الشكل، وأزرار الكُمّين الياقوتية التي كانت لجده. تطوّع جيف لإيصال العروس إلى عريسها، فقبلت، وهذا ما أثار سرور الجميع. كانت تخشى من السقوط أو التعثر بالعباءة، إن نزلت الدرج الرئيسي وحدها. شعرت بالأمان أكثر لأن تجد ذراعاً قوياً تتكئ عليها، فهم لا يريدون أي حادث في حفل الزفاف.

"وبما أنك لن تتزوجيني، ميمي، وهذا ما يظهر حكماً سيئاً من طرفك، قرّرت أن أكون كريماً وأسلمك إلى جورج. على الرغم من أنه لا بد من القول بأنه يتوجب عليك أن تخجلي مني لإغرائي طوال الأشهر الستة الأخيرة. سأكون في خدمتك، في حال غيرت رأيك وصحوت في الدقيقة الأخيرة". أحبت ميمي تلك اللعبة التي يلعبها جيف معها، وكذلك هو.

كان ينتظرها خارج الغرفة عندما جهزت. خرجت مرتدية عباءة المساء الذهبية الفاتحة بلون الشمبانيا مع حذاء ذهبي بكعبٍ عالٍ. كانت تحمل باقة من زنبق الوادي، والتي قالت إنها زهرة والدتها المفضلة. ووضع العريس غصناً منها أيضاً على صدر سترته وهو ينتظرها في الأسفل. لاحظت أودري وتوم بابتسامة على وجهيهما أنه بدا متوتراً.

تحدثوا بهدوء مع رجل الدين بينما كانوا ينتظرون نزولها إلى الأسفل على أصوات ألحان القيثارة والكمان. كانت سارة قد أضاءت كل شيء بنور الشموع وخفّضت نور الأضواء. ثم، فجأة، شاهدوها تنزل. كانت ما تزال تمتلك جسداً رائعاً، حتى وهي بهذا العمر، بدت ملَكيّة قطعاً، وهي تنزل الأدراج ببطء ممسكة بذراع جيف الذي بدا رزيناً، ووسيماً، ومتميزاً. رفعت عينيها للأعلى إلى جيف وابتسمت، فيما ربّت على يدها، ثم وجدت عيناها جورج، وابتسمت. للحظة، أدركت سارة أن ميمي تشبه ليلي كثيراً، إنها أكبر فقط، ولكنها تماثلها بالجمال. هناك بريق غامض متشابه في عيونهما، وحب مشابه للحياة. كان الأمر يبدو وكأن الحياة قد ولدت في تلك الصورة التي تملكها سارة ثم كبرت فيها. راود سارة شعور مفاجئ بقوة الأجيال التي لحقتها، مثل الأمواج في المحيط. ميمي، والدتها، هي، وليلي قبلهم بزمن طويل.

بدت ميمي ساكنة وهي تنقل ذراعها برشاقة من ذراع جيف إلى ذراع ذلك الرجل الذي على وشك أن يصبح زوجها. وقفا أمام رجل الدين، وتبادلا العهد بأصوات واضحة، وقوية، ومسالمة. بعدها، قبّل جورج العروس، وعلت الموسيقى من جديد، ثم أخذ الجميع يضحك ويبكي ويحتفل، كما فعلوا تماماً قبل أشهر في عرس أودري.

قبّل جيف العروس، وأخبرها أن الأمر أصبح رسمياً الآن. لقد تركته المرأة التي يعشقها في المذبح. قبّلته ميمي، ثم قبّلت الجميع، وخصوصاً أودري وسارة.

تناولوا العشاء، كما هو مخطط له، في التاسعة، وتناولوا الشراب حتى منتصف الليل. قبّلت النسوة الثلاث، المتحدّرات من ليلي، رجالهن في منتصف تلك الليلة. ثم رقصوا لوقت قصير على ألحان الكمان. لم يذهب أحد إلى السرير حتى تجاوزت الساعة الثانية من بعد منتصف الليل. لقد كان حفل الزفاف صغيراً ومثالياً.

تمـدّدت ســارة في السرير بالقرب من جيف بعد ذلك وابتسمت له. "بدأت أشعر وكأنني منظمة حفلات زفاف محترفة". ضحكت. "كان جميلاً، أليس كذلك؟ بدوت وسيماً جداً عندما نزلت السلالم مع ميمي".

اعترف لها، "لم تكن حتى ترتجف. كنت متوتراً أكثر منها".

"بــدا جورج قلقاً قليلاً، المسكين". عندها، التفتت إلى جيف، "كل عام وأنت بخير، حبيبـــي".

"وأنتِ أيضاً، سارة".

غطــا في النوم يعانقان بعضهما، وفي الصباح التالي، نهضا لإعداد الفطــور. كــان صــباحاً احتفالياً، وكان كلا الزوجين الأكبر سناً قد حزما أمتعتهما ومستعدين للمغادرة بعد تناول الفطور. كانت ميمي تنــزل السلالم باتجــاه جورج عندما تذكرت أنها نسيت شيئاً. لذا، صعدت مجدداً، ووقف الجمــيع عــند أسفل الدرج، يتحدثون، بانتظار عودتها. وبعد قليل، عادت وهي تحمل باقة زنبق الوادي من الليلة السابقة.

قالــت، وابتــسمت لهــم: "نــسيت رمي باقتي ليلة أمس". وقفت في منتصف السلم وهم يشاهدونها. كانت ترتدي بذلة حمراء لامعة، مع معطف من الفرو على ذراعيها، وتنتعل حذاء بكعب قصير. بدت منظمة على نحو جيد، وأصغر من عمرها بكثير، تنشقت الزهور الرائعة لآخر مرة، قبل أن ترميها بالباقة إلى حفيدتها. أمسكتها سارة قبل أن تسقط على الأرض، وبدت مجفلــة، ثم، وكأنها حارة جداً بحيث لا تتمكّن من إمساكها، أعادت رميها إلــى ميمــي، كردة فعل، والتي أمسكتها بيد واحدها، ثم رمتها إلى جيف، الذي أمسكها بيديه الاثنتين، ووقف هناك ضاحكاً، بينما صفّق الجميع.

"إنقاذ جميل". مدحه جورج، عند وصول ميمي إلى أسفل السلم وهي تنظر مباشرة إلى جيف.

"بمــا أن ســارة لا تعــرف ما الذي تفعله بها، جيف، فآمل أن تفعل أنــت". قالت، ثم قبلتهم جميعاً، وركبت مع جورج في سيارة الأجرة التي

تنتظرهما، وغادرا إلى المطار. لقد بدأ شهر العسل. غادرت أودري وتوم بعــد خمــس دقائــق، ليقودا إلى بيبيل بيتش، ويلعبا الغولف في سايبريس بوينت في عطلة نهاية الأسبوع.

وقفــت ســارة وجــيف في الرواق الأمامي، بعد مغادرة الجميع، ينظران إلى بعضهما. كان لا يزال يحمل الباقة، ثم وضعها بلطف على الطاولة.

"قدّمتِ حفل زفاف جميل". ابتسم وهو يعانقها.

"شكراً لك. وكذلك أنت".

الفصل الرابع والعشرون

بعد رحيل الجميع، كان يوماً هادئاً من أيام عطلة نهاية الأسبوع صعد جيف إلى مكتبه في الأعلى للعمل. في حين بدّلت سارة ملابسها وبدأت بمشروع الدهان. أحضرت له شطيرة إلى مكتبه في قرابة الساعة الثانية، ثم عمل كلاهما حتى وقت العشاء، عندها تناولا الطعام المتبقي من الحفل، وبعد ذلك، ذهبا لمشاهدة فيلم. كان قد سجل مباراة كرة القدم في وقت سابق على الفيديو، ثم شاهدها عندما عادا إلى المنزل. كان يوماً مثالياً لرأس السنة، وتعويضاً جميلاً عن الأيام المشغولة التي سبقت حفل الزفاف. لم يبدُ المنزل فارغاً بقدر ما بدا مسالماً.

"ماذا يفترض بي أن أفعل بباقة ميمي؟" سألت جيف في الصباح التالي، عندما وجدتها في الثلاجة. كان قد وضعها هناك في حال أرادت الاحتفاظ بها. كان عطرها يتزايد في كل مرة يفتح أي منهما باب الثلاجة. "هل يجلب تخلّصي منها الحظ العاثر؟"

قال وهو يعيد الزبدة: "ربما. اعتقدت أنك ترغبين بالاحتفاظ بها. إنها تذكار جميل من الحفل".

"موضوع محتمل. ربما ترميها إليّ وأنا نائمة".

مازحها قائلاً: "لن أجرؤ. سيضربني البرق. يمكنك تجفيفها أو شيء كهذا، وإعادتها لها بعد سنة، في عيد زفافهما الأول".

"هذه فكرة جيدة. سأقوم بذلك". وضعتها بعناية في علبة، على رف في المطبخ. وانشغلا لما تبقى من اليوم.

مساء الأحد، ذهبا إلى حفلة يقيمها أصدقاء سارة القدامى، ويوم الاثنين، بدأت السنة الجديدة بزخم. بدا وكأن كل زبون يريد إعادة كتابة وصيته في ذلك الشهر. فقد تمّ إصدار قوانين الضرائب الجديدة، والجميع مصاب بالذعر. لم تكن منشغلة لهذا الحدّ في حياتها من قبل إطلاقاً. كانت قد وعدت والدتها بأن تأتي لرؤيتها في سانت لويس، ولكنها لم تتمكّن من تحديد موعد لذلك. شعرت وكأن واجبات العمل لن تنتهي على الإطلاق. وكان جيف مشغولاً بقدرها تماماً. بدا وكأن الجميع قد اشترى منزلاً قديماً في أيام العطل، أو ورث واحداً، ويريد تجديده. كان العمل جيداً بالنسبة له، ولكن دون وجود ماري لويز معه الآن، أصبح كل شيء على كاهله، فأغرقته هذه الأعباء.

بعد أربعة أسابيع من العمل ليلاً ونهاراً والاستيقاظ باكراً جداً والنوم في وقت متأخر، أصيبت سارة بالزكام الشديد في نهاية كانون الثاني. لم تمرض في حياتها كمرضها هذا إطلاقاً، وبعد أسبوع من الزكام والحمى اللذين تركاها في المنزل، تحوّل ذلك إلى أنفلونزا في المعدة، وقضت الأيام الأربعة التالية في الحمام. شعر جيف بالحزن عليها، وظل يعد لها الحساء أو عصير البرتقال أو الشاي. وجعلها كل ذلك تشعر بأنها أكثر مرضاً، وفي النهاية، تمدّدت وهي تئن في سريرها.

قالت له عندما كانت الدموع تسيل على خديها: "أعتقد أنني أحتضر". شعر بأنه عاجز عن المساعدة، وفي نهاية الأسبوع الثاني أخبرها بأنه يتوجب عليها الذهاب إلى الطبيب. وكانت قد خططت للقيام بذلك، وأخذت موعداً في الصباح التالي. اتصلت بوالدتها في تلك الليلة، تتذمر من مقدار سوء حالتها، بينما كانت أودري تستمع لقائمة الأعراض الطويلة.

قالت أودري على نحو واقعي: "ربما تكونين حاملاً".

"أليس هذا مضحكاً، إنني مصابة بالزكام، أمي. وليس بغثيان صباحي".

"كنت مصابة بالزكام طوال الفترة التي كنت فيها حاملاً بك. إن الأمر يتعلّق بانخفاض نظام المناعة كي لا يرفض جسدك الطفل. وقلت إنكِ كنت تتقيئين في الأيام الأربعة الماضية".

"بسبب أنفلونزا المعدة، وليس الحمل". كانت منزعجة من تشخيصات والدتها المعتادة والسخيفة على نحو واضح.

"لم لا تتأكدين من ذلك. أصبح الأمر سهلاً هذه الأيام".

"أعلم ما أنا مصابة به. أنا مصابة بالأنفلونزا الآسيوية، أو السل، أو شيء كهذا. جميع من في المكتب مصاب بها".

"إنها مجرد فكرة. حسناً، اذهبي إلى الطبيب إذاً".

"سأفعل. في الصباح". تمدّدت في سريرها بعد ذلك، منزعجة مما قالته أمها للتو، تحسب بصمت. تأخرت دورتها الشهرية مدة يومين، ولكن ذلك يحصل معها عادة عندما تكون مريضة. حتى أنها لم تكن قلقة. أولم تكن كذلك، حتى تحدث مع والدتها. أصبحت كذلك الآن، وتمدّدت في سريرها تُفكّر بالأمر. سيكون هذا أمراً مزعجاً بالفعل. إنه آخر شيء تريده. لديها حياة رائعة، مهنة جميلة، ورجل تحبه، ومنزل رائع. ولا تريد طفلاً.

توترت بشدة بسبب ذلك مما جعلها تنهض، وترتدي ملابسها، وتقود سيارتها إلى أقرب صيدلية، حيث اشترت اختبار حمل. لم يكن جيف قد عاد إلى المنزل بعد. وبينما كانت تشعر بالغباء لقيامها بذلك، اتبعت التعليمات، وأجرت الاختبار، تركته على المغسلة، وعادت إلى سريرها، وشغلت التلفاز. كادت تتساه، وبعد نحو نصف ساعة عادت إلى الحمام لرؤية النتيجة. علمت أنها ليست حاملاً. لقد كانت حذرة طوال حياتها، وفضلاً عن حادث مروع أو حادثين في أيام الكلية، لم تقامر بلعبة الطفل إطلاقاً. لم تكن عقيمة. ولكن باستثناءات نادرة، كانت هي وجيف دائماً حذرين، إلاّ في الوقت المناسب من أيام الشهر، حين تعلم بأنه ليس هناك ما يقلق من إقامة العلاقة.

التقطت الاختبار بنظرة واثقة من النفس، نظرت إليه، ثم نظرت من جديد، ثمّ بحثت في القمامة عن التعليمات. كان هناك خطان على الاختبار، وفجأة لم تتمكّن من تذكر ما إن كان من المفترض أن يكون واحداً أو اثنين إن لم تكن حاملاً. كان الرسم البياني واضحاً جداً، ليتمكّن أي شخص من قراءته. خط واحد، ليست حاملاً. خطان، حامل. نظرت من جديد. خطان... هناك خطأ. إيجابي على نحو خاطئ. هناك خطأ في الاختبار. كان هناك اختبار ثاني في العلبة، فاستخدمته. وقفت هذه المرة تنقر بقدمها، مصابة بغثيان في معدتها، وهي تنظر إلى نفسها في المرآة بينما تنتظر. بدت بحالة مروعة. هذا سخيف. إنها ليست حاملاً. إنها تحتضر. نظرت إلى ساعتها، ثم نظرت إلى الاختبار. خطان من جديد. حدّقت بنفسها في المرآة مجدداً، ورأت لونها شاحباً.

"أوه، يا الله... أوه يا الله! هذا لا يحدث!" صاحت في المرآة. "لست كذلك!" ولكن الاختبار يقول بأنها كذلك. رمت الاختبارين في القمامة، ثم مشت حول الحمام وذراعاها متصالبان، تعانق نفسها. هذا أسوأ خبر في حياتها. صاحت بصوتٍ عالٍ "اللعنة!" وبينما كانت تفعل ذلك، دخل جيف إلى الحمام، وبدا قلقاً. فلقد كان قد عاد للتو من المكتب.

"هل أنت بخير؟ أتتحدثين مع أحد؟" اعتقد بأنها ربما تتحدث على الهاتف. بدت بحالة مروعة.

"لا لا... أنا بخير". اندفعت مارة أمامه، عائدة إلى السرير، وأقحمت نفسها تحت الأغطية.

"هل تريدين الذهاب إلى المستشفى؟ هل تشعرين بالتعب الشديد؟"

قالت صارخة تقريباً: "أشعر بأنني أسوأ حالاً".

"إذاً، دعينا نذهب. لا تنتظري حتى الصباح، فستصابين بالمرض أكثر. ربما تحتاجين إلى مضادات حيوية". كان من المدرسة القديمة التي لا

تــزال تــؤمن بأن المضادات الحيوية علاج لكل شيء. كان يحثّها طوال الأسبوع لكي تأخذ بعضاً منها.

قالت، وحملقت به: "لا أحتاج لمضادات الالتهاب".

"هل من خطب؟ أقصد غير إصابتك بالمرض؟" شعر بالحزن عليها. مــضى علـــى ذلك الشيء البغيض أسبوعان. كان الأمر مثيراً للاكتئاب. ولكــن بغــض النظـــر عن ذلك، اعتقد أنها تتصرف كالمعتوهة. "كم هي حرارتك؟"

"أنا حامل". ليس هناك فائدة من إخفاء ذلك عنه. يتوجب عليها إخباره عاجلاً أم آجلاً. حدّق فيها وكأنه لا يفهم ما الذي تقوله. ولا هي أيضاً.

"ماذا؟"

"أنـــا حامـــل". بـــدأت تبكي وهي تقول ذلك. انتهت حياتها. كان هذا كابوســاً. لا تـــزال تشعر بالمرض. في الحقيقة، أصبح أسوأ. جلس جيف على حافة السرير.

"هـــل أنت جادة؟" لم يعلم ما يقوله غير هذا. تمكّن من رؤية أنها لا تعتبر ذلك خبراً جيداً. بدت وكأنها على وشك القفز من السطح.

"لا، أنا أمزح. دائماً أمزح بخصوص الأحداث الانتحارية في حياتي. بالطبع، أنا جادة. كيف حدث هذا؟ نحن حذران دائماً. لا نخطئ أبداً".

قال بصدق: "نعم، فعلنا".

"حسناً، ليس في التوقيت الخطأ. لست غبية. أعرف جيداً. وكذلك أنت".

كان يُفكّر بالماضي، وفجأة بدا مرتبكاً. "أعتقد أن هذا ربما حدث في ليلة حفل زفاف جدتك".

"كلا، لم يحدث. ذهبنا للنوم على الفور".

صحح لها، "استيقظنا في منتصف الليل، أعتقد أنك ربما كنت نصف نائمة... لم أجبرك". قال، وبدا مستاءً: "كنا نوعاً ما... قمنا بذلك... ثم عدنا

للـــنوم". أجرت حساباً سريعاً، وتأوهت على نحو مسموع. هذا هو. لو كانا يخططـــان لـــذلك، لما تمكّنا من النجاح على هذا النحو الجيد، أو في هذه الحالة، على هذا النحو السيئ.

"هل كنت بلا عقل؟ كم شربت؟"

"تناولت بعض الكؤوس... والكثير من...، على ما أعتقد". ابتسم لها على نحو محب. "بدوت جيدة بالنسبة لي، ولكنك كنت مخبولة في منتصف الليلة... بدوت رائعة جداً. ولم أتمكّن من المقاومة".

قالـــت وهـــي تقفز من السرير مجدداً، وتمشي حول الغرفة: "أوه، يا الله. لا يمكنني تصديق ذلك. أنا في الأربعين تقريباً، وحامل... حامل!"

"لـــست كبيرة جداً، سارة... وربما هذا شيء يجب أن تفكري به... ربمـــا تكـــون هـــذه هي فرصتنا الأخيرة. فرصتنا الوحيدة. ربما ليس هذا بالخبر السيئ". لم يكن كذلك بالنسبة له. أما بالنسبة لها، فقد كان كارثة.

"هـــل أنت مجنون؟ ما حاجتنا للطفل؟ لا نريد طفلاً. على الأقل أنا لا أريده. لم أكن أريده طوال حياتي. أخبرتك ذلك منذ البداية، ولم أكذب عليك إطلاقاً".

قـــال بوضوح: "كلا، لم تفعلي. ولكن لأكون صادقاً، أحب أن أرزق بأطفال".

"إذاً، احـــظ بهـــم أنت. أنا لا أريد". كانت غاضبة جداً، وتبدو وكأنها تـــريد قتل أحدهم، ومن الأفضل أن يكون هو. ولكن في رأسها، كانت تلوم نفسها.

قـــال لها بلطف: "انظري، إنه جسدك. افعلي ما تشعرين أنه يتوجب علـــيك فعله... أنا أخبرك فقط عن شعوري حول ذلك. أحبك، وأحب أيضاً أن أرزق بطفل منك".

"لماذا؟ سيفسد حياتنا. لدينا حياة جميلة. حياة مثالية. الطفل سيفسد كل هذا". كانت تبكي.

بدا حزيناً وهو يشاهدها. لقد مرّ بهذا من قبل. فقد أجرت ماري لويز عمليتي إجهاض خلال علاقتهما. وللمرة الأولى مذ كانا سوياً، بدت سارة مثل ماري لويز. كانت تلك ذكرى لا يريد استرجاعها. نهض ووضع حقيبته في مكتبه. وعندما عاد، كانت سارة في سريرها، عابسة. لم تتحدث معه لعدة ساعات. عرض أن يُعدّ لها العشاء، فقالت إنها مريضة جداً ولا تريد أن تأكل.

بحذر شديد، اقترح عليها أنه إلى حين تقرير ما الذي يفعلانه بخصوص ذلك، يتوجب عليها أن تأكل. فأخبرته بأن يذهب إلى الجحيم.

"وجدت ما يجب عليّ أن أفعله. سأقتل نفسي. لا حاجة لأن آكل".

نزل للأسفل، أكل وحده، وبعد ذلك، صعد للأعلى. وعندما فعل، كانت نائمة، وفي نومها، بدت جميلة كما هو حالها دائماً. علم أن ذلك صدمة بالنسبة لها. أرادها أن تحتفظ بطفلهما، ولكن لا يمكنه إجبارها على فعل ذلك. علم أنه يتوجب عليها أخذ هذا القرار بنفسها.

كانت كئيبة وصامتة عند تناول الفطور في اليوم التالي. كان قد عرض عليها إعداد طعام الفطور، ولكنها أعدّت الشاي والتوست لنفسها. لم تقل إلاّ القليل من الكلمات. غادرت من أجل موعد الطبيب، ولم تتصل به إطلاقاً. وعندما عاد تلك الليلة، كانت في المنزل قبله وتمكّن من رؤية مقدار غضبها. من الواضح أن الطبيب أكد ذلك. لم يقل جيف شيئاً، بينما ذهبت إلى سريرها. كانت نائمة بحلول الساعة التاسعة، وفي الصباح التالي، بدت بحال أفضل، واعتذرت منه عند تناول الفطور.

"أنا متأسفة لأنني كنت سيئة. احتجت فقط للتفكير بذلك. لا أعلم ماذا أفعل. قال الطبيب إنه في حال كنت أريد طفلاً، فيجب أن أبدأ بذلك الآن وأنا بهذا العمر. أنا حقاً لا أريد. ولكن ربما يوماً ما أريده... أو سأندم إن لم أحظَ بواحد. ولكن إن كنت أريد طفلاً، فأنا أريده منك". وبدأت تبكي. مشى جيف حول الطاولة وعانقها.

"افعلي ما ترغبين به. أنا أحبك، وسأحب طفلنا. ولكني أحبك. وإن كنت لا تريدين طفلاً حقاً، يمكنني التعايش مع هذا الأمر. هذا يعود لك". جعل لطفه الشديد الأمر أصعب عليها. أومأت، ومسحت أنفها، وبكت عندما غادر للعمل. لم تكن بمثل هذا الاضطراب والاستياء طوال حياتها من قبل.

استمر الأمر لأسبوعين. مرحت... غضبت، وعذّبت نفسها وأرهبته بالصياح والعبوس. تدبر نوعاً ما أن يحافظ على هدوئه. فقد أعصابه مرة واحدة فقط، وشعر بالأسف لأنه فعل ذلك. حدث الأمر نفسه مع ماري لويز، وفي النهاية، تخلصت من الطفل، في المرتين. ولكنّ سارة ليست مثل ماري لويز. إنها غاضبة ومستاءة وتشعر بالذعر فقط. فهي لا تشعر بأنها مستعدة بعد لأن تكون أماً، ولا تريد أن تجلب طفلاً إلى حياة غير سعيدة. عرض عليها الزواج منها، الأمر الذي أخافها أكثر. لازمتها جميع أشباح ماضيها، معظمها من طفولتها الكئيبة، ووالدها. ولكن جيف ليس مثله، إنه رجل طيب، وهي تعلم ذلك.

استغرق الأمر منها ثلاثة أسابيع تقريباً، ثم أخذت قرارها. لم تخبر والدتها أو أي شخص. حلت الأمر مع نفسها. كان هذا هو الأمر الأكثر إخافة الذي تفعله في حياتها. أخبرته أنها لن تتزوجه، على الأقل الآن، ولكنها تريد الاحتفاظ بطفلهما. كاد جيف يبكي عندما قالت ذلك. وأقاما العلاقة للمرة الأولى بعد شهر في تلك الليلة. بحلول ذلك الوقت، كانت حاملاً في الشهر الثاني، أو قريباً من ذلك. بعد ثلاثة أسابيع، ذهبا إلى أول تصوير صوتي معاً، وهناك، شاهدا صورة صغيرة مع نبضات قلب. كان كل شيء طبيعياً. وأخبرهم الطبيب أنه من المفترض أن تكون الولادة في الواحد والعشرين من شهر أيلول. لم يشعر جيف بمثل هذه الإثارة طوال حياته من قبل.

أخذ الأمر من سارة فترة أطول لتعتاد عليه. ولكن في أول مرة شعرت فيها بحركة الجنين، تمدّدت في السرير وابتسمت، وأخبرته بأن ذلك

يمنحها شعوراً غريباً. رافقها إلى جميع جلسات التصوير، حتى تلك المرة في الشهر الخامس عندما شاهدا الجنين يمص إصبعه. ذهب معها إلى جلسة فحص الجنين، وبعد أربعة أسابيع، أخبروهما أنه بصحة جيدة وهو صبي. في شهر حملها السادس، لم تشعر بأنها مستعدة بعد، ولكنها كانت مسرورة. شكرته لتحمله اضطراباتها العصبية وذعرها. ومنذ ذلك الحين، كانت بحال جيدة. فهو طفلهما، وليس طفلها وحسب. كانت قد أخبرت والدتها وميمي، وشعر الجميع بالإثارة. عرض عليها الزواج منها عدة مرات، ولكن كان هذا كثيراً عليها في الوقت الحالي. أخبرته بأنها تفعل شيئاً واحداً كل مرة. أولاً، الطفل، ثم ينظران في الأمر. كان جيف يشعر بالإثارة الشديدة، لمعرفته أنه وسارة سيرزقان بصبي. وأخبرها بأنه أعظم هدية في حياته.

كانا يمشيان في شارع يونيون في أحد أيام السبت في شهر آب، حين كانت سارة في شهرها الثامن، عندما شاهدا فيل. لم تعرفه في البداية، ثم عرفته، ورآها. بدا متفاجئاً، وكان مع فتاة بدت في الخامسة والعشرين. لم تكن قد رأته منذ أكثر من سنة ونصف.

قال مبتسماً: "واو، ماذا حل بك؟" كل ما تمكّنت من تذكره هو آخر مرة رأته فيها، في السرير مع امرأة أخرى. لم تَرَه بعد ذلك إطلاقاً.

قالت وهي تبدو مرتبكة: "ليست لديّ أية فكرة. ذهبت إلى حفلة رائعة قبل ثمانية أشهر، ثملت، والشيء التالي الذي أعرفه هو أني استيقظت وأنا على هذه الحال. ماذا تعتقد أنه هو؟" ضحكت الفتاة التي معه، وبدا فيل محرجاً لرؤيتها، كما يجب أن يكون.

قال لها: "لا أعلم". بدت جميلة وسعيدة. تمكّنت من معرفة أنه يشعر بالأسف، وسرت لذلك. نظرت إلى جيف بابتسامة مليئة بالحب، وقدمته إلى فيل. ذلك فيل المشهور الذي سمع عنه الكثير. بدا كالغبي مع الفتاة. قال فيل: "أرى أنك تزوجت". ونظر إلى بطنها الضخم. تمكّنت من معرفة أنه

لم يتزوج، وكذلك هي. وللمرة الأولى، أدركت أنها تريد أن تكون زوجة جيف، وليست حاملاً بطفله وحسب. وحين أكمل فيل وحسناؤه طريقهما، كانت جميع أفكارها عن الاستقرار والحرية قد تلاشت بعيداً. لا تريد أن تكون واحدة مثلهن. أرادت أن تكون مع جيف، ومع طفلهما، لما تبقى من حياتها. أرادت أن تكون له على نحو جدي، وليس لمجرد أنهما يعيشان في المنزل نفسه الآن.

قال جيف، وهو يساعدها في صعود السيارة: "بدا مثل الأحمق". كانت تتحرك بصعوبة، وضحك كلاهما.

"إنه كذلك، أتذكر؟"

قال وهو يقود السيارة للمنزل: "أذكر". وعندما عادا، بدأت بتحضير العشاء.

كانت ما تزال تعمل، ولكنها تتعب. وكانت قد قرّرت أن تأخذ إجازة أمومة لستة أشهر بعد مجيء الطفل. وبعدها ستعرف ما إن كانت تريد أن تعمل لنصف دوام أو لدوام كامل. كان جيف يرغب بأن تتقاعد من شركة المحاماة، وأن تعمل على تجديد المنازل معه، ولكن هذا يعود لها. كحال كل شيء، يتوجب عليها أن تتّخذ قراراتها بنفسها. ودائماً كانت تفعل ذلك، وفي النهاية، تصدر القرار الصحيح.

كانا ينهيان العشاء عندما نظرت إلى جيف بابتسامة خجولة. "كنت أفكر". بدأت، وانتظر البقية. بدا وكأنه سيكون أمراً جيداً، ولكنه كان أفضل مما توقع، أو حتى حلم به. "كنت أفكر أنه يتوجب علينا أن نتزوج يوماً ما". حدّق فيها غير قادر على التصديق، فضحكت.

"ما الذي جعل ذلك يخطر ببالك؟"

قالت: "لا أعلم. ربما حان الوقت. لا أريد أن أعيش كالساقطات طوال حياتي". وضحك أكثر.

"حبيبتي، أنت لست كالساقطات... أنت والدة لابني".

"أعتقد أنني أريد أن أكون زوجتك. إنه مشهد أجمل". انحنى وقبّلها كإجابة على ذلك. كان قد بدأ يفكر أنهما لن يتزوجا على الإطلاق، ولكنّ الطفل كان كافياً. توجب عليها أن ترغب بكل شيء، وهي تفعل الآن.

"متى شئت. قبل مجيء الطفل؟"

"لا أعلم. ما رأيك؟ ربما بعد ذلك". كانت والدتها وميمي ستأتيان لقضاء الشكر، وأرادتهما هنا عندما تتزوج. حتى أنها ربما تريد أن يكون الطفل موجوداً. لم تكن متأكدة. "سأفكر بالأمر وأخبرك".

"سيكون هذا لطيفاً".

نظفا المطبخ سوياً وصعدا للأعلى. تلك الليلة، أدركت وهي متمددة هناك أن حفل زفاف ميمي كان هديتهما الخاصة، فهو الذي جلب لهما كل هذا.

الفصل الخامس والعشرون

كجزء من خطتها، كانت سارة قد قرّرت العمل حتى يوم ولادتها المتوقع. أنهت عملها في اليوم الأخير، واستحمّت، وتناولت الغداء، ولم تتمكّن من تخيّل ما الذي تفعله دون الذهاب إلى المكتب. بدا ذلك المفهوم بكامله غريباً بالنسبة لها. إنها محامية، تذهب إلى المكتب كل يوم. أو هذا ما اعتادت أن تفعله. والآن، يتوجب عليها البقاء في المنزل مع الطفل لستة أشهر. خشيت أن تصاب بالجنون لشدة الملل. أخبرتهم أنها ربما تعود في وقت أبكر من ذلك، وإحدى المحاميات أخبرتها أنها ربما لن تعود على الإطلاق، وهذا ما اعتقدته سارة سخيفاً. بالتأكيد، ستعود. إلاّ إن انشغلت بالعمل مع جيف، في تجديد المنازل. هذا يجلب لها السرور أيضاً، وخاصة معه. أحبت فكرة العمل معه كل يوم. كانت مرحلة انتقال وتغيير بالنسبة لها. كل شيء في حياتها، يختلف ويتحرك، حتى الطفل في رحمها. بعد الاستحمام والغداء، حملت حقيبتها وعادت للمنزل. ثم انتظرت. لم يحدث شيء. أخبرها طبيبها أن هذا طبيعي، وخاصة عندما يكون الطفل الأول. وكان ذلك يثير جنونها، فلم تكن في حياتها متأخرة، في أي شيء. حتى أنها لم تكن كذلك هذه المرة، أيضاً. ولكن الطفل كذلك.

اشتكت لجيف في إحدى الليالي، "ما الذي يفترض بي أن أفعله؟" كانت ولادة الطفل قد تأخرت عن موعدهاعشرة أيام، فلقد أصبحا في أول شهر تشرين الأول. ومضت تسعة أشهر على حفل زفاف ميمي. كانت ميمي وزوجها يستمتعان بوقتهما كثيراً في بالم سبرنغ، ولم يعودا إلى سان

فرانسيسكو أبداً. ولكنهما وعدا بالمجيء في الشكر، لرؤية الطفل إن وُلِدَ في هذا الوقت، وربما لن يفعل. تمنّت لو أنها بقيت في العمل. ولكنها كانت متعبة جداً وكبيرة جداً. أصبحت تحتاج إلى مساعدته الآن للخروج من سريرها. شعرت وكأنها حوت خرج من الماء. كان الطفل ضخماً.

اقترح عليها، "استمتعي بوقتك... امرحي... استرخي... اذهبي للتسوق". فضحكت عليه.

"لا شيء يناسب مقاسي سوى الحقائب".

"إذاً، اشتري بعضاً منها". كانت قد بدأت برؤية صديقاتها القدامى مجدداً، اللواتي يمتلكن أطفالاً. وأخيراً، وجدت شيئاً مشتركاً معهن.

كان جيف يحاول أن يعمل من مكتبه الذي في المنزل قدر الإمكان. أراد أن يكون قربها في حال حصل شيء، أو إن احتاجت له. كانا قد جهزا غرفة الطفل في غرفة ميمي القديمة. بدت مناسبة، نظراً لأنها حملت بالطفل في ليلة زفافها، ولأن ميمي نفسها قد ولدت في تلك الغرفة. أنجبتها والدتها ليلي هناك، ليلي التي حطمت الكثير من القلوب وتوفيت وهي شابة. كانت سارة في الأربعين من عمرها الآن. بدا أن هذا هو العمر المناسب لتجنب طفلها الأول. لقد انتظرت لوقت طويل لكي يكون كل شيء مناسباً. جيف أولاً، والآن هذا.

عصر ذلك اليوم، ذهبا للمشي في الجوار. مشيا إلى شارع فيلمور ثم عادا، وتمكّنت بصعوبة من صعود الهضبة، ولكنها فعلت، بمساعدة من جيف. تحدثا عما سيفعلانه، وعمّا إن كانا سيشتريان منزلاً ليبيعانه من جديد. كانت متلهفة للقيام بذلك. كانت ما تزال تفكر بالأمر تلك الليلة، بعد العشاء، وهي جالسة في حوض الاستحمام، مع الانقباضات نفسها التي كانت تصيبها منذ أسابيع. لم تكن تلك بالانقباضات الحقيقية بعد، إنها انقباضات تحذيرية وحسب. انقباضات خادعة. تهدف إلى جعلها مستعدة، لولادة الطفل. جلست في حوض الاستحمام، تسترخي، بينما كان جيف

يشاهد التلفاز. جاء جيف على الفور للاطمئنان عليها، دلّك لها ظهرها، فلقد كان يؤلمها طوال الوقت، لأن الطفل ثقيل جداً. وكان الطبيب قد قرّر أن يسرّع لها عملية الولادة في الأسبوع التالي، ولكن ليس قبل ذلك. فالطفل بحالة جيدة، وكذلك هي.

بعد الاستحمام، نزلت للأسفل لتحصل على شيء تتناوله، ثم صعدت من جديد. شعرت وكأنها بحاجة لأن تتحرك. ففي تلك الليلة، لم تكن تتمكّن من الجلوس أو الاستلقاء. إن الموعد يقترب، ولكن ليس بعد. من المفترض أن تزور طبيبها في الصباح، وتمنّت أن يعجّل لها الولادة؛ فهي مستعدة.

"هل أنت بخير؟" كان جيف يراقبها طوال الليل. كانت عاجزة عن الاسترخاء، ولكنها في حالة جيدة وتبدو بخير.

قالت: "نعم، أنا متعبة فقط من الجلوس". وكانت تقضم قطعة بسكويت. كانت الآن تعاني من حرقة في المعدة طوال الوقت، ولا يساعدها أي شيء على التخلص منها. ولكنها علمت أن الأمر قريب. شعر جيف بالأسف عليها وهي تناضل بصعوبة للصعود إلى السرير، وبعدها نهضت ثلاث مرات للذهاب إلى الحمام. قالت بأن الوجبة الخفيفة التي تناولتها قد سببت لها ألماً في المعدة.

قال بلطف: "لم لا تحاولين الحصول على القليل من النوم؟"

قالت بحزن: "لست متعبة، إن ظهري يؤلمني حقاً".

"لا عجب. تعالي إلى هنا. سوف أدلّك لك ظهرك". تمدّدت على جانبها وأدارت ظهرها له. شعرت بتحسن بعد أن دلّكه لها، ثم وأخيراً، غطت في النوم وهو يراقبها، بابتسامة مليئة بالحب.

كانت هذه هي أحلى أيام حياتهما، ينتظران ولادة ابنهما، وسارة متمدّدة بجانبه. أخيراً نام أيضاً بعد ساعة من نومها. وفي منتصف الليل، استيقظ من نوم عميق. تمكّن من سماعها تئن وتلهث في الظلام بجانبه.

وعندما مدّ يده إليها، كان وجهها مغطى بالعرق، فأضاء المصباح بسرعة، وصحا فجأة بالكامل.

"سارة؟ هل أنت بخير؟"

"لا". هزت رأسها للأمام والخلف، عاجزة عن التكلم.

"ماذا يحدث؟ ما الخطب". كانت الانقباضات تأخذ أنفاسها، على نحو حقيقي. أخيراً... لم تتمكّن من التكلم. لقد استيقظت من نوم عميق، سترزق بالطفل، ومن المذهل جداً أنه استيقظ هو أيضاً.

أدرك كلاهما عندها أن الانقباضات التي كانت في حوض الاستحمام حقيقـية، وليست 'تحذيرية'، وأن عدم قدرتها على الاسترخاء وألم الظهر والمعـدة كانـا بداية المخاض، الذي سيستمر لوقت طويل. فانتهم كل تلك العلامـات. لمس معدتها ونظر إلى ساعتها. تبعد الانقباضات عن بعضها البعض دقيقتين. لقد قيل لهما أن يذهبا إلى المشفى عندما يكون الفارق هو عـشر دقائق. إن الطفل قادم... الآن. لا يعلم ماذا يفعل. فجأة، بدأت سارة تصرخ. كانت صرخة طويلة بدائية بين الصرخات الحادة.

"سـارة، تماسـكي، من فضلك، حبيبتي... يتوجب علينا الذهاب إلى المشفى... الآن".

"لا أقـدر... لا أقـدر على التحرك..". صرخت ثانية مع الانقباض التالـي، وحاولـت النهوض، ولكنها لم تتمكّن من فعل ذلك، أيضاً. كانت تـضغط. أمسك سماعة الهاتف واتصل بالإسعاف. أخبروه بأن يترك الباب الأمامـي مفـتوحاً وأن يبقى معها. ولكنها لن تسمح له بأن يتركها. كانت تمسك بذراعه بقوة، وتبكي.

"تماسكي... سارة... يتوجب عليّ أن أنزل وأفتح الباب".

قالـت: "لا!" تحـول لـون وجهها إلى لون أرجواني، ونظرت إليه مصابة بالذعر. كانت تتلوّى من الألم وتدفع في الوقت نفسه، وفجأة، انتشر

فـي الغرفة عويل طويل حاد بين صرخاتها، ووجه أحمر مشرق ظهر من بين ساقيها، وكان شعره أسود حريري. ما إن انزلق ابنهما إلى العالم، حتى نظـر إليهما وتوقف عن البكاء، بينما كانا يبكيان، ويعانقان بعضهما، عند سماعهما الصفارات في الخارج.

"أوه، يا الله، هل أنت بخير؟" أومأت، ولمس وجه الطفل، ثم وبلطف، رفعـه إلى معدتها. كان جرس الباب يرن. "سأعود فوراً". أسرع للأسفل، وأدخل المسعفين، ثم عاد راكضاً إليها معهم.

بعـد أن فحصهما المسعفون، قالوا إنها بخير وكذلك الطفل. قطع مـسعف الحـبلَ السري، ولفّ الطفل بمنشفة، وأعطاه إلى سارة وهي تبتسم بابتهاج. لم يتمكّن جيف من التوقف عن البكاء. كانت هي والطفل أجمل منظر شاهده في حياته. وضعوها في سيارة الإسعاف مع الطفل، لفحـصهما فـي المشفى، وركب جيف معهما. كان الطفل مثالياً. وبعد ثـلاث سـاعات، أعادهما جيف إلى المنـزل، واتصلت سارة بأودري وميمي. لقد ولد وليام دو بومون باركر، في المنـزل نفسه حيث جاءت جـدة والدته إلى العالم قبل ثلاث وثمانين سنة، وحيث عاش والدا جدة والدتـه. ملأت البهجة سارة وجيف، فلقد عمّت عليهما بركة عظيمة في منـزل ليلي. أمسكت سارة بالطفل، وذراع جيف حولها، وغط الثلاثة بـنوم عمـيق. وعلى الرغم من أنها لم تكن تتوقع أن يكون كذلك، كان هذا أفضل يوم في حياة سارة.

الفصل السادس والعشرون

تلك السنة، كان الشكر أكثر ضجيجاً من المعتاد. جاءت ميمي وجورج، ودعت ميمي أصدقاءها المعتادين. وجاء توم وأودري من سانت لويس. كانت سارة تعتني بالطفل، بينما أعدّ جيف الديك الرومي وساعدته أودري. تناولوا الطعام على الطاولة الكبيرة في المطبخ، بينما نام وليام في سريره الصغير بعد أن أرضعته سارة. لم تكن سارة قد بدت بأفضل حال عما هي عليه الآن، أما جيف فبدا منهكاً ومحروماً من النوم، واتفق الجميع على أن وليام هو أجمل طفل شاهدوه في حياتهم. كان صبياً جميلاً وبصحة جيدة. لقد انتظر والداه لوقت طويل حتى حصلا عليه، ولكنه جاء في الوقت المناسب. أحبت ميمي زيارته في غرفتها القديمة التي كانت سارة قد طلتها باللون الأزرق بنفسها، بمساعدة من جيف، الذي أراد تجنيب سارة صعود السلالم قبل ولادة وليام.

كانت الوجبة مشابهة للوجبة التي يتناولونها كل عام، تبعاً للتقاليد. وقالت ميمي بأن الفطائر مثالية.

قالت بفخر: "إنه أفضل طفل، أليس كذلك؟" فلقد نام طوال فترة العشاء، ولم يستيقظ ثانية حتى صعود سارة وجيف للأعلى، وكانت أودري قد ساعدت في تنظيف المطبخ. كان وليام يبلغ في ذلك اليوم سبعة أسابيع من عمره. وكان وزنه يبلغ اثني عشر باونداً بعد أن كان يتجاوز التسعة باوندات عند ولادته. قال جورج بأنه يبدو كأن عمره ستة أشهر. حمله توم على نحو خبير، حيث كان هو الجد الأكبر.

في اليوم التالي، حملته كل من جدته ووالدة جدته واعتنتا به حتى ارتدت سارة ملابسها. نزل جيف للأسفل إلى غرفة الضيوف الثالثة لمحاولة الحصول على بعض النوم. فلم يكن يتوجب عليه ارتداء ملابسه حتى الساعة السادسة. كادت سارة تنسى إيقاظه، ثم أرسلت توم ليوقظه، وتوجّب عليهم إيقاظه مرتين. كانت الأبوة أكثر إنهاكاً مما توقع، ولكنها أفضل بكثير. كان يحب سارة أكثر مما أحبها في السابق.

كانت سارة ما تزال ترتدي ملابسها عندما أحضرت أودري الطفل للرضاعة. ولذلك، تأخر نزول سارة نصف ساعة، وفي ذلك الحين كان الجميع بانتظارها. حملت ميمي الطفل، وكان جيف يرتدي بذلة زرقاء داكنة وبدا صاحياً تماماً ومنتعشاً. بينما كان توم وجورج يقفان بجوار بعضهما، والتفتت جميع الرؤوس إلى سارة وهي تنزل ببطء على الأدراج بثوبها الأبيض الطويل. كان أكبر بقياس مما تحب، ولكنها بدت فاتنة الجمال. كان الفستان مزيّناً بشريط بسيط وبلون القشدة مع أكمام طويلة ورقبة طويلة، ويظهر جمال جسدها، الذي كان أفضل من السابق، حتى ولو كانت ممتلئة أكثر بقليل. كانت قد صفّفت شعرها على شكل كعكة مرتخية، مع زنبقة الوادي داخلها، وحملت الباقة في كلتا يديها. امتلأت عينا جيف بالدموع عندما رآها. لقد انتظر هذا لوقت طويل؛ ولكنها استحقت الانتظار.

بكى كلاهما عندما تبادلا العهود، وارتجفت يداهما وهما يلبسان الخاتمين، وحالما فعلا ذلك، استيقظ وليام ونظر حوله. باركه رجل الدين في الوقت نفسه. حيث قال جيف إنه حفل زفاف بخدمات رعوية كاملة، بحيث أنهوا كل شيء في وقت واحد.

بعد ذلك، تناولوا الطعام ورقصوا وشربوا الأنخاب، وتناوبوا على حمل الطفل. وفي النهاية، رقص جيف في غرفة الرقص مع زوجته. وكانت تلك أول مرة يستخدمون فيها هذه الغرفة. وقرّروا أن يقيموا فيها

حفلة كبيرة في الكرسمس هذه السنة. كانوا يكبرون ببطء في المنزل، مع بعضهم البعض. لقد أصبحت سارة السيدة جيفرسون باركر. وكانت قد مددت إجازة أمومتها إلى السنة، وقد اشتريا منزلاً صغيراً للتو لتجديده، لمحاولة إنجازه كمشروع مشترك. بعدها، سينتظران ما يحدث، وكم من الأموال تعود عليهما من جرّاء بيعه مجدداً. إن جرى كل شيء على نحو جيد، ستترك شركة المحاماة. لقد تعبت من مطاردة قوانين الضرائب وكتابة الوصايا.

وبينما كانت ترقص مع جيف، فكرت سارة بكلمات ستانلي في البداية، حين أخبرها بألاّ تضيّع حياتها، وأن تعيشها وتحلم بها وتستمتع بها، وبأن تنظر إلى الأفق، وألا ترتكب الأخطاء نفسها التي ارتكبها. لقد سهّل لها القيام بذلك على النحو الصحيح. فالمنزل هو الذي أحضر جيف إلى حياتها... وولیام... وتوم إلى حياة والدتها... لقد تأثرت حياة الكثيرين بستانلي، وبهذا المنزل.

"شكراً لك لأنك جعلتني سعيداً جداً"، همس جيف، عندما دارا حول غرفة الرقص بكل بريق ولمعان مراياها.

قالت ببساطة: "أحبك، جيف". تمكّنت من سماع صوت طفلهما يبكي بينما يحمله أحدهم، ووالداه يرقصان في أمسيّة زفافهما. هذا هو الطفل الذي ولد في منزل ليلي.

في النهاية، تأثّر الجميع بليلي؛ المرأة التي هربت منذ وقت طويل وتركت أسطورة وميراثاً خلفها. بعد أن تركت طفلة لا تعرفها كثيراً، وحفيدتها الرائعة، وابنة حفيدتها التي أعادت منزل ليلي إلى الحياة بحنان وحب لا ينتهيان. وابن حفيدة ابنتها الذي بدأ رحلته للتو. استمرت الأجيال دونها. وحين كانت سارة ترقص بين ذراعي جيف، أحست بأن تلك المخلوقة الغامضة، ليلي، قد رقدت بسلام أخيراً.